

آثار الصحابة في الحياة العملية والاجتماعية

في العراق في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم



د. عبد العزيز بن محمد العجلان

www.albayan.co.uk

الاصحاح الثامن والعشرون في الحياتة العظيمة والجمهورية

د. عبد العزيز بن محمد الجعلان



أثر الصحابة في الحياة العملية والاجتماعية

ترك الصحابة أثراً كبيراً في الأقاليم التي دخلوها فاتحين، وأمرء، ومعلمين، وقضاة، تمثل في العلوم التي نشروها، وفي تلاميذهم من التابعين الذين نقلوا علمهم، واتضح أن العراق لا يفوقه في عصر الخلافة الراشدة سوى للدينة النبوية.

وعلى أيدي الصحابة لتشر الإسلام وسالت قيم الرحمة والشفقة، والحرص على هداية الخلق، وتحرير الإنسان والمحافظة على كرامته، والعدل، والنزاهة والأمانة، والشورى، والوفاء، والعمل، والبر والإحسان، والشجاعة، فكان من أهل البلاد من حمل الدين ونافع عنه بالدعوة والجهاد وبرز منهم أئمة وعلماء كبار في مختلف الفنون. ولم نسمع ولم نقرأ عن مطاردات نموية، ولا حروب إبادة، ولا حرب الأرض المحروقة، ولا مقابر جماعية، ولا تدمير أو إحراق لدور العبادة، من قبل الفاتحين المسلمين كما فعل ويفعل الكفار بالمسلمين قديماً وحديثاً. وقد غلب على المجتمع الإسلامي في عصر الراشدين - ومنه مجتمع العراق - الأمن والاستقرار، والعدل والإحسان، والأخوة الإسلامية، وفتشر فيه العلم، والبر، والأزهار، والرخاء. وقد حاولت الدراسة المساهمة في إبراز هذه التجربة الرائدة لهذه النخبة من الصحابة، لتستفيد منها الأمة الإسلامية في مشاريعها الإصلاحية الحاضرة، فذاته لا يصح آخر هذه الأمة إلا ما أصح أولها.



Al-Bayan Center for Research and Studies

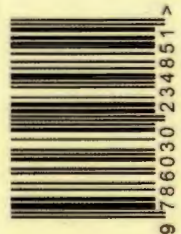
مكتب مجلة البيان

ص.ب. ٢٦٩٧٠ - الرياض - ١١٤٩٦

www.albayan.co.uk

sales@albayan.co.uk

هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٤٦٨٦٨



ردمك: ١-٢٤٨٥-٠٢-٦٠٢-٩٧٨

أثر الصحابة في الحياة العملية والاجتماعية

في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله العجلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

ح عبد العزيز محمد عبد الله العجلان، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العجلان، عبد العزيز محمد

أثر الصحابة رضي الله عنهم في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في
عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. / عبد العزيز محمد العجلان،
- الرياض، ١٤٣٨هـ.

ص ٦٢٥؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١ - ٣٤٨٥ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - العراق - تاريخ إسلامي

٢ - التاريخ الإسلامي - عصر صدر الإسلام

٣ - الصحابة والتابعون أ. العنوان

١٤٣٨/٣٢٦٥

ديوي ٢، ٩٥٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٢٦٥

ردمك: ١ - ٣٤٨٥ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨



أصل هذا الكتاب رسالة علمية حصل بها الباحث على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز
بمعدل (٤,٩٥) من قسم التاريخ والحضارة في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد تمت المناقشة في ٢٤ / ١٢ / ١٤٣٦ هـ.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». أخرجاه في الصحيحين.

وقال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم». أخرجاه في الصحيحين.

ثناء ودعاء

أحمد الله - سبحانه وتعالى - وأشكره وأثني عليه الخير كله، على ما يسر من جهد، ووقت، وعمل، وتوفيق، ثم أسأله الرحمة والمغفرة لوالديّ - رحمهما الله -، وأن يعلي منازلهما في الجنة وأن يجزيهما عني خير الجزاء، وأن يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو الموفّق والمعين، وهو حسبي ونعم الوكيل، وما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه، وعذرك، وتقويمك، ونصحك - أيها القارئ الكريم - محل تقديري وشكري.

للتواصل والملحوظات:

البريد الإلكتروني

AYMAN.0899@HOTMAIL.COM

جوال

٠٥٠٥١٤٠٨٩٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

الصحابة رضي الله عنهم خير البشر بعد الأنبياء، فهم خير جيل وأكرم صحب، إذ هم حملة الوحي والرسالة، فقاموا بتبليغها ونقلها لمن بعدهم في الأمصار الإسلامية، فعمت الهداية، وزال الظلام، وحملوا معهم القيم الأخلاقية، والاجتماعية التي أعادت صياغة تلك المجتمعات النصرانية، والمجوسية والوثنية، إلى شريعة الله.

ومن ثم فقد ترك الصحابة رضي الله عنهم أثراً كبيراً في الأقاليم التي نزلوها، حيث ظهر أثرهم في الجوانب الحضارية المختلفة، العلمية والاجتماعية، والاقتصادية، كما تمثل أثرهم في تلاميذهم من التابعين.

وقد حظي إقليم العراق بقدوم عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث نزله كثير منهم وقد تجاوز عددهم ألف صحابي، كان منهم الأمراء والقادة، والعلماء والقراء، يدعون الناس ويعلمونهم، وكان من بينهم أئمة كبارٌ بعثهم الخليفة للتعليم والإقراء، كابن مسعود (ت ٣٢هـ): إمام الكوفة ومعلم أهلها القرآن، وأبي موسى الأشعري (ت ٤٤هـ): إمام البصرة ومعلم أهلها القرآن، وأنس بن مالك (ت ٩٣هـ): محدث البصرة، وحذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، وسلمان الفارسي (ت ٣٥هـ)، وعمران بن حصين (ت ٥٢هـ)، وغيرهم، حيث تركوا آثاراً حضارية كبيرة في هذا الإقليم، وهو ما دفعني إلى دراسة: «أثر الصحابة رضي الله عنهم في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم».

وبحسب اطلاعي لم أر أية دراسة عنيت بهذا الموضوع بشكل مستقل على الرغم من أهميته، وتنوعه، ومن توفيق الله لي أن أسهم في هذا الميدان، حيث شرفت باختياره موضوعاً لرسالتي في الدكتوراه، فله الحمد والشكر من قبل ومن بعد، وله الفضل والمن. وتكمن أهمية الموضوع - ابتداءً - بأنه امتداد لموضوعات السيرة النبوية؛ إذ إن الصحابة ﷺ أثار من آثار النبوة، حيث قبسوا من أنوارها، واهتدوا بهديها، فعايشوا التنزيل، وتلقوا الآي بالقول والعمل.

كما أن الموضوع دراسة لصفوة ونخبة^(١) مؤثرة خضعت لمراحل من الإعداد والتكوين على يد النبي ﷺ، وكان لها تأثيرها العلمي، والاجتماعي، في البيئات التي حلت بها؛ ولذا فالصحابه ﷺ على اختلاف منازلهم صفوة هذه الأمة، وخير قرونها، وهذا مصداق قوله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...»^(٢)، إذ

(١) الصفوة: خيار الشيء وخلصته وما صفا منه، والاصطفاء: الاختيار، افتعال من الصفوة. ومنه: النبي ﷺ، صفوة الله من خلقه ومصطفاه، والأنبياء المصطفون. ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، ط: الثالثة، دار صادر - بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١٤، ص ٤٦٢، مادة صفا، والصحابة ﷺ صفوة الأمة وخيرها.

والنخبة: من انتخب الشيء؛ اختاره. ونخبة القوم خيارهم، يقال: جاء في نخب أصحابه، أي في خيارهم، وفي قول عمر بن الخطاب: «وخرجنا في النخبة». ابن منظور: لسان العرب ١/٧٥١-٥٧٢، مادة نخب، ومفهوم النخبة يشير إلى الفئات التي تحظى بنوع من التميز داخل حقل اجتماعي ما، كما تمارس نوعاً من الريادة داخل هذا الحقل، وقد تباينت الاصطلاحات التي ترمز إلى هذه الفئة ما بين النخبة، والصفوة، والأعيان، والطلیعة، وغير ذلك.

(٢) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، رقم (٢٦٥٢)، ج ٣، ص ١٧١؛ وأخرجه مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، رقم (٢٥٣٣)، ج ٤، ص ١٩٦٣.

إنهم أفضل البشر بعد الأنبياء.

وإلى جانب هذا وذاك فالموضوع يقدم نماذج من أصحاب الهمم العالية، والغايات السامية، من حملة الرسالة ومشاعل الهداية، الذين بلغوا أقصى درجات الكمال الإنساني، وتركوا أثراً كبيراً في مجتمعاتهم.

فالصحابة ﷺ صفة ونخبة مميزة، وفئة مؤثرة في المجتمعات التي حلوا بها، ولهم تقاليدهم التربوية، والعلمية، وميزة سبق إلى الإسلام وصحبة محمد ﷺ، وهذا جعل الفئات الاجتماعية الأخرى تنظر إليهم بهذا الاعتبار، وترى مكانتهم وفضلهم، كما كان لهم أثر في مجريات الأمور والإفتاء وحل المشكلات.

ويضاف إلى ذلك كله ظهور مدينتين شهيرتين في العراق في عصر الراشدين ﷺ، وهما: (الكوفة والبصرة)، حيث استقطبتا للعلم أعداداً كبيرة من الناس، فبلغ التنافس العلمي والحركة المعرفية فيهما مبلغاً كبيراً، فبرزت من خلالهما الكثير من المذاهب العلمية في العلوم المختلفة، بل ونسبت بعض هذه المذاهب إلى تلك المدن، فالمذهب البصري، والمذهب الكوفي خير دليل وبرهان على ذلك. ولعل هذه الدراسة تسهم في تجلية البذور الأولى، لهذه الريادة الحضارية.

وهناك اعتبارات عدة دعنتي للبحث في هذا الموضوع ومن أهمها ما يلي:

□ الحاجة إلى دراسات تاريخية منهجية عن الصحابة ﷺ، وإلى دراسة الآثار التي تركها الصحابة ﷺ في الأمصار الإسلامية في مختلف المجالات، حيث لم تنل حقها من الدراسة.

□ الإسهام في دراسة آثار الصحابة ﷺ في الحياة العلمية، والاجتماعية، في العراق؛ لسد هذه الثغرة في الدراسات التاريخية، إذ لم أجد أية دراسة تاريخية عنها.

□ إبراز هذه التجربة الرائدة لهذه النخبة من الصحابة ﷺ، لتستفيد منها الأمة الإسلاميّة في مشاريعها الإصلاحيّة الحاضرة، فإنه لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

□ إثراء حاجة المكتبات بالمحتوى التاريخي الذي يعنى بمثل هذا النوع من الدراسات.

وكان للبحث بعض الصعوبات، ولعل أبرزها أن الدراسة ليست على مثال سابق، فلم أجد - في حد علمي وبحثي - آية دراسة سابقة تختص بالموضوع محور الدراسة، وهذا بقدر ما يعطي للموضوع من أهميّة، بقدر ما يعطيه من صعوبة.

وهناك صعوبة أخرى تمثلت في شموليّة موضوعات البحث وسعته، ومن ثمّ مصادره، حيث شملت المصادر مختلف الفنون الإسلاميّة، على اختلاف طرائق التصنيف فيها.

وقد عمدتُ إلى إعطاء دراسة إحصائيّة لتلاميذ الصحابة ﷺ في العراق وتلاميذهم في الحجاز، في الإقراء، والحديث، والفقه، وكل ذلك جاء من خلال جداول بيانيّة قمت بجمع مادتها وإعدادها ودراستها، ثم المقارنة بينهم في هذه العلوم.

الخطة ومحتويات الدراسة^(١):

قمت بتقديم الموضوع من خلال: مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وملاحق للبحث.

(١) عن خطة الدراسة ومصادرها، ومنهجها، يمكن الرجوع إلى مقدمة الرسالة، حيث تم اختصارها في هذه المقدمة بما يتناسب والكتاب.

في التمهيد: قدمت عرضاً مجملاً عن الصحابة رضي الله عنهم، وعن العراق، وأحوال العراق، في ثلاثة مباحث.

الفصل الأول: انتشار الصحابة رضي الله عنهم في العراق، في ثلاثة مباحث.

الفصل الثاني: أثر الصحابة رضي الله عنهم في الحياة العلمية في العراق، في سبعة مباحث.

الفصل الثالث: تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم في العراق والرواة عنهم، في خمسة مباحث.

الفصل الرابع: الحياة الاجتماعية للصحابة رضي الله عنهم في العراق، في خمسة مباحث.

الفصل الخامس: أثر الصحابة رضي الله عنهم في الحياة الاجتماعية في العراق، في ستة مباحث.

وفي الخاتمة: قمت بتسجيل أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها.

وملحق الخرائط، وقائمة المصادر والمراجع، وفهارس الجداول، والموضوعات. مصادر الكتاب:

تنوعت مصادر الكتاب واختلفت حسب ما اقتضاه موضوعه وتنوع فصوله، وهذا ما جعل مصادره لا تقتصر على كتب التاريخ فحسب، فقد تضمنت مصادر أخرى غيرها كان لها دورها في تقديم معلومات مهمة في الجوانب الحضارية المختلفة.

وتأتي في مقدمة تلك المصادر كتب السنة النبوية، ومن بينها الصحيحان، ومسند أحمد، والسنن الأربعة، والكبرى للنسائي، والكبرى للبيهقي، والمستدرک للحاكم، وغيرها، والتي تتميز بموثوقيتها، وتأتي معها كتب الآثار وخاصة المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، والمصنف لابن أبي شيبة، وتمتلك قدرًا كبيرًا من الموثوقية، وحيث تحتوي كتب السنة، وكتب الآثار على مادة ثرة وغنية عن أحوال المجتمع الإسلامي في عصر

الراشدين، وهو ما يعطي الباحث في تاريخ الصحابة مادة علمية مهمة وموثوقة؛ وهذا يضفي على دراسات التاريخ قيمة علمية، وقبولاً حسناً عند المتلقين والدارسين. ومن أهم مصادر الكتاب: كتب التراجم، وفي مقدمتها طبقات ابن سعد، والطبقات لخليفة بن خياط، وحلية الأولياء لأبي نعيم، وكتب الصحابة، مثل الاستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر، وكذا سير أعلام النبلاء للذهبي، وغيرها، حيث تتميز هذه الكتب بمادة قيمة وثريّة في الجوانب الحضاريّة المختلفة، مما لا يتوافر في غيرها، وهي ذات صلة وثيقة بعلوم السنة تجعلها تتميز بدرجة عالية من الموثوقية.

ومن أهم كتب التراجم التي أفدت منها: طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) فقد غطت تراجمه رجال القرنين الأول والثاني من الصحابة والتابعين وأتباعهم، حيث ترجم لأهل العلم والفقه كل حسب بلده، وعني كثيراً بالجوانب الحضاريّة؛ علمية، واجتماعية، واقتصادية، حيث أفرد المجلد السادس في الكوفيين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل الفقه، والعلم، والمجلد السابع عنده في البصريين، والبغداديين، والشاميين، والمصريين، وآخرين، حيث خصص جله للبصريين، وقد أفدت الكثير من هذا الكتاب، ومجموع من ترجم لهم من الصحابة في الكوفة والبصرة ثلاثمئة (٣٠٠) صحابي، ومن التابعين سبعمئة وأربعة وخمسون (٧٥٤) تابعياً، وتدل لغة الأرقام هذه على عدد كبير ممن ترجم لهم ابن سعد من الصحابة والتابعين من أهل الفقه والعلم فيهما، وهو ما يعني أنّ هناك أثراً كبيراً في العلم، والسلوك، وشؤون الحياة عامة.

كما أفدت أيضاً من كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، فالجزء الأول، والثاني، وغالب الجزء الثالث، كلها في تراجم الصحابة، وعدد من ترجم له من

أعلام الصحابة ﷺ فيها ثلاثمئة وثمانية عشر (٣١٨) صحابياً. في حين أن بقية الجزء الثالث وحتى نهاية الجزء السادس تقريباً اشتملت على خمس طبقات من تراجم أعلام التابعين، وعددهم ستمئة وأربعة وسبعون (٦٧٤) تابعياً، وقد تضمنت هذه التراجم جوانب علمية، واجتماعية، وسياسية، وهي شاملة لأقاليم العالم الإسلامي.

ومن الكتب التي أفدت منها في المقارنة بين تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق وفي الحجاز: كتاب الطبقات لخليفة، والعلل لابن المديني، وتسمية فقهاء الأمصار للنسائي، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، وطبقات الفقهاء للشيرازي، وطبقات القراء للذهبي.

ومن المصادر التي أفدت منها: كتب تواريخ المدن، وفي مقدمتها: تاريخ واسط لبحشل الواسطي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، حيث اشتملت على تراجم لمن نزلها ووردها، وهي مشابهة لكتب التراجم في مادتها وموثوقيتها فهي منها؛ ولذا تتوفر على مادة جيدة في الجوانب الحضارية المختلفة، وهي على صلة وثيقة بعلوم السنة، وهذا يكسبها قدرًا كبيرًا من الموثوقية.

ومن المصادر التي أفدت منها: كتب التاريخ العام، وفي مقدمتها: تاريخ الرسل والملوك للطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري، وغيرها من كتب التاريخ، وهي تقدم معلومات تفصيلية مهمة وجيدة عن تاريخ الصحابة، وعصر الراشدين ﷺ.

وتأتي بعدها مصادر متنوعة من كتب التفسير، وكتب علوم القرآن، وعلوم الحديث، وكتب النظم المالية، وكتب الأنساب، والمعاجم الجغرافية، والمعاجم اللغوية، وكتب غريب الحديث وغيرها من المصادر، التي أفدت منها في مباحث الكتاب.

وإلى جانب ما تتمتع به مصادر الكتاب من موثوقية نظرًا للمكانة العلمية الكبيرة التي يحتلها أصحابها، وغالبهم محدثون، فثمة مزية أخرى لمصادر الكتاب، وهي تقدم عصر أصحابها وقربهم من رواة الأحداث والأخبار من تلاميذ الصحابة ﷺ، فكثيرٌ منهم من القرن الثالث، كأحمد، وأصحاب الكتب الستة، وصاحبي المصنف، وابن سعد، وابن خياط، والبلاذري، والقاسم بن سلام، بل إن أبا يوسف من القرن الثاني، وهؤلاء (١٤) مُصنِّفًا وبعضهم له أكثر من كتاب، وأكثر مادة الكتاب إنما أخذتها عنهم. وابن سعد لا يفصله عن تلاميذ الصحابة ﷺ إلا شيخان غالبًا، ومثله عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وهو ما يعطي مزية عالية لمصادر الكتاب.

ولئن كان هذا الحديث عن مصادر الكتاب فثمة مراجع أفدت منها عبر فصوله، جاءت الإشارة إليها في حواشي الكتاب، وفي ثبت المصادر والمراجع.

وقد وقفت في هذا الكتاب على نتائج كثيرة، سجلت أبرزها في الخاتمة.

وفي مقدمتها: كثرة عدد الصحابة ﷺ الذين دخلوا العراق ممن اشتركوا في الفتوح وكانوا بالألوف، وأن الذين نزلوا العراق من الصحابة ﷺ يزيدون على ألف (١٠٠٠) صحابي.

وقد كشفت الدراسة عن قلة البحوث والدراسات الحديثة في تاريخ الصحابة ﷺ، وندرة الدراسات التاريخية عن أثر الصحابة ﷺ في أي جانب من جوانب الحياة المختلفة، وفي عموم الأمصار الإسلامية.

كما قدمت بعض التوصيات للباحثين، ومنها: أهمية دراسة تاريخ الصحابة ﷺ، والوقوف على طبقاتهم، والتعرف إلى جوانب حياتهم، وإبراز جهودهم، ودراسة آثارهم في جوانب الحياة المختلفة، في سائر الأمصار الإسلامية.

والإفادة من تجربة الصحابة رضي الله عنهم، في نشر الفقه في الدين وإصلاح المجتمع.

وكان من منهجي في البحث:

□ التعريف بأعلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم، تعريفاً مختصراً في ثنايا الكتاب، وهؤلاء الرواة عن الصحابة رضي الله عنهم هم من تلاميذهم من العراقيين، ذلك أن أغلب - إن لم يكن جميع - الرواة عن الصحابة رضي الله عنهم في هذا الكتاب هم من العراقيين.

□ في عرض الموضوع أتحدث عن الصحابة رضي الله عنهم أولاً ثم تلاميذهم ثانياً، وأتحدث عنهم في الكوفة ثم البصرة، ذلك أن الحديث عن أثر الصحابة رضي الله عنهم، لا يمكن أن يتم دون الوقوف على مظاهر هذا الأثر في تلاميذهم من التابعين في مباحث الكتاب، في الجوانب العلميّة، والاجتماعيّة، فهم الامتداد الطبيعي لهذا الأثر، ومن خلالهم يتبدى ويظهر، ومن ثم كان لابد من الوقوف على شيء من ذلك خلال مباحث الكتاب.

□ في الحواشي، وفي حال الاقتباس أذكر المصدر الذي أخذت منه أولاً ثم أذكر غيره بعده ولو كان أوثق منه أو أقدم، فإن كان فيهما أحد الصحيحين قدمته، وإلا حسب الأقدميّة.

وختاماً: فهذا جهد المقل، وقد أضفت بعض الإضافات في بعض المواضع على الرسالة، كما حذفتم أو اختصرت بعضاً منها في مواضع أخرى، والله وحده المستعان، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

- « المبحث الأول: الصحابة ؓ (التعريف بهم
وبتكوينهم التربوي).
« المبحث الثاني: العراق (تحديد المكان
وخصائصه).
« المبحث الثالث: الأحوال السائدة في العراق
قبيل الفتح الإسلامي.

المبحث الأول

الصحابة رضي الله عنهم (التعريف بهم وبتكوينهم التربوي)

من المفيد ابتداءً الوقوف على عنوان الكتاب للتعريف ببعض مفرداته مما يحتاج إلى بيان، ومن ذلك:

«أثر»: الأثر: بقية الشيء، والجمع آثارٌ وأثُورٌ، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثَّرَ في الشيء: ترك فيه أثراً^(١).

و«الصَّحَابَةُ» في اللغة: مَنْ صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً، بِالضَّمِّ، وَصَحَابَةٌ، بِالْفَتْحِ. والصحابة: جَمْعُ صَحَابِي^(٢).

وفي الاصطلاح: الصَّحَابِي: مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ^(٣).

و«عَصْرُ الرَّاشِدِينَ» رضي الله عنهم عَصْرُ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَالَّذِي يَبْدَأُ بِتَوَلِيَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ سَنَةَ (١١هـ)، وَيُنْتَهِي بِعَامِ الْجَمَاعَةِ (٤١هـ)^(٤)؛ حِينَ تَنَازَلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِمَعَاوِيَةَ

(١) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ): لسان العرب، ط: الأولى، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ، ج ٤، ص ٥، مادة: أثر.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ١/٥١٩، مادة: صحب.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبدالله الرحيلي، ط: الأولى، مطبعة سفير - الرياض، ١٤٢٢هـ، ص ١٤٠؛ الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) وهي خلافة النبوة، قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو ملكه من يشاء». أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ): سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط)، المكتبة العصرية - صيدا - لبنان، (د. ت)، رقم (٤٦٧٤) ج ٤، ص ٢١١، وقال الألباني حسن صحيح؛ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، ط: الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٩٥هـ، رقم (٢٢٢٦) ج ٤، ص ٥٠٣، وحسنه الترمذي، وقال الألباني صحيح.

ابن أبي سفيان، وهو عصر الصحابة ﷺ؛ إذ الاعتبار بالقرن بجمهور أهله، وجمهور الصحابة ﷺ انقرضوا بانقراض الخلافة الراشدة^(١).

والحديث عن أثر الصحابة ﷺ جانب من الحديث عن تاريخهم، وفضلهم، ومكانتهم. والصحابة ﷺ خير الناس بعد الأنبياء، وقد اختارهم الله واصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، وأثنى عليهم في مواضع مختلفة من كتابه.

كما حَفَلت نصوص الكتاب والسنة بشواهد عدة في الثناء عليهم وبيان فضلهم، وعلو منزلتهم، ورفعة مكانتهم، وجاءت أقوال الصحابة ﷺ مبيّنة ذلك، وأفاض الأئمة في نقل ذلك في كتبهم، وخاصة كتب الصحابة ﷺ^(٢).

كما تحدثوا عن ثبوت عدالتهم؛ حيث أجمع على ذلك أهل العلم سلفاً وخلفاً مما هو مبثوث في كتبهم^(٣).

أما ثناء الله عليهم، فمن ذلك قوله -تبارك وتعالى-:

(١) ذلك أن «الاعتبار في القرون الثلاثة بجمهور أهل القرن وهم وسطه وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل وجمهور التابعين بإحسان. انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية». ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراي (ت ٧٢٨ هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية - السعودية، ١٤١٦ هـ، ج ١٠، ص ٣٥٧.

(٢) انظر مثلاً: أبو نعیم: معرفة الصحابة؛ أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة.

(٣) حيث ذكروا أنهم معدلون بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من علماء الأمة. انظر مثلاً: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ): الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، (د. ط)، المكتبة العلمية - المدينة النبوية، (د. ت)، ص ٤٦-٤٩؛ ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن، أبو عمرو (ت ٦٤٣ هـ): معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، (د. ط)، دار الفكر - سوريا، ١٤٠٦ هـ، ص ٢٩٤.

□ ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْكُهُ فَتَأْرَثُّهُ فَتَأْرَثُّهُ فَاسْتَقْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

□ ﴿ وَالسَّيْفُوكِ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وأما السنة فإن مما جاء فيها:

□ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»^(١). وفيه دلالة على خيرية القرن الأول، وأن الصحابة ﷺ خير القرون، بل خير الناس من أتباع الأنبياء.

□ وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»^(٢).

(١) أخرجه البخاري، (٢٦٥٢) ٣/١٧١؛ وأخرجه مسلم، (٢٥٣٣) ٤/١٩٦٣.

(٢) أخرجه البخاري، (٣٦٤٩) ٥/٢، (٢٨٩٧) ٤/٣٧؛ وأخرجه مسلم، (٢٥٣٢) ٤/١٩٦٢.

وفي هذا بيان فضل الصحابة ﷺ، وفضل من بعدهم؛ حيث إن الله يمن على من بعدهم بالفتح ببركة الصحابة ﷺ وذلك حال حياتهم^(١).

وأما أقوال الصحابة ﷺ فقد جاء فيها - أيضاً - الكثير من الثناء عليهم، وبيان عمق علمهم، وأنهم أفضل الأمة، وأن الله اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، ومن ذلك:

□ قول ابن مسعود (ت ٣٢هـ): «من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم»^(٢)، ونقل مثل ذلك عن ابن عمر^(٣).

□ وقول عبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ): «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ، خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما

(١) عبد العزيز بن عبد الرحمن العجلان: أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب الناس فيهم، ط: الأولى، دار طيبة - الرياض، ١٤٣١هـ، ص ٣٣.

(٢) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي (ت ٥١٦هـ): شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، ط: الثانية، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج ١، ص ٢١٤؛ ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط: الأولى، مكتبة الحلواني، (د. م)، ١٣٨٩هـ، رقم (٨٠) ج ١، ص ٢٩٢؛ ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين الحنفي (ت ٧٩٢هـ): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط: الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - الرياض، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ٣٧٦.

(٣) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (د. ط)، السعادة - القاهرة، ١٣٩٤هـ، ج ١، ص ٣٠٥.

رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ»^(١).

وهاتان الروايتان من أعظم ما وقفت عليه لصحابي تكلم في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم، وبيان مكانتهم؛ حيث تناقلهما الأئمة والمصنفون؛ وابن مسعود إمام الكوفة ومعلم أهلها القرآن.

وأما عن عدالتهم «فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، حيث ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله - عز وجل - عليهم، وثناء رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا عدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»^(٢).

والصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول مرضيون، ثقات أثبات، وهذا أمر مجمع عليه عند أهل العلم بالحديث^(٣).

وعليه فالصحابة رضي الله عنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء والرسول، وقد اختارهم الله - عز وجل - لصحبة خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم؛ فزكاهم الله ورسوله، وأجمعت الأمة على أفضليتهم وخيريتهم، «فلم يخالف في ذلك إلا فروخ اليهود وأذئابهم من الروافض والباطنيين الذين هم مرتدون عن دين الإسلام بإجماع الأمة، وهؤلاء لا يعتد بخلافهم

(١) أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، (د. م)، ١٤٢١هـ، رقم (٣٦٠٠) ج ٦، ص ٨٤؛ البزار، أحمد بن عمرو العتكي (ت ٢٩٢هـ): مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط: الأولى، مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية، (د. ت)، رقم (١٨١٦) ج ٥، ص ٢١٢؛ ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٨/١.

(٢) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي، ط: الأولى، دار الجليل - بيروت، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ١-٢.

(٣) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري، (د. ط)، وزارة الأوقاف - المغرب، ١٣٨٧هـ ج ٢٢، ص ٤٧؛ وانظر: الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ٤٦-٤٩؛ ابن الصلاح: معرفة أنواع علوم الحديث ٢٩٤.

ولا ينظر إليه. والصحابة ﷺ هم نقلة الدين عن رسول الله ﷺ وهم صلة الأمة برسولها، وكانوا أمناء في التحمل والأداء عن رسول الله ﷺ، ولا طريق للأمة لمعرفة ما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق إلا عن طريقهم، فمن طعن فيهم إنما أراد الطعن في هذا الدين»^(١).

كما قال أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ): «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وما جاء به حق. وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ﷺ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا لبيطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»^(٢).

والصحابة ﷺ أعلم الخلق وأنصحهم، حيث برز منهم من كانوا «من علماء العالم يتفجر العلم من جوانبهم وتنطق الحكمة على لسانهم، أبرّ الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً، يتكلمون فينصت الزمن ويخطبون فيسجل قلم التاريخ»^(٣).

لقد ربي رسول الله ﷺ أصحابه على عينه، وتعهدهم بنفسه، والقرآن يتنزّل عليهم موجهاً حياتهم ومصوباً أخطاءهم؛ فتوفر لهم من مقومات التربية ما لم يتوفر لغيرهم، وكانت أبرز معالم تكوينهم التربوي ما يلي:

١ - إقامة الدين لله والاستجابة له ولرسوله ﷺ:

فمنذ أن دخلوا في الإسلام جعلوا حياتهم لله، وتبرؤوا من كل معبود سواه، فأسلموا

- (١) محمد الزهراني، محمد بن مطر بن عثمان الزهراني (ت ١٤٢٧هـ): علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ط: الأولى، دار الهجرة - الرياض، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٣٥٧.
- (٢) سعدي الهاشمي: أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، ط: الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة النبوية، ١٤٠٢هـ، ج ١، ص ١٩٩؛ الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ٤٩.
- (٣) أبو الحسن الندوي، علي بن عبد الحلي بن فخر الدين الحسني الندوي (ت ١٤٢٠هـ): ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط: السادسة، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٨٥هـ، ص ١١٠.

لله أمرهم انقياداً واتباعاً، وعبادة وطاعة، حتى إن الله تعالى أمر نبيه أن يصبر نفسه معهم، حين قال -تبارك في علاه- مخاطباً نبيه ورسوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

٢- اقتداؤهم بالنبي ﷺ:

فالنبي ﷺ هو القدوة الحسنة والرحمة المهداة، وقد أمر الصحابة ﷺ بالاعتداء برسولهم ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

وكذلك في قوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

و«هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل»^(١).

ومناسبة الآية أنها نزلت في غزوة الأحزاب، وهو ما يعني أنها نزلت في حالة حرب، وهنا ندرك أن الصحابة ﷺ أمروا بالتأسى به في حال الحرب، وهذا معناه أن الأمر بالتأسى به ﷺ في حالة السلم من باب أولى.

وعليه فقد اقتاد الصحابة ﷺ، فكان منهم الاتباع والتأسى، ولم يكن ذلك في فعل الأوامر واجتناب النواهي فحسب، وإنما بتتبع الأقوال والأفعال في كل صغيرة وكبيرة،

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ): تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ط: الأولى، مؤسسة الريان، بيروت - ١٤١٦ هـ، ج ٣، ص ٦٢١.

فكان التأسي شكلاً ومضموناً؛ فكان من ذلك نقل أخباره ﷺ، دون تحريف أو تزيف، حتى ما كان من خاصته ﷺ في شؤون بيته، إنه التأسي والاتباع^(١).

٣- الصبر:

صبر الصحابة ﷺ على تكاليف الدين، وصبروا على الطاعة، وصبروا عن المعصية، وصبروا على ما أصابهم من بلاء، وشظف العيش، والأذى، والحرمان، والكيد، والضميم، وتجاوزوا الصبر إلى التواصي بالصبر فيما بينهم على ما يصيبهم من البلاء، وفي هذا صورة مشرقة من الصبر والتعاون على البر والتقوى.

٤- الدعوة إلى الدين:

لم يكتف الصحابة ﷺ بأن آمنوا بالله رب العالمين وأسلموا له، وإنما عملوا على تعليم الدين، ونشره، والجهد في سبيل ذلك، فنشروا أنوار الوحي والنبوة، وأنقذ الله بهم خلقاً كثيراً من الناس، فاهتدت بالوحي والرسالة، ومن ذلك شعوب العراق والمشرق الإسلامي، وكان لسان حالهم ومقالهم مقولة «ربيعي بن عامر» لرستم قبل القادسية: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام...»^(٢).

ومما امتاز به أصحاب النبي ﷺ بأنهم جمعوا بين الدين والأخلاق والقوة والسياسة، وكانت تتمثل فيهم الإنسانية بجميع نواحيها وشعبها ومحاسنها، بفضل تربيتهم الخلقية

(١) صالح أحمد الشامي: السيرة النبوية، ط: الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٣هـ، ص ٩-١٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله التركي، ط: الأولى، دار هجر، ١٤١٨هـ، ج ٩، ص ٦٢٢؛

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الأملي الطبري (ت ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، ط: الثانية، دار

التراث - بيروت، ١٣٨٧هـ، ج ٣، ص ٥٢٠.

والروحية السامية، واعتدالهم القويم، وجمعهم بين حاجتي الروح والبدن^(١).

كانت هذه المقومات التربوية متوفرة في مدرسة نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، «وكان الصحابة يختلفون إلى هذه المدرسة فيصيبون منها علماً وهدى وفضائل وسجايا وآداباً وأحكاماً»^(٢).

وكانت حصيلة هذه التربية المحمدية أن خرّجت عدداً كبيراً من المؤمنين الذين استطاعوا أن يبرهنوا أن عقيدتهم التي دانوا بها، ودانوا لها، أغلى شيء في حياتهم، بل أغلى من حياتهم ذاتها.

وكان البرهان واقعاً قاسياً، اجتازوه بنجاح كبير، حين صبروا على الجوع والعري، وترفعوا عن السخرية والاستهزاء، وتحملوا آلام الضرب والشتم، وأعرضوا عن بذية القول وسفساف الكلام.

وكان انضباطاً مع الأوامر والتوجيهات، وطاعة لله ولرسوله، وتخلياً عن ردود الفعل المنبوذة، وتخلصاً من وشائج الجاهلية.

وكان هجرة تعني ترك الأهل، والوطن، والمصالح، وتنازلاً عن كل المعاني الأخرى التي ترتبط بذلك.

وكان صبر عشرين سنة على آلام متنوعة، تدرّبوا فيها على مجالات الصبر، وأتقنوا العيش فيها، وعلموا أن الحياة الكريمة لا تأتي إلا بعد مكابدة الحياة.

وكان ثقة مطمئنة، وأملاً كبيراً في موعود الله بالفرج قريب، وأن نصر الله آت لا محالة، وأن الصبح لناظره قريب.

(١) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١١٧.

(٢) محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩هـ): مع الرعيل الأول، ط: الحادية عشرة، المكتبة السلفية - القاهرة،

١٤٠٧هـ، ص ٦٣.

وهكذا تحولت المعاني الفاضلة إلى شخوص تمشي على الأرض، تتمثل في هؤلاء المؤمنين الصابرين^(١).

ولم يكن الحفظ المجرد منهجاً لهم، وإنما الحفظ، والتدبر، والعمل، حلقات ثلاث أخذ بعضها برقاب بعض، فهذا منهج الصحابة في تلقي القرآن وأخذه؛ وعن هذا المنهج يروي الإمام أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي (ت ٧٤هـ) - وهو من أئمة القراء - طريقة تعلم القرآن عن شيوخه من قراء الصحابة، فيقول: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ: «أنهم كانوا يقترون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل»^(٢).

وهذا هو المنهج الذي سار عليه الصحابة في أخذ القرآن وتعلمه، فلم يكونوا يأخذون القرآن للتلاوة أو الحفظ المجردين، ولكن كانوا يأخذونه للحفظ، والتدبر، والعمل؛ ومن ثم عملوا بتوجيهات القرآن وتعليماته، وأوامره ونواهيه، فكانوا خير جيل، وخير أمة أخرجت للناس، فلم يأت لهم مثل قبلهم، ولن يأت لهم مثل بعدهم،

(١) صالح أحمد الشامي: السيرة النبوية ١/ ١٠٤.

(٢) أحمد: المسند (٢٣٤٨٢) ٣٨/ ٤٦٦، وقال المحقق: إسناده حسن؛ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العسبي (ت ٢٣٥هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ، ج ٦، ص ١١٧؛ وانظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١/ ٣٦؛ الذهبي، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: جماعة من المحققين، ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٤، ص ٢٧١؛ وروي نحوه عن ابن مسعود. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني (ت ٤٥٨هـ): السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٤هـ، رقم (٥٢٨٩) ج ٣، ص ١٧٠، وأبو عبد الرحمن السلمي قد «أخذ القراءة عرضاً عن: عثمان، وعلي، وزيد، وأبي، وابن مسعود». الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٨.

كيف لا، وقد اصطفاهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ وحمل رسالته إلى العالمين.
ومع هذا فالصحاباء رضي الله عنهم ليسوا على قدر واحد في الصفات فهم يتفاوتون فيها،
وليسوا على درجة واحدة من العلم فهم يتفاضلون فيه، فعن أنس بن مالك، قال: قال
رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم
حياء عثمان، وأقروهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم
بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أميناً، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة
بن الجراح». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح^(١). وعند ابن ماجه بزيادة:
«وأفضاهم علي بن أبي طالب»^(٢).

وهذا علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، يُسأل عن أصحاب رسول الله ﷺ، فيُخبرُ
عنهم مبيناً حال كل واحد سُئل عنه؛ وذلك في خلافته في العراق، فعن أبي البخترى
الطائي الكوفي (ت ٨٣هـ)، قال: «أتينا علياً فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ، فقال:
عن أيهم؟ قال: قلنا: حدثنا عن عبد الله بن مسعود، قال: علم القرآن والسنة ثم انتهى،
وكفى بذلك علماً، قال: قلنا: حدثنا عن أبي موسى، قال: صبغ في العلم صبغة ثم خرج
منه، قال: قلنا: حدثنا عن عمار بن ياسر، فقال: مؤمن نسي، وإذا ذكّر ذكر، قال: قلنا:
حدثنا عن حذيفة فقال: أعلم أصحاب محمد بالمنافقين، قال: قلنا حدثنا عن أبي ذر،
قال: وعى علماً ثم عجز فيه، قال: قلنا: أخبرنا عن سلمان، قال: أدرك العلم الأول،
والعلم الآخر، بحر لا ينزح قعره، منا أهل البيت، قال: قلنا: فأخبرنا عن نفسك يا أمير

(١) الترمذي: السنن (٣٧٩١) ج ٥، ص ٦٦٥؛ وانظر: أحمد: المسند (١٣٩٩٠) ٢١/٤٠٥ وقال المحقق:

إسناده صحيح على شرط الشيخين؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٢١٨٦) ٦/٣٤٥.

(٢) ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد
الباقي، (د. ط) دار إحياء الكتب العربية، (د. م)، (د. ت)، رقم (١٥٤) ج ١، ص ٥٥، وصححه
الألباني.

المؤمنين، قال: إياها أردتم كنت إذا سئلت أعطيت، وإذا سكت ابتدئت»^(١)، وهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كلهم نزل العراق عدا أبي ذر.

وعن تفاضل الصحابة رضي الله عنهم في العلم نجد أحد تلاميذهم، مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي (ت ٦٣هـ) يشبههم بغدران الماء؛ فيقول: «لقد جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فوجدتهم كالإخاذا، فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا يروي المئة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبدالله بن مسعود من ذلك الإخاذا»^(٢).

ثم يبيّن أبرز علماء الصحابة رضي الله عنهم زمن عمر وأنهم ستة، فيقول: «كان العلماء بعد نبهم صلى الله عليه وسلم: ستة نفر، الذين يفتون فيؤخذ بفتواهم، ويفرضون فيؤخذ بفرائضهم، ويسنون فيؤخذ بسنتهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، ثم قال: فكان من هؤلاء الستة - بالكوفة ثلاثة - علي وعبدالله وأبو موسى، وثلاثة في سائر الأرض»^(٣).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٣٤٦؛ الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت ٢٧٧هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠١هـ، ج ٢، ص ٥٤٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٤١، ورجاله ثقات.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٣٤٣؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٤٢؛ البيهقي، المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (د. ط)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، (د. ت)، ص ١٦١؛ وانظر: ابن المديني، علي بن عبدالله السعدي، المدني، البصري (ت ٢٣٤هـ): العلل، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط: الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٠م، ص ٤٢؛ والإخاذا: مجتمع الماء شبيه بالغدير، القاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ): غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط: الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن، ١٣٨٤هـ، ج ٤، ص ٣٦٧.

(٣) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، (د. ط)، مكتبة المعارف - الرياض، (د. ت)، ج ٢، ص ٢٨٩؛ وانظر: ابن المديني: العلل ٤١، ويظهر أن ذلك بعد وفاة معاذ بن جبل حيث كانت وفاته سنة (١٨هـ).

وتأتي رواية أخرى عنه تجعل أبا الدرداء بدلاً عن أبي موسى: «شامت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة...» وتضيف: «ثم شامت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم إلى علي وعبدالله»^(١).

وتضيف رواية البيهقي عمرًا ضمن من انتهى إليهم علم الستة ليصبحوا ثلاثة، مع أنه ورد أنّ علم عمر انتهى لابن مسعود، وهذا يتفق مع الروايات التي تذكر أن علمهم انتهى إلى عليّ وعبدالله.

وهذا كله في خلافة عمر بن الخطاب، ذلك أنه ذكر من انتهى إليه العلم بعد زمن عمر في قوله: «انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق؛ فعالم المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعالم العراق عبدالله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة ولم يسألها»^(٢).

وإذا كانت هذه الأقوال عن مسروق، فقريبًا منها جاء عن عامر الشعبي الهمداني الكوفي (ت ٩٣هـ) حيث قال: «كان العلم يؤخذ عن ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان عمر، وعبدالله، وزيد يشبه بعضهم بعضًا، وكان يقتبس بعضهم من بعض. قلت: وكان الأشعري إلى هؤلاء؟ قال: كان أحد الفقهاء»^(٣).

(١) ابن سعد: الطبقات ٢/٢٦٧؛ ابن المديني: العلل ٤٢؛ البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى ١٦٠؛ الشيرازي، إبراهيم بن علي الشيرازي، أبو اسحاق (ت ٤٧٦هـ): طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط: الأولى، دار الرائد العربي - لبنان، ١٩٧٠م، ص ٤٥، وشامت الرجل: إذا قاربتة ودنوت منه. ابن منظور: لسان العرب ١٢/٣٢٧، مادة شمم.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ ١/٤٤٤؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء ٤٢؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (د. ط)، دار الفكر - بيروت، ١٤١٥هـ، ج ٤٢، ص ٤١٠.

(٣) ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ): التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثالث، تحقيق: صلاح بن فتح هلال، ط: الأولى، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، ١٤٢٧هـ، ج ٢، ص ٣٩٧؛ البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى ١٦١.

ثم قال: «لأهل الكوفة: عليٌّ، وعبدالله، وأبو موسى»^(١).

ونستنج من هذه الأقوال ما يلي:

١ / أن أبرز علماء الصحابة من زمن عمر ستة.

٢ / أن كل ثلاثة منهم يشبه بعضهم بعضاً ويقتبس بعضهم من الآخر، والفريق الأول هم عمر، وابن مسعود، وزيد، والفريق الآخر هم: عليٌّ، وأبي بن كعب، وأبو موسى.

٣ / أن علمهم انتهى إلى رجلين منهم، وهما: عليٌّ، وابن مسعود رضي الله عنهما.

٤ / أن أبرز علماء الصحابة بعد زمن عمر ثلاثة: عليٌّ في المدينة، وابن مسعود في العراق، وأبو الدرداء في الشام، وهذا قبل نزول عليٍّ للعراق.

وإذا كان نصيب العراق مئاة من الصحابة ممن نزل العراق واستوطنه، من أهل العلم والفضل، فقد كان من بينهم كبار علماء الصحابة وأئمتهم، إذ إن ثلاثة من الستة من علماء الصحابة هم ممن نزل العراق.

وعباس الدوري (ت ٢٧١هـ)، في مقولته التي ذكر فيها العلماء من الصحابة من بعدهم على ست طبقات، ذكر فقهاء الصحابة ورواة السنة منهم فقال: «انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى ستة نفر، من الصحابة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، فهؤلاء طبقات الفقهاء، وأما الرواة فسته نفر أيضاً أبو هريرة، وأنس، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وعائشة»^(٢).

(١) ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير، السفر الثالث ٢ / ٣٩٧.

(٢) ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد (ت ٥٢٦هـ): طبقات الحنابلة، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، ١٤٣١هـ ج ١، ص ٢٣٨، والدوري: من أصحاب أحمد بن حنبل ويروي عنه.

حيث جعل كل طبقة ستة، ونصيب العراق من طبقاته اثنان من طبقات الفقهاء من الصحابة رضي الله عنهم، وواحد من طبقات رواة السنة من الصحابة رضي الله عنهم ^(١).

* * *

(١) والطبقة عنده الرأس المتميز في فنه، «فبيِّنُ جداً أنه سمَّى كل واحد من الستة (طبقة)، وسمى كل ستة نفر جميعاً: إما طبقات الفقهاء، وإما طبقات الرواة، وإما طبقات التفسير... إلى آخر ما سمي، ويبيِّنُ أنه يعني بتسمية كل واحد منهم (طبقة) أنه رأس متميز في الفقه أو الرواية أو التفسير أو الحفظ». محمد الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٤٠-٤١.

المبحث الثاني

العراق (تحديد المكان وخصائصه)

عند الحديث عن دلالة مصطلح العراق في عصر الراشدين نجد أن هناك مفهوماً إدارياً، ومفهوماً جغرافياً.

□ فالمفهوم الإداري لولاية العراق: أنها إقليم يتكون من ولايتين هما: الكوفة، والبصرة، بل إنه يطلق عليهما العراقان، ولكل منهما امتداده الإداري في المشرق الإسلامي، وهو المناطق التي فتحها أهل كل مصر منها غالباً، فالكوفة يتبعها أواسط العراق وشماله، وهمدان، وقزوين، والري، وأصفهان، وأما البصرة فيتبعها جنوب العراق، والأهواز، وفارس، وكرمان، ومكران، وسجستان، وخراسان^(١).

□ وأما المفهوم الجغرافي لبلاد العراق: فإن تسمية العراق عراقاً، لها تعليقات كثيرة، وأقربها أنه سمي عراقاً؛ لأنه سفلى عن نجد ودنا من البحر^(٢). وقيل لأنه على شاطئ دجلة والفرات مداً حتى يتصل بالبحر على طوله^(٣). وإذن فالتسمية مرتبطة بكونه سهلاً منخفضاً بين النهرين ومتصلاً بالبحر (الخليج العربي).

(١) انظر: أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ط: الأولى، مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤١٦ هـ، ص ١١٤؛ صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ط: الثانية، دار الطليعة - بيروت، ١٩٦٩ م، ص ٤٢، ١٣١.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص ٥١؛ ياقوت، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان، ط: الثانية، دار صادر - بيروت، ١٩٩٥ م، ج ٤، ص ٩٣.

(٣) وهو مشبه بعراق القرية وهو الذي يشني فيخرز. ياقوت: معجم البلدان ٩٣/٤.

وأما تحديد العراق، فكثيراً ما يقع الخلاف في تحديد المنطقة والإقليم من عصر لآخر بحسب الدول والعصور وتقسيماتها الإدارية، إلا أن العراق بوصفه بلدًا كان أقل اختلافًا من غيره عبر العصور.

والذي يعيننا تحديد العراق في عصر الراشدين رضي الله عنهم كبلد، - وهو موضوع بحثنا - فقد اختلف فيه، فقال بعضهم: العراق هو السواد، قال ياقوت: وهو الصحيح عندي ^(١). والسواد إنما سمي سوادًا؛ لسواده بالزرور والأشجار لأنه حيث تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر فكانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرور والأشجار فيسمونه سوادًا ^(٢).

وحدّ السواد طولاً من حديثة الموصل شمالاً، إلى عبادان على الخليج جنوباً، وحدّه عرضاً من العذيب بالقادسية غرباً إلى حلوان شرقاً، فيكون طوله مئة وستين (١٦٠) فرسخاً ^(٣).

وهو قريب مما جاء عن إبراهيم الحربي: العراق من يلدّ إلى عبادان، وعرضه من

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤ / ٩٤ - ٩٥.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣ / ٢٧٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١ / ٥١ - ٥٢.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣ / ٢٧٢، وقال المدائني: السواد عشر كور، وهو من لدن القادسية إلى أول حدّ الجبل دون حلوان. والسواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماذا مع الماء إلى ساحل البحر إلى بلاد عبادان من شرقي دجلة. هذا طوله. فأما عرضه: فحد منقطع الجبل من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بأرض العذيب. فهذه حدود السواد وعليها وضع الخراج. وقال الأصمعي: السواد سوادان. فسواد البصرة، الأهواز ودستميسان وفارس. وسواد الكوفة، كسكر إلى الزاب وحلوان إلى القادسية. ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ): البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط: الأولى، عالم الكتب - بيروت، ١٤١٦هـ، ص ٣٧٧، والفرسخ = ٥،٥٤ كم. أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن، ط: الأولى، دار النفائس - بيروت، ١٣٩٢هـ، ص ١٤٤.

العذيب إلى جبل حلوان^(١).

وإذا فالعراق هو السواد، وحدوده حدود السواد على ضفاف النهرين دجلة والفرات. ولياقوت رأي آخر حيث جعل العراق أقصر في الطول من السواد؛ فقال: وأما العراق في العرف فطوله يقصر عن طول السواد، وعرضه مستوعب لعرض السواد، فيكون طوله مئة وعشرين (١٢٥) فرسخًا، ويقصر عن طول السواد بخمسة وثلاثين (٣٥) فرسخًا، وعرضه كالسواد ثمانون (٨٠) فرسخًا^(٢).

ويحتل العراق موقعًا استراتيجيًا بالغ الأهمية؛ ذلك أنه يقع ضمن الجسر البري الذي يربط القارات الثلاث: آسيا، وأوروبا، وأفريقيا. كما أنه يصل المحيط الهندي برًا بالبحر المتوسط، وقد كان لذلك كله أثر في ازدهار حركة التجارة، حيث يقع على طرق القوافل التي كانت تعبره من آسيا إلى أوروبا، مثل طريق الحرير المشهور الذي كان ينقل الحرير خلاله من الصين إلى الدولة الرومانية، كما كانت تنقل خلاله التوابل، والعاج، والسكر، والكحل، والبخور، والأحجار الكريمة. ولم يفقد موقع العراق أهميته تلك إلا بعد ظهور طريق رأس الرجاء الصالح، ثم بعد شق قناة السويس^(٣).

وقد كان العراق مقر حضارات وديانات قديمة تعاقبت على ضفاف النهرين، وملتقى شعوب مختلفة عبر العصور، واشتهرت فيه مدن عدة قبل الإسلام.

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ٥١-٥٢، قال المحقق: يُلدَّ هكذا في الأصل: وفي القاموس: بلد: مدينة بالجزيرة؛ وهي كذلك (بلد) في طبعة دار الغرب الإسلامي، تحقيق: بشار عواد، ط: الأولى، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص ٣٢١؛ وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٤٨١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٣/ ٢٧٢؛ وانظر: البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط: الثالثة، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ، ج ١، ص ٦.

(٣) أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ١٣١.

كما اشتهر العراق بوفرة مياهه وعذوبتها من خلال نهري دجلة والفرات وروافدهما، هذا إلى جانب خصوبة أرضه حيث السهول الرسوبية على جوانب الأنهار، ومن ثمّ وفرة ثروته الزراعية والحيوانية^(١).

* * *

(١) عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية، ط: الأولى، مطبعة سفير - الرياض، ١٤٢٧ هـ ص ١٥٤-١٥٥.

المبحث الثالث

الأحوال السائدة في العراق قبيل الفتح الإسلامي

للتعرف إلى الأحوال السائدة في العراق قبل الفتح الإسلامي؛ فإنه سيتم تناول الموضوع من خلال المسائل التالية:

الحالة السياسية، الحالة الدينية، الحالة الاقتصادية، السكان.

الحالة السياسية:

عاش العراق سياسياً في الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي حالة من الخضوع للفرس، مع وجود إمارات محلية تختلف في علاقتها بالفرس بين التبعية الكاملة ونوع من التبعية مع المشاغبة والمناكفة^(١).

الدولة الساسانية:

كان العراق خاضعاً لسلطان الفرس تحت حكم الدولة الساسانية حين دخله المسلمون بجيش الفتح سنة (١٢ هـ) في عهد أبي بكر الصديق. والساسانيون يُنسبون إلى رجل من عائلة نبيلة عاشت في أواخر الدولة الإشكانية، وكان سادناً لبيت النار في اصطخر، ثم خَلَفَه ابنه بابك في وظيفته، واستطاع أن يعين ولده أردشير قائداً عسكرياً على مدينة دار أجرد، ثم أصبح سيّداً على كثيرٍ من مدن الإقليم بالغلبة، بينما ثار بابك على قريبه الملك جوتشهر وقتله وولي مكانه، وبعد موت بابك تنازع أبناؤه على السلطة وتفرّد بها أردشير الذي غزا كرمان وسواحل الخليج والأهواز، في الوقت الذي نشأت إمارة عربية في الحيرة أصبحت تابعة للدولة الساسانية الناشئة، ودخل أردشير المدائن

(١) انظر: خريطة رقم (١) العراق تحت السيطرة الفارسية، ص ٥٧٥.

وخضعت له بابل، وهمذان وأذربيجان، وسجستان، وخراسان وسواها، وتوج نفسه شاهنشاه فارس، ونقل عاصمته من اصطخر إلى سلوقية (المدائن) التي كانت خارج الأراضي الفارسية، وتوالى على عرش فارس حوالي ثلاثين من بني ساسان، وكانت حدودهم الغربية غير مستقرة لكثرة الحروب بينهم وبين الروم، وكثرت الثورات والانقلابات الداخلية في أواخر حكمهم، حتى تعاقب على حكم فارس في التسع السنوات الأخيرة أربعة عشر حاكمًا، فأجهز المسلمون في فتوحهم على دولتهم.

وكان آخرهم الأكاسرة التالية أسماؤهم:

- كسرى الثاني بن هرمز الرابع (كسرى برويز) ۵۹۰ - ۶۲۸ م.
- قباد الثاني (شبرويه) ۶۲۸ - ۶۳۳ م. بدأت حملة خالد بن الوليد في نهاية عهده.
- أردشير الثالث بن شبرويه ۶۳۳ م.
- شهربراز ۶۳۴ م. وقعة بابل مع المشن.
- آزر ميدخت.
- بوران بنت كسرى برويز ۶۳۵ م.
- يزدجر الثالث بن شهريار بن كسرى برويز. آخر الأكاسرة^(۱).

الحالة الدينية:

المجوسية: غلب على الفرس الديانة المجوسية حيث صارت الزرادشتية دين الدولة، والأوستا هو الكتاب المقدس للدين الزرادشتي، وتقوم العقيدة الزرادشتية على الثنوية، بمعنى وجود إلهين في الكون هما إله النور، وإله الظلام، وهما يتنازعا السيطرة على الكون.

(۱) أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ۱۰۳-۱۰۵؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة ۳۳۱.

وكانوا يقدسون النار حيث أقيمت معابد النار في أرجاء الدولة، وللشمس عندهم حرمة عظيمة وكانوا يعبدونها ويُقسَمون بها. وتتعدد الآلهة كثيرًا في دينهم، ويمتلئ بالأساطير والخرافات^(١).

النصرانية: وهي من الديانات الموجودة في العراق، ويقال: إن انتشارها بين العرب في العراق كان في نهاية القرن السادس الميلادي، حين تنصّر النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ومن ثمّ تحول معه كثير من الأعراب إلى النصرانية^(٢). في حين يرى آخرون أن النصرانية كانت منتشرة في الحيرة وما جاورها في بداية القرن الخامس الميلادي، حيث ظهر من عرب الحيرة في تلك الحقبة بعض مشاهير النصرانية من القسس والرهبان، كما عرفت العديد من الأديرة والكنائس والبيع المشهورة منذ تلك الفترة^(٣).

ويبدو أن المذهب السائد بين نصارى العرب في الفتح الإسلامي هو المذهب النسطوري^(٤)، كما وجد بعض أتباع المذهب اليعقوبي^(٥).

(١) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ): الملل والنحل، (د.ط)، مؤسسة الحلبي، (د.م)، (د.ت)، ج ٢، ص ٤٦؛ أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ١١٨-٢٢١.

(٢) عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٧٢.

(٣) عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٧٢، ومن الأديرة: دير الأعور، ودير الجماجم لإياد، ودير قرة، ودير السوالبيني أمية بن حذافة، ودير كعب لإياد ويقال لغيرهم، ودير هند لأم عمرو بن هند. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ): فتوح البلدان، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٧٨، ومن البيع: بيعة بني عدي. فتوح البلدان ٢٧٨، وبيعة بني مازن بالحيرة. فتوح البلدان ٢٧٦.

(٤) المذهب النسطوري ينسب إلى نسطوريوس بطريك الرها الذي أسس مذهبًا نصرانيًا مختلفًا عن المذهب السائد عند الرومان، وانتشر مذهبه في المنطقة العربية قبيل الإسلام. عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٧٣؛ وانظر: الشهرستاني: الملل والنحل ٢/٢٩.

(٥) المذهب اليعقوبي نسبة إلى يعقوب البرادعي أسقف الرها الذي كان يدعو إلى القول بالطبيعة الواحدة للمسيح - عليه السلام -، وخالف الكنيسة الكاثوليكية، وكثر أتباعه في مصر وبين نصارى العرب في الشام والعراق، وقد مات سنة ٥٧٨م. عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٧٣؛ وانظر: الشهرستاني: الملل والنحل ٢/٣٠.

الصابئة: (١)

وهم الذين بُعث فيهم إبراهيم - عليه السلام -، وكانوا يسكنون حرّان، وكانوا يعظمون الكواكب السبعة ويقولون: إنها مديرة هذا العالم. وبعضهم يقول: إنهم قسمان: مشركون وهم عبدة الكواكب والنجوم. وحنفاء وهم الذين جاء ذكرهم في القرآن، وهم قوم إبراهيم أهل دعوته (٢).

و«المقصود أن الصابئة فرق. صابئة حنفاء وصابئة مشركون، وصابئة فلاسفة، وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقييد بملة ولا نحلة» (٣). ولقد تشكلت الحياة الدينيّة في العراق من خليط من الديانات الوثنيّة، والكتابيّة، وما كان مزيجاً بينهما؛ و«هذه المعتقدات لا تستطيع أن تعطي النفوس البشرية الطمأنينة والراحة النفسية، ولا تشبع تطلّعها إلى العبودية الحقّة، ولا تمنحها القيم الأخلاقية الرفيعة، ولا قواعد العدل الاجتماعي» (٤).

(١) جمع الصابئ. والصابئ: من خرج من دين إلى دين. يقال: صبأ فلان يصبأ: إذا خرج من دينه، وتقول العرب: صبأت النجوم إذا طلعت. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط: الثامنة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢٦ هـ ص ٤٥، وقد ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم مع أهل الملل في ثلاثة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢].

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ): إغاثة اللفهان من مصادب الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، (د. ط)، مكتبة المعارف - الرياض، (د. ت)، ج ٢، ص ٢٥٠؛ ناصر الحنيني: منهج أهل السنة والجماعة في تدوين العقيدة، ط: الأولى، مركز الفكر المعاصر - الرياض، ١٤٣١ هـ، ج ١، ص ٢٨.

(٣) ابن القيم: إغاثة اللفهان ٢/ ٢٥٢، وقد نقلت المصادر؛ ومنها كتب الملل والنحل اختلاف العلماء في الصابئة، انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف - الكويت، ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ ج ٢٦، ص ٢٩٤، والسبب في هذا الاختلاف كونهم فرقاً متعددة كما ذكرها ابن القيم هنا.

(٤) أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة ٣٣٢ - ٣٣٣.

ومع الفتح الإسلامي للعراق وبعده، أقبلت جماعات من شعوب العراق على الإسلام، على الرغم من مواقفهم في مواجهة الفتح الإسلامي ومقاومته، وما قاموا به من انتفاض وثورات وفتن؛ حتى تمت الغلبة للمسلمين واستقرت لهم الأمور، فدانوا لهم وخضعوا، وأخذ الإسلام ينتشر فيهم.

الحالة الاجتماعية:

يقوم المجتمع الفارسي على الطبقة، حيث تكوّن من سبع طبقات أيام الساسانيين:

١- الملوك: وهم الطبقة الأولى، ويحملون لقب مَلِك - وهذا ما سَوَّغ لكسرى أن يحمل لقب ملك الملوك (شاهنشاه)-، وتشمل هذه الطبقة حكام الإمارات، والأمراء التابعين على أطراف الدولة، وأولئك الذين ضمن مَلِك فارس الإمارة لهم، ولدويهم من بعدهم؛ نظير خضوعهم مع التزامهم بالجزية ووضع قواتهم تحت تصرّفه، وربما كان منهم ملوك الحيرة والبحرين. وكانت الدولة مقسمة أربعة أقسام، يحكم كل قسم منها مرزبان^(١) من هذه الطبقة يحمل لقب شاه.

٢- الأشراف: وهم الطبقة الثانية، وهي طبقة العائلات السبع الممتازة، وكان لكل من هذه الأسر منطقة نفوذ في بلاد فارس يظهر فيها سلطانها، هذا مع انخراطهم في البلاط، وجميع الألقاب التي تنتهي بـ (آن) تدل على أسر إقطاعية أو فروع منها، والشعب يدفع الضرائب إلى سيد الإقطاع أو إلى الدولة أو إليهما، كما أنهم ملزمون بالخدمة العسكرية تحت رئاسة سيد الإقطاع.

(١) مرزبان: لفظ فارسيّ معناه: الرئيس في القوم، جمعه مرازاب ومرازية، كما أطلقه الفرس لقبًا على الفارس الشجاع ممن هو دون الملك في الرتبة. مصطفى بن عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٦هـ، ص ٣٩٤.

وكانت بعض المناصب العامة تُورث بين أفراد الأسر السبع الممتازة، مثل: إدارة شؤون الحرب، والإدارات المدنية، وقيادة الفرسان، وجباية الضرائب،... أمثال: هرمرز، قباد، آنوشجان، نرسي، رستم، مهران بن بهرام، مهران بن باذان^(١).

٣- رجال الدين: وهم الطبقة الثالثة، حيث عدّ الساسانيون الدين المجوسي الزرادشتي هو الدين الرسمي، ورفعوا شأن رجال الدين، وكان عددهم كبيراً جداً، وقد دُعي إلى المجلس الأول منهم ثمانون ألفاً (٨٠,٠٠٠) وقد تضاعف العدد بعد ذلك، ثم اتخذ الملك منهم مجلساً من سبعة للمشاركة في الأمور؛ وهم من عظمائهم، وكانت (بلخ)^(٢) مقر المجوسية ومركزها، وكانت أملاكهم واسعة، ومن سلطتهم فرض الضرائب، ويلقب رجل الدين بـ (الموبدان).

ولم يسمح أردشير بأي دين آخر في فارس، ونتج عن ذلك اضطهاد الأديان الأخرى ومنها النصرانية، واليهودية.

وكان على رأس رجال الدين الزرادشتي موبدان موبد وهو بمنزلة البابا عند النصارى، وكانوا أقساماً عدة، فمنهم الحكام، والعباد، والمغان وهم السدنة للدين الزرادشتي، والزهاد، والعلماء، والمراقبون، والمعلمون وهم من قبيلة واحدة (مغان)، وقد ساروا مع نبلاء الإقطاع جنباً إلى جنب، ولهم امتيازات دينية على الشعب.

٤- رجال الحرب: وهم الطبقة الرابعة، وعلى رأسهم إيران سباهد، وهم من الفرسان، ثم الرجالة ولكل منهما رتبة وموظفوه، وكان ضباط الجيش يُسمون الأساورة، وكانوا يعيشون في السلم من ريع أراضيهم.

(١) أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ١٠٦-١٠٨.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة في أفغانستان حالياً، افتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٤٧٩-٤٨٠.

وكان إيران سباهد يجمع بين وزارة الحرب والقيادة العامة للجيش.

٥- الكتاب: وهم الطبقة الخامسة، وهم كتاب الدواوين بأنواعها، ويدخل فيهم الأطباء، والمنجمون، والشعراء.

٦- الدهاقين: وهم الطبقة السادسة، وهم رؤساء القرى، ويستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للإدارة المحلية، وهم الرؤساء، وملاك الأراضي والقرى، ولم تكن أملاكهم واسعة جدًا كالإقطاعات، وإنما أشبه بالعمد، ووظيفتهم الأساسية استلام الضرائب، وإليهم يرجع الفضل في تمويل الدولة^(١).

٧- الشعب: وهم الطبقة السابعة، من الفلاحين، والصنّاع، والتجار، والحرفيين، والرعاة^(٢).

وإلى جانب هذه الطبقيّة فالأسرة تقوم على تعدّد الزوجات، وقد شاع فيهم زواج المحارم، وعادة التبني للأولاد، كما انتشرت الإباحيّة وعمّ الفساد الخُلقي والاجتماعي خلال انتشار المزدكيّة في القرن السادس الميلادي^(٣).

وعلى أساس هذه الطبقيّة تفاوتت الناس في حياتهم، ففي حين تعيش الطبقات الحاكمة والأشراف البطر والتّرف، يعيش الشعب الفقر والكدح والنّصب.

وقد تناقلت المصادر صورًا من عجائب البطر والتّرف لدى حكام فارس، حيث بلغ البطر بهم مبلغه، ومن ذلك، أن كسرى «كان له في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطوّهن،

(١) ودهقان: لفظ فارسي مركب من: ده، بمعنى: قرية، و: قان، بمعنى: شيخ أو رئيس، أطلق على رؤساء القرى أو الأقاليم في بلاد فارس، حيث ورد ذكره في المصادر الإسلامية على أنه من ألقاب أعيان الفرس ممن كانت لهم المشورة والرأي عند الملك. وجمعه دهاقين، ودهاقنة. مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ١٨٦.

(٢) أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ١٠٨-١١٠.

(٣) أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة ٣٣٣-٣٣٤.

وألوف جوار اتخذهن للخدمة والغناء وغير ذلك، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابة لمركبه، وسبعمائة وستون فيلاً، واثنان عشر ألف بغل لثقله^(١).

ومن العجائب بساط كسرى، ويسمى القُطْف وقد غنمه المسلمون في المدائن وبعث به سعد إلى عمر مع الأحماس، «وكان القُطْف ستين ذراعاً في ستين ذراعاً، بساطاً واحداً مقدار جريب، فيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار، وخلال ذلك كالدير، وفي حافته كالأرض المزروعة والأرض المبجلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونواره بالذهب والفضة وأشباه ذلك»^(٢).

الحالة الاقتصادية:

قام المجتمع الفارسي على هذه الطبقيّة المربعة، فكان من البدهي أن يكون التفاوت في الحياة الاقتصادية كبيراً جداً، حيث احتكر الأقوياء الثروة ومصادرها، وانهمكوا في ملذات الحياة، وزادوا من ثرواتهم بالربا، والمكوس والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الضعفاء من الفلاحين والعامّة، ومنعوا العامّة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه، وكان العامّة من سكان المدن يدفعون الجزية كالفلاحين، ويشتغلون بالتجارة والحرف، وهم أحسن حالاً من الفلاحين التابعين للأرض والمجبرين على السخرة، والذين يجبرون إلى الحروب بغير أجر ولا إرادة^(٣).

السكان:

لقد كان العراق ملئاً حضارات مختلفة منذ القدم، فقد وجدت فيه تجمعات

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٢١٥-٢١٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٢١.

(٣) أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة ٣٣٢.

بشرية مختلفة من العرب، والعجم، وفي مقدمتهم الفرس؛ وتقدم الحديث عنهم، كما وجدت مجموعات أخرى من الدَّيلم، والترك، وفي أطرافه القريبة من الجزيرة والشام بعض الروم، والأرمن، إلا أنَّ الثقل السكاني كان للعرب والفرس^(١).

أما العرب فهناك قبائل عربية اشتهرت في العراق قدمت من أنحاء جزيرة العرب قبل الإسلام، وكانت موجودة عند وصول جيوش الفتح الإسلامي إليه، ومنها:

الأزد: من أكبر قبائل العرب القحطانية، منهم بني مالك بن عثمان الذين سكنوا العراق، وتعاونوا مع آل (المنذر) في حكمهم، وكان لهم وجود في العراق عند وصول جيوش الفتح^(٢).

(١) عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٥٥، أما النبط، فأشار المقدسي إلى أن أهل البطائح نبط. المقدسي، محمد بن أحمد البشاري المقدسي (ت ٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط: الثالثة، مكتبة مدبولي - القاهرة، ١٤١١هـ، ص ١٢٨، ويقال عنهم أنهم خليط من الكلدانيين والسريانيين والآراميين، وقد أطلق عليهم اسم الأنباط، وكان أكثرهم اعتنق النصرانية. محمد حسين الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، (د. ط)، المطبعة العالمية - القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٠٩، والنبط في العراق، وإن كان لهم ذكر في المراجع المعاصرة، إلا أنه لا يكاد يوجد لهم ذكر في المصادر الإسلامية، وكأنها تطلق بمعنى العجم أكثر من كونها تدل على جنس بعينه، ولذا فبعضهم يتحدث عن نبط العراق ويستدل لكلامه عن عددهم بإحصاء عثمان بن حنيف لأهل السواد من العلوج من الفلاحين؛ كما عند البلاذري في الفتوح ٢٦٦. هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط: الأولى، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت، ١٩٨٦م، ص ٨٣-٨٤، فهل العلوج هم النبط؟ وإن كانوا هم، فهل النبط هنا جنس؟ أم وصف للعجم؟، ومن ثم: فنبط، وعلوج تعني العجم.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط: الثانية، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٨هـ، ج ٢، ص ٣٠٢؛ كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط: السابعة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ١٦؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٩.

إياد: بطن من الأزد من القحطانية، نزلوا الحيرة ومناطق السواد، وامتدوا على الفرات شمالاً حتى بلغوا نواحي الجزيرة الفراتية^(١).

بكر بن وائل: قبيلة كبيرة من العدنانية مواطنها في نواحي بلاد البحرين وامتدت شمالاً إلى العراق حيث تقدمت فيه وفي سواده حتى وصلت شمال العراق، فيما عرف بعد ذلك بـ (ديار بكر)، ومنهم بنو عجل، وقد شكل بنو بكر في كثير من الأحيان عماد جيوش المناذرة في الحيرة^(٢).

تغلب بن وائل: قبيلة عربية عدنانية مشهورة، نزلوا الجزيرة الفراتية، وأنحاء مختلفة من العراق، وتعد من أقوى قبائل العرب النصرانية في العراق؛ وأكثرها مقاومة للمسلمين عند وصول جيش الفتح إليها^(٣).

تنوخ: قبيلة تعود في أصلها إلى قضاة، منازلهم في العراق، ويقال: إنهم أول من سكن الحيرة من العرب، وقضاة ملوك الحيرة^(٤).

تميم: قبيلة مضرية عدنانية عظيمة، امتدت منازلها إلى داخل العراق، ودخل

(١) البكري: معجم ما استعجم ١/ ٦٩-٧٢؛ ابن خلدون: التاريخ ٢/ ٣٦٠؛ كحالة: معجم قبائل

العرب ١/ ٥٢-٥٣؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٤.

(٢) البكري: معجم ما استعجم ١/ ٧١، ٨٦؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد البكري النويري (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ط: الأولى، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص ٩٣-٩٤؛ كحالة: معجم قبائل العرب ١/ ٩٤؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٦.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ٢/ ٥٠٥؛ ابن خلدون: التاريخ ٢/ ٣٢١-٣٢٢؛ كحالة: معجم قبائل العرب ١/ ٩٣-٩٤؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٦.

(٤) البكري: معجم ما استعجم ١/ ٢٣-٢٤؛ ابن خلدون: التاريخ ٢/ ٢٠١، ٢٨٥؛ كحالة: معجم قبائل العرب ١/ ١٢٥؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٩.

بعضهم في النصرانية، ولهم وجود قليل في الحيرة وبعض المناطق المجاورة لها عند وصول جيوش الفتح الإسلامي إليها^(١).

طي: قبيلة كبيرة من كهلان من القحطانية، امتدت مواطنهم إلى العراق ومنهم بعض عمال كسرى على العرب في العراق قبيل الإسلام؛ ومن هؤلاء قبضة الطائي عامل كسرى على الحيرة يوم فتحها المسلمون^(٢).

قنص بن معد: من العدنانية، نزلوا العراق حيث ساكنوا قضاة، وامتدوا في ريف العراق وسواده، وبعضهم بناحية الأنبار والحيرة وما جاورها حين وصلت جيوش الفتح الإسلامي إلى العراق^(٣).

لخم: بطن عظيم من القحطانية، منازلهم في العراق واشتهر منهم آل (المنذر) وهم حكام الحيرة قبل الإسلام^(٤).

وقامت في العراق إمارات عربية للأزد، وتنوخ، ولخم، وكندة، وطي، وكانت في الأنبار والحيرة، ومن أواخرها المناذرة، حتى قيل: عمّرت الأنبار خمسمئة وخمسة وخمسين (٥٥٠) سنة؛ إلى أن عمّرت الحيرة في زمن عمرو بن عدي، وعمّرت الحيرة أكثر من خمسمئة وثلاثين سنة (٥٣٠) سنة؛ إلى أن مصّرت الكوفة، ونزلها أهل

(١) ابن خلدون: التاريخ ٢/٣٧٧؛ كحالة: معجم قبائل العرب ١/١٢٦؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٩.

(٢) ابن خلدون: التاريخ ٢/٣٠٢، ٣٠٥؛ كحالة: معجم قبائل العرب ٢/٦٨٩؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٨.

(٣) البكري: معجم ما استعجم ١/٥٢-٥٣؛ ابن خلدون: التاريخ ٢/٣١٥؛ كحالة: معجم قبائل العرب ٣/٩٦٧؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٧٠.

(٤) ابن خلدون: التاريخ ٢/٧٥، ٣٠٢، ٣٠٧؛ كحالة: معجم قبائل العرب ١/١٦، ٥/٣٦٥؛ عبدالعزيز العمري: حضاريات في الفتوح الإسلامية ١٦٨.

الإسلام^(١).

وبعد هذا الحديث عن الأحوال السائدة في العراق قبيل الفتح الإسلامي، نتابع الحديث عن انتشار الصحابة رضي الله عنهم في العراق، وهو موضوع الفصل الأول من هذا الكتاب.

* * *

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عطا - مصطفى عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ٦٨-٦٩.

الفصل الأول: انتشار الصحابة في العراق

- « المبحث الأول: الفتح الإسلامي وأثر الصحابة ﷺ في حملات الفتح.
- « المبحث الثاني: التوزيع الجغرافي للأماكن التي انتشر فيها الصحابة ﷺ.
- « المبحث الثالث: طبقات الصحابة ﷺ في العراق وأشكال إقامتهم.

المبحث الأول

الفتح الإسلامي وأثر الصحابة ﷺ في حملات الفتح

شُرع الجهاد في الإسلام لغايات سامية، وأغراض نبيلة، ومنها نشر الدين، وتحرير الإنسان، ورفع الظلم، وسيادة العدل والاستقرار، ولم تكن هذه الغايات في عالم المثل، بل تحققت في عالم الواقع، من خلال الفتوحات الإسلامية في العراق، وفارس، والشام ومصر، وإفريقية، وغيرها، فعاشت تلك الشعوب حرة، عزيزة، مستقرة، في ظل الحكم الإسلامي، ودخلت أعداد كبيرة منهم في الإسلام طواعية، دون ضغط أو إكراه، إذ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] (١) وكان الفاتحون يخبرونهم بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال.

أولاً: الفتح الإسلامي للعراق:

بدأت فتوح العراق في عهد أبي بكر الصديق، وقد تمت على مراحل عدها بعضهم

ثلاث مراحل:

١- من دخول العراق حتى الحيرة (في عهد أبي بكر الصديق).

٢- من الحيرة إلى القادسية (في عهد عمر بن الخطاب).

٣- من القادسية إلى المدائن (في عهد عمر بن الخطاب).

(١) يخطف البعض فيخلط بين عدم الإكراه على الدين لغير المسلمين، والردة عن الإسلام، وهما مسألتان مختلفتان، فالإسلام يضمن الحرية الدينية لغير المسلم، لكنه يعاقب من بدل دينه وتكرر له بعد أن دخله.

١- المرحلة الأولى: من دخول العراق حتى الحيرة (في عهد أبي بكر الصديق):

وفيها تم فتح البلدان على نهر الفرات حتى الحيرة، وذلك سنة اثنتي عشرة (١٢هـ)^(١) وقد اشترك في هذه الفتوح خالد بن الوليد (ت ٢١هـ)، وعياض بن غنم الفهري (ت ٢٠هـ) الذان بعثهما الصديق؛ إلى جانب الأمراء من أهل العراق أمثال المثنى بن حارثة الشيباني (ت ١٤هـ)، ومذعور العجلي، وكان الهدف الأول للجيش الإسلامي الوصول للحيرة عاصمة عرب الضاحية^(٢)؛ لتقضي على مسالح^(٣) الفرس في هذه النواحي، وتقر أصحابها من العرب والفلاحين ثم تقتحم على الفرس وقد أمنت ظهرها^(٤).

وبدأت الفتوح في العراق على يد المثنى بن حارثة الشيباني (ت ١٤هـ)، الذي استأذن أبا بكر الصديق بمحاربة الفرس بمن معه من مسلمي قومه في أرض العراق، وأخذ يغير على أطراف العراق الجنوبية، وحقق انتصارات سريعة على الفرس وأتباعهم من نصارى العرب، على الرغم من قلة جيشه من المسلمين^(٥)، ثم كتب إلى أبي بكر الصديق يطلب منه المدد، وكان خالد بن الوليد في اليمامة، بعد حروبه للمرتدين،

(١) انظر: خريطة رقم (٢) الفتح الإسلامي للعراق في عهد أبي بكر الصديق، ص ٥٧٦.

(٢) وهم القبائل في ضواحي العراق لا يسكنون بيوت المدر، ولا يجامعون أهلها فيها، واتصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة، وكانوا يسمون عرب الضاحية. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١/ ٦١٢.

(٣) المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو. وسما مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلحة، وهي كالثغر، والمرقب، يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له. وجمع المسلح: مسالح. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وعمود محمد الطناحي، (د. ط)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، ج ٢، ص ٣٨٨.

(٤) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي، ط: السادسة، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٢م، ص ٦١ - ٦٢.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٢٣٨.

فكتب إليه أبو بكر الصديق يأمره وجنده بالتوجه إلى العراق لمساندة المشي بن حارثة في حرب الفرس، فتوجه إلى العراق سنة (١٢هـ)^(١)، كما بعث أبو بكر الصديق عياض بن غنم (ت ٢٠هـ) على رأس جيش ليدخل العراق من أعلاه وأمر القائدين أن يتجها إلى الحيرة عاصمة مملكة العرب المناذرة ومن سبق إليها كانت له الإمرة على صاحبها^(٢).

ودخل خالد (ت ٢١هـ) العراق من جنوبه فأخضع بعض القرى المجاورة للفرات، فاستسلمت له أليس، وبارسوما، وبانقيا، وما جاورها، وسار إلى الأبله وهي أقوى المراكز الفارسية في جنوب العراق ومينأؤه المؤدي إلى الهند^(٣)، وكانت تسمى باسمه (نغر الهند)، وكان خالد قد كتب إلى قائدها كتاباً يدعو إلى الإسلام، أو دفع الجزية، أو القتال، وفيه: «وإلا فلا تلومن إلا أنفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»^(٤)، فكانت موقعة ذات السلاسل^(٥).

موقعة ذات السلاسل: وهي من أهم المعارك التي دارت بين المسلمين والفرس في بداية الفتوح في فارس بالقرب من مدينة الأبله، وسميت المعركة بهذا الاسم؛ لأن الفرس قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا^(٦)، وفي بداية المعركة وقعت مبارزة

(١) خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني (ت ٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط: الثانية، دار القلم - بيروت، ١٣٩٧هـ، ص ١١٧؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٣٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٤٣.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٤٧.

(٣) انظر: خليفة بن خياط: التاريخ ١١٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٤٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٤٧ - ٣٤٨.

(٥) عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط: الأولى، دار إشبيلية - الرياض، ١٤١٨هـ، ص ١٠٨-١٠٩.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٤٨.

بين خالد بن الوليد وقائد الفرس هرمز صاحب الأبله، وتمكن خالد من قتله، وحمل المسلمون عليهم وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب منهم من تمكن من الهرب، وغنم المسلمون في تلك المعركة غنائم كبيرة^(١).

معركة المذار^(٢): حيث أرسل ملك الفرس مدداً لقواته في السلاسل، ولكنهم وصلوا بعد المعركة، وعسكروا في المذار وانضم إليهم المنهزمون، فتوجه إليهم خالد بن الوليد (ت ٢١هـ) وقاتلهم فهزيمهم وقتل قائدهم واثنان من القادة، وعدد كبير منهم^(٣).

معركة الولجة^(٤): ولما بلغ ملك الفرس هزيمة المذار ومقتل قاداته وكثير من جيشه، بعث مدداً بجيشين، واستعانوا بنصارى العرب في السواد فأجابوهم؛ فاجتمع عدد كبير منهم ودهاقينهم، فعسكروا مع عسكر الفرس في الولجة، وتقدم خالد إليهم وهاجمهم وانتصر عليهم، وقتل جموعاً كبيرة منهم، جلّهم من نصارى العرب، وأعطى المسلمون الأمان للفلاحين وغير المقاتلين، وعاملوهم برفق وأحسنوا إليهم^(٥).

موقعة أليس^(٦): غضب نصارى العرب لمقتل جموع منهم في الولجة فاجتمعوا في أليس، وكتبوا الفرس وكتبهم الفرس، وقدمت إليهم قوات فارسية عظيمة،

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٤٩؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١٠٩-١١٠.

(٢) المذار: بلدة من بلدان البصرة على الشاطئ الشرقي لدجلة. أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ٢٢٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٥١؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١٠-١١١.

(٤) الولجة: جاء أنها بأرض كسكر موضع مما يلي البر. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/ ٣٨٣، ولم أقف على ما يجدد مكانها، واسمها مشتق من ولج يلج، بمعنى دخل يدخل، مما يوحي أنها مدخل من مداخل الصحراء إلى العراق. أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ٢٢٨.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٥٣؛ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٦٤؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١٠-١١١.

(٦) أليس: في أول أرض العراق من ناحية البادية، وجاء أنها قرية من قرى الأنبار. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٢٤٨.

فنهده^(١) خالد لهذا التجمع ودارت معركة قوية، أظهر فيها الأعداء الصمود، فكشفهم الله، وانتصر المسلمون انتصارًا مبينًا؛ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وبعث خالد بالفتح إلى أبي بكر^(٢).

فتح الحيرة^(٣): حقق خالد عددًا من الانتصارات مع نصارى العرب، ثم توجه إلى الحيرة بجيش المسلمين حيث ركبوا السفن بأثقالهم في نهر الفرات، وقامت قوات الحيرة بتحويل مجرى النهر ليعرقلوا السفن، فركب خالد وبعض المسلمين خيولهم وقضوا على من حولوا النهر ثم واصلوا مسيرهم إلى الحيرة وحاصروا قصورها، ووصلت أخبار مقتل بعض قوات الحيرة إلى أهلها ففتت في عضدهم، ثم جاءت أنباء وفاة كسرى إلى مرزبان الحيرة الفارسي فترك الحيرة لأهلها من نصارى العرب، الذين واصلوا التحصن والمقاومة، وجرت بعض المناوشات مما اضطرهم إلى التسليم ومصالحة المسلمين على دفع الجزية، وفتح مدينتهم أمام قوات المسلمين^(٤).

وسقوط الحيرة جعل الأمراء العرب والدهاقين التابعين للحيرة في المناطق المجاورة لها يتتابعون على مصالحة المسلمين.

(١) أي نهض. ونهد القوم لعدوهم، إذا صمدوا له وشرعوا في قتاله. ابن الأثير: النهاية ١٣٤ / ٥.
(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ١١٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣ / ٣٥٥؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٠؛ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٦٤-٦٥؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١١-١١٠.

(٣) الحيرة: مدينة كبيرة على نهر الفرات على ثلاثة أميال جنوب موضع الكوفة، وقامت فيها مملكة الحيرة، وبالْحيرة قصر الخورنق مما يلي الشرق على نحو ميل. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ / ٣٢٨.

(٤) خليفة بن خياط: التاريخ ١١٨؛ البلاذري: فتوح البلدان ١٤١ - ٢٤٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣ / ٣٦٠؛ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٦٦؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١٢-١١١.

فتح الأنبار^(١): ثم تقدم خالد بجيشه إلى الأنبار، فلما وصلها وجد أهلها قد تحصنوا وأحاطوها بخندق يحميها، فحاصروهم المسلمون وضيقوا عليهم، ووقعت بينهم معارك عدة مما اضطر أهلها إلى طلب الصلح والإقرار بدفع الجزية للمسلمين^(٢).

فتح عين التمر^(٣): توجه خالد بعد ذلك إلى (عين التمر) وهي بلدة قريبة من الأنبار، وكان بها جمعٌ من نصارى العرب من قبائل عدة عليهم عقّة بن أبي عقّة، ضمن جمع عظيم من الفرس وعليهم مهران، فقاتلهم المسلمون، واستمات نصارى العرب في قتال المسلمين أكثر من الفرس، وتمكن خالد بن الوليد من أسر قائدهم عقّة، فانهزموا، وهرب قادتهم، وهرب مهران واستولى المسلمون على عين التمر؛ وسبوا وغنموا شيئاً كثيراً^(٤).

فلما فرغ خالد بن الوليد (ت ٢١هـ) من الحيرة، وعين التمر كتب رسالة - تعد من أقصر الرسائل - إلى عياض قال فيها: «من خالد إلى عياض إياك أريد»،^(٥) ثم سار بجيشه إلى دومة الجندل واشترك مع عياض في حصارها، وتمكّن المسلمون من اقتحام الحصن والسيطرة عليه بعد معارك حامية بينهم وبين أهلها ومن عاونهم من

(١) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينها عشرة فراسخ، وقد جددها أبو العباس العباسي.

ياقوت: معجم البلدان ١/ ٢٥٧.

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ١١٨؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٧٣ - ٣٧٤. عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١٢.

(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ١٧٦.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٧٦ - ٣٧٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٥٢٨ - ٥٢٩؛ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٦٧؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١١-١١٢.

(٥) كان عياض بن غنم (ت ٢٠هـ) على رأس الجيش الثاني للمسلمين الذي بعثه أبو بكر لفتح العراق، وكان طريقه على دومة الجندل، فحاصرها وطال حصارها، فقدم خالد لمساندته.

نصارى العرب في شمال الجزيرة العربيّة^(١)، وبعد فتح دومة الجندل رجع خالد بن الوليد إلى العراق، وكان نصارى العرب قد كاتبوا الفرس على إثر هزيمتهم في عين التمر وجاءتهم الإمدادات وانتقض كثير من البلدات بغياب خالد وجيشه، واجتمعت جموعهم في ثلاثة مواقع، فبادرهم خالد حيث خرج وبعث اثنين من قاداته فهاجمهم في معسكراتهم وتعقبوهم، وأخذ يستعيد هذه البلدات، كما فتح عددًا من المواقع الجديدة^(٢).

موقعة الفِراض^(٣): وموقعة الفِراض بين الشام والعراق، اشتركت فيها قوات الروم مع قوات الفرس مع من والاهم من عرب شرق الفرات في مواجهة المسلمين بقيادة خالد، وانتصر فيها المسلمون انتصاراً كبيراً على جيش موحد في غرب العراق.

وقد توقفت الفتوح في العراق بعد ذلك، حيث إن الصديق وجه خالد بن الوليد بالتوجه ببعض جيش العراق لمساندة الفاتحين في الشام^(٤).

٢) المرحلة الثانية: من الحيرة إلى القادسية (في عهد عمر بن الخطاب):

بعد مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام كانت قيادة جيوش العراق للمثنى بن حارثة الشيباني (ت ١٤ هـ)^(٥) وقدم المثنى المدينة وطلب من أبي بكر أن يمدّ المسلمين هناك لمواصلة الفتوح فيها، وكان أبو بكر في مرضه الذي مات فيه إلا أنه أوصى الخليفة من

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٧٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٧٨ - ٣٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٥٣٠ - ٥٣١؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١٢.

(٢) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٦٨؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١٣.

(٣) الفِراض: جمع فرضة، والأصل في الفرضة الثلثة في النهر، والفِراض على تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٢٤٣ - ٢٤٤.

(٤) عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١١٣-١١٤.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤١١.

بعده عمر بن الخطاب أن يرسل المدد إلى العراق، وأن يبادر في ذلك^(١).

وبعد وفاة أبي بكر أرسل عمر جيشاً بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي (ت ١٣هـ)^(٢)، ووصل أبو عبيد إلى العراق، ودخل مع الفرس ونصارى العرب في عدد من المعارك^(٣)، منها: النمارق، والسقاطية، حيث انتصر فيها المسلمون^(٤).

موقعة الجسر (شعبان سنة ١٣هـ): بعد هزائم الفرس على يد أبي عبيد، والمثنى بن حارثة في العديد من المواقع، أعدوا جيشاً عظيماً واختاروا له أفضل قوادهم، ووجهوه للقاء المسلمين في منطقة (قَسَّ النَّاطِفِ)^(٥) وتقابل الجيشان قرب نهر الفرات حيث يفصل بينهم النهر، فقال الفرس للمسلمين: إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا أَوْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ، فأشار المسلمون على أبي عبيد بعدم العبور، وأن يترك الفرس ليعبروا إليهم، ولكن أبا عبيد قال: «ما هم بأجرأ منا على الموت بل نحن نعبر إليهم»^(٦)، واقتحم المسلمون الجسر، ودارت بينهم معركة عنيفة، قتل فيها جمعٌ من الفرس، على الرغم مما لقي المسلمون فيها من شدة الفيلة وهيبة الخيل لها، واستشهد قائدهم أبو عبيد وجماعة من المسلمين تحت أقدامها وهم يعالجونها^(٧). وحاول المسلمون الانسحاب من خلال الجسر،

-
- (١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣١٣ - ٣١٤؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١٢٢.
 (٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٥٩١.
 (٣) انظر: خريطة رقم (٣) جيهاث القتال في العراق في عهد الفاروق ص ٥٧٧.
 (٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٤٩ - ٤٥١؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٥٩٢ - ٥٩٣؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١٢٢-١٢٣.
 (٥) انظر: البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٥٤، وقَسَّ النَّاطِفِ: موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٤٩.
 (٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٥٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٥٩٥.
 (٧) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٥٥، ٤٥٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٥٩٥.

ولكنهم حشروا فيه، وقام أحد المسلمين بقطع الجسر- ليمنع انسحابهم- ففرق جمع كبير من المسلمين، واستطاع المثنى بن حارثة وبعض شجعان المسلمين حماية الجسر حتى أعيد ربطه مرة أخرى، وعبر الناجون من المسلمين إلى الضفة الأخرى للنهر، وكانت هذه المعركة أول هزيمة تقع للمسلمين أمام الفرس في نظر الطرفين، مع أن قتلى الفرس كانوا أكثر من قتلى المسلمين، حيث استشهد من المسلمين أربعة آلاف شهيد، وقتل من الفرس ما يزيد على خمسة آلاف^(١).

كانت هزيمة الجسر ثقيلة على المسلمين وعلى عمر، كما عظم الأمر على المنهزمين إلا أن عمر عدّهم منحازين إليه على أنه هو القائد العام لهذه الجيوش وأن المسلمين في المدينة هم الفئة التي تمدهم وتشرف على تحركاتهم وهي نقطة انطلاقها؛ فقال: «أنا فتتكم»^(٢). وبعد معركة الجسر صار المثنى بن حارثة يهاجم الفرس في مواقع عدّة لاستعادة هيبة المسلمين ومكانتهم بعد أن اهتزت في موقعة الجسر، وأخذ عمر بن الخطاب يرسل لهم الأمداد من الجيوش، وكانت معركة البويب.

معركة البويب^(٣): توالى الإمدادات من المدينة حتى اجتمع إلى المثنى جمع عظيم، واجتمع جيش المسلمين على البويب بالقرب من موضع الكوفة وعليهم المثنى بن حارثة، وفي مقابلهم الفرس بقيادة مهران، وقام المثنى بتنظيم جيشه وخاض

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٥٥، ٤٥٧؛ وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٥٩٦؛ عبدالعزيز العمري: الفتح الإسلامية ١٢٣-١٢٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٤/ ١٤٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٥٩٦/٩؛ ابن حجر: الإصابة ٦/ ١١٠؛ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٧٤-٧٥.

(٣) البويب: كان البويب مغيضاً للفرات- قناة تصريف- قرب موضع الكوفة، يصب في الجوف، وتسمى معركة النخيلة حيث عسكر المسلمون بالنخيلة. البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٠؛ أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ٤٢٤.

القتال، وانتصر المسلمون وقُتل مهرا ن وكثير من الفرس، حتى سمي البويب يوم الأعرار، حيث أحصي فيه مئة رجل كل واحد منهم قتل عشرة في المعركة، عدا من قتل تسعة أو ما دونها^(١). ثم ندب المثنى الناس أن يتبعوا المنهزمين واطمأن المسلمون إلى النصر ووجدوا فيه تعويضاً عن يوم الجسر، كما أن المسلمين بعدها صاروا قادرين على السواد كله، إذ كانوا في حروبهم لا يتجاوزون الفرات، ثم حاربوا بين الفرات ودجلة، أما بعد البويب فقد تمكنوا من كل السواد بين الفرات ودجلة^(٢).

معركة القادسية^(٣) سنة ١٤ هـ:

في الوقت الذي تقدم فيه المسلمون وغلبوا على السواد وحاذوا دجلة، شعر الفرس بالخطر على دولتهم ودعا يزدجر إلى النفير كما دعا سكان المناطق التي سيطر عليها المسلمون من أهل الذمة والعهد وغيرهم من السكان والجنود؛ في الحيرة، والأنبار، والأبلة، والمسالح للثورة فثاروا على المسلمين، إلى جانب ذلك زحف هائل لجموع الفرس يتقدم نحو المسلمين، وهو ما جعل المسلمين ينسحبون إلى جنوب العراق، وكل هذا يشعر بأن معركة كبيرة تنتظرهم، وأخذ المثنى يستنفر الناس من حوله، وبعث الفاروق سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥ هـ)، على جيش كبير لملاقاة الفرس^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٦٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٥٩٧ - ٥٩٩؛ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٧٤ - ٧٧.

(٣) القادسية: قرية من موضع الكوفة بينها خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٢٩١.

(٤) شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي ٧٨ - ٨١.

ذلك أن عمر حث المسلمين على الخروج للجهاد في العراق، وبعث إلى عماله ليستنفروا الناس، وخرج بنفسه خارج المدينة حتى يكتمل اجتماع المسلمين للجهاد، وأراد أن يخرج بنفسه لقيادة الجهاد هناك، إلا أن بعض الصحابة ﷺ أقنعوه أن يبعث سعد بن أبي وقاص ويبقى هو في المدينة^(١).

وتم اختيار سعد بن أبي وقاص لقيادة الجيش، وأمر عمر قادة المسلمين في العراق وعلى رأسهم المشنى بن حارثة، وجريز بن عبدالله بالانضمام تحت قيادة سعد^(٢).

وصل سعد إلى العراق يقود أربعة آلاف مجاهد، فانضم إليه جريز بن عبدالله البجلي (ت ٥١ هـ) بمن معه من المسلمين، أما المشنى بن حارثة (ت ١٤ هـ) فقد توفي قبل وصول سعد، وترك وصية لسعد في مقاتلة الفرس^(٣).

وعسكر سعد بالمسلمين في القادسيّة قرابة شهر حتى تكامل عددهم وأصبح قرابة ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) مجاهد^(٤)، واستعد الفرس لملاقاة المسلمين بجيش كبير قوامه قرابة مئة وعشرين ألف مقاتل (١٢٠,٠٠٠)^(٥)، وأمر ملك الفرس أشهر قواده رستم بالتوجه لملاقاة المسلمين، وسار رستم حتى نزل قرب المسلمين في القادسيّة^(٦)، ثم جرت اتصالات عدّة ومفاوضات بين المسلمين والفرس قبل المعركة،

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٥١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٨١ - ٤٨٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦١٤.

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ١٢٩؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية عبر العصور ١٢٤-١٢٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٨٦.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٨٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦١٦.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥١٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦١٩، وقد يكون هنا مبالغة في تحديد عدد جيش الفرس.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٨٤ - ٤٩٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦١٦ - ٦١٩.

حيث طلب رستم وفوداً من المسلمين ليستمع إليهم ويحاوهم، وكان منهم ربعي بن عامر، والمغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ)^(١)، واجتمع رستم بقواده بعد ذلك، وتدارس الأمر معهم، وقرروا القتال، وعدم قبول شيء مما عرضه المسلمون^(٢).

والتقى المسلمون والفرس في قتال مرير، وكان سعد بن أبي وقاص يقود المعركة من على ظهر أحد البيوت، إذ كان مريضاً لا يستطيع ركوب الخيل^(٣).

وكان مع الفرس مجموعة من الفيلة أحضروها بعد أن نجحوا في استخدامها يوم الجسر، وكان لها تأثير في صفوف المسلمين في اليوم الأول، لهيبة خيول المسلمين لها، وشدتها عليهم.

وتقدّم بعض المسلمين إلى الفيلة وأصابوها وقوادها فشردت وخف أثرها في المسلمين. وقد استشهد في اليوم الأول ما يزيد على خمسمائة من المسلمين، وسمي يوم (أرماث)^(٤).

وفي صبيحة اليوم الثاني للمعركة وصلت الإمدادات للمسلمين قادمة من الشام بأمر عمر بن الخطاب وبقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (ت ٣٧هـ)، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي، حيث نظم القعقاع جيشه أعشاراً، بحيث يصل على دفعات، واستمر وصول الإمدادات فترة طويلة مما أوقع الرعب في نفوس الفرس،

(١) وسنقدم نموذجاً لهذه المحاورات، ونقف عند بعض ما جاء فيها.

(٢) انظر إلى تفصيلات قصة ربعي بن عامر مع رستم في الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥١٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٣١؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٢٩-٥٤١؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط: الأولى، دار الكتاب العربي - لبنان، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ٣٠٢-٣٠٥؛ عبدالعزيز العمري: الفتح الإسلامية ١٢٥-١٢٧.

وقوى عزائم المسلمين، وتمكن القعقاع ومن معه من الوصول إلى قلب المعركة وقتل بعض كبار قادة الفرس، ولاحق في هذا اليوم علامات النصر للمسلمين وقد سمي يوم (أغواث)؛ بسبب وصول المدد والغوث للمسلمين^(١).

وفي صبيحة اليوم الثالث للمعركة وهو يوم (عماس) بدأ القتال مرة أخرى بين المسلمين والفرس، وعاد الفرس فيه إلى استخدام الفيلة مرة أخرى فأضرت بالمسلمين كثيراً، ولكن شجعان المسلمين صمدوا لها، وقاوموها ببسالة، فأصابوها في عيونها وخراطيمها، ففرت من المعركة، وفي هذا اليوم أخذت كفة المسلمين ترجح بعد أن أبلوا بلاءً حسناً، وأقبل الليل والقتال على أشده واستمر القتال في ظلام الليل، وصمد المسلمون صمود الأبطال^(٢)، ولم يكن يسمع في تلك الليلة المظلمة إلا صليل السيوف فسميت ليلة (الهرير)^(٣).

وظهر الصباح واستمر القتال حتى الظهر، حيث بدأ الفرس ينهزمون من المعركة، وحاول رستم قائد الفرس الفرار والنجاة بنفسه، إلا أن أحد شجعان المسلمين لحق به فقتله وتتابعت هزائم الفرس، وكان النصر حليف المسلمين في نهاية المعركة^(٤).

وكانت هذه المعركة من أهم المعارك الفاصلة بين الفرس والمسلمين، حيث اشترك فيها أفضل فصائل الجيش الفارسي في تلك الفترة، وكان لهزيمته أثر كبير في تحطيم الروح المعنوية للفرس، وتمكن المسلمون بعدها من إعادة فتح معظم المناطق التي أخذها الفرس من فتوح المسلمين السابقة، وتمهيد الطريق لفتح المدائن، كما

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٤٢ - ٥٥٠؛ ابن الأثير: الكامل ٢/ ٣٠٦ - ٣٠٨؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١٢٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٥٠ - ٥٦٣؛ ابن الأثير: الكامل ٢/ ٣٠٩ - ٣١١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٦٣ - ٥٦٦؛ ابن الأثير: الكامل ٢/ ٣١١ - ٣١٢.

(٤) خليفة بن خياط: التاريخ ١٣٢؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٩؛ ابن الأثير: الكامل ٢/ ٣١٣.

امتلات أيدي المسلمين بالغنائم والأسلحة التي ساعدتهم في الفتوح المقبلة^(١).

(٣) المرحلة الثالثة: من القادسيّة إلى المدائن (في عهد عمر بن الخطاب).

فتح المدائن^(٢) سنة ١٤ هـ:

المدائن هي عاصمة الفرس، وقد بشر الرسول ﷺ بفتحها^(٣)، وكان المسلمون ينتظرون هذا اليوم الموعود، وبعد معركة القادسيّة أقام سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥ هـ) بمن معه من المسلمين مدة شهرين في القادسيّة؛ لمداواة الجرحى، وانتظار أمر الخليفة عمر بن الخطاب، ثم بدأ سعد يمد نفوذ المسلمين ما بين دجلة والفرات، حتى جاءه أمر الفاروق عمر بالتوجه إلى المدائن.

وصل المسلمون إلى المدائن، وكان يفصلهم عنها نهر دجلة وقد حطم الفرس ما عليه من جسور، ومع هذا فقد حاصرها المسلمون لعدّة أشهر كانوا خلالها يفتحون في المناطق الغربيّة منها^(٤)، كما كان الفرس خلالها يعملون على تفرّيق المدائن من كنوزها وخزائنها، وفّر خلال الحصار يزدجر ملك الفرس، ومع ذلك كان الدفاع عن المدائن منظماً وقويّاً، وعبر المسلمون النهر تحت قيادة سعد بن أبي وقاص وهم على خيولهم مما أفزع الفرس، ودفع بعضهم، ثمّ تمكّن المسلمون من دخول المدائن وفيها

(١) عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١٢٨-١٢٩.

(٢) المدائن: وسمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٧٥/٥، وقيل: سميت المدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والأكاسرة، وأثروا فيها من الآثار، وهي على جانبي دجلة شرقاً وغرباً، ودجلة تشقّ بينها، وتسمى: المدينة الشرقيّة العتيقة وفيها القصر الأبيض القديم، ويتصل بالمدينة التي كانت الملوك تنزلها، وفيها الإيوان، وتعرف - بأسبائبر - وأما المدينة الغربيّة فتسمى بهر سير. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٣٩.

(٣) أحمد: المسند ٤/٣٠٣؛ وانظر: ابن حجر: الإصابة ٢/١٩.

(٤) انظر: خليفة بن خياط: التاريخ ١٣٣؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٩؛ عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١٢٩-١٣٠.

القصر الأبيض وبه إيوان كسرى المشهور، ودخل سعد القصر متواضعاً متذللاً لله وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ كَفَرْتُمْ كُفْرًا مِنْ جَنَّتِ وَعْيُونُ ﴾ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿ [الدخان: ٢٥-٢٩].

ورفع سعد الأذان معلناً كلمة التوحيد في ذلك القصر وأحمد نيران المجوسية وأقام صلاة الجمعة فيه^(١). وحصل المسلمون على غنائم كثيرة بعثوا خمسها إلى المدينة، فلما رآها عمر ابن الخطاب قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء. فقال له علي: إنك قد عففت فعفّت رعيتك، ولو رتعت لرتعت^(٢).

وأقام المسلمون في المدائن بضعة أشهر كانوا ينطلقون منها لفتح بعض المواقع حيث تمكنوا من فتح جلولاء، وتكريت وغيرها^(٣) حتى مصرّ المسلمون الكوفة والبصرة فأصبحت الجيوش تخرج منها لاستكمال فتوح بلاد فارس^(٤).

ثانياً: أثر الصحابة ﷺ في حملات فتح العراق:

لقد اشترك الصحابة ﷺ في فتوح العراق بأعداد كبيرة، فإذا كان عدد جيش القادسية قرابة ثلاثين ألف (٣٠٠,٠٠٠) مجاهد^(٥)، فكم يكون عدد الصحابة ﷺ من بينهم؟ لا أعتقد أنهم يقلون عن الألف، حيث جاء ما يفيد أنهم كانوا قريباً من ذلك «وكان في

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٠-١٦؛ ابن الأثير: الكامل ٢/٣٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/١٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٠؛ ابن الأثير: الكامل ٢/٣٤٤، والرتع: الأكل والشرب رغداً، ابن منظور: لسان العرب ٨/١١٢، مادة: رتع.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٤، ٤/٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٧/١٠.

(٤) عبدالعزيز العمري: الفتوح الإسلامية ١٣٠-١٣١.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٨٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦١٦.

الأعشار كلها بضعة وسبعون بدريةً، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممن شهد الفتح، وسبعمائة من أبناء الصحابة ﷺ، في جميع أحياء العرب»^(١).

إذن نحن أمام ما يقارب سبعمئة (٧٠٠) صحابي، وسبعمئة (٧٠٠) من أبناء الصحابة ﷺ، وإذا كان هذا في القادسية وحدها، فكيف إذا أضيف لهم من قدم بعد ذلك للمعارك مع الفرس.

وقد كان للصحابة أثرٌ واضح وبيّن في فتوح العراق، فكان منهم قادة الجيوش وأمرؤها، وقادة السرايا والبعوث، وقادة الطلائع وفرق الجيش، كما كان منهم الرسل والمفاوضون مع الأعداء، وكانوا في مقدمة الصفوف يحمسون الجيوش بأفعالهم وأقوالهم، ومنهم الدعاة والمعلمون، كما كان منهم حسن المعاملة لأهل البلاد المفتوحة والوفاء لهم بالأمان والعهود، وسنحاول بيان شيء من هذه الآثار من خلال الفقرات التالية:

١ / أن القيادة كانت فيهم:

فقيادة الجيوش وأمرؤها، وحملة الرايات، وقادة السرايا والبعوث، والطلائع وفرق الجيش كانوا من الصحابة ﷺ، أمثال: سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وأبي موسى الأشعري، وسلمان الفارسي، والنعمان بن مقرن المزني، والمغيرة بن شعبة الثقفي، والبراء بن عازب الأنصاري، وقرظة بن كعب الأنصاري، وخالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة الشيباني، وجريير بن عبدالله البجلي.

حيث كان الخلفاء الراشدون يقدمون الصحابة ﷺ في قيادة الجند ومنهم عمر؛ «بل لا يومّرون إلا الصحابة ﷺ»، وقد جعل ابن حجر ذلك ضابطاً في معرفة الصحابي

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٩٠.

الفصل الأول

انتشار الصحابة في العراق

كونه وليّ إمارة الجيش^(١)، وإنما وليّ عمر أبا عبيد بن مسعود الثقفي ولم يكن صحابياً لأنه أول من استجاب له حين ندب الناس للجهاد ضد الفرس مع المثنى في أول يوم من خلافته^(٢).

ولئن كانت الأسماء السابقة لمشاهير الصحابة في فتوح العراق، فإن هناك غيرهم ممن ترجم لهم ابن حجر في القسم الأول من كتابه ممن ورد أن لهم صحبة^(٣). ومنهم من قادة فتوح العراق: هاشم بن عتبة بن أبي وقاص^(٤)، وعروة بن زيد

(١) حيث نقل عن ابن أبي شيبة «كانوا لا يؤمّرون في المغازي إلا الصحابة»، ثم قال: «فمن تتبع الأخبار الواردة في الردة والفتوح وجد من ذلك شيئاً كثيراً، وهم من القسم الأول». الإصابة ١/١٦١، ١٥٩، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في الإصابة في ثانيا التراجم في (٦٢) موضعاً - فيما وقفت عليه - ومنها: ١/٤٣١، ٥٥٢، ٥٥٥، ٣٧٨/٢، ٤٠١/٤، وقد جاء في بعضها «في زمن عمر»، و«في ذلك الزمن».

(٢) «فلما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء، أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق، وحرصهم ورغبتهم في الثواب على ذلك، فلم يبق أحد؛ لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس؛ لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث، فلم يبق أحد وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق، وما لهم هنالك من الأموال والأموال والأمتعة والزاد، فلم يبق أحد في اليوم الثالث، فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس في الإجابة، وأمر عمر طائفة من أهل المدينة، وأمر على الجميع أبا عبيد هذا، ولم يكن صحابياً، فقبل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم» ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٥٩١؛ وانظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٤٤-٤٤٥.

(٣) وهم: «من وردت صحبته بطريق الرواية عنه، أو عن غيره، سواء كانت الطريق صحيحة، أو حسنة، أو ضعيفة، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأي طريق كان. ابن حجر: الإصابة ١/١٥٥.

(٤) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وقال: الشجاع المشهور المعروف بالمرقال ابن أخ سعد بن أبي وقاص. قال الدولابي: لقب بالمرقال، لأنه كان يرقل في الحرب، أي يسرع، من الإرقال، وهو ضرب من العدو. وقال ابن الكلبي وابن حبان: له صحبة. الإصابة ٦/٤٠٤.

الخيل^(١)، وعتبة بن فرقد السلمي^(٢)، وقطبة بن قتادة السدوسي^(٣)، والجارود بن المعلى، واسمه بشر^(٤)، وخالد بن عرفطة العذري^(٥)، والقعقاع بن عمرو التميمي^(٦).

وإن وجد بعض المخضرمين تولى قيادات مساعدة ممن ترجم لهم ابن حجر في القسم الثالث من كتابه، - وهو للمخضرمين الذين لم يرد خبر برؤيتهم للنبي ﷺ -^(٧)، أمثال: النسير، وهو: نسير بن ثور العجلي^(٨)، وأبو مريم الحنفي^(٩)، إلا

(١) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وقال: وقد شهد مع أبيه بعض الحروب في الجاهلية، فالظاهر أنه اجتمع بالنبي ﷺ. الإصابة ٤/٤٠٤.

(٢) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، ونقل: أن عتبة غزا مع رسول الله ﷺ غزوتين. الإصابة ٤/٣٦٥.

(٣) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وقال البخاري: له صحبة. الإصابة ٥/٣٣٩.

(٤) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وقدم الجارود سنة عشر في وفد عبد القيس وهو سيدهم. الإصابة ٥٥٢/١ - ٥٥٣.

(٥) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وكان خالد مع سعد بن أبي وقاص في فتوح العراق. وكتب إليه عمر يأمره أن يؤمره، واستخلفه سعد على الكوفة. الإصابة ٢/٢٠٩، وولاه سعد قيادة الجيش في القادسية. ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢٩.

(٦) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وقال ابن عساكر: يقال إن له صحبة، ونسب لأبي بكر أنه قال: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل، وقد أمدَّ به خالد في حصاره للحيرة وقال: لا يهزم جيش فيه مثله، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم. الإصابة ٥/٣٤٢ - ٣٤٣، وفي هذا رد على من ينكر شخص القعقاع ويعتبره شخصية وهمية، حيث تُرجم له في كتب الصحابة، فإلى جانب الإصابة، فترجمته عند: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٢٨٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٤/١٠٩؛ ابن قانع: معجم الصحابة ٢/٣٦٧؛ وأخباره في فتوح العراق والشام وبلاؤه فيها مبثوثة في كتب التاريخ، أمثال: الأمم والملوك؛ وتجارب الأمم؛ وتاريخ دمشق؛ والمتنظم؛ والكامل؛ وتاريخ الإسلام؛ والبداية والنهاية؛ وابن خلدون، وغيرها.

(٧) وهم: «من ذكر في الكتب المذكورة من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي، ولا رأوه، سواء أسلموا في حياته أم لا، وهؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق من أهل العلم بالحديث، وإن كان بعضهم قد ذكر بعضهم في كتب معرفة الصحابة فقد أفضحوا بأنهم لم يذكروهم إلا بمقاربتهم لتلك الطبقة، لا أنهم من أهلها». ابن حجر: الإصابة ١/١٥٦.

(٨) ترجم له ابن حجر في القسم الثالث، وقال: له إدراك، وشهد الفتوح في عهد عمر. الإصابة ٦/٣٩٠.

(٩) وهو: إياس بن صبيح، ترجم له ابن حجر في القسم الثالث. الإصابة ٧/٣٢٧.

أن قيادة الجيوش على اختلاف أنواع القيادة ودرجاتها كانت في أيدي الصحابة الكرام ﷺ.

٢/ أن الرسل والمفاوضين مع الأعداء كانوا من الصحابة ﷺ:

فقد بعث قادة الجيوش الإسلامية قبل المعارك رسلهم من الصحابة ﷺ للتفاوض مع ملوك الفرس وقادتهم، ودعوتهم إلى الإسلام، ومن ذلك الوفد الذي ذهب لدعوة يزيدجرد، «وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الواقعة»^(١). حيث جمع سعد لهذا الأمر نفرًا من أهل الحسب والرأي والاجتهاد، فيهم النعمان بن مقرن المزني، وثلاثة منهم ممن ترجم لهم ابن حجر في القسم الأول من كتابه، وهم: حنظلة بن الربيع التميمي^(٢)، و فرات بن حيان العجلي^(٣). وعدي بن سهيل^(٤).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٦٢٥-٦٢٦.

(٢) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، روى عن النبي ﷺ، وكتب له، وأرسله إلى أهل الطائف فيما ذكر ابن إسحاق، وكان من كتّاب النبي ﷺ. الإصابة ٢/ ١١٧.

(٣) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وقال ابن السكن: له صحبة. وذكره ابن سعد في طبقة أهل الخندق. الإصابة ٥/ ٢٧٣.

(٤) أحمد عادل كمال: القادسية، ط: الأولى، دار النفائس - بيروت، ١٣٩٣هـ، ص ٦٥، ولم أقف على ترجمة عدي؛ وليس له ذكر إلا في حوادث سنة (٢٩هـ)، وأما سهيل بن عدي فله ذكر في فتوح العراق والمشرق عند الطبري، وابن كثير، انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٤، ٥٥، ٩٤، ١٤١، ١٨٠، ١٨١، ٢٦٥، وجاء أنه حليف بني عبد الأشهل ٤/ ٩٤، ولم أجد له ذكر في كتب الصحابة، وسهل بن عدي بن مالك الخزرجي، شهد أحدًا، وذكر الطبري أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة أن يؤمر سهل بن عدي هذا، وهو الذي فتح كرمان. ابن حجر: الإصابة ٣/ ١٦٩، والذي عند الطبري سهيل حيث ورد في (٧) مواضع كما سبق، أما سهل فلم يرد إلا مرة ٤/ ٨٤، فيكون المقصود (سهيل) ووقع تصحيف في الاسم حيث ترجم له ابن حجر في القسم الأول.

أما الثلاثة الآخرون، فهم: حَمَلَة بن جوية الكناني^(١)، ويسر بن أبي رهم الجهني^(٢)، والمغيرة بن زرارة الأسيدي^(٣).

كما جمع معهم نفرًا عليهم مهابة ونضارة، ومن أهل الرأي، فيهم المغيرة بن شعبة الثقفي، وخمسة ممن ترجم لهم ابن حجر في القسم الأول من كتابه، وهم: عطار بن حاجب التميمي^(٤)، والأشعث بن قيس الكندي^(٥)، والحارث بن حسان الذهلي^(٦)، وعاصم بن عمرو التميمي^(٧)، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي^(٨)، والمعنى بن حارثة الشيباني^(٩).

(١) ترجم له ابن حجر في القسم الثالث، فقال: حملة بن أبي معاوية الكناني: أحد الخمسة الذين أنفذهم سعد بن أبي وقاص يدعون يزدجرد إلى الإسلام، ذكره سيف. الإصابة ١٥٤/٢.

(٢) لم أجد له ترجمه، وله ذكر في فتوح العراق. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٥٤، ٥٣٤، ٥٧٠.

(٣) لم أجد له ترجمه، وله ذكر في فتوح العراق. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٩٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢٦.

(٤) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وفد على النبي ﷺ ضمن رؤساء بني تميم، وأسلموا، وأجارهم، واستعمله على صدقات بني تميم. ثبت ذكره في الصحيح، وارتد عطار بن حاجب بعد النبي ﷺ مع من ارتد في بني تميم، وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام. الإصابة ٤/٤١٩-٤٢٠.

(٥) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وفد على النبي ﷺ سنة عشر، في سبعين راكبًا من كندة، وكان من ملوك كندة، وأخرج البخاري ومسلم، حديثه في الصحيح، وكان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد من الكنديين، وأسر، فأحضر إلى أبي بكر فأسلم، فأطلقه وزوجه أخته أم فروة في قصة طويلة. الإصابة ١/٢٣٩.

(٦) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وروى له أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وفي بعض طرق حديثه أنه وفد على النبي ﷺ. الإصابة ١/٦٦٤-٦٦٥.

(٧) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، أحد الشعراء الفرسان، أخو القعقاع بن عمرو، وكان عاصم من الصحابة. الإصابة ٣/٤٦٥.

(٨) سبقت ترجمته؛ حيث ترجم له ابن حجر في القسم الأول.

(٩) أخو المثني بن حارثة، ولم أجد له ترجمة، وله ذكر في فتوح العراق. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٥٠، ٤١٢، ٤٦٥، ٤٩٠، ٥٠٧.

الفصل الأول

انتشار الصحابة ﷺ في العراق

وهؤلاء الأربعة عشر هم: وفد سعد ودعائه إلى يزيدجرد الثالث آخر ملوك بني ساسان^(١)، ومنهم اثنان (٢) من مشاهير الصحابة ﷺ، وثمانية (٨) من الصحابة ﷺ؛ ممن ترجم لهم ابن حجر في القسم الأول، وواحد (١) من المخضرمين؛ ممن ترجم لهم ابن حجر في القسم الثالث، و(٣) لم أجد لهم ترجمة.

وعلق ابن كثير على خبر هذا الوفد إلى يزيدجرد فقال: «ثم لم يزل أمر الصحابة ﷺ يزداد في كل يوم علواً وشرفاً ورفعة، وينحط أمر الفرس سفلاً وذللاً ووهناً»^(٢).

ثم إن هذا الوفد في طريقهم إلى يزيدجرد دعوا رستم إلى الله، «ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم، النعمان بن مقرن، وفرات بن حيان، وحنظلة بن الربيع التميمي، وعطاردين حاجب، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معد يكرب، يدعون رستم إلى الله عز وجل»^(٣).

كما أن هناك وفداً آخر بعثه سعد إلى رستم، فيهم المغيرة بن شعبة، وأربعة منهم ترجم لهم ابن حجر في القسم الأول من كتابه، وهم: عرفجة بن هرثمة البارقني^(٤)، وحذيفة بن محصن الغلفاني الحميري^(٥)، وربيع بن عامر التميمي^(٦)، ومذعور بن عدي العجلي^(٧). وإثنان منهم ترجم لهما ابن حجر في القسم الثالث، وهما: قرفة

(١) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٩٦؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢٥-٦٢٨؛ أحمد عادل كمال: القادسية ٦٥-٦٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦١٩-٦٢٠.

(٤) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، أحد الأمراء في الفتوح. وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤثرون إلا الصحابة ﷺ. الإصابة ٤/٤٠١.

(٥) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، استعمله أبو بكر على عثمان بعد عزل عكرمة. الإصابة ٢/٣٨.

(٦) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، قال الطبري: كان عمر أمدّه به المثنى بن حارثة، وكان من أشرف العرب، وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يؤثرون إلا الصحابة. الإصابة ٢/٣٧٨.

(٧) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وكان المثنى ومذعور قد وفدا على النبي ﷺ وصحبه. الإصابة ٦/٥١.

ابن زاهر التيمي ثم الوائلي^(١)، ومعبد بن مرة العجلي^(٢). واثنان لم أجد لهما ترجمة، وهما: بسر بن أبي رهم^(٣)، والمضارب بن يزيد العجلي^(٤)، ومجموعهم ثمانية.

وقد قال لهم سعد: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم، فما عندكم؟ قالوا جميعاً: نتبع ما تأمرنا به، وننتهي إليه، فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء، نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس، فكلمناهم به. فقال سعد: هذا فعل الحزمة، اذهبوا فتهيئوا، فقال ربعي بن عامر: إن نأتهم جميعاً يروا أنا قد احتفلنا بهم! فلا تزدهم على رجل، فمأثوه^(٥) جميعاً على ذلك، فقال: فسرحوني، فسرحه^(٦)»^(٧).

ونعرض أنموذجاً لهذه المفاوضات مع رستم، من خلال محاورة ربعي بن عامر له، ذلك أنه لما قدم ربعي بن عامر على رستم، «فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللائي الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي

(١) ذكره ابن حجر باسم قرقرة بن زاهر في القسم الثالث، وقال: له إدراك، وذكره سيف، والطبري، فيمن وجهه سعد بن أبي وقاص إلى رستم. الإصابة ٣٩٦/٥.

(٢) ترجم له ابن حجر في القسم الثالث، وقال: ذكره سيف، والطبري فيمن اختاره سعد بن أبي وقاص في جملة من يوثق بدينه ورأيه، ووجههم دعاء إلى رستم قبل وقعة القادسية، قالوا: وكان معبد من دهاة العرب. الإصابة ٢٣٩/٦.

(٣) تقدم في وفد يزدجرد؛ حيث لم أجد له ترجمة وله ذكر في فتوح العراق.

(٤) لم أجد له ترجمة وله ذكر في فتوح العراق. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٧٥/٣، ١٥٠/٤، ٧٥/٥.

(٥) وقد مألته على الأمر مما لأه: ساعدته عليه وشايعته. وتماؤوا عليه: اجتمعوا عليه. ابن منظور: لسان العرب ١٥٩/١، مادة: ملأ.

(٦) يقال سرحت فلاناً إلى موضع كذا، إذا أرسلته. والتسريح: إرسالك رسولاً في حاجة. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. ط)، دار الهداية، (د. م)، (د. ت)، ج، ٦، ص ٤٦٣.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥١٨-٥١٩.

بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فحرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: قد سمعت مقالتم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم؟ أيوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سن لنا رسول الله أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه، فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه؟! فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصنونون الأحساب»^(١).

وبعث سعد إلى رستم رسولاً آخر إجابة لطلبه، وهو حذيفة بن محصن^(٢)، ثم بعث له رسولاً ثالثاً بناء على طلبه، وهو المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ)^(٣).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢١ - ٦٢٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥١٩ - ٥٢١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٢١، وحذيفة تقدمت ترجمته.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٢١.

ويلحظ اتفاقهم في دعوتهم له على الفكرة والمضمون، وتأكيد أنه إن أسلم تركوا له أرضه.

حيث قال ربعي بن عامر: «واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء، فنقبل ونكف عنك، وإن كنت عن نصرنا غنيًا تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجًا منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع»^(١).

وقال حذيفة بن محصن: «ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث، فأبوا إياها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجزاء ويمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة»^(٢).

أما المغيرة بن شعبة فقال: «نحن نخيرك بين إحدى ثلاث خلال: إلى الإسلام ولكم فيه ما لنا وعليكم فيه ما علينا، ليس فيه تفاضل بيننا، أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون... وإلا السيف إن أبيت، والإسلام أحب إلينا منهما»^(٣).

ثم بعث سعد بقیة الوفد: إن أميرنا يقول لك: «إني أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه، ونرجع إلى أرضنا، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض، إلا أن داركم لكم، وأمركم فيكم»^(٤).

وفي حديث لرستم قبيل القادسية مع زهرة بن حوية التميمي^(٥)، ما يؤكد هذا المعنى، وذلك لما حدثه عن الإسلام: قال رستم: ما أحسن هذا! ثم قال له رستم:

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٥-٥٢٦.

(٥) ترجم له ابن حجر في القسم الأول، وقد على النبي ﷺ، فأسلم، ثم شهد القادسية مع سعد، وهو الذي قتل الجالينوس. الإصابة ٢/ ٤٧٢.

أرأيت لو أنني رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه، ومعني قومي كيف يكون أمركم! أترجعون؟ قال: إي والله، ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة قال: صدقتني والله^(١).

٣/ أن الصحابة ﷺ يدعون الناس ويعلمونهم:

رأينا في مشاهد المفاوضات السابقة اشتغالها على الدعوة، ذلك أن الدعوة ونشر الإسلام هو الدافع الرئيس للجهاد والفتوح في الإسلام، «الإسلام وَندَعَكَ وَأَرْضِكَ»، «الإسلام و ننصرف عنكم»، «والإسلام أحب إلينا منهما» أي من الجزية والقتال.

وهذا جليٌّ وواضح في أذهان آحاد الصحابة ﷺ كما مر معنا في محاوراتهم ليزدجرد، ورستم، وربيعي بن عامر التميمي الذي قَدَّم في حوارهِ مع رستم تصوراً مبهِراً عن الدين الإسلامي، ولم يكن من المهاجرين، ولا الأنصار، ولا من أهل السابقة، ولا من أهل بيعة الرضوان، بل لا يكاد يعرف إلا بهذا الموقف، ومثله حذيفة بن محصن الحميري، وكذا زهرة بن حَوِيَّة التميمي، وأمثالهم من القادة والمفاوضين، وهذا كما يدل على بركة الصحبة، فإنه يدل على سرعة تأثير الإسلام في أتباعه، كما يؤكد على وضوح أهداف الجهاد لدى الصحابة ﷺ.

آية تربية هذه التي تجعلهم يتحدثون بلسان واحد، وكأنهم قد اجتازوا دورات مكثفة في هذه المبادئ. إن دعوة الناس إلى الإسلام، وتحرير الإنسان، ورفع الظلم، ونشر العدل والاستقرار من أهم غايات الجهاد الكبرى، لذا فحين وصلت جيوش المسلمين للعراق بدأت بدعوة القوى الحاكمة للدخول في الإسلام، أو الخضوع للمسلمين بالجزية، ومن ثم التوقف عن القتال، وكان ذلك أسلوباً متبعاً للقادة، حتى تصل للناس الدعوة ويبلغ لهم الدين. وخالد بن الوليد (ت ٢١هـ) لما نزل الحيرة،

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥١٨.

وخرج إليه أشرافها مع قبضة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر، فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبضة: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية^(١).

ولذا خضعت بعض بلدان العراق صلحاً، ثم نقض كثيرٌ منهم ففتحت بعد ذلك عنوة.

٤ / أن الصحابة ﷺ في مقدمة الصفوف يحمسون الجيوش بأفعالهم وأقوالهم:

لقد كان الصحابة ﷺ في مقدمة الصفوف في القتال، وكانوا مضرب المثل في الشجاعة والبأس، بل إن منهم من نهى الفاروق عن توليته قيادة الجيوش لفرط شجاعته فهو مهلكة، وهو (البراء بن مالك، ت ١٧هـ)^(٢).

ومنهم من عبر النهر إلى العدو شجاعة، كسعد بن أبي وقاص وأصحابه في القادسية، ومنهم من تقدم لمعالجة الفيلة في معركة الجسر - حيث لقي المسلمون منها شدة واستشهد بعضهم تحت أقدامها، كما مر معنا.

(١) فقال لهم خالد: تباً لكم! إن الكفر فلاة مضلة، فأحق العرب من سلكها. ثم صالحهم، فكانت أول جزية أخذت من العراق وحملت إلى المدينة هي والقرىات قبلها التي صالح عليها ابن صلوبا. ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٥١٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٦؛ الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ): المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ، ج ٣، ص ٣٣٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ١/١٥٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٩٦.

أما خالد بن الوليد (ت ٢١هـ)، فقد كان في ذلك أشهر من عَلم، ومع بداية وصول خالد بجيوشه إلى العراق كان هرمز ينتظره بجيشه وقد نزل في كاظمة على الماء، وكان خالد قد كاتبه ودعاه بدعاية الإسلام، وقدم خالد بجيشه، «فنزل تجاههم على غير ماء، فشكى إليه أصحابه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين. فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء، فقوي المسلمون بذلك، وفرحوا فرحًا شديدًا»^(١).

وكان هرمز صاحب مكر وغدر فأراد أن يغدر بخالد، و«ترجل هرمز ودعا إلى البراز، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغلته عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل»^(٢).

فبلغ من شجاعته أن لا يلتفت لمن جاء يغدر به حتى قتل هرمز، وقضى عليهم مع القعقاع، وموقف القعقاع هو الآخر ينبي عن هذه الشجاعة فسرعان ما رأى تقدمهم لخالد نازلهم وأشغلهم بأنفسهم عن ما أرادوه من غدر بخالد، وأناموهم.

وأما المثنى بن حارثة الشيباني (ت ١٤هـ)، فبلاؤه مشهود في العراق، فبعد خروج خالد للشام اغتنم الفرس غيبته فبعثوا جيشًا كثيفًا قوامه عشرة آلاف إلى المثنى «وسار المثنى... إلى بابل، ولما التقى المثنى وجيشهم... اقتتلوا قتالًا شديدًا جدًّا، وأرسل الفرس فيلاً بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس، فقتلوهم

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٥١٥/٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٥١٦/٩.

قتلاً ذريعاً، وغنموا منهم مالا عظيماً، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شر حالة^(١)، وموقفه في معركة الجسر حين قُطع الجسر واستطاع المشني وبعض شجعان المسلمين حماية الجسر حتى أعيد ربطه مرة أخرى^(٢).

والمغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ)، في القادسية وتحدث أحد القادة الشجعان عن هول ما رأى من قوة وكثرة العدو، فرد عليه المغيرة ليعالج الموقف ويحمس الجيش، وذلك أنه «لما كان يوم القادسية كان على الخيل قيس بن مكشوح، وعلى الرجالة المغيرة بن شعبة الثقفي، وعلى الناس سعد بن أبي وقاص، فقال قيس: قد شهدت يوم اليرموك، ويوم أجنادين، ويوم عبس، ويوم فحل، فلم أر كالיום عديداً، ولا حديداً، ولا صنعة لقتال، والله ما يرى طرفاهم، فقال المغيرة بن شعبة: إن هذا زيد من زيد الشيطان، وإننا لو قد حملنا عليهم قد جعل الله بعضهم على بعض، فلا ألفينك إذا حملت عليهم برجالتي أن تحمل عليهم بخيلك في أوقيتهم، ولكن تكف عنا خيلك واحمل على من يليك»^(٣).

وعن بلاء الصحابة ﷺ في القادسية نقف على هذا التصوير الرائع: «فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالاً شديداً، وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها، أمراً بليغاً، وقد أباد الصحابة ﷺ الفيلة ومن عليها، وقلعوا عيونها، وأبلى جماعة من الشجعان في هذه الأيام مثل طليحة الأسدي، وعمرو بن معدي كرب، والقعقاع بن عمرو، وجريير بن عبدالله البجلي، وضرار بن الخطاب، وخالد بن عرفطة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٥٧٢.

(٢) كما مر معنا سابقاً.

(٣) عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت ٢١١هـ): المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط: الثانية، المجلس العلمي - الهند، ١٤٠٣هـ، ج ٥، ص ٤٨٤.

وأشكالهم وأضرابهم^(١).

فهو بعد أن يذكر بلاء الصحابة ﷺ في هذا اليوم، يذكر بلاء جماعة من الشجعان منهم ممن ترجم لهم ابن حجر في القسم الأول من كتابه^(٢).

ومن صور الشجاعة والبلاء في القادسيّة، أن «حملَ عمرو بن معدي كرب الزبيدي فاعتنق عظيمًا من الفرس فوضعه بين يديه في السرج، وقال: أنا أبو ثور افعلوا كذا ثم حطم فيلاً من الفيلة، وقال: الزموا سيوفكم خراطيمها فإن مقتل الفيل خرطومها»^(٣).

ومما وقع من ذلك في القادسيّة أن «أبلى طليحة بن خويلد الأسدي يومئذ وضرب الجالينوس ضربة قدت مغفره ولم تعمل في رأسه، وقال قيس بن مكشوح: يا قوم إن منايا الكرام القتل فلا يكونن هؤلاء القلف أولى بالصبر وأسخى نفسًا بالموت منكم، ثم قاتل قتالاً شديداً وقتل الله رستم فوجد بدنه مملوءاً ضرباً وطعنًا فلم يعلم من قاتله، وقد كان مشى إليه عمرو بن معدي كرب، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقرط بن جماح العبدي، وضرار بن الأزور الأسدي»^(٤).

وقيس بن مكشوح المرادي، ترجم له ابن حجر في القسم الثالث^(٥).

ومن صور الشجاعة والبلاء ما وقع لسعد بن أبي وقاص (ت ٥٥٥هـ)، وجيشه

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٦٣٠.

(٢) خالد بن عرفطة، والقعقاع تقدمت الإشارة إلى تراجمهم، وطليحة، الإصابة ٣/ ٤٤٠، وعمرو بن معدي كرب، الإصابة ٤/ ٥٦٨، وجريز بن عبدالله، الإصابة ١/ ٥٨١، وضرار بن الخطاب الفهري، الإصابة ٣/ ٣٩٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٤، وأبو ثور، كنية عمرو بن معدي كرب.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٥.

(٥) واختلف في صحبته، وكان ممن ارتد عن الإسلام باليمن، ثم راجع الإسلام، وهاجر، وشهد الفتوح، وله في فتوح العراق آثار شهيرة في القادسية، وفي فتح نهاوند وغيرها. الإصابة ٥/ ٤٠٤-٤٠٥.

قبل المدائن من عبور دجلة وهي تقذف بالزبد، لما طال الأمر عليهم، «فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر؛ فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل. فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور^(١).

وطلب سعدٌ من يعبر أولاً ليحمي الجهة الثانية من النهر، فانتدب عاصم بن عمرو وذوو البأس من الناس، قريب من ستمئة، فأمر سعد عليهم عاصم بن عمرو، ثم انتدب له ستون من الشجعان المذكورين ليعبروا أولاً^(٢).

وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو التميمي^(٣)، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء، وأميرها القعقاع بن عمرو التميمي^(٤).

وعبرت الكتيبة الأولى، ثم عبرت الثانية، ثم عبر الجيش، ما نقص منهم رجل واحد، وسعد مستجاب الدعوة، حيث دعا له الرسول بذلك، «والمقطوع به أن سعدًا دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر، وقد رمى بهم في هذا اليم، فسددهم الله وسلمهم، فلم يُفقد من المسلمين رجل واحد»^(٥).

ومن صور الشجاعة والبلاء ما وقع في معركة جلولاء من تحميس الصحابة ﷺ

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/١٠.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/١٠.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠.

للمجاهدين وتثبيتهم، «وقام في الناس هاشم^(١) فخطبهم غير مرة، فحرضهم على القتال، والتوكل على الله. وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت، وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب. فلما كان الموقف الأخير، وهو يوم الفيصل والفرقان، توافقوا من أول النهار، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله، حتى فني الشباب من الطرفين، وتقصفت الرماح من هؤلاء ومن هؤلاء، وصاروا إلى السيوف والطبرزيينات^(٢)، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماء، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكانها أخرى، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال: أهالكُم ما رأيتُم أيها المسلمون؟ قالوا: نعم إنا كاللون وهم مريحون. فقال: بل إنا حاملون عليهم، ومجدون في طلبهم حتى يحكم الله بيننا، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم. فحمل وحمل الناس. وهربت الفرس كل مهرب، وأخذهم المسلمون من كل وجه، وقعدوا لهم كل مرصد، فقتل منهم في ذلك الموقف مئة ألف، حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى، فلذلك سميت جلولاء^(٣)، ومع ما يكتنف هذا العدد الكبير للقتلى من مبالغة بقصد التفخيم وإظهار الفخر والإعجاب، إلا أن فيه دلالة على كثرة أعداد القتلى في هذه المعركة.

٥ / حسن معاملة الصحابة ﷺ لأهل العراق، والوفاء لهم بالعهود:

لقي أهل العراق معاملة حسنة من الفاتحين على غير المألوف من الغالبين، ذلك أن الإسلام يدعو أصحابه إلى العدل والإحسان، كما يدعوهم إلى الوفاء بالعهود والمواثيق، وقد ظهرت صوراً كثيرة لتلك المعاملة الحسنة، تمثلت بالالتزام بالعهد من المصالحات وإعطاء الأمان، والعدل في حكمهم بل الإحسان إليهم.

(١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قائد المعركة، وتقدم التعريف به.

(٢) طبرزين، لفظ فارسي، وهو سلاح حربي يشبه الفأس. مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ٣٠٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢١ - ٢٢.

وحيث إن المجوس ليسوا أهل كتاب ولا وثنيين بل هم بين ذلك، فقد استشكل الفاروق كيف يعاملهم فاستشار أصحابه وقال: «ما أدري كيف أصنع بالمجوس فوثب عبدالرحمن بن عوف، فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب»^(١)، وهو هنا يسعى لتحقيق العدل فيهم بتحكيم شرع الله فيهم.

ومن تحقيق العدل معاملة الناس سواسية، بعيداً عن اعتبارات العرق، واللغة، واللون، ومن ذلك ملامة الفاروق لعامله الذي ميز في العطاء بين العرب والموالي، حيث إن «قوماً قدموا على عامل لعمر بن الخطاب فأعطى العرب منهم وترك الموالي؛ فكتب إليه عمر: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، والسلام»^(٢).

وقد التزم الصحابة ﷺ بالعهد مع الأفراد والجماعات، أما مع الأفراد ففي قصة الهرمزان مع عمر خير مثال، حيث التزم له بالأمان مع أن في الأمر نوعاً من الاحتيال منه، وعدم قصد من عمر لذلك. وأعجب منه موقف أنس بن مالك الذي وقف في وجه عمر وشهد للهرمزان بالأمان مع أنه قاتل أخيه البراء بن مالك في فتح تُسْتَر^(٣) التي استسلم بها، ولذا لما قال أنس: «صدق يا أمير المؤمنين، قد أمنته»، قال عمر: «ويحك يا أنس! أنا أو من قاتل مجزأة والبراء!»^(٤).

ومثال آخر لالتزامهم بالعهد مع الأفراد ما جاء في هذه الواقعة (فتح تُسْتَر)، حيث إن «رجلاً من الأعاجم استأمن إلى المسلمين على أن يدلهم على عورة المشركين

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٢-٢٦٣؛ أبو يوسف: الخراج ١٤٣؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٦/٦٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٤٣٥؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٨٦٥٤) ٩/٣١٩؛ ابن القيم: أحكام أهل الذمة ١/٨١.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٤٣٩؛ ابن زنجويه: الأموال ٢/٥٢٥.

(٣) تُسْتَر: بالضم ثم السكون، وفتح التاء الأخرى: أعظم مدينة بخوزستان (الأحواز)، وهي على نهر تستر، على مكان مرتفع من الأرض، وعليها شاذروان من عجائب الأبنية. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٢٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٨٨؛ وانظر: البلاذري: فتوح البلدان ٣٧٠.

فأسلم واشترط أن يفرض لولده ويفرض له، فعاقده أبو موسى على ذلك»^(١).

وأما البلدان فقد أعطى الصحابة ﷺ الأمان للعديد من البلدان في فتوح العراق والمشرق والتزموا لهم بذلك، مثل: كَسْكَر^(٢)، وأليس^(٣)، والحِيرة^(٤)، وعُكْبَرَاء^(٥)، وتكريت^(٦)، والروميّة^(٧)، والدينور^(٨)، والسّيروان^(٩)، ومهرجا نقذف^(١٠)، وجيّ^(١١)،

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٩.

(٢) كَسْكَر: بالفتح ثم السكون، معناه عامل الزرع: كورة واسعة في العراق، وهي منطقة سهلية واسعة بين الكوفة والبصرة، وتدخل فيها البصرة ونواحيها على قول. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤ / ٤٦١.

(٣) أليس: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية، وهي قرية من قرى الأنبار. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ٢٤٨.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٠، الحيرة بكسر الحاء المهملة، مدينة كانت على شاطئ الفرات الغربي، وكانت عاصمة ملوك لحم المشهورين بالناذرة، وقد احتلت اليوم مدينة النجف موقع الحيرة على أميال من آثار الكوفة. عاتق بن غيث بن زوير البلادي (ت ١٤٣١هـ): معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبويّة، ط: الأولى، دار مكة للنشر - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، ص ١٠٧.

(٥) عُكْبَرَاء: بضم أوله، وسكون ثانيه، وفتح الباء الموحدة، بليدة في العراق من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤ / ١٤٢.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٦، وتكريت: بفتح التاء والعامّة يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة، وهي غربي دجلة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ / ٣٨.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٩.

(٨) دينور: مدينة من أعمال الجبل في فارس، ينسب إليها خلق كثير، وبين الدينور وهمدان نيف وعشرون فرسخاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ / ٥٤٥.

(٩) سيروان: بكسر أوله، بلد بالجبل في فارس، وقال غيره: السيروان كورة بالجبل، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣ / ٢٩٦.

(١٠) البلاذري: فتوح البلدان ٣٠٠، ولم أقف على مهرجا نقذف، لكنها عند الجغرافيين مهرجان قذق: ثلاث كلمات، بكسر أوله، وسكون ثانيه ثم راء، وهي منطقة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همدان في تلك الجبال. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥ / ٢٣٣، وغيره.

(١١) جيّ: بالفتح ثم التشديد: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، وهي الآن كالخراب منفردة، ومنها سلمان الفارسي. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ / ٢٠٢.

واليهودية^(١)، وأذربيجان^(٢)، والسوس^(٣)، وغيرها.

ونوع آخر من العهود يتمثل في اشتراطات يشترطها أهل البلدان المستسلمة، فيلتزم لهم الصحابة ﷺ بما آمنوهم عليه ومن ذلك: أهل الحيرة، بأن «لا يهدم لهم بيعة ولا قصرًا»^(٤)، وأهل أذربيجان، بأن «لا يهدم بيت نار، ولا يمنع أهل الشيز»^(٥) خاصة من الزّفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه»^(٦)، وأهل الرّبيّ^(٧) وقومس^(٨)، «أن لا يقتل منهم أحدًا ولا يسيبه ولا يهدم لهم بيت ناري»^(٩).

وقد يكون الأمان لأهل بلد من أحد المسلمين؛ بل من الرقيق، حيث أمّن رجلٌ من المسلمين - وكان عبدًا - أهل بلد، والمسلمون يتوقعون الفتح، فكتب لهم عمر: «أن

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٠٤، ٣٠٥، واليهودية: موضع إلى جنب جي مدينة أصبهان، ومدينة أصبهان العظمى هي اليهودية. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥ / ٤٥٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٣١٧، وأذربيجان: إقليم واسع، ومن أشهر مدنه: تبريز، وهي قصبتها وأكبر مدنها، وهو صقع جليل، ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وفيه قلاع كثيرة، وخيرات واسعة. ياقوت: معجم البلدان ١ / ١٢٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٧، والسُّوس: بلدة بخوزستان (الأحواز) وفيها قبر دانيال النبي، عليه السلام. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣ / ٢٨٠.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٠.

(٥) الشيز: وهي مدينة بين المراغة وزنجان وشهرزور والدينور بين جبال كثيرة المعادن، وبها بيت نار عظيم الشأن عندهم. ياقوت: معجم البلدان ٣ / ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٣١٧.

(٧) الرّبيّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي قصبه بلاد الجبال، بينها وبين قزوین سبعة وعشرون فرسخاً. ياقوت: معجم البلدان ٣ / ١١٦.

(٨) قُومس: وهي منطقة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان وأكبر ما يكون في ولاية ملكها، وقصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الري ونيسابور. ياقوت: معجم البلدان ٤ / ٤١٤.

(٩) البلاذري: فتوح البلدان ٣١٠.

العبد المسلم من المسلمين ذمته كذمتهم فلينفذ أمانه فأنفذناه»^(١).

وكان من أبرز ثمار هذه المعاملة الحسنة إسلام أعداد كبيرة من أهل العراق أفراداً وجماعات؛ ودخولهم في دين الفاتحين، وهذا أمرٌ غير مألوف ونادر الوقوع.

هذا إلى جانب حاجتهم إلى الديانة الصحيحة والمتمثلة في الإسلام، بدلاً مما لديهم من الديانات المنحرفة، وما يعانونه من أوضاع اجتماعية سيئة في مقدمتها الطبقة.

ولذا أخذ الإسلام ينتشر فيهم، حيث استجاب أكثر العرب في غرب العراق، ودخلوا مع المسلمين في حرب من لم يُسلم، وبقي على النصرانية تغلب أو بعضها، وجماعات من تنوخ وإياد^(٢)، ذلك أن خالدًا لما أراد التوجه إلى الشام استخلف المثنى بن حارثة الشيباني على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم^(٣).

كما أسلم جماعة من الفرس في بداية الفتوح، حيث جاء في أحداث القادسية أنَّ سعدًا « أرسل إلى أولئك المسلمة: ضخم، ومسلم، ورافع، وعشيق، وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا، فدخلوا عليه، فسألهم عن الفيلة: هل لها مقاتل؟ فقالوا: نعم، المشافر والعيون لا ينتفع بها بعدها»^(٤).

ولئن وقفت ملوك الفرس وأصحاب النفوذ منهم في وجه الإسلام فلم يدخلوا فيه، واكتفى بعضهم بطلب الصلح معلنين الخضوع للمسلمين مع بقائهم على دينهم،

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٧٨، ٣٧٩، هذا وسيرد مزيد بيان لمعاملة الصحابة ﷺ لأهل العراق.
(٢) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية، ط: الخامسة، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٨١م، ص ١١٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤١٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٥٥.

فقد دخل في الإسلام بعض الدهاقين^(١).

ومن الدهاقين الذين أسلموا، «جميل بن بصيهرى دهقان الفلاليج والنهرين، وبسطام بن نرسی دهقان بابل وخطرنية، والرغيل دهقان العال، وفيروز دهقان نهر الملك وكوثى، وغيرهم من الدهاقين، فلم يعرض لهم عمر بن الخطاب ولم يخرج الأرض من أيديهم، وأزال الجزية عن رقابهم»^(٢)، وإن كان بعضهم انتقض لما وجد فرصة لذلك، لكن من سلم منهم من القتل في القادسية عاد للصلح والمسالمة.

كما أسلمت جماعات من الهنود؛ من الأساورة، والسيابجة، والزط، وكذلك جماعات من الترك؛ من الديلم، وغيرهم^(٣).

ولقد انتشر الإسلام بوسائله الخاصة، وكان هذا الظفر أعظم ما سجل في تاريخ الأديان، وهو ما تحدث عنه بعض الغربيين، «إن الإقبال العام على اعتناق دين جديد على أثر فتح أجنبي أمر لا يكاد يعرفه العصر القديم ولكن الإسلام يقف وحيداً في هذا الفوز»^(٤).

«إن هذه الظاهرة تبدو لأول وهلة لغزاً غريباً ولا سيما متى علمنا أن الدين الجديد لم يفرض فرضاً على أحد»^(٥).

نعم لقد دخل الناس من أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام طواعية ومن تلقاء أنفسهم دون ضغط، أو إكراه؛ لأنهم وازنوا بين ما كانوا عليه من الخسف، والظلم،

(١) تقدم التعريف بالدهقان والدهاقين ص ٤٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦١، ولم أقف على شيء من تراجمهم.

(٣) وسيرد الحديث عنهم بشيء من التفصيل ص ٣٧٢.

(٤) محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، (د.ط)، مؤسسة الخانجي - القاهرة،

١٣٨٢هـ، ص ١٩، من مقولة: «فون جون سميث».

(٥) محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ٢٠، من مقولة: «دوزي».

والطغيان، وما رأوه، وعاشوه في ظلال المجتمع الإسلامي، فأثروا حكم المسلمين على حكم أبناء دينهم الظلمة^(١).

بل إن الفاتحين من الصحابة ﷺ حولوا مجتمع العراق بالإسلام إلى مجتمع مستقر يسوده العدل والرحمة، ويوحده الوحي والدين، ويدعو للعمل ويشجع عليه، ويتزود بالعلم وينشد المعرفة، حتى أصبحت مدنه منارات من منارات الدنيا لقرون، كالكوفة، والبصرة، ثم بغداد.

«إن رسالة الإسلام حين بسطت جناحها في أقل من قرن على نصف المعمورة؛ كانت كأنما أنشأته خَلْقاً آخر، لقد بدلته من أوطانه المتفرقة وطناً واحداً، ومن قوانينه المختلفة قانوناً واحداً، ومن آلهته المتعددة إلهاً واحداً، لقد نفذت إلى جوهر نفسه فحوّلتته تحويلاً، وبدلت أسلوب تفكيره تبديلاً، بل عمدت إلى لغته فأضافت لغة القرآن لساناً إلى جانب لسانه، وكثيراً ما أنسته لسانه الأصيل، وجعلت لسان الإسلام هو لسانه الوحيد^(٢). هذه صورٌ من معاملة الصحابة ﷺ لأهل العراق؛ حيث قامت على العدل والإحسان والرحمة، وقد شهد بذلك المؤرخون من غير المسلمين، حتى قيل: «ما عَرَفَ التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب»^(٣).

* * *

(١) محمد بن لطفی الصباغ: الحياة الاجتماعية في ضوء السنة، ط: الأولى، دار المثل - الرياض، ١٤٢٥ هـ، ص ١٩٠.

(٢) محمود دراز: نظرات في الإسلام، (د.ط)، (د.ن)، (د.م)، ١٣٩٢ هـ، ص ٦.

(٣) محمد رشيد رضا. «حرب المدينة الأوربية». مجلة المنار - القاهرة، ع ١٨، (١٣٣٣ هـ)، ص ١٨٢، من مقولة: «غوستاف لوبون».

المبحث الثاني

التوزيع الجغرافي للأماكن التي انتشر فيها الصحابة ﷺ

قدم الصحابة ﷺ للعراق لنشر الإسلام، ومجاهدة من وقف في طريقه؛ فلم يقبل الدخول فيه ولم يقبل دفع الجزية والخضوع للمسلمين، فكانوا في مقدمة جيوش الفتح، وانساحوا في أرض العراق فاتحين، فقطعوه من جنوبه لشماله، ومن غربه لشرقه بلدًا بلدًا وقرية قرية، إذا إنه وخلال سنوات الفتح الأربع (١٢-١٦هـ) كانوا يتنقلون في أنحاء العراق؛ وذلك حين دخل جيش خالد من الجنوب، حيث ابتدأ بالأبلة وهي يومئذ أعظم موانئ فارس، وتقع بالقرب من موقع البصرة، وتقدم الصحابة ﷺ في جيوش الفتح إلى المذار شرقاً (شرق دجلة) ثم الولجة غرباً (غرب الفرات) ثم أليس شمالاً (غرب الفرات) ثم أمغيشيا فالحيرة فالأنبار شمالاً، فالمصيخ فالفراض حتى بلغوا الزميل في أقصى الشمال الغربي بمحاذاة الفرات.

وبعد ذلك تمكن أبو عبيد، وبعده المثنى من السيطرة على السواد فيما بين الفرات ودجلة، وبعد معركة القادسية الفاصلة تقدم الصحابة ﷺ الفاتحون نحو المدائن حيث عبروا دجلة وفتحوا المدائن ونزلوها ثم فتحوا البلدان القريبة منها حتى فتحوا جلولاء وتكريت وغيرها.

إذن فالصحابة ﷺ في معاركهم وفتوحاتهم وعلى مدى أربع سنوات انتشروا في أنحاء العراق وتنقلوا بين بلدانه وقراه، حيث دخلوها لفترات مختلفة وكانت إقامتهم على هيئة معسكرات حربية في خيام، وبعضهم حديث عهد بالخيام، وبعضهم الآخر تعتبر الخيام لهم أمرًا مألوفًا وإن قدموا من المدينة، واختلفت مدة النزول والإقامة حسب ظروف القتال والصراع من أسابيع إلى أشهر في البلد الواحد، أو القرية الواحدة،

وكانوا خلال ذلك يمارسون حياتهم الاجتماعية، وبعضهم كانت عائلاتهم إلى جانبهم، ووقعت زيجات كثيرة خلال هذه الفترة، وحين نزلوا المدائن نزلوها بعائلاتهم، فإنه «لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع، وكان في النخع سبعمائة امرأة فارغة، وفي بجيلة ألف، فصاهر هؤلاء ألفاً من أحياء العرب، وهؤلاء سبعمئة، وكانت النخع تسمى أصهار المهاجرين وبجيلة»^(١).

وأعقب فترة الفتوح فترة توحى بنوع من الاستقرار للصحابة الفاتحين في أرض العراق والتي تمثلت في تمصير الكوفة والبصرة سنة (١٧هـ)، وفيها تركز وجود الصحابة ﷺ في هذين المصرين، وإن كان لهم وجود في غيرها كالمدائن، ولا تزال المعارك مستمرة خلال عصر الراشدين مع الفرس وغيرهم في بلدان خراسان، وفارس، والجزيرة الفراتية، وما والاها، فمعركة نهاوند (فتح الفتوح) سنة (٢١هـ) تعتبر نهاية المعارك الفاصلة مع الفرس، حيث أصبح يزدجر يتنقل من بلد لآخر حتى قتل.

لكن الأمر لم ينته بهذه الفتوح، فبين وقت وآخر تنتقض بعض البلدان وتخرج عن الطاعة؛ فتخرج جيوش المسلمين إليها. ومن جانب آخر فإن الفتوح استمرت في عهد عمر وبداية عهد عثمان حتى وصلت إلى أطراف السند، وحدود الصين، ومشارف قروين.

وخلال هذه المعارك كانت الجيوش تخرج من الكوفة والبصرة في اتجاهات متعددة عبر أراضي العراق؛ وكذا الإمدادات للجيوش، وهو ما جعل تنقل الصحابة ﷺ بين بلدات العراق مستمراً خلال هذه الفترة وبعدها، ومع ذلك فإن تركز وجود الصحابة ﷺ ومن معهم من الفاتحين، أصبح في هذين المصرين: الكوفة والبصرة.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨١.

كما قدم إليهما في هذه الفترة بعض الصحابة ﷺ للتعليم ولتولي بعض الولايات حيث بعثهم الخليفة، وانتقل إليهما الناس من المدائن وسائر مدن العراق^(١)، فأصبح الثقل السكاني في العراق في هذين المصيرين، حتى إنه إذا أطلق العراق في عصر الراشدين ﷺ، فإنما هو الكوفة والبصرة.

ويعود اختيار هذين المصيرين إلى أن الصحابة ﷺ الفاتحين لم تناسبهم المدائن، ولم ترُق لهم الحيرة، ولا الأنبار، فاختروا هذه المواقع في السواد لتكون دور هجرة لهم، ومراكز توطين وإدارة، حيث إن «هذا السواد الواسع الذي أفاءه الله على العرب لم يكن إلا سهولاً متصلة متلاحقة لا مدن فيها، وتجري فيها الأنهر والقنوات، وينتشر المزارعون هنا وهناك فلا تتميز الأرض إلا ببعض القرى، فلما جاء العرب مهاجرين فرض عليهم هذا السواد نفسه أن يمضّروا فيه البصرة والكوفة أولاً وواسط ثانياً.. ثم بغداد وسامراء بعد ذلك.. وأن يجعلوا من هذه المدن معالم حياته الجديدة^(٢)».

وعدد الصحابة ﷺ في جيش القادسية قريب من ألف صحابي، وجاء في مقولة لقتادة أنه: «دخل الكوفة من أصحاب النبي ﷺ ألف وخمسون منهم ثلاثون بدريون»^(٣).

وإذا كان أكثر من ألف صحابي دخلوا الكوفة وحدها، فهو مؤشر على كثرة أعداد الصحابة ﷺ الذين دخلوا العراق؛ لأننا إذا تجاوزنا من اشترك منهم في القادسية - وهم لا يقلون عن الألف -، وأضفنا لهم من قدم بعد ذلك للمعارك ضد الفرس من الصحابة

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/ ٧٥.

(٢) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية ١٠٦.

(٣) الخليلي، خليل بن عبدالله بن أحمد القزويني (ت ٤٤٦هـ): الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد سعيد عمر إدريس، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص ٥٣٣؛ انظر: ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير - السفر الثالث ٣٩٨/٢، وفي مقولة قتادة عنده سقط في موضع (ألف)؛ انظر: يوسف اليعموري، يوسف بن أحمد بن محمود اليعموري (ت ٦٧٣هـ): نور القبس المختصر من المقتبس، تحقيق: رودلف زهايم، (د. ط)، دار فرائس شتايز بشينادن، (د. م)، ١٣٨٤هـ، ص ٨٦.

ﷺ، والجماعات التي بعثها الفاروق منهم للتعليم والولايات في كل من الكوفة والبصرة، ومن قدموا لأغراض أخرى، دل أن عدد الصحابة ﷺ الذين نزلوا العراق قد تجاوز الألف صحابي.

وأما المناطق التي نزلها الصحابة ﷺ في العراق فهي:

الكوفة:

فقد دخل الكوفة من الصحابة ﷺ ما يزيد على الألف، ونزلها قريب من ذلك، حيث جاء عند ابن سعد أنه نزل الكوفة سبعون (٧٠) من أهل بدر، وثلاثمئة (٣٠٠) من أصحاب الشجرة^(١)، وهؤلاء ثلاثمئة وسبعون (٣٧٠) صحابي، وجاء عند الطبري ما يفيد أن عدد الصحابة ﷺ في القادسية قريب من سبعمئة (٧٠٠) صحابي^(٢)، ولأن ما جاء عند ابن سعد هو في شأن الاستدلال بعمل الصحابة ﷺ في الصلاة، اكتفى بذكر أهل السابقة من أهل بدر، وأصحاب الشجرة، فلم يذكر مسلمة الفتح وهم فيها كما عند الطبري، أكثر من ثلاثمئة (٣٠٠) صحابي^(٣)، ومن الناحية التاريخية فأهل القادسية نزلوا المدائن لشهور ثم نزلوا الكوفة ومصر وها، فأهل القادسية بعامة نزلوا الكوفة، فيصح أن نقول بعد ذلك: إن الصحابة ﷺ الذين نزلوا الكوفة قريب من الألف، حتى مع التسليم أن فيهم من عاد من العراق، فهناك جماعات منهم قدمت إلى الكوفة بعد ذلك.

(١) «هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر». ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩/٦.

(٢) وكان فيها: «بضعة وسبعون بدرياً، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممن شهد الفتح». الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٤٩٠.

(٣) فإذا أضفناهم إلى ما جاء عند ابن سعد عن أهل السابقة وهم ثلاثمئة وسبعون (٣٧٠) صحابي، فيصبح مجموعهم ستمئة وسبعون (٦٧٠) صحابي، فهم قريب من السبعمئة (٧٠٠) صحابي كما عند الطبري.

وقد ترجم ابن سعد لـ (١٥٢) صحابياً^(١)، ممن نزل الكوفة، وغالبهم مات فيها.

أما خليفة في «الطبقات» فترجم لـ (١٤٨) صحابياً ممن نزل الكوفة^(٢)، والفارق بينهما أربعة من الصحابة.

البصرة:

في الوقت الذي لم أقف فيه على أعداد الصحابة الذين نزلوا البصرة فضلاً عن دخلها، إلا أن ابن سعد ترجم للصحابة الذين نزلوها بعدد مقارب لمن ترجم لهم في الكوفة حيث ترجم لـ (١٥٠) صحابياً، وهو ما يدل على أنه قد نزلها أكثر من ذلك من الصحابة، لكن لا يوجد لدي ما يثبت عددهم.

وإن كان ابن سعد ترجم لـ (١٥٠) صحابياً ممن نزل البصرة^(٣)، فإن خليفة في «الطبقات» ترجم لـ (١٣٦) صحابياً ممن نزل البصرة^(٤)، والفارق بينهما (١٤) صحابياً.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٢-٦٥، وانظر إليهم في الملحق رقم (١) من الرسالة.
 (٢) خليفة بن خياط: الطبقات، تحقيق أكرم العمري، ط: الثانية، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢ هـ، ص ١٢٦-١٣٩، ومن دخلها بأنهم (١٨) صحابياً. ١٣٩-١٤٠، فيكون مجموع من نزلها ودخلها عنده (١٦٦) صحابياً، وهو يذكر بعض الصحابة مرتين، فيذكره فيمن نزل الكوفة، ويذكره ممن دخل البصرة، كعلي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، والمغيرة بن شعبة، وسواهم.
 (٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٥-٩٠، وانظر إليهم في الملحق رقم (٢) من الرسالة.
 (٤) ومن دخلها عنده (٣٥)، ومنهم، علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وابن عباس، والزبير، وطلحة، وعائشة بنت أبي بكر، والبراء بن عازب، وعثمان بن حنيف، وغيرهم، فيكون مجموع من نزل البصرة ودخلها عنده (١٧١) صحابياً. خليفة: الطبقات ١٧٤-١٩٠.

ومن ثمّ فإن مجموع من تُرجم لهم ممن نزل الكوفة والبصرة من الصحابة ﷺ عند ابن سعد (٣٠٢)، بينما مجموعهم عند خليفة (٢٨٤) صحابياً، فيكون الفارق بينهما (١٧) صحابياً.

وقد جاء عند ابن القيم أنه: «انتقل إلى الكوفة والبصرة نحو ثلاثمئة صحابي ونيف»^(١)، فهل اعتمد ابن القيم في ذلك على تراجم ابن سعد للصحابة فيهما، أو على مصدر آخر؟

المدائن:^(٢)

وقد نزل المدائن بعض الصحابة ﷺ، وفي مقدمتهم سلمان الفارسي (ت ٣٥هـ) وكان أميراً عليها^(٣)، وحذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، وكان أميرها^(٤)، وورد أنّ الفاروق استعمل السائب بن الأقرع الثقفي الكوفي أميراً على المدائن^(٥).

ومع أنه دخل المدائن ونزلها الكثير من الصحابة ﷺ عند فتحها - من أهل القادسية -، فإن ابن سعد وخليفة لم يترجما فيها إلا لحذيفة وسلمان^(٦)، إلا أنني وجدت الخطيب البغدادي في «تاريخه» ترجم لـ (٥١) صحابياً ممن ورد المدائن

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) المدائن: وسمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٧٥/٥، وانظر التعريف بها فيما تقدّم.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨٧/٤، ٣١٩/٧، ولم أدخلها لمجموع من ترجم لهم ابن سعد لأنه ترجم لها في الكوفيين.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣١٧/٧.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢١٧/١؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ٥٦٩/٢.

(٦) وقد يكون السبب في قلة من ترجم له من الصحابة ﷺ فيها، قصر فترة نزول الصحابة ﷺ بها قبل تمصير الكوفة، تمسّياً مع منهجها في الترجمة لأهل العلم ممن نزل البلد، مع انشغالهم بالفتوح.

ودخلها^(١)، وبعضهم ممن دخلها مع جيش الفتح، والبقية ممن وردها مع عليّ بن أبي طالب لَمَّا سار إلى النهروان لقتال الخوارج، أو وردها معه لَمَّا سار إلى صفين، أو وردها مع الحسن بن عليّ لَمَّا بُويع بالخلافة حيث نزلها وراسل معاوية بالصلح منها، وهناك من وردها لأغراض أخرى.

واسط^(٢):

أما واسط، فلم يرد عند ابن سعد، ولا خليفة ذكر للصحابة ﷺ فيها، إلا أنه دخلها بعض الصحابة ﷺ، كما جاء عند «بحشل»^(٣)، في تاريخ واسط، حيث ذكر تسعة منهم دخلوها، أربعة من الرجال، وخمس من النساء^(٤).

وعليه فالصحابة ﷺ دخلوا بلدان العراق وقراه بشكل كامل أثناء الفتح وبعده حيث تنقلوا فيه على مدى عقود من الزمن، إلا أن نزولهم كان في الكوفة والبصرة بشكل خاص، مع وجود من نزل المدائن منهم.

* * *

(١) ابتدأهم بعلي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وعمار. والخطيب البغدادي إنما أورد ذكر المدائن في كتابه كما يقول «لقربها» من بغداد، وقال: «فأما تقديمنا ذكر المدائن، فإننا فعلنا ذلك تبركاً بأسماء الصحابة الذين وردوها، والسادة الأفاضل الذين نزلوها، وقد قبر بالمدائن غير واحد من الصحابة والتابعين». الخطيب: تاريخ بغداد ١/١٣٨.

(٢) واسط: إنها كان اسمه واسط القصب، فبناه الحجاج سنة (٧٨هـ) وقال: هذا واسط العراق الكوفة والبصرة، فسمي واسطاً. بحشل، أسلم بن سهل بن أسلم الواسطي (ت ٢٩٢هـ): تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، ط: الأولى، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٦هـ، ص ٣٨.

(٣) وبحشل، عدّه المؤرخون محدث واسط في عصره، من كبار الحفاظ الثقات، إماماً، ثبّتاً، صدوقاً. وقد جمع تاريخاً لواسط، هو أول سفر يؤلف في تاريخ هذه المدينة، ضبط فيه أسماء الرواة ورتب طبقاتهم. تاريخ واسط: مقدمة المحقق.

(٤) بحشل: تاريخ واسط ٤٢، والصحابة هم: أنس بن مالك، ونافع مولى رسول الله ﷺ، وأبو مالك، وأبو الغادية.

المبحث الثالث

طبقات الصحابة ﷺ في العراق وأشكال إقامتهم

يعدُّ الصحابة ﷺ طبقة واحدة باعتبار شرف الصحبة^(١)، وهناك من جعل الصحابة ﷺ طبقات باعتبار الفضل والسابقة في الإسلام، وذلك بتقديم العشرة، وأهل بدر، ومتقدمي الإسلام.. وهكذا، حيث جعلهم ابن سعد في طبقاته، ثلاث طبقات، وقيل: إنه جعلهم خمس طبقات^(٢)، في حين جعلهم الحاكم في اثنتي عشرة طبقة^(٣).

وقد قدّم ابن سعد في تقسيمهم من له الفضل والسابقة في الإسلام، فقد جعل البدرين طبقة أولى، ومن شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد طبقة ثانية، وألحق بهم من أسلم قبل الفتح، ولم يذكر ابن سعد من أسلم بعد الفتح حيث يكونون حسب ترتيبه الطبقة الثالثة^(٤).

وقيل: إنه بدأ بالمهاجرين البدرين ثم بالأنصار البدرين، ثم بمن أسلم قديمًا ولم يشهد بدرًا، وإنما هاجر إلى الحبشة أو شهد أحدًا، ثم من أسلم قبل فتح مكة وهكذا^(٥).

وللوقوف على طبقات الصحابة ﷺ في العراق، فقد تتبعنا تراجم ابن سعد للصحابة في الكوفة والبصرة فوجدت أنه رتبها على ثلاث طبقات:

(١) ومن أخذ بذلك خليفة، ولذا اعتمد في تراجمه على القبائل فيذكر القبيلة، ثم يترجم لمن فيها من الصحابة.

(٢) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ): فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي، ط: الأولى، مكتبة السنة - مصر، ١٤٢٤هـ، ج ٤، ص ١١٣.

(٣) السخاوي: فتح المغيث ٤/ ١١٢، وانظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين، ط: الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧هـ، ص ٢٢ - ٢٤.

(٤) أكرم العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط: الرابعة، (د. ن) - بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ١٨٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، مقدمة المحقق ١/ ٨.

١/ البديون. ٢/ من شهد أحداً. ٣/ من شهد الخندق فما بعدها.

وكانوا - حسب تصريحه بمشاهدتهم - على النحو التالي:

١/ البديون: (٧) في الكوفيين، و (واحد) في البصريين، ليكون مجموعهم (٨)^(١).

٢/ من شهد أحداً: (٣) في الكوفيين، و (واحد) في البصريين، ليكون مجموعهم (٤).

وهؤلاء ترجم لهم متابعين، في كل طبقة.

٣/ من شهد الخندق: (٣) في الكوفيين فقط، وأصحاب الشجرة: (٥) في الكوفيين، و (واحد) في البصريين، ليكون مجموعهم (٦).

وهؤلاء أشار إلى مشاهدتهم في تراجمهم، لكنهم غير متابعين بل متداخلين مع غيرهم؛ حيث إن أصحاب الشجرة متداخلين مع مسلمة الفتح، بل من أسلم في العام التاسع والعاشر، وكذا مع من لم يذكر وقت إسلامهم، وهو ما يعني أنه توقف في ترتيبهم على الطبقة الثانية وهم من شهد أحداً، وإن كان قدم من شهد الخندق لكنه أدخل معهم غيرهم ممن لم يذكر مشاهدتهم ولا إسلامهم وقد يكونوا ممن أسلم قبل الفتح.

واختلفت إقامة الصحابة ﷺ في العراق، من إقامة مؤقتة مربوطة بالمشاركة في الجهاد والفتوح، وأشباه ذلك، أو إقامة قصيرة ارتبطت بأعمال إدارية كولاية أو قضاء أو غيره، أو إقامة لفترة طويلة؛ سواء أكانت وفاته بالعراق أم خارجه، وحيث إنني لم

(١) الطبقات الكبرى ٦/ ١٤-١٥، ٧/ ٥، والحارث بن زياد بدرئي. ابن الأثير: أسد الغابة، (د. ط)، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ، ج ١، ص ٣٩٢؛ ابن حجر: الإصابة ١/ ٦٦٩، ولم يذكر ذلك ابن سعد. ١٨/٦.

الفصل الأول

انتشار الصحابة ﷺ في العراق

أستطع الوقوف على كتب عُنت بتراجم الفاتحين، وهو ما يصعب معه معرفة من نزل العراق فضلاً عن دخلها وهم كثيرون، ولا عن طبيعة إقامتهم، سوى ما جاء في تراجم ابن سعد، وكذا خليفة لبعض من نزل الكوفة والبصرة من الصحابة ﷺ.

هذا وإن لم يترجم لكل من نزل المصريين من مشاهير الصحابة ﷺ، فابن سعد لم يترجم لابن عباس في البصريين - وإن كان ترجم له في الصحابة ﷺ -^(١)، مع أنه كان أميراً عليها من قَبْلِ عليّ أربع سنين^(٢)، ولم يترجم لأبي موسى الأشعري في البصريين، مع أنه كان والياً عليها، وكان معلم أهلها القرآن، وإنما ترجم له في الكوفيين حيث توفي فيها، وكان والياً عليها بعد البصرة، وترجم لسمره بن جندب فيهما، وذكر وفاته في الكوفة، وكذا خليفة فتراجمه نقل عن ابن سعد.

ويمكن تقسيم الصحابة ﷺ من حيث دخولهم وإقامتهم في العراق إلى الأصناف التالية:

١ - من دخل منهم العراق.

٢ - من نزل منهم أحد المصريين.

٣ - من ترجم لهم ابن سعد في أحد المصريين.

(١) ابن سعد ترجم للصحابة ﷺ في كتابه على خمس طبقات، ثم عند ترجمته لعلماء كل بلد يبدوهم بمن نزلها من الصحابة ﷺ بتراجم مختصرة، وعليه فمن ترجم لهم منهم في الكوفيين والبصريين فقد سبقت تراجمهم في طبقات الصحابة ﷺ، ولذا فقولي لم يترجم لفلان منهم في البصريين، أو الكوفيين، لا يفهم منه أنه لم يترجم له أصلاً، ولذا فقد ترجم لابن عباس في الطبقة الخامسة من الصحابة ﷺ فيمن قبض الرسول ﷺ وهم أحداث الأسنان. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، ط: الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ، ج ٦، ص ٣٢٠-٣٤٧، وكذا لم يترجم للحسن بن علي، ولا الحسين في الكوفيين، مع ترجمته لهما في الطبقة الخامسة من الصحابة ﷺ، الحسن ٦/٣٥٢-٣٩٩، والحسين ٦/٣٩٩-٣٦١، ط: الخانجي.

(٢) حيث قدم مع عليّ إلى الكوفة سنة (٣٦هـ)، وشهد معه الجمل، وجعله أميراً على البصرة ورجع للحجاز سنة (٤٠هـ). ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/٦٨٥؛ انظر: ابن سعد: الطبقات الكبير ٦/٣٣٨، ط: الخانجي.

حيث دخل العراق عدد كبير من الصحابة ﷺ، ولا يُعرف عددهم على وجه الدقة، ولكنهم قريب من الألفين، وغالبهم من المشاركين في الفتوح. أما الذين نزلوا العراق منهم، فهم كثيرون أيضاً، حيث تجاوزوا الألف صحابي، وقد ذكر قتادة أنه نزل الكوفة (١٠٥٠) صحابياً^(١).

وهذان القسمان مع كثرتهم، فإنه من الصعوبة بمكان الوقوف عليهم ومعرفة أشكال إقامتهم، لذا فإنني سأقتصر على القسم الثالث، وهم الذين ترجم لهم ابن سعد في الكوفيين والبصريين، حتى نتعرف إلى أعدادهم، وأشكال إقامتهم في المصرين: الكوفة، والبصرة.

أ- من ترجم لهم ابن سعد فيمن نزل الكوفة من الصحابة ﷺ:

أولاً: من نزل منهم الكوفة ومات فيها، وهم (١٣٤) صحابياً، ومنهم: ١- علي ابن أبي طالب، ٢- عمار بن ياسر، ٣- خباب بن الأرت، ٤- سهل بن حنيف، ٥- أبو موسى الأشعري، ٦- قرظة بن كعب، ٧- زيد بن أرقم، ٨- جرير بن عبدالله البجلي، ٩- عدي بن حاتم، ١٠- عمرو بن حريث.

ثانياً: من نزل منهم الكوفة ومات بغيرها، وهم (١١) صحابياً: ١/ سعد بن أبي وقاص، ٢/ عبدالله بن مسعود، ٣/ أبو مسعود الأنصاري، ووفاتهم بالمدينة، ٤/ حذيفة بن اليمان، ٥/ سلمان الفارسي، ووفاتهما بالمدائن، ٦/ النعمان بن عمرو بن مقرن، استشهد في نهاوند، ٧/ الوليد بن عقبة، ووفاته بالرقعة، ٨/ عمرو بن الحمق، ٩/ سليمان بن صرد، ووفاتهما بالجزيرة، ١٠/ قيس بن سعد بن عبادة، ووفاته بالمدينة، ١١/ النعمان بن بشير، ووفاته بحمص.

(١) منهم أربعة وعشرون بدريون. السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ٤/ ١١١.

ثالثاً: مَنْ نزل منهم الكوفة واختلف في مكان وفاته، وهم (٣) صحابة: ١ / أبو قتادة بن ربعي، ٢ / سعيد بن زيد، ٣ / البراء بن عازب.

رابعاً: من نزل منهم الكوفة ولم يذكر مكان وفاته، وهم (٤) صحابة: ١ / عبيد ابن عازب، ٢ / الحارث بن زياد، ٣ / عبدالرحمن بن حسن الجهني، ٤ / قيس بن أبي غرزة الأنصاري.

فيكون مجموع من ترجم لهم ابن سعد في الكوفيين (١٥٢) صحابياً^(١).

ب- من ترجم لهم ابن سعد فيمن نزل البصرة من الصحابة ﷺ:

أولاً: مَنْ نزل منهم البصرة ومات فيها، وهم (٩) صحابة: ١ / عمران بن حصين، ٢ / عبدالله بن المغفل، ٣ / معقل بن يسار، ٤ / الحارث بن نوفل، ٥ / عبدالرحمن ابن سمرة، ٦ / أبو بكر، ٧ / أنس بن مالك، ٨ / هشام بن عامر، ٩ / عائذ بن عمرو.

ثانياً: مَنْ نزل منهم البصرة ومات بغيرها، وهم (١٢) صحابياً: ١ / محجن بن الأدرع، ٢ / ثابت بن زيد، ٣ / بشير بن أبي زيد، ووفاتهم في المدينة، ٤ / عتبة بن غزوان، ووفاته في طريقه من المدينة عائداً للبصرة، ٥ / سمرة بن جندب، ووفاته في الكوفة، والبقية وفاتهم في خراسان وفارس، في الغزو أو الرباط: ٦ / بريدة بن الحصيب، ٧ / أبو برزة الأسلمي، ٨ / البراء بن عازب، ٩ / الحكم بن عمرو، ١٠ / الجارود، ١١ / أبو رفاعة العدوي، ١٢ / قرّة ابن إياس، في حرب الخوارج.

ثالثاً: مَنْ نزل منهم البصرة ولم يذكر مكان وفاته، وهم (١٢٩) صحابياً،- منهم (٢١) صحابياً، جاء في تراجمهم أنهم نزلوا البصرة، في حين أن (١٠٨) صحابي منهم، ترجم لهم فيمن نزلوا البصرة دون أن يذكر ذلك في تراجمهم.

(١) انظر: ملحق رقم (١)، تسمية من نزل الكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ عند ابن سعد في الطبقات الكبرى، ص ٥٥٥.

فيكون مجموع من ترجم لهم ابن سعد في البصريين (١٥٠) صحابياً^(١).

ومن المفيد قبل المضي في فصول الكتاب أن أعرف بأكثر الصحابة   أثراً في العراق، مبتدئاً بمن وضعوا اللبنة الأولى لفتح العراق وتمصيره من الصحابة  ، وهم: (سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان، وخالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة الشيباني).

ومثلياً بأكثر الصحابة   أثراً في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق من خلال الوقوف على فضائلهم ومكانتهم العلمية، وهم: (علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك)  .

١- سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري (ت ٥٥ هـ)^(٢).

قال «الذهبي» في ترجمته: «الأمير، أبو إسحاق القرشي، الزهري، المكي، أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرًا، والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى»^(٣). أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان يقول: «ولقد أتى عليّ يوم

(١) انظر: ملحق رقم (٢)، تسمية من نزل البصرة من أصحاب رسول الله   عند ابن سعد في الطبقات الكبرى، ص ٥٦٣.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٦٠٦-٦١٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٢/٢١٤-٢١٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٩٢-١٢٤؛ ابن حجر: الإصابة ٣/٦١-٦٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٩٣، وقد قسّم الذهبي كتابه إلى أربعين طبقة تقريباً، وقد استعمل الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث اللقب، أي في الشيوخ وفي السن، ومن حيث المولد والوفاة. بشار عواد من تقديمه لكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ١/١٠٤، وهو تراجم للأعلام، حيث اقتصر فيه على ذكر «الأعلام» دون المشهورين، فهو للمشهورين جدّاً بعرفه، وقد ترجم للعلماء من القراء والمحدثين، والفقهاء والقضاة، وترجم للأمرء والوزراء، وسواهم من الأعلام، ومع شموله للأعلام إلا أنه يؤثر المحدثين على غيرهم في تراجمه، ولذا كانت الغالبية العظمى فيه من المحدثين، وهو شامل للأعلام من الأندلس إلى أقصى المشرق. المصدر نفسه ١/١١٠.

وإني لثلث الإسلام»^(١).

وهو من أصحاب المئين في رواية الحديث عن النبي ﷺ، ومسنده: (٢٧١) حديثاً^(٢). وهو أول من أراق دمًا في سبيل الله^(٣)، وكان شجاعاً رامياً، قال سعد بن مالك: ما جمع رسول الله أبويه لأحد قبلي، ولقد رأيته ليقول لي: «يا سعد! ارم فذاك أبي وأمي»، وإني لأول المسلمين رمى المشركين بسهم^(٤).

وقال: «نثل^(٥) لي رسول الله كنانته يوم أحد، وقال: ارم! فذاك أبي وأمي»^(٦).

قال عليّ: ما رأيت النبي ﷺ يفدّي رجلاً بعد سعد؛ سمعته يقول: «ارم فذاك أبي وأمي»^(٧).

وبعث رسول الله ﷺ سرية فيها سعد بن أبي وقاص إلى رابع، فانكفأ المشركون على المسلمين، فحماهم سعد يومئذ بسهامه، فكان هذا أول قتال في الإسلام^(٨).

وقال عنه عبدالله بن مسعود: لقد رأيت سعداً يقاتل يوم بدر قتال الفارس في الرجال^(٩).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٣٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٩٦، ٩٨؛ ابن حجر: الإصابة ٦٢/٣.

(٢) بقي بن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦هـ): مقدمة مسنده، تحقيق أكرم العمري، ط: الأولى، (د. ن)، (د. م)، ١٤٠٤هـ، ص ٨١.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة ٢/٢١٤، ٢١٥.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٩٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٢/٢١٤.

(٥) نثل كنانته نثلاً: استخرج ما فيها من النبل. ابن منظور: لسان العرب ١١/٦٤٥، مادة: نثل.

(٦) أخرجه البخاري (٤٠٥٥) ٥/٩٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٠١.

(٧) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) ٤/٣٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٤١.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٠١.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٤١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٠١.

وقال فيه النبي ﷺ: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»^(١).

وهو رابع أربعة من أشداء الصحابة ﷺ: عمر، وعلي، والزبير، وسعد^(٢).

ومن شجاعته أنه كان يفدي النبي ﷺ بنفسه ويحرسه، فكان إلى جانبه في أحد يذُبُّ عنه بالنبل، وفي ليلة تمنى النبي ﷺ من يحرسه فكان سعد، قالت عائشة: كان النبي ﷺ سهر، فلما قدم المدينة، قال: «ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة»، إذ سمعنا صوت سلاح، فقال: «من هذا؟»، فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، ونام النبي ﷺ^(٣).

وعن سعد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢]. قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم^(٤).

ومرض سعد في حجة الوداع بمكة مرضاً شديداً، فجاءه النبي ﷺ يعُودُه، قال سعد: ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: «اللهم اشف سعداً، وأتمم له هجرته»، فما زلت أجد برده على كبدي - فيما يخال إلي - حتى الساعة^(٥).

وكان مستجاب الدعوة، حيث دعا له النبي ﷺ بذلك فقال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»^(٦).

- (١) أخرجه الترمذي: السنن (٣٧٥٢) ٥/٦٤٩، وصححه الألباني؛ ابن حجر: الإصابة ٦٢/٣.
- (٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٠٨؛ ابن حجر: الإصابة ٦٣/٣.
- (٣) أخرجه البخاري (٢٨٨٥) ٤/٣٤، (٧٢٣١) ٩/٨٣.
- (٤) أخرجه مسلم (٢٤١٣) ٤/١٨٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٠٩.
- (٥) أخرجه البخاري (٥٦٥٩) ٧/١١٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١١٠.
- (٦) أخرجه الترمذي: السنن (٣٧٥١) ٥/٦٤٩، وصححه، وكذا الألباني؛ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤هـ): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤هـ، رقم (٦٩٩٠) ج ١٥، ص ٤٥٠؛ والحاكم: المستدرک (٦١١٨) ٣/٥٧٠، وصححه؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١١٢.

وله في ذلك قصص معروفة، منها قصته مع أهل الكوفة لما اشتكوه على عمر، ودعوته على أحدهم حين قال فيه ما قال، فكان بعدُ إذا سئل كيف أنت؟ يقول: كبير مفتون، أصابني دعوة سعد^(١).

وهو فاتح العراق فقد قاد القادسية، وفتح المدائن، ووجه الجيش إلى جلولاء، ودحر الفرس الأكاسرة، ومصر الكوفة، ووجه عتبة بن غزوان لتمصير البصرة، وكان الأمير على الناس في العراق، وقد اعتزل سعد الفتنة، فلم يحضر الجمل، ولا صفين، ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة، كبير الشأن^(٢)، وحين جاءه ابنه يحضه على المشاركة فيما يجري في المدينة، فقال له: أي بني! أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً؟ لا والله، حتى أعطى سيفاً، إن ضربت به مسلماً نبا عنه، وإن ضربت كافراً قتله^(٣).

وحين احتضر بكى ابنه؛ فنهاه، قال مصعب بن سعد: كان رأس أبي في حجري، وهو يقضي، فبكيت. فرفع رأسه إلي، فقال: أي بني! ما يبكيك؟ قلت: لمكانك، وما أرى بك. قال: لا تبك، فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة^(٤)، قال الذهبي: صدق والله، فهنيئاً له.

وقدم سعد العراق سنة (١٤هـ) وأقام فيها حتى عزله عمر عن ولاية الكوفة سنة (٢١هـ)^(٥)، وولاه عثمان عليها سنة (٢٤هـ)^(٦)، ثم عزله سنة (٢٦هـ)^(٧)، فتكون مدة إقامته في العراق (٩) سنين.

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥) / ١ / ١٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ١١٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ١٢٢.

(٣) أخرجه أحمد: المسند (١٥٢٩) / ٣ / ١١٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ١١٩.

(٤) أحمد: فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت،

١٤٠٣هـ، ج ٢، ص ٧٥٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣ / ١٤٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ١٢٢،

ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ٣٠١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ١١٣.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢١٩.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢٢٤.

وكانت وفاة سعد في المدينة سنة (٥٥هـ)، وهو آخر المهاجرين موتاً، ولما مات، جعلت أم المؤمنين أم سلمة تبكي وتقول: «بقية أصحاب رسول الله ﷺ»^(١).

٢- عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب المازني: (ت ١٧هـ)^(٢):

قال «الذهبي» في ترجمته: «السيد، الأمير، المجاهد، أبو غزوان المازني، حليف بني عبد شمس» من متقدمي الإسلام، فهو سابع سبعة في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم شهد بدرًا والمشاهد، وكان أحد الرماة المذكورين، ومن أمراء الغزاة، وهو الذي اختط البصرة وأنشأها^(٣).

فقد بعثه الفاروق لفتح الأبله فافتتحها، واستعمله أميراً على البصرة، فهو الذي مَصَّر البصرة واختطها، وكانت قبل تسمى الأبله، وبنى المسجد فيها بقصب، ولم يبن بها داراً^(٤).

وكان زاهداً معرضاً عن متاع الدنيا، وخطبته الشهيرة التي وعظ بها جيشه عند نزول البصرة تدل على ذلك، وقد جاء فيها: «فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء، يتصا بها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها...»^(٥).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٢٣.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٢٦-١٠٢٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٤٦١-٤٦٣؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء ١/٣٠٣-٣٠٦؛ ابن حجر: الإصابة ٤/٣٦٣-٣٦٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٣٠٤؛ ابن حجر: الإصابة ٤/٣٦٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٣٠٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٤٦١.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٦٧) ٤/٢٢٧٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٤٦٢-٤٦٣.

وفتح عتبة دَسْت ميسان^(١)، وغنم ما فيها، وسبي السبي من الحريم والأبناء^(٢).
وقد استأذن في القدوم على عمر فقدم المدينة، ثم إنه راجعه في إمارته، ومن ثم
اعتذر عن العودة للبصرة إلا أن عمر ألحَّ عليه بالرجوع ورده، وفي الطريق كانت وفاته،
حيث أصابه البطن^(٣)، وكانت وفاته سنة (١٧هـ)، فهو متقدم الوفاة، وقدم عتبة العراق
مع سعد سنة (١٤هـ)، فتكون مدة إقامته فيه (٣) سنوات.

٣- خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي: (ت ٢١هـ)^(٤):

قال «الذهبي» في ترجمته: «سيف الله - تعالى - وفارس الإسلام، وليث المشاهد،
السيد الإمام، الأمير الكبير، قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي، المخزومي، المكي،
وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث»^(٥).

أسلم في السنة الثامنة، وقدم على رسول الله ﷺ، هو وعمرو بن العاص، وعثمان
ابن طلحة بن أبي طلحة العبدري، فلما رآهم رسول الله ﷺ، قال لأصحابه: «رمتكم
مكة بأفلاذ كبدها»^(٦).

وشهد غزوة مؤتة، ولما استشهد القادة الثلاثة للجيش، زيد، وجعفر، وابن
رواحه، وبقي الجيش بلا أمير، أخذ خالد الراية وأمر نفسه، وحمل على العدو، فكان

(١) دَسْت ميسان: وهو طَسُوج من طَسَاسِيج دجلة. البكري: معجم ما استعجم ٢ / ٥٥١، والطسوج
عدة من القرى. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١ / ٣٧.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة ٣ / ٤٦٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣ / ٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢ / ٤٢٧ - ٤٣١؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١ / ٥٨٦ - ٥٨٩؛ الذهبي: سير
أعلام النبلاء ١ / ٣٦٦ - ٣٨٤؛ ابن حجر: الإصابة ٢ / ٢١٥ - ٢١٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ٣٦٦.

(٦) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١ / ٥٨٦.

النصر. وقال النبي ﷺ: «اللهم هو سيف من سيوفك فانصره»^(١)، وأخرج البخاري أنّ النبي ﷺ، قال: «أخذ الراية زيد، فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرّفان حتى أخذ سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»^(٢)، فيومئذ سمي خالد «سيف الله»، وشهد الفتح، وحنينًا، وكان على مقدمة رسول الله ﷺ، يوم حنين في بني سليم، فجرح خالد، فعاده رسول الله ﷺ، ونفث في جرحه فبرأ^(٣)، وتأمّر في أيام النبي ﷺ، وحارب أهل الردة، ومسيلمة، وغزا العراق، وانتصر في عدد من المعارك، وفتح بعض البلدان، ثم اخترق أرض السماوة وقطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وشهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهداء. ومناقبه غزيرة، أمره الصديق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق، فافتتحها هو وأبو عبيدة. عاش ستين سنة، وقتل جماعة من الأبطال، ومات على فراشه، فلا قرت أعين الجبناء^(٤).

وقد أوقف أذراعه وعتاده في سبيل الله، قال النبي ﷺ: «وأما خالد: فإنكم تظلمون خالدًا، قد احتبس أذراعه وأعتده في سبيل الله»^(٥).

قال عمرو بن العاص: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحدًا في حربته منذ أسلمنا^(٦).

(١) أحمد: المسند ٣٧/ ٢٤٥-٢٤٦؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٤١٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٦٦.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٧) ٥/ ٢٧، وغيره.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٤٢٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ٥٨٨.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ٥٨٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٦٦-٣٦٧.

(٥) أخرجه البخاري (١٤٦٨) ٢/ ١٢٢؛ مسلم (٩٨٣) ٢/ ٦٧٦.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٦٩؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ): مجمع

الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، (د. ط)، مكتبة القدسي - القاهرة، ١٤١٤هـ،

رقم (١٥٨٨٣)، ج ٩، ص ٣٥٠، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، والكبير ورجاله ثقات.

وقد أخذ خالد شعراً من ناصية النبي ﷺ فجعلها في قلنسوة فكان يلبسها في الحرب، قال خالد: «اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه، فابتدر الناس شعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر»^(١). وكان مضرب المثل في الشجاعة، ولقد اندق في يده يوم مؤتة تسعة أسياف، وما صبر في يده إلا صفيحة يمانية^(٢).

وقد سُغف قلب خالد بالجهاد وقاتل العدو حتى صار أحب إليه من كل متعة؛ حتى لو كانت عروساً تهدي أو غلاماً يبشر به، وهو القائل: «ما ليلة تهدي إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب، أو أبشر فيها بغلام بأحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبَح بها العدو»^(٣).

(١) أخرجه: أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثني التميمي (ت ٣٠٧هـ): مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، ط: الأولى، دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٤هـ، رقم (٧١٨٣)، ج ١٣، ص ١٣٨، وقال المحقق: رجاله ثقات غير أنه منقطع؛ الحاكم: المستدرک على الصحيحين ٣/٣٣٨، وقال الذهبي منقطع؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٥٨٨٢) ٩/٣٤٩، وقال: رواه الطبراني، وأبو يعلى بنحوه، ورجالهما رجال الصحيح، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري سمع من خالد أم لا؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/٥٨٨؛ البوصيري الموصلي، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠هـ): إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي، ط: الأولى، دار الوطن للنشر - الرياض، ١٤٢٠هـ، رقم (٦٨٣٢)، ج ٧، ص ٢٧١، وقال: رواه أبو يعلى بسند صحيح؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٣٧٤-٣٧٥؛ ابن حجر: الإصابة ٢/٢١٧، وتبرك الصحابة ﷺ بأثار النبي ﷺ من شربه، ووضوئه، وشعره، وعرقه، مشهور وثابت في حوادث كثيرة، كما في الحديثية، وحجة الوداع، وغيرها، وسيرد معنا شيء من ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٥)، (٤٢٦٦) ٥/١٤٤، وغيره.

(٣) أخرجه: أبو يعلى الموصلي: المسند (٧١٨٥) ١٣/١٤١، وقال المحقق: إسناده صحيح؛ الهيثمي: مجمع الزوائد (١٥٨٨٥) ٩/٣٥٠، وقال: رواه أبو يعلى، ورجال صحبه رجال الصحيح؛ ابن حجر: المطالب العالمة بزوائد المسانيد الثمانية، ط: الأولى، دار العاصمة - السعودية، ١٤١٩هـ، رقم (٤٠١٠)، ج ١٦، ص ٣١٦، انظر: ابن أبي شيبه: المصنف ٤/٢١٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٣٧٥.

لقد وجد خالد في الجهاد شغلاً، حتى منعه عن كثير من القراءة، حتى قال: «لقد منعتني كثيراً من القراءة الجهاد في سبيل الله»^(١).

ولما مات خالد، ولم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلما، فقال عمر: «رحم الله أبا سليمان، كان على ما ظنناه به»، وكانت وفاته بحمص سنة (٢١هـ)^(٢).

وقدم خالد العراق سنة (١٢هـ) وخرج للشام سنة (١٣هـ) فكانت مدة إقامته فيه سنة واحدة فقط.

٤ - المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: (ت ١٤هـ):^(٣)

قال «ابن حجر» في ترجمته: «وكان شهماً شجاعاً ميمون النقيبة، حسن الرأي، أبلى في حروب العراق بلاءً لم يبلغه أحد»^(٤).

وهو أحد الصحابة الكرام، ومن أوائل قادة فتوح العراق، كان إسلامه وقدمه على النبي ﷺ سنة تسع، ويقال سنة عشر، وبعثه أبو بكر في صدر خلافته إلى العراق^(٥)، ذلك أن منازل قومه بني شيبان على مشارف العراق، وكان يهاجم الفرس، «وكان المثنى كثير الإغارة على الفرس، فكانت الأخبار تأتي أبا بكر، فقال: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ فقال قيس بن عاصم: أما إنه غير حامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني. ثم قدم بعد ذلك على

(١) أخرجه: أبو يعلى الموصلي: المسند (٧١٨٨) ١٣/١٤٣، وقال المحقق: إسناده صحيح؛ الهيثمي: مجمع الزوائد (١٥٨٨٦) ٩/٣٥٠؛ ابن حجر: المطالب العلية (٤٠٠٩) ١٦/٣١٤؛ انظر: ابن أبي شيبة: المصنف ٤/٢١٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٣٧٥-٣٧٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٣٨٣.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٤٥٦-١٤٥٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٤/٢٨٣-٢٨٤؛ ابن حجر: الإصابة ٥/٥٦٨-٥٦٩.

(٤) ابن حجر: الإصابة ٥/٥٦٩.

(٥) ابن حجر: الإصابة ٥/٥٦٩.

أبي بكر فقال: ابعثني على قومي أقاتل بهم أهل فارس، وأكفيك أهل ناحيتي من العدو. ففعل أبو بكر، وأقام المثنى يغير على السواد^(١).

وكان عمر يسميه مؤمر نفسه^(٢)، وقد شهد المثنى مواقف مشهورة، وله أيام مذكورة، ولا سيما يوم البويب، قُتل فيه من الفرس وغرق بالفرات قريب من مائة ألف^(٣)، وكذا موقفه في معركة الجسر حيث ثبت عند الجسر حتى رُبط وعبر الناس، وكانت وفاته سنة (١٤ هـ) قبيل القادسية.

وبعد أن عرّفنا بالرواد الأوائل من قادة فتوح العراق من الصحابة ﷺ، نعرّف بأكثر الصحابة ﷺ أثرًا في الحياة العلميّة والاجتماعيّة في العراق.

١ - علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. أمير المؤمنين أبو الحسن القرشي الهاشمي (ت ٤٠ هـ)^(٤):

قال الذهبي في ترجمته: «روى الكثير عن النبي ﷺ، وعرض عليه القرآن وأقرأه»^(٥).

وهو من أصحاب المئين في رواية الحديث عن النبي ﷺ، ومسنده: (٥٨٦) حديثًا^(٦).

(١) ابن الأثير: أسد الغابة ٤/ ٢٨٤.

(٢) ابن حجر: الإصابة ٥/ ٥٦٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٦٠٢.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٠٨٩-١١٣٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/ ٥٨٨-٦٢٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط: الثانية، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٣ هـ، ج ٣، ص ٦٢١-٦٥٢، حيث ترجم الذهبي للخلفاء الراشدين فيه ولم يترجم لهم في سير أعلام النبلاء؛ ابن حجر: الإصابة ٤/ ٤٦٤-٤٦٨.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/ ٦٢٢.

(٦) بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٨٠.

وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ومن الخلفاء الراشدين المهديين، وفضائله كثيرة، فقد تربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، حيث تركه على المدينة، فقال علي: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي»^(١)، وزوجه ابنته فاطمة، ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٢)، ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي^(٣).

وفي حوار بين سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ) ومعاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ) في خلافته ذكر سعد ثلاث فضائل لعلي، قال سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: وخلف علياً في بعض مغازيه، فقال: يا رسول الله ﷺ أتخلفني مع النساء والصبيان! قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»^(٤)، وسمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فدفعها إليه، ففتح الله عليه^(٥)، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعاه رسول الله ﷺ، وفاطمة، وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(٦).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤) / ٤ / ١٨٧٠؛ والبخاري (٤٤١٦) / ٦ / ٣.

(٢) أخرجه الترمذي: السنن (٣٧٢٠) / ٥ / ٦٣٦، وقال: حسن غريب، وضعفه الألباني.

(٣) ابن حجر: الإصابة / ٤ / ٤٦٤.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام / ٣ / ٦٢٧؛ انظر: مسلم (٢٤٠٤) / ٤ / ١٨٧٠؛ الترمذي: السنن (٣٧٣١)

/ ٥ / ٦٤١، وقال: حسن صحيح.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام / ٣ / ٦٢٧؛ انظر: البخاري (٢٩٤٢) / ٤ / ٤٧؛ ومسلم (٢٤٠٤) / ٤ / ١٨٧١.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام / ٣ / ٦٢٧؛ مسلم (٢٤٠٤) / ٤ / ١٨٧١.

الفصل الأول

انتشار الصحابة في العراق

وجاء من طرق كثيرة، ومنها ما رواه سعيد بن وهب الهمداني الكوفي (ت ٨٦هـ) عن جماعة من الصحابة: أن النبي ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١).

وقال علي: إنه لعهد النبي الأُمي ﷺ إليَّ: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»^(٢). وقال أبو سعيد الخدري: «إنما كنا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم عليًا»^(٣)، وجاء نحوه عن جابر بن عبد الله^(٤).

وعليٌّ من علماء الصحابة الكبار ﷺ، ومن أئمة التفسير، وقد جاء عنه قوله: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، وعلى من نزلت، وإن ربي وهب لي قلبًا عقولًا، ولسانًا طلقًا»^(٥).

وقد شهر بالقضاء حتى قال فيه الفاروق: «عليٌّ أفضانا، وأبيُّ أقرؤنا»^(٦)، وقال: «أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن»^(٧)، وقال ابن مسعود: «كنا نتحدث أن أفضى أهل المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(٨).

(١) أحمد: المسند (٢٣١٠٧) ٣٨/١٩٣، وقال المحقق: إسناده صحيح؛ الترمذي: السنن (٣٧١٣) ٥/٦٣٣، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٢٩، وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٧٨) ١/٨٦؛ الترمذي: السنن (٣٧٣٦) ٥/٦٤٣، وقال: حسن صحيح؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٤.

(٣) أحمد: فضائل الصحابة ٢/٥٧٩؛ الترمذي: السنن (٣٧١٧) ٥/٦٣٤؛ وقال: حديث غريب؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٤.

(٤) أحمد: فضائل الصحابة ٢/٦٣٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٣٨؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٦٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٣٩؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٦٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٨.

(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٨؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٣٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٢-١١٠٣.

(٨) الحاكم: المستدرک ٤٦٥٦، ٤/١٤٥ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٣٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٨.

كما شهر بالفقه والفتيا قال ابن عباس: «إذا حدثنا ثقة بفتيا عن عليٍّ لم نعدوها»^(١)، وذكر عند عائشة صوم عاشوراء، فقالت: «من يأمركم بصومه؟ قالوا: عليٌّ قالت: أما إنه أعلم من بقي بالسنة»^(٢).

وأخبر النبي ﷺ عنه أنه يقاتل على تأويل القرآن، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه، سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل، وكان أعطى عليًّا نعله يخصفها». قال الذهبي: فقاتل الخوارج الذين أولوا القرآن برأيهم وجهلهم^(٣).

وقدم عليٌّ الكوفة سنة (٣٦هـ) وأقام فيها حتى استشهد سنة (٤٠هـ)، فتكون مدة إقامته في العراق خمس سنين.

٢- عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي (ت ٣٢هـ)^(٤):

قال «الذهبي» في ترجمته: «الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبدالرحمن الهذلي، المكي، المهاجري، البدري، حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة،

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٣٨؛ وعند الذهبي «لم تتجاوزها». تاريخ الإسلام ٣/٦٣٨.
 (٢) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٤٠٧-٤٠٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٣٨.
 (٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٦٤٢-٦٤٣؛ أحمد: المسند (١١٧٧٣) ١٨/٢٩٦، وقال المحقق حديث صحيح؛ النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ): السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١هـ، رقم (٨٤٨٨)، ج ٧، ص ٤٦٦؛ الحاكم: المستدرک (٤٦٢١) ٣/١٣٢، وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٨٧-٩٩٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٢٨٠-٢٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٦١-٤٩٣؛ ابن حجر: الإصابة ٤/١٩٨-٢٠١.

روى علماً كثيراً^(١).

وهو أكثر الصحابة في العراق فهو إمام أهل الكوفة وفقه العراق، وهو من متقدمي الإسلام حيث يقول عن نفسه: «لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا»^(٢)، ويقول: «قلت: يا رسول الله! علمني من هذا القول، فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله، إنك غُلِّمَ مُعَلِّمٌ»^(٣)، ويقول عبد الله: «والذي لا إله غيره، لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته»^(٤)، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ^(٥).

وهو من أصحاب المئين في رواية الحديث عن النبي ﷺ، ومسنده: (٨٤٨) حديثاً^(٦).

ومن ثناء رسول الله ﷺ عليه أنه مر به وهو قائم يصلي، فافتتح سورة النساء يسجلها. فقال ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد». فأخذ عبد الله في الدعاء، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سل تعط»^(٧).

وبلغ من مكانته عند النبي ﷺ أن يدخل عليه بلا إذن حيث قال له: «إذنك علي أن يرفع الحجاب، وأن تستمع سوادي، حتى أنهاك»^(٨).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٤؛ وانظر: الحاكم: المستدرک (٥٣٦٨) ٣/ ٣٥٤، وصححه.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٥.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧١؛ وأصله عند البخاري (٥٠٠٢) ٦/ ١٨٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٦، ابن حجر: الإصابة ٦/ ٢١٥.

(٦) بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٨٠.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٥، سجلها: أي قرأها قراءة متصلة. ابن الأثير: النهاية ٢/ ٣٤٤؛ وانظر: أحمد: المسند (٤٢٥٥) ٧/ ٢٨٧، وفيه فسحها: أي قرأها كلها قراءة متتابعة متصلة. ابن الأثير: النهاية ٢/ ٣٤٨.

(٨) أخرجه مسلم (٢١٦٩) ٤/ ١٧٠٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٨، والسواد: السرار وقيل المحادثة.

و حين ضحك الصحابة في لدقة ساقى ابن مسعود لما صعد الشجرة، قال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون؟ لرجل عبد الله أنقل في الميزان يوم القيامة من أحد»^(١).

وبلغ من شأنه أن أمر النبي ﷺ بالتمسك بعهدده، قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»^(٢) وقال رسول الله ﷺ: «قد رضيت لكم ما رضي لكم ابن أم عبد»^(٣).

وقد طلب منه النبي ﷺ أن يقرأ عليه القرآن، فعن عبدالله، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن. قال: فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري. فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل»^(٤).

وهذا عبدالله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ)، يذكر حبه لابن مسعود بعد سماعه مقولة الرسول ﷺ فيه، فعن مسروق بن الأجدع الكوفي (ت ٦٣هـ)، قال: ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه، بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «استقرئوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود -فبدأ به-، وسالم، مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»، قال: لا أدري بدأ بأبي، أو بمعاذ بن جبل^(٥).

(١) أحمد: المسند (٩٢٠) ٢/٢٤٣-٢٤٤، (٣٩٩١) ٧/٩٨-٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٧٧-٤٧٨.

(٢) الترمذي: السنن (٣٨١٠) ٥/٦٧٢؛ أحمد: المسند (٢٣٣٨٦) ٣٨/٣٩٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٧٨.

(٣) الحاكم: المستدرک (٥٣٩٤) ٣/٣٦٠، وصححه؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٧٩، وابن أم عبد هو ابن مسعود.

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٠) ١/٥٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٨٠.

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٥٨) ٥/٢٧؛ مسلم (٢٤٦٤) ٤/١٩١٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٨٦.

الفصل الأول

انتشار الصحابة ﷺ في العراق

وهو صاحب السواد والوساد، فقد «كان ابن مسعود صاحب سواد رسول الله ﷺ - يعني سره - ووساده - يعني فراشه - وسواكه، ونعليه، وطهوره، وهذا يكون في السفر»^(١)، وجاء عند البخاري، قال أبو الدرداء لعلقمة بن قيس الكوفي (ت ٦٢هـ): «ممن أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال: أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد، والمطهرة»^(٢).

وكان القادم للمدينة يظن أنّ ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي ﷺ، يقول أبو موسى الأشعري (ت ٤٤هـ): «قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً، ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ»^(٣).

وهو أشبه الناس هدياً وسمتاً ودلاً برسول الله ﷺ، يقول عبدالرحمن بن يزيد الكوفي: «قلنا لحذيفة: أخبرنا برجل قريب السميت والدل برسول الله ﷺ، حتى نلزمه. قال: ما أعلم أحداً أقرب سميتاً ولا هدياً ولا دلاً من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد. ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفة»^(٤)، ونقل نحوه عن أبي وائل عن حذيفة^(٥).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٦٩؛ البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، ط: الأولى، دار الفكر - بيروت، ١٤١٧هـ ج ١١، ص ٢١٧، وهو من قول «عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود المدني» (ت ٩٨هـ)؛ وانظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٢) ٥/٢٥.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٣) ٥/٢٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٦٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٨٤؛ وأصله في البخاري (٣٧٦٢) ٥/٢٨؛ الترمذي: السنن (٣٨٠٧) ٥/٦٧٣؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٤٠-٥٤١، وعبدالرحمن هو أبو الأسود الكوفي، توفي في حدود التسعين.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٧٠، أبو وائل شقيق بن سلمة الكوفي (ت ٨٢هـ).

وكان من أعلم الناس بكتاب الله تعالى، يقول أبو مسعود الأنصاري: «ما أعلم رسول الله ﷺ ترك بعده أعلم بما أنزل الله من هذا القائم، فقال أبو موسى: أما لئن قلت ذلك، لقد كان يشهد إذا غبنا، ويؤذن له إذا حجبتنا»^(١).

وقال أبو الأحوص الكوفي: «شهدت أبا موسى وأبا مسعود، حين مات ابن مسعود، فقال أحدهما لصاحبه: أترأه ترك بعده مثله؟ فقال: إن قلت ذلك، إن كان ليؤذن له إذا حجبتنا، ويشهد إذا غبنا»^(٢).

وحين بلغ الفاروق (ت ٢٣هـ) أن رجلاً بالكوفة يملئ المصاحف عن ظهر قلب غضب وانتفخ، ولما علم أنه ابن مسعود سكن وذكر أنه ليس ثمة من هو أحق منه بذلك، ثم حدثت مخبره فذكر خبر سماع رسول الله ﷺ لقراءة ابن مسعود سابقة الذكر^(٣).

وأثنى عمر على علم ابن مسعود، قال زيد بن وهب الجهني الكوفي (ت ٨٣هـ): «إني لجالس مع عمر بن الخطاب، إذ جاء ابن مسعود، فكاد الجلوس يوارونه من قصره، فضحك عمر حين رآه. فجعل عمر يكلمه، ويتهلل وجهه، ويضحكه، وهو قائم عليه، ثم ولى، فأتبعه عمر بصره حتى توارى، فقال: كُنَيْفٌ^(٤) ملئ علمًا»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٦١) ٤/١٩١٢؛ انظر: الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٤١-٥٤٤؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء ١/٤٧١، من رواية أبي الأحوص عوف بن مالك الكوفي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦١) ٤/١٩١٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٦٧-٤٦٨.

(٣) أحمد: المسند (١٧٥) ١/٣٠٨-٣٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٧٥-٤٧٦.

(٤) وهو وعاء طويل يكون فيه متاع التجار وأسقاطهم، ومنه قول عمر في عبدالله... أي أنه وعاء للعلم بمنزلة الوعاء الذي يضع الرجل فيه أدواته، وتصغيره على جهة المدح له وهو تصغير تعظيم لکنف، شبه عمر قلب ابن مسعود بکنف الراعي لأن فيه مبراته ومقصه وشفرته ففيه كل ما يريد، هكذا قلب ابن مسعود قد جمع فيه كل ما يحتاج إليه الناس من العلوم، وقيل الکنف وعاء يجعل فيه الصانغ أدواته، وقيل الکنف الوعاء الذي يکنف ما جعل فيه أي يحفظه. ابن منظور: لسان العرب ٩/٣٠٨، مادة: کنف.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٩١؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٥٦؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٤٣.

وقال عمر: «لقد آثرت أهل الكوفة بآبن أم عبد علي نفسي إنه من أطولنا فوقاً،^(١) كُنَيْفٌ ملءُ علمًا»^(٢).

ويصفه علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، بالفقه في الدين والعلم بالسنة، يقول حبة بن جوين العرني (ت ٧٦هـ): «لما قدم علي الكوفة أتاه نفر من أصحاب عبد الله، فسألهم عنه حتى رأوا أنه يمتحنهم، فقال: وأنا أقول فيه مثل الذي قالوا وأفضل، قرأ القرآن، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة»^(٣).

ويثني عليُّ على علم ابن مسعود ويبين منزلته ومكانته، قال حبة بن جوين: «كنا عند علي، فذكرنا بعض قول عبد الله، وأثنى القوم عليه، فقالوا يا أمير المؤمنين: ما رأينا رجلاً كان أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسة، ولا أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود فقال علي: نشدتكُم الله، إنه لصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم إني أشهدك اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل»^(٤).

واستفتي أبو موسى الأشعري (ت ٤٤هـ) في شيء من الفرائض، فغلط، وخالفه ابن مسعود، فقال أبو موسى: «لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم»^(٥).
ويبين أبو موسى الأشعري استفادته من مجالس ابن مسعود في العراق فيقول: «مجلس كنت أجالسه ابن مسعود، أوثق في نفسي من عمل سنة»^(٦).

(١) وأعلامهم فوقاً أي أكثرهم حظاً ونصيباً من الدين، وهو مستعار من فوق السهم موضع الوتر منه. ابن منظور: لسان العرب ١٠/٣١٥، مادة: فوق.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩/٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٩٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٥٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٥٦.

(٥) أحمد: المسند (٤٤٢٠) ٧/٤٢٥-٤٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٩٢-٤٩٣.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٩٣؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٤٥.

أثر الصحابة ؓ في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ؓ

ويقول إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ): «كان عبدالله لطيفًا، فطنًا، وقال الذهبي: كان معدودًا في أذكىاء العلماء»^(١).

ومما يدل على أثره العلمي الكبير ثناؤه على أصحابه وهو يوصيهم عائداً إلى المدينة، «لما أراد عبدالله أن يأتي المدينة، جمع أصحابه، فقال: والله إنني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقهاء والعلم بالقرآن»، ثم بين لهم أن القرآن أنزل على حروف وأوصاهم بعدم الاختلاف على قراءة القرآن^(٢).

ويعدُّ «ابن مسعود»، أكثر الصحابة ؓ أثرًا في العراق، وكان قدومه للكوفة سنة (٢١هـ) حين بعثه عمر إليها ليكون على بيت مالها ويتولى قضاءها^(٣).

وكان رجوعه إلى المدينة حين طلبه «عثمان» سنة (٣٢هـ)، فكانت مدة إقامته في العراق أحد عشر (١١) عامًا، ذلك، «أن مهاجر عبدالله بن مسعود كان بحمص، فحدره عمر إلى الكوفة، وكتب إليهم: إنني والله الذي لا إله إلا هو آثرتكم به على نفسي، فخذوا منه»^(٤).

ويبين عمر منزلة ابن مسعود وعمار حين بعثهما إلى العراق في كتابه إليهم وأنهما من نجباء الصحابة ؓ، فعن حارثة بن مضرب العبدي الكوفي قال: قرئ علينا كتاب عمر بن الخطاب: أما بعد، فإني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرًا، وابن مسعود معلمًا ووزيرًا، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم، وإنهما لمن النجباء من أصحاب

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٢.

(٢) أحمد: المسند (٣٨٤٥) ٦/ ٣٩٥-٣٩٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٨٩.

(٣) انظر: خليفة بن خياط: التاريخ ١٤٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٣٩، ١٤٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ١٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩١.

محمد من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما، وقد آثرتم بآبائنا أم عبد على نفسي»^(١).

هذا وصار ابن مسعود أميراً على الكوفة من قبل عثمان بن عفان^(٢).

ويبين «ابن تيمية» (ت ٧٢٨هـ) فضائله، وأنه من الطبقة الأولى من علماء الصحابة ﷺ فيقول: «ابن مسعود - رضي الله عنه - من أجلاء الصحابة ﷺ وأكابرهم»، ثم يورد بعض الآثار التي أشرنا إليها في فضائله، ثم يقول: «وابن مسعود في العلم من طبقة عمر وعليّ وأبيّ ومعاذ. وهو من الطبقة الأولى من علماء الصحابة ﷺ»^(٣).

ويعلل أحد الباحثين اختيار الخليفة «عمر بن الخطاب» لابن مسعود ليكون معلماً وقاضياً لأهل العراق، فيقول: «والعراق ذات حضارة عريقة وثقافة، تعانقت فيها حضارة البابليين والآشوريين والكلدانيين والفرس واليونان، وأصبح عمر بن الخطاب بحاجة إلى شخص جمع الذكاء إلى العلم، يلقي به في خضم هذا المد الحضاري في العراق ليتمكن للحضارة الإسلامية في تلك الأرض، ولتجد مكانها بين الحضارات الأخرى فيها، فلم يجد لهذه المهمة أكفأ من عبدالله بن مسعود فبعثه إلى العراق معلماً وقاضياً وخازناً لبيت مال المسلمين»^(٤).

ويضاف إلى ذلك أن مجتمع العراق بمكوناته العربية والأعجمية بحاجة إلى عالم فقيه كابن مسعود الذي تربى على نهج النبي ﷺ وعاشه ورأى آثاره.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٢٥٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٢١ - ٤٢٢؛ انظر: الطبري:

تاريخ الرسل والملوك ٤/١٣٩، ١٤٥.

(٢) ابن حجر: الإصابة ٤/٣٢٠١.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/٥٣٠ - ٥٣١.

(٤) محمد رواس قلجعي. «بين فقيهن». مجلة البحوث الإسلامية (الرئاسة العامة لإدارات البحوث

العلمية والإفتاء). الرياض، ع ٦ (ربيع الثاني، وجمادى الأولى، والثانية، ١٤٠٢هـ). ص ٢٠٥.

وقد أفاد من علم ابن مسعود، فثام^(١) كثير من الناس من العراقيين وغيرهم، ظهر هذا في كثرة أصحابه وتلاميذه، وفي كثرة ثنائهم عليه وبيان أثره فيهم.

قال أبو وائل الكوفي (ت ٨٢هـ): «ما أعدل بابن مسعود أحدًا»^(٢). وقال الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «ما دخل الكوفة أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أنفع علمًا ولا أفاقه صاحبًا من ابن مسعود»^(٣).

٣- أبو موسى الأشعري، عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب (ت ٤٤هـ)^(٤):

قال «الذهبي» في ترجمة أبي موسى: هو «الإمام الكبير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو موسى الأشعري، الفقيه، المقرئ، وهو معدود فيمن قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، أقرأ أهل البصرة، وفقههم في الدين»^(٥).

وهو من أكثر الصحابة رضي الله عنهم أثرًا في العراق فهو إمام أهل البصرة ومقرؤها. وهو من أصحاب المئين في رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومسنده: (٣٦٠) حديثًا^(٦).

وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا»^(٧).

(١) الفثام: الجماعة الكثيرة. ابن منظور: لسان العرب ١٢/٤٤٨، مادة: فأم.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٩٤، وهو: شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٤٩٤؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٣/١٥٨.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٧٦٢-١٧٦٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٢٦٣-٢٦٥؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء ٢/٣٨٠-٣٩٦؛ ابن حجر: الإصابة ٤/١٨١-١٨٣.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٠-٣٨١.

(٦) بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٨١.

(٧) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ٥/١٥٦؛ ومسلم (٢٤٩٨) ٤/١٩٤٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء

٢/٣٨١.

ووقع له التبرك بالماء من رسول الله ﷺ مع بلال، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا»، ففعلا! (١).

وجاهد مع النبي ﷺ وحمل عنه علماً كثيراً، واستعمله النبي ﷺ ومعاًداً على زبيد (٢)، وعدن (٣)، وولي إمرة الكوفة، وكذا البصرة لعمر (٤).

وقد أثنى عليه النبي ﷺ بأنه مؤمن منيب، وهو حسن الصوت بالقرآن، يقول بريدة ابن الحصيبي الأسلمي (ت ٦٣هـ): «خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: يا بريدة، أترأه يرائي؟. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزاراً من مزامير آل داود. فأتيته، فإذا هو أبو موسى؛ فأخبرته» (٥).

ويروي أنس بن مالك (ت ٩٣هـ): «أن أبا موسى قرأ ليلة، فقمنا أزواج النبي ﷺ يستمعن لقراءته. فلما أصبح، أخبر بذلك، فقال: لو علمت، لحببت تحبيراً، ولشوقت تشويقاً» (٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٨) ٥/١٥٧؛ ومسلم (٢٤٩٧) ٤/١٩٤٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٨٥-٣٨٦/٢.

(٢) زبيد: بالفتح، ثم الكسر، مدينة مشهورة باليمن، وبيزائها ساحل المنذب، ولي الرسول ﷺ عليها أبا موسى الأشعري. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط: الأولى، دار الجليل - بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٢، ص ٦٥٨، محمد حسن شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، ط: الأولى، دار القلم - دمشق، ١٤١١هـ، ص ١٨٧.

(٣) عدن: بالتحريك، مدينة على خليج عدن قرب باب المنذب، ميناء اليمن ومن أكبر مدنها. محمد حسن شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة ١٨٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٨١-٣٨٢/٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٨٦/٢؛ أحمد: المسند (٢٢٩٥٢) ٣٨/٤٥-٤٦، وقال المحقق: إسناده صحيح؛ البغوي: شرح السنة ٣٧/٥، وبريدة سكن البصرة وخرج منها غازياً إلى خراسان فمات بمرو.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٨٨/٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٤٤، ٤/١٠٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف ١١٩/٦.

وفي رواية عن أنس: «قدمنا البصرة مع أبي موسى، فقام من الليل يتهدج، فلما أصبح، قيل له: أصلح الله الأمير! لو رأيت إلى نسوتك وقربتك وهم يستمعون لقراءتك!

فقال: لو علمت، لزينت كتاب الله بصوتي، ولحبرته تحبيراً»^(١).

ويثني أبو عثمان النهدي على صوت أبي موسى فيقول: ما سمعت مزماراً ولا طنبوراً ولا صنجاً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري؛ إن كان ليصلي بنا فنودّ أنه قرأ البقرة من حسن صوته^(٢).

وقد أقرأ أهل البصرة وفقههم، ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتاً منه^(٣). فهو من علماء الصحابة وفقهائهم، فقد سئل عليٌّ عن أبي موسى فقال: «صبغ في العلم صبغة، ثم خرج منه»^(٤).

والأسود بن يزيد الكوفي (ت ٧٥هـ)، يبين علم أبي موسى ويقرنه بعليٍّ فيقول: «لم أر بالكوفة أعلم من علي، وأبي موسى»^(٥)، وهذا بعد وفاة ابن مسعود، وقدوم عليٍّ وأبي موسى للكوفة.

وكذا الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ)، حيث يقول: «يؤخذ العلم عن ستة: عمر، وعبدالله، وزيد، يشبه علمهم بعضه بعضاً، وكان عليٌّ، وأبي، وأبو موسى يشبه علمهم

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩٢؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٥٨، وأبو عثمان هو عبدالرحمن بن مل النهدي القضاعي البصري (ت ٩٥هـ).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٣؛ ابن حجر: الإصابة.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٨؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٤٠.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٨؛ تذكرة الحفاظ، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٩هـ، ج ١، ص ٢٢؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٢/ ٦٣.

بعضه بعضاً، يقتبس بعضهم من بعض»^(١).

وهو من قضاة الصحابة ﷺ، قال مسروق الكوفي (ت ٦٣هـ): «كان القضاء في الصحابة ﷺ إلى ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وزيد، وأبي موسى». وفي رواية الفتيا^(٢).

وجاء عن الشعبي قوله: «قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد، وأبو موسى»^(٣).

وقد أفاد أهل البصرة من علمه حتى قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «ما قدم البصرة راكب خير لأهلها من أبي موسى الأشعري»^(٤).

وكان صاحب نُسك وزهد قال الذهبي: «قد كان أبو موسى صواماً، قواماً، ربانياً، زاهداً، عابداً، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة، ولا اغتر بالدنيا»^(٥).

وقدم «أبو موسى» العراق واليًا على البصرة بعد عزل عمر للمغيرة عنها سنة (١٧هـ)^(٦).

وبقي في العراق بين البصرة والكوفة حتى السنة التي توفي فيها وهي سنة (٤٤هـ)

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٨؛ الحاكم: المستدرک (٥٨٠٦) ٣/٤٨٣؛ ابن عساکر: تاریخ مدينة دمشق ٣٣/٦٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٨؛ ابن عساکر: تاریخ مدينة دمشق ٣٢/٦٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٨؛ ونقل ذلك عن ابن المدینی. ابن عساکر: تاریخ مدينة دمشق ٣٢/٦٥.

(٤) الحاكم: المستدرک (٥٩٦٢) ٣/٥٢٨، وقال الذهبي على شرط مسلم؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٩٦.

(٦) الطبري: تاریخ الرسل والملوک ٤/٧٠-٧١.

كما رجَّح ذلك الذهبي^(١)، فتكون مدة إقامته في العراق سبعا وعشرين (٢٧) سنة.

٤- حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي اليماني (ت ٣٦)، أبو عبدالله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين:^(٢)

قال «الذهبي» في ترجمة حذيفة: «من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب السر»^(٣).

وكان النبي ﷺ قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، وقد ناشده عمر: أنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحداً بعدك، وهو الذي ندبه رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو، وعلى يده فتح الدينور عنوة^(٤).

وسئل عليٌّ عن حذيفة، فقال: «علم المنافقين، وسأل عن المعضلات؛ فإن تسألوه، تجدوه بها عالماً»^(٥).

وكان قدوم حذيفة للعراق سنة (١٤هـ) إذ كان في جيش سعد، وشارك في فتوح العراق، وشارك في اختيار موقع الكوفة مع سلمان الفارسي بناء على طلب عمر^(٦)، وولاه الفاروق خراج السواد كما جاء في كتاب عمر إلى أهل الكوفة: «ووليت حذيفة

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩٨.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٣٣٤-٣٣٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ٤٦٨-٤٧٠؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء ٢/ ٣٦١-٣٦٩؛ ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٩-٤٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦١؛ ابن حجر: الإصابة ٢/ ٤٠.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٤.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٣.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤١.

ابن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها»^(١)، كما ولاه على المدائن، قال ابن سيرين: كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميرًا كتب إليهم: «إني قد بعثت إليكم فلانًا وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا، فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلانًا فأطيعوه، فقالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليلتقوه»^(٢)، ولم يزل بالمدائن حتى مات بعد قتل عثمان، بأربعين يومًا^(٣)، وكانت وفاته سنة (٣٦هـ)، فتكون مدة إقامته في العراق اثنتين وعشرين (٢٢) سنة، وكان يأتي الكوفة كثيرًا، قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا إسحاق يقول: كان حذيفة يجيء كل جمعة من المدائن إلى الكوفة. فقلت له: يمكن هذا؟ قال: كانت له بغلة فارهة^(٤).

٥- عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي (ت ٥٢هـ)^(٥):

قال «الذهبي» في ترجمة عمران هو: «القدوة، الإمام، صاحب رسول الله ﷺ، أبو نجيد الخزاعي»^(٦).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٣٩.

(٢) معمر بن راشد، معمر بن راشد الأزدي مولاهم، البصري (ت ١٥٣هـ): الجامع (ملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: الثانية، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ، ج ١٠، ص ٤٣٠؛ الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ١٧٣-١٧٤؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥/ ١٠٥.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ١٧٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٣١٧؛ العجلي، أحمد بن عبدالله العجلي الكوفي (ت ٢٦١هـ): تاريخ الثقات، ط: الأولى، دار الباز، ١٤٠٥هـ، ص ١١١؛ ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٦؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٢/ ٢٩٤.

(٥) ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٢٠٨-١٢٠٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/ ٧٧٨-٧٧٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠٨-٥١٢؛ ابن حجر: الإصابة ٤/ ٥٨٤-٥٨٦.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠٨.

ولي قضاء البصرة، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم؛ وأفاد منه أهل البصرة كثيراً حتى إن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) يقول في ذلك: «ما قدم عليهم البصرة خير لهم من عمران بن حصين»^(١).

ونحوه عن محمد بن سيرين البصري (ت ١١٠هـ)، حيث قال: «ما قدم البصرة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفضل على عمران بن حصين»^(٢). وكانت الملائكة تسلم عليه^(٣)، وكان ممن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي، وكان يدعو للعزلة^(٤).

وكان قد قدم البصرة مع أبي موسى^(٥)، حيث جاء أن أبا موسى قدم البصرة «وأبعده عمر بن الخطاب بعمران بن حصين الخزاعي وصيره على تعليم الناس الفقه والقرآن، وخلافة أبي موسى إذا شخص عن البصرة، فسار أبو موسى إلى الأهواز...»^(٦)، وأن قدومه كان في سنة (١٧هـ)^(٧).

وقد بقي في العراق حتى وفاته في البصرة سنة (٥٢هـ)، فتكون إقامته في العراق وبحسب رواية البلاذري خمساً وثلاثين (٣٥) سنة - على الأقل -.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٨؛ ابن حجر: الإصابة ٤/٥٨٥.

(٢) البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى (١٣٩) ١٥٨؛ الحاكم: المستدرک (٥٩٩١) ٣/٥٣٦؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، (د. ط.)، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢١هـ، ج ١، ص ٢٦٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٩.

(٣) مسلم (١٢٢٦) ٢/٨٩٩؛ أحمد: المسند (٩٨٤١) ٣٣/٧٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٩.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٧١.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٦.

(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/١٦٦.

٦- سلمان الفارسي، «هو سلمان ابن الإسلام، أبو عبدالله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام (ت ٣٥ هـ)»^(١).

قال «الذهبي» في ترجمة سلمان: «صحب النبي ﷺ وخدمه، وحدث عنه، وكان ليبيًا، حازمًا، من عقلاء الرجال، وعبادهم، ونبلائهم»^(٢).

وسلمان من أوعية العلم وقصته مع أبي الدرداء تدل على ذلك، حتى قال رسول الله ﷺ: «لقد أشبع سلمان علمًا»^(٣)، وفي رواية: «ثكلت سلمان أمه، لقد اتسع من العلم»^(٤).

وقال النبي ﷺ لأبي الدرداء: يا عويمر! سلمان أعلم منك، لا تخص ليلة الجمعة بقيام، ولا يومها بصيام»^(٥).

وقال النبي ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا، لذهب به رجل من فارس - أو قال - من أبناء فارس حتى يتناوله»^(٦).

وعن قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧ هـ)، في قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ كَتَبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، قال: سلمان، وعبدالله بن سلام^(٧).

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٦٣٤-٦٣٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٢/ ٢٦٥-٢٦٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥-٥٥٨؛ ابن حجر: الإصابة ٣/ ١١٨-١٢٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٨٤، ٨٥؛ وورد: «لقد أوتي سلمان من العلم». أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ١٨٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٤٢؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ٣٩٥؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٢١/ ٤١٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٤٣؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٨٥؛ عبد الرزاق: المصنف ٤/ ٢٧٩.

(٦) مسلم (٢٥٤٦) ٤/ ١٩٧٢؛ أحمد: المسند (٨٠٨١) ١٣/ ٤٤٤-٤٤٥.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٤٢؛ الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ ج ١٦، ص ٥٠٣.

وسئل عليُّ عن سلمان، فقال: أوتي العلم الأول والعلم الآخر، لا يدرك ما عنده^(١).
وعن يزيد بن عميرة الشامي، قال: «لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له: يا أبا عبد الرحمن، أوصنا، قال: أجلسوني، فقال: إن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدتهما، يقول ذلك ثلاث مرات، والتمسوا العلم عند أربعة رهط، عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام»^(٢).
وحيث إن وفاته سنة (٣٥هـ)، وشارك في فتح المدائن، كما جاء عند الطبري، «أفحم سعد الناس - وكان الذي يساير سعدًا في الماء سلمان الفارسي -»^(٣)، فعليه يكون موجودًا في العراق سنة (١٥هـ)، ومدة إقامته فيه إحدى وعشرون سنة. (٢١)

٧ - البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الحارثي (ت ٧٢هـ)^(٤):

قال «الذهبي» في ترجمة البراء: «الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري، الحارثي، المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة رضي الله عنهم، روى حديثًا كثيرًا، وشهد غزوات كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم»^(٥).

وهو من أصحاب المئين في رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومسنده: (٥٨٦) حديثًا^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/٨٥، ٢/٣٤٦؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٦/٣٩٥؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٨٧.

(٢) الترمذي: السنن (٣٨٠٤) ٥/٦٧١، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني؛ النسائي: السنن الكبرى (٨١٩٦) ٧/٣٥٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٥٤٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١١.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/١٥٥-١٥٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/٢٠٥-٢٠٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/١٩٤-؛ ابن حجر: الإصابة ١/٤١١-٤١٢.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/١٩٤-١٩٥.

(٦) بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٨١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/١٩٦.

الفصل الأول

انتشار الصحابة في العراق

وهو ممن استصغروهم النبي ﷺ في بدر فرددهم فلم يشهدوها، وغزا مع رسول الله ﷺ (١٤) غزوة، وقيل (١٥) غزوة^(١)، وشهد غزوة تستر مع أبي موسى سنة (١٧هـ)^(٢)، ونزل الكوفة وابتنى بها دارًا، ومات في إمارة مصعب ابن الزبير^(٣).

وهو ممن قدم الكوفة مع «عمار» سنة (١٥هـ)، ووفاته في سنة (٧٢هـ)، ومدة إقامته في العراق سبع وخمسون (٥٧) سنة.

٨ - أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري النجاري (ت ٩٣هـ)^(٤):

قال «الذهبي» في ترجمة أنس: «الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وآخر أصحابه موتًا، روى عن النبي ﷺ علمًا جمًّا»^(٥).

وهو من أكثر الصحابة في العراق فهو محدث البصرة، بل العراق.

وقد صحب أنس نبيه ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وباع تحت الشجرة^(٦)، وكان عنده عصية لرسول الله ﷺ فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبه وقميصه^(٧).

(١) ابن حجر: الإصابة ١/ ٤١١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٧٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ٢٠٥.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٥٦؛ ابن حجر: الإصابة ١/ ٤١٢.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٠٩-١١١؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ١٥١-١٥٢؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٥-٤٠٦؛ ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٧٥-٢٧٨.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٦.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٧.

(٧) ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ١٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٩/ ٣٧٨.

أثر الصحابة في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

وقد دعا له النبي ﷺ، وذلك حين جاءت أم سليم للنبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس ابني، أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: اللهم أكثر ماله وولده. قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو من مئة اليوم^(١).

وعن أنس، قال: «دعا لي رسول الله ﷺ فقال: اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته. فالله أكثر مالي، حتى إن كرمًا لي لتحمل في السنة مرتين، وولد لصلبي مئة وستة»^(٢).

وفي رواية أخرى قال أنس: فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به، ثم قال: «اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له فيه». قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثني ابنتي أمينة: أنه دفن لصلبي إلى مقدم حجاج البصرة تسعة وعشرون ومئة»^(٣).

وقال ثابت بن أسلم البناني البصري (ت ١٢٧هـ): «جاء قيّم أرض أنس، فقال: عطشت أرضوك. فتردى أنس، ثم خرج إلى البرية، ثم صلى، ودعا، فثارت سحابة، وغشيت أرضه، ومطرت، حتى ملأت صهريجه، وذلك في الصيف، فأرسل بعض أهله، فقال: انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تعد أرضه إلا يسيراً»^(٤).

وكانت صلواته شبيهة بصلاة النبي ﷺ، قال أبو هريرة: «ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعني: أنسًا»^(٥).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٨؛ وانظر: مسلم (٢٤٨١) ٤/١٩٢٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٩؛ البخاري: الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: الثالثة، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٠٩هـ، ص ٦٥٣.
(٣) أخرجه البخاري (١٩٨٢) ٣/٤١؛ أحمد: المسند (١٢٠٥٣) ١٩/١٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٠، وقال: هذه كرامة بيّنة ثبتت بإسنادين. ٣/٤٠١؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢١؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٩/٣٦٥؛ ابن حجر: الإصابة ١/٢٧٧.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٠؛ ابن حجر: الإصابة ١/٢٧٧.

وأرسله الصديق ليأخذ الزكاة من أهل البحرين، إذ «أن أبا بكر الصديق بعث إلى أنس ليوجهه على البحرين ساعياً. فدخل عليه عمر، فقال: إني أردت أن أبعث هذا على البحرين، وهو فتى شاب. قال: ابعثه، فإنه لبيب كاتب. فبعثه، فلما قبض أبو بكر، قدم أنس على عمر، فقال: هات ما جئت به. قال: يا أمير المؤمنين، البيعة أولاً. فبسط يده»^(١).

وربما نقل بعض العلم في خاصة أحوال النبي ﷺ لقربه منه. ومن ذلك: «أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد»^(٢).

وهو من المكثرين للرواية والتحديث عن النبي ﷺ، فهو من أصحاب الألف، ومسنده يحوي: (٢٢٨٦) حديثاً^(٣).

وروى عنه خلق كثير، وذكر صاحب «التهذيب» نحو مئتي نفس من الرواة عن أنس، وبقي أصحابه الثقات إلى بعد الخمسين ومئة^(٤).

وقد رأى النبي ﷺ كثيراً في منامه، قال المثنى بن سعيد: «سمعت أنساً يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي. ثم يبكي»^(٥).

وقدم البصرة مع أبي موسى سنة (١٧هـ)^(٦). وأقام فيها حتى وفاته سنة (٩٣هـ)، فكانت مدة إقامته في العراق ستاً وسبعين (٧٦) سنة.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٤٠١؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٩/٣٦٩، ابن حجر: الإصابة ٢٧٨/١.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٩) ١/٢٤٩؛ الترمذي: السنن (١٤٠) ١/٢٥٩.

(٣) بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٧٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٦.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٦-٣٩٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/٤٠٣.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٧٠-٧١.

وبعد التعريف بهؤلاء الصحابة ﷺ الذين هم من أكثر الصحابة ﷺ أثرًا في العراق،
نتقل إلى الفصل الثاني وهو: أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلميّة في العراق.

* * *

الفصل الثاني: أثر الصحابة ؓ في الحياة العلميّة في العراق

- « المبحث الأول: أماكن التعلم والتفقه.
- « المبحث الثاني: أثر الصحابة ؓ في إلقاء القرآن وتفسيره.
- « المبحث الثالث: أثر الصحابة ؓ في رواية السنّة.
- « المبحث الرابع: أثر الصحابة ؓ في نشر العلم الشرعي والفقه في الدين.
- « المبحث الخامس: اجتهادات الصحابة ؓ وقياساتهم في المسائل الحادثة.
- « المبحث السادس: موقف الصحابة ؓ من تراث الأمم السابقة.
- « المبحث السابع: أثر الصحابة ؓ في الرواية التاريخية.

جاء في مقدمة الكتاب، أن الحديث عن أثر الصحابة ؓ هو جانب من الحديث عن تاريخهم، وفضلهم، ومكانتهم وأنه من المقرر عند أهل العلم فضل الصحابة ؓ، وعلو منزلتهم، ورفعة مكانتهم، وثبوت عدالتهم، حيث أجمع على ذلك أهل العلم سلفاً وخلفاً مما هو مبثوث في كتبهم^(١).

وجاء الثناء على الصحابة ؓ وعمق علمهم وأنهم أفضل الأمة، وأن الله اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، والصحابة ؓ أعلم الخلق وأنصحهم، فقد أخذوا ذلك عن النبي ﷺ، فحملوا عنه القرآن، وأخذوا عنه السنة، وتعلموا منه العقيدة، والفقه والحلال والحرام، والتفسير، وسائر أمور الدين، فبرز منهم من كانوا «من علماء العالم، يتفجر العلم من جوانبهم وتنطق الحكمة على لسانهم، أبرّ الناس قلباً وأعماقهم علماً وأقلهم تكلفاً، يتكلمون فينصت الزمن ويخطبون فيسجل قلم التاريخ»^(٢).

وقد ترك الصحابة ؓ الأثر الطيب في الأقاليم التي دخلوها فاتحين، ومعلمين، وقضاة، وأمراء، ومن تلك الأقاليم إقليم العراق، حيث ترك الصحابة ؓ أثراً علمياً كبيراً تمثل في العلوم التي تركوها، كما تمثل في جيل التابعين الذي نقل العلم عنهم ؓ.

وكان الصحابة ؓ أعلم الخلق بعد النبي ﷺ، وكانوا أنصح الناس للخلق، وكان من مقتضى هذا العلم تعليمه ونشره، اتباعاً لقوله ﷺ: «خيركم من تعلم

(١) انظر مثلاً: الخطيب البغدادي: الكفاية ٤٦-٤٩؛ ابن الصلاح: المقدمة ١٤٦؛ السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ): تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ط: الثانية، دار إحياء السنة النبوية - بيروت، ١٣٩٩هـ ج ٢، ص ٢١٤.

(٢) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ١٠٣.

القرآن وعلمه»^(١)، وأمثاله من الأحاديث التي تدعو إلى تعليم العلم ونشره، وهم أشد الناس اتباعًا وطاعة له رضي الله عنهم، فساحوا في الأرض ينشرون فيها العلم والفقه، بتعليمهم القرآن والسنة، ومن ذلك العراق الذي نزله عدد من الأصحاب رضي الله عنهم إذ كان نصيبه منهم كبيرًا.

ولم يكن نشر العلم محصورًا بالمبرزين من الصحابة رضي الله عنهم بل هو شأن غالبيتهم، وقد حفظت لنا المصادر أن ثلاثين صحابيًّا من مزينة فقط^(٢)، يعلمون الناس قبل الجمعة في جامع البصرة، فما بالك بسواهم من الصحابة رضي الله عنهم^(٣)، وكان عمر بن الخطاب يحث أهل الأمصار على التعلم، ولم يكن ذلك مقصورًا على تعلم الشريعة فهذا ظاهر، بل تعداه إلى غيره من الأدب والفروسية والسباحة، إذ كتب عمر إلى أمراء الأمصار: «علموا أولادكم العوم والفروسية وما سار من المثل وما حسن من الشعر»^(٤).

وتعليم الصحابة رضي الله عنهم للعلم في العراق تم من خلال الدروس والتحديث، كما تم من خلال التوجيه والملاحظة والمحادثة، ولئن وقع كثير منه على يدي من نزل منهم

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) ٦/١٩٢؛ أحمد: المسند (٤٠٥) ١/٤٦٦؛ الترمذي: السنن (٢٩٠٧) ٥/١٧٣، وغيرهم، وقوله: «بلغوا عني ولو آية»، البخاري (٣٤٦١) ٤/١٧٠؛ أحمد: المسند (٦٤٨٦) ١١/٢٥؛ الترمذي: السنن (٢٦٦٩) ٥/٤٠.

(٢) وأما مزينة فهم عثمان، وأوس ابنا عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، ينسبان وولدهما إلى أمها مزينة بنت كلب بن وبرة، إليها ينتسب كل مزني، غلب عليهم اسم أمهم مزينة ولدت لعمرو بن أد. ابن عبد البر: الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط: الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٥٨.

(٣) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط: الثانية، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤٢١هـ، ج ٢، ص ٢٧٣؛ انظر: ابن أبي شيبه: المصنف ١/٤٨١، وهو من رواية معاوية بن قرة المزني والد إياس القاضي.

(٤) ابن مفلح: محمد بن مفلح بن محمد الحنبلي (ت ٧٦٣هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، (د. ط)، عالم الكتب، (د. م)، (د. ت)، ج ١، ص ٤٥٤.

في العراق، فقد وقع على يدي بعض الصحابة   في المدينة؛ حيث تعلم منهم بعض التابعين وأخذوا عنهم من العراقيين، أو ممن نزل العراق بعد ذلك.

فقد أخذوا عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعائشة، وأبي هريرة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، عدا من نزل العراق من الصحابة  .

وأودّ أن أشير هنا إلى أنّه ومن خلال هذه الدراسة فقد تبين لي أنّ عمر بن الخطاب   كان حاضرًا في العراق وإن لم يكن نزله، فمن موقع خلافته، وامتداد زمنها، وأن عهده عهد فتوح واستقرار، إلى جانب هيئته وحزمه ومتابعته، فقد كان حاضرًا بعلمه وفتاويه، وكتاباته وتوجيهاته، للأمرء، والقادة، والمعلمين، والقضاة، وعموم الناس.

أجل لقد كان الفاروق معاشيًا أهل العراق حياتهم؛ فتوحهم وغزوهم، نزولهم واستقرارهم، تعليمهم ومعاشهم، لذا فقد كان من الصحابة   الذين تركوا أثرًا كبيرًا في الحياة العلميّة بل والاجتماعيّة في العراق، وقام بهذا التأثير الكبير من موقع الخلافة والمسؤولية، فكان يعيّن الأمرء والقادة، والمعلمين والقضاة، ويتابع أعمالهم وأحوالهم.

وأؤكد على هذا في مدخل هذا الفصل لأنني لم أدخله في الدراسة باعتباره لم ينزل العراق ولم يدخلها، لكنه لم يغب عن فصول ومباحث هذه الرسالة  ، وذلك بآرائه، وتوجيهاته، ومشورته للفاتحين، وحثه، وتشجيعه، ومشاركته للعلماء في أرض العراق.

ونتعرف إلى أثر الصحابة   في الحياة العلميّة في العراق من خلال المباحث

التالية:

المبحث الأول

أماكن التعلم والتفقه

أ- أثناء حملات الفتح:

أثناء مسير الجيوش وانتظار المعركة ولقاء الأعداء ومناجزتهم تمت العديد من الوصايا والتعاليم، والتذكير والوعظ الذي يعد شكلاً من أشكال التعلم، والأصل في التعلم والتعليم أن يكون مع الاستقرار وذلك في الحواضر حيث الأمن وانتظام الحياة، إلا أن ساحات الوغى في الفتوحات الإسلامية شهدت صوراً عدة من ذلك، تمثلت في تعليم الأحكام، والحث على الجهاد، والتحذير من المنهيات، وحتى الرواية والتحديث، ولذا فقد أخذ بعض التابعين عن الصحابة   أثناء الفتوح علماً كثيراً وخاصة ما يتعلق بأحكام الجهاد والغزو، حيث إنه توفر للعديد منهم الغزو مع الصحابة   لفترات طويلة، فهذا الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ذكر «أنه غزا مع عبدالرحمن بن سمرة كابل، والأندقان، والأندغان، وزابلستان ثلاث سنين»^(١).

ويمكن القول: إن أبرز موضوعات التعلم خلال أعمال الفتح: الوصايا، والتذكير والوعظ، وبيان بعض الأحكام، ومن الوعظ: أن عتبة بن غزوان (ت ١٧هـ)، عند اختيار موقع البصرة خطب في جيشه واعظاً فقال: «إن الدنيا قد تصرمت وولت حذاء...»^(٢). فقد أخرجها «مسلم»، عن خالد بن عمير العدوي البصري، قال: «خطبنا عتبة بن غزوان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء، يتصاها صاحبها، وإنكم منتقلون منها

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٥٧-١٥٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٩٢.

الفصل الثاني

أثر الصحابة في الحياة العلمية في العراق

إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم، فيهوي فيها سبعين عامًا، لا يدرك لها قعرًا، ووالله لتملأن، أفعجتكم؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشقتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتررت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار، وإنني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وعند الله صغيرًا، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت، حتى يكون آخر عاقبتها ملكًا، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا»^(١).

ومن ذلك أنه في حالة مصافة العدو حيث حدث الصحابي القائد جيشه عن فضل الاستشهاد في سبيل الله فحدثت الاستجابة السريعة من أحد الجنود وتقدم للعدو، فد «بينما أبو موسى مصاف العدو بأصبهان فقال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام إليه شاب قد خرق الظهر كمي مباه»^(٢) فقال: كيف قلت فأعاد عليه الحديث فالتفت إلى أصحابه فسلم عليهم ثم دخل تحتها»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٧) ٤/٢٢٧٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/١٣٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٩٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٦٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/٤٦٢ - ٤٦٣، وخالد العدوي توفي في حدود التسعين.

(٢) الكمي: اللابس السلاح، وقيل: هو الشجاع المقدم الجريء، كان عليه سلاح أو لم يكن، وقيل: الكمي الذي لا يجيد عن قرنه ولا يروغ عن شيء. ابن منظور: لسان العرب ١٥/٢٣٢، مادة: كمي، مباه من المباهة: وهي المفاخرة. وتباهوا أي تفاخروا. لسان العرب ١٤/٩٩، مادة: بها.

(٣) أبو الشيخ الأصبهاني، عبدالله بن محمد بن جعفر الأنصاري (ت ٣٦٩هـ): طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٢٤٧، من رواية أبي عمران الجوني البصري (ت ١٢٨هـ).

وجاءت الحادثة في سياق فيه اختلاف عند مسلم، أو أنها حادثة مشابهة، يقول أبو بكر بن أبي موسى: «سمعت أبي، وهو بحضرة العدو، يقول: قال رسول الله  : إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام رجل رث الهيئة، فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله   يقول هذا؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل»^(١).

ومن التذكير والوعظ، ما جاء حال عودة الفاتحين من الغزو وفي استراحة منزل من منازل الطريق، حين حدث «أبو موسى» جيشه بحديث سمعه من الرسول   عن ما يقع من الهرج في آخر الزمان، ودار حوار عجيب يشعر بعمق العلاقة بين القائد المحدث وبين جيشه وتلاميذه، قال أسيد: «أفلنا مع أبي موسى الأشعري، من أصبهان حين افتتحناها فنزلنا منزلاً فإذا بعقيلة جارية أم ولد أبي موسى فقال: ألا رجل يقوم فينزل كنته؟ فقممت فأنزلتها ورجعت إلى مجلسي، فقال الأشعري: ألا أحدثكم حديثاً حدثناه محمد  ؟ قلنا: بلى يرحمك الله فقال: قال رسول الله  : «إن بين يدي الساعة الهرج، قلنا: وما الهرج؟ قال: القتل»، قلنا للأشعري: أكثر مما نقتل فو الله إنا لنقتل في السنة أكثر من مئة ألف من المشركين، فقال: «إنه ليس بقتلكم المشركين ولكنه قتل يكون بينكم معشر الإسلام حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه ويقتل أخاه، قال: فأبلسنا حتى ما منا أحد بيدي عن واضحة، قال: وجعل بعضنا ينظر في وجوه بعض من المودة التي بيننا يومئذ، إن الرجل ليفارق أخاه فيطول عليه ليله حتى يلقاه لولا أنه يستحي من الناس للثمة، قال وعلمنا أن صاحبنا لم يكذبنا قلنا وفينا كتاب الله؟ قال: نعم وفيكم كتاب الله قلنا: واحدة نسألك عنها أخبرنا عن عقولنا اليوم أهى معنا يومئذ قال: لا إنه تنزع عقول عامة أهل الأرض ذلكم الزمان ويخلف له هباء من

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٢) ٣/١٥١١؛ أحمد: المسند (١٩٥٣٨) ٣٢/٣٠٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف

٢٠٤/٤، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري الكوفي.

الناس يرى أكثرهم أنهم على شيء وأيم الله لقد خشيت أن يدركني وإياكم فإن أدركني وإياكم ما لنا مخرج فيما^(١) عهد إلينا نبينا   إلا أن نخرج منها كما ولجنا فيها»، قال الحسن: «يعني سالمين»^(٢).

وفي مجال بيان الأحكام وتعليمها ثمة شواهد كثيرة في الأطعمة، والألبسة، والوضوء، وصلاة الخوف، والشهادة في سبيل الله، ومصالحة العدو، ودعوة العدو إلى الإسلام قبل قتاله.

ففي بيان الأحكام في الأطعمة، والألبسة، نجد أن الفاروق (ت ٢٣هـ)، وجّه الفاتحين في خطاب بعثه إليهم عن أطعمة وألبسة محرمة في البلاد التي يغزونها، قال زيد بن وهب الكوفي (ت ٨٣هـ): غزونا أذربيجان في إمارة عمر وفينا يومئذ الزبير ابن العوام، فجاءنا كتاب عمر: «بلغني أنكم في أرض يخالط طعامها الميتة، ولباسها الميتة، فلا تأكلوا إلا ما كان ذكياً، ولا تلبسوا إلا ما كان ذكياً»^(٣).

وفي أحكام الوضوء فقد جاء أن أبا موسى الأشعري (ت ٤٤هـ)، علم جيشه موجب الوضوء، فعن حطان بن عبدالله الرقاشي البصري قال: «كنا مع أبي موسى الأشعري في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة فنادى مناديه للظهر، فقام الناس إلى الوضوء، فتوضؤوا فصلى بهم، ثم جلسوا حلقة، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهب الناس للوضوء أيضاً، فأمر مناديه فنادى، ألا لا وضوء إلا على من

(١) في الأصل: فيها، وما أثبتته كما جاء عند أحمد، وابن ماجه، وهي أقرب للمعنى.

(٢) أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان ١/٢٤٣-٢٤٥، من رواية الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، عن أسيد بن المشمس، وابن المشمس تميمي بصري، وهل سقطت كلمة (أهل) في قوله: «بينكم معشر الإسلام»، وأصله عند أحمد: المسند (١٩٦٣٦) ٣٢/٤٠٨، وصحح المحقق إسناده، وفيه: «ولكنه قتل بعضكم بعضاً»، وابن ماجه: السنن (٣٩٥٩)، ٢/١٣٠٩، وصححه الألباني، وجاء من طريق آخر عند أحمد: (١٩٤٩٢) ٣٢/٢٤١، وفيه «ولكن قتل بعضكم بعضاً».

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٠٢-١٠٣.

أحدث، قد أوشك العلم أن يذهب، ويظهر الجهل حتى يضرب الرجل أمه بالسيف من الجهل»^(١).

وعن صلاة الخوف نجد «أبا موسى» يعلم الغزاة معه صلاة الخوف عملياً وما بهم كثير خوف، فعن أبي العالية الرياحي البصري (ت ٩٣هـ)، قال: «صلى بنا أبو موسى الأشعري بأصبهان صلاة الخوف وما كان كثير خوف، ليرينا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام وكبر وكبر معه طائفة من القوم وطائفة بإزاء العدو...».

وتضيف رواية أخرى عن أبي العالية قوله: «ولكن أحب أن يعلمهم سنته وصلاته، فصَفَّهم صفيين فتمت للإمام ركعتان في جماعة وللناس ركعة ركعة»^(٢).

و«حذيفة بن اليمان» (ت ٣٦هـ)، وصف لقائد الجيش كيف صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، يقول ثعلبة بن زهدم: «كنا مع سعيد بن العاصي بطبرستان، ومعنا حذيفة بن اليمان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا، فوصف، فقال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بطائفة ركعة، صف خلفه، وطائفة أخرى بينه وبين العدو، فصلى بالطائفة التي تليه ركعة، ثم نكص هؤلاء إلى مصاف أولئك، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة»^(٣).

وهذا أحد الصحابة رضي الله عنهم يسأل الله الشهادة ثم يستشهد، حيث أخبر أبو موسى - قائد الجيش - بأنه شهيد، يقول حميد بن عبد الرحمن: «أن رجلاً كان يقال له: حممة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصبهان غازياً في خلافة عمر رضي الله عنه فقال: اللهم إن حممة

(١) عبد الرزاق: المصنف ١/ ٥٥، و«حطان» وفاته في حدود سنة ٨٠هـ.

(٢) أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ٢٤١-٢٤٢.

(٣) النسائي: السنن (١٥٢٩) ٣/ ١٦٧، وصححه الألباني؛ أحمد: المسند (٢٣٢٦٩) ٣٨/ ٤٠١، وقال

المحقق: إسناده صحيح؛ عبد الرزاق: المصنف ٢/ ٥١٠، وثعلبة هو الحنظلي التميمي الكوفي.

يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان حممة صادقاً فاعزم له بصدقه، وإن كان كاذباً فاعزم عليه، وإن كره اللهم لا ترد حممة من سفره هذا. قال: فأخذه الموت، وقال عفان مرة: البطن، فمات بأصبهان. قال: فقام أبو موسى فقال: يا أيها الناس إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم  ، وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد^(١).

وعقد الصحابة   المصالحة مع العدو؛ فكتب أبو موسى الأشعري كتاب الصلح لأهل أصبهان وما حولها، وشهد على ذلك عدد من الجند، وهذا نص كتاب الصلح: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله للفاذوسفان وأهل أصبهان وحواليها: إنكم آمنون ما أديتم الجزية وعليكم الجزية على قدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم على كل حال، ودلالة المسلم وإصلاح طريقه، وقراه يومه وليلته، وحملان الراجل إلى مرحلة، لا تستطيلوا على مسلم، للمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم، ولكم الأمان ما فعلتم فإن غيرتم شيئاً أو غيره غير منكم لم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلماً بلغ منه ومن ضربه قتلناه»، وكتب، شهد عبدالله بن قيس، وعصمة بن عبدالله، وعبدالله بن ورقاء^(٢).

وعن دعوة العدو إلى الإسلام قبل القتال، فإن سلمان الفارسي (ت ٣٥هـ)، تفاوض مع العدو ودعاهم إلى الإسلام قبل القتال، كما كان النبي   يفعل، فعن أبي البخري الطائي الكوفي (ت ٨٣هـ)، قال: غزا سلمان، فقال: «دعوني أدعوهم كما سمعت رسول الله   دعا أهل الشرك فقال لهم: إنما كنت رجلاً منكم فهداني الله فإن أنتم أسلمتم كان

(١) أحمد: المسند (١٩٦٥٩) ٣٢/٤٢٨-٤٢٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٦/٥٦١؛ أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان ١/٢٨٧-٢٨٨؛ البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض بالتعاون مع الدار السلفية - الهند، ١٤٢٣هـ ج ٦، ص ١٦٠، وحيد بن عبد الرحمن الحميري البصري (ت ٩٥هـ).

(٢) أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان ١/٢٩١-٢٩٢.

لكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم تركتكم على دينكم وأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإن أبيتم نابذتكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين»^(١).

ومن الأحكام التي علمها الصحابة   للمقاتلين أثناء الفتوح الأحكام المتعلقة بالصلاة، ومنها القصر، ذلك أن عبدالرحمن بن سمرة (ت ٥٠هـ)، كان يقصر الصلاة سنتين وهو مغاز للعدو، كما يقول الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «غزوت مع عبدالرحمن بن سمرة سجستان. فمكثنا سنتين لا نركع إلا ركعتين»^(٢).

هذه بعض الأمثلة والشواهد على أثر الصحابة   العلمي في ميادين الفتوح، وقد شملت مجالات مختلفة من التذكير والوعظ، وبيان الأحكام في مسائل عدة، والرواية والتحديث.

ب - في المساجد:

كان المسجد زمن النبي   مكاناً للعلم والتعليم يتلقى فيه الصحابة   القرآن والحديث، والعقائد والأحكام، واستمر المسجد يؤدي رسالته في عهد الصحابة   والتابعين فمن بعدهم.

وكذا كانت مساجد العراق زمن الراشدين   مراكز للعلم والتعليم؛ إذ جلس فيها الصحابة   يقرءون القرآن، ويروون السنة، ويعلمون الأحكام، وينشرون العلم في الناس، والشواهد على ذلك كثيرة.

ففي الكوفة، شهد جامع الكوفة العديد من الدروس وحلّق الذكر للصحابة  ، إلا أن أشهر من عُرف بذلك «ابن مسعود» (ت ٣٢هـ)، وقد نقل أبو وائل الأسدي الكوفي (ت ٨٢هـ)، مقالة لابن مسعود في مسجد الكوفة جاء فيها: «ولقد علم أصحاب رسول الله   أنني من أعلمهم بكتاب الله عز وجل وما أنا بخيرهم، وأشار

(١) أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤/ ٤٥٠.

إلى كثرة الحلق فيه وإلى موقفهم من المقالة فقال: «فجلست في حلق أصحاب محمد   فما سمعت أحداً يرد عليه ذلك ولا يعيبه»^(١).

وحدث رجل عن عبدالله بن مسعود، فقال: بينا نحن معه يوم الجمعة في مسجد الكوفة، وعمار بن ياسر أمير على الكوفة، فقال: «إن يُصب صاحبكم سنة نبيكم   يخرج الآن»^(٢).

وفي مسجد الكوفة حيث حلق العلم، تجرى الحوارات وترتفع الأصوات، فقد كان عبدالله جالساً وأصحابه، فارتفعت أصواتهم، فجاء حذيفة فقال: ممّ هذه الأصوات يا ابن أم عبد؟ قال: يا أبا عبدالله، ذكروا الدجال وتخوفناه...»^(٣).

و«حذيفة بن اليمان» (ت ٣٦هـ) يحدث في مسجد الكوفة، جاء عن سبيع بن خالد، أنه قدم الكوفة زمن فتح تستر، في الصباح الباكر ليجلب منها بغالاً، قال: فقلت لصاحبي: إني داخل المسجد فإذا قامت السوق خرجت إليك، قال: فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل، قال: فقمتم عليهم، قال: فجاء رجل فقام إلى جنبي، قال: قلت من هذا؟ قال: أبصري أنت، قال: قلت: نعم، قال: قد عرفت لو كنت كوفيًا لم تسأل عن هذا، هذا حذيفة بن اليمان، قال: فدنوت منه فسمعت يقول: «كان الناس يسألون رسول   عن الخير، وكنت أسأله عن الشر...»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٦٢) ٤/١٩١٢؛ والبخاري (٥٠٠٠) ٦/١٨٦؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ

٥٣٧/٢، وأبو وائل: شقيق بن سلمة.

(٢) أحمد: المسند (٤٣٨٥) ٧/٣٩٤، وهو من رواية محمد بن كعب القرظي الكوفي المدني (ت ١١٧هـ)،

عمن حدثه عن عبدالله بن مسعود.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٩٥، من رواية شهر بن حوشب الأشعري الشامي (ت ١٠٠هـ).

(٤) أحمد: المسند (٢٣٢٨٢) ٣٨/٣١٦؛ أبو داود: السنن (٤٢٤٤) ٤/٩٥؛ ابن أبي شيبة: المصنف

٧/٤٤٧، وهو سبيع بن خالد اليشكري البصري، وجاءت من طريق آخر، عن عبدالرحمن بن قرط

الشمالي الشامي. النسائي: السنن الكبرى (٧٩٧٩) ٧/٢٦٥.

وتتعدد الحلق في المسجد، فقد دخل حذيفة فوقف على الحلق؛ فقال: «يا معشر القراء، اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً»^(١).

وسئل حذيفة عن من يكتب إلى السلطان على سبيل الوقعة والنميمة، فأجاب بحديث نبوي، يقول همام: «كنا جلوساً مع حذيفة في المسجد، فجاء رجل حتى جلس إلينا فقيل لحذيفة: إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء فقال حذيفة إرادة أن يُسمعه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة قتات»^(٢).

وممن حدث في مسجد الكوفة «علي بن أبي طالب» (ت ٤٠ هـ)، إذ حدث عند باب الرحبة في مسجد الكوفة، حيث أتى عليّ -رضي الله عنه- على باب الرحبة فشرب قائماً؛ فقال: إن ناساً يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم، وإني «رأيت النبي ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت»^(٣).

وقال أبو الغصن: «دخلت المسجد الأكبر، يعني مسجد الكوفة، وعلي بن أبي طالب قائم يخطب الناس على المنبر، فنادى ثلاث مرات بأعلى صوته: يا أيها الناس، نبئت أنكم تكثرون فيّ وفي عثمان بن عفان، وإن مثلي ومثله كما قال الله -عز وجل -: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مِّنقَلِيلٍ﴾ [سورة الحجر: ٤٧]»^(٤).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/١٣٩؛ وأصله في البخاري (٧٢٨٢) ٩/٩٣، وقد ذكره عن حذيفة همام بن الحارث النخعي الكوفي (ت ٨٠ هـ)، وجاءت من طريق آخر، دخل حذيفة المسجد، ومر على قوم يقرئ بعضهم بعضاً، فقال: «إن تكونوا على الطريقة، لقد سبقتم سبقاً بعيداً...». ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٥١، من رواية خرشة بن الحر الفزاري الكوفي (ت ٧٤ هـ).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) ١/١٠١؛ والبخاري (٦٠٥٦) ٨/١٧، وهو همام بن الحارث النخعي الكوفي (ت ٨٠ هـ).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٥) ٧/١١٠، من رواية النزال بن سيرة الهلالي الكوفي.

(٤) أحمد: فضائل الصحابة ١/٤٣٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤/٤٣٣، وأبو الغصن حسان

وممن حدّث في مسجد الكوفة «أبو موسى الأشعري» (ت ٤٤هـ)، فقد جاء عن حطان بن عبد الله الرقاشي أنه صلى مع أبي موسى صلاة، وأن أبا موسى سمع رجلاً لا يحسن التشهد، وذكر القصة- وأن أبا موسى قال لهم يعلمهم: أما تعلمون كيف تقولون في صلاتكم؟ إن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا وعلما صلاتنا. فقال: «إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر فكبروا...»^(١)، وقال مزينة بن جابر: قالت أُمِّي: كنت في مسجد الكوفة في خلافة عثمان، رضي الله عنه وعلينا أبو موسى الأشعري، فسمعتة يقول: إن رسول الله ﷺ «أمر بصوم عاشوراء» فصوموا^(٢).

ومنهم «سعيد بن زيد» (ت ٥١هـ)، فعن قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، في مسجد الكوفة يقول: «والله لقد رأيتني، وإن عمر لموثقي على الإسلام، قبل أن يسلم عمر، ولو أن أحداً أرّفض للذي صنعتم بعثمان لكان»^(٣).

وقال رياح بن الحارث النخعي الكوفي، «كنت قاعداً عند فلان في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة... قال- سعيد-: ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك ثم لا تنكر، ولا تغير، أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول:...»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٤٠٤) ١/٣٠٣.

(٢) أحمد: المسند (١٩٧٢١) ٣٢/٤٩٥.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٦٢) ٥/٤٨، وازفرض: أي زال عن مكانه وتفرق. تعليق مصطفى البغا، «وكانت المناسبة بين ذكر ما صنعوا بعثمان وبين ما فعل عمر أن عمر رأى الخطأ صواباً قبل أن يسلم في إيثاق خنته وأخته على الإسلام، فكذلك من رأى ما فعل بعثمان صواباً». ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (د. ط)، دار الوطن - الرياض، (د. ت)، ج ١، ص ٢٦٢ وقيس بن أبي حازم هو: أبو عبدالله البجلي الكوفي (ت ٩٨هـ).

(٤) أبو داود: السنن (٤٦٥٠) ٤/٢١٢؛ وانظر: ابن أبي شيبه: المصنف ٦/٣٥٠؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٩٥.

ومنهم «عمار بن ياسر» (ت ٣٧هـ) إذ طلب منه بعض التابعين أن يحدثهم حديثاً في الفتنة، قال ثروان بن ملحان التيمي الكوفي: كنا جلوساً في المسجد، فمر علينا عمار بن ياسر، فقلنا له: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ، يقول في الفتنة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «يكون بعدي قوم يأخذون الملك، يقتل عليه بعضهم بعضاً» قال: قلنا له: لو حدثنا غيرك ما صدقناه، قال: فإنه سيكون^(١).

وممن حدث في مسجد الكوفة «البراء بن عازب» (ت ٧٢هـ)^(٢)، و«الأغر بن يسار المزني»^(٣).

وأما في البصرة فكانت الدروس وحلق العلم قائمة، إذ شهد جامع البصرة العديد من الدروس والحلق للصحابة الكرام ﷺ يعلمون فيها القرآن وينشرون السنة، وفي مقدمتهم «أبو موسى الأشعري» (ت ٤٤هـ)، الذي عقد حلقاً لتعليم القرآن^(٤).

وكذا حدث «عمران بن حصين» (ت ٥٢هـ)، في مسجد البصرة^(٥).

أما «الأسود بن سريع السعدي التميمي» (ت ٤٢هـ)، فذكر عنه الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، أنه أول من قص في مسجد البصرة^(٦)، ويشير الحسن إلى المكان الذي يقص فيه الأسود وأنه في مؤخر المسجد^(٧).

(١) أحمد: المسند (١٨٣٢٠) ٣٠/٢٥٥؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٦٠.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/٣٣٧.

(٣) أحمد: المسند (٢٣٤٨٨) ٣٨/٤٧٣، حيث سمي الصحابي في روايات أخرى.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٢٥٦؛ البلاذري: جمل من أنساب الأشراف ١/١١٠، وأبو رجاء العطاردي التميمي البصري (ت ١٠٥هـ).

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٠-١١.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٢؛ ابن حجر: الإصابة ١/٢٢٦.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٢.

وكذا «مالك بن الحويرث الليثي» نزيل البصرة (ت ٧٤هـ)، يصلي بالتابعين في البصرة ليريهم كيف رأى النبي ﷺ يصلي فهو يعلمهم عملياً، يقول أبو قلابة جاءنا مالك بن الحويرث - في مسجدنا هذا - فقال: «إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، أصلي كيف رأيت النبي ﷺ يصلي»^(١).

و«جندب بن عبدالله البجلي» نزيل العراق^(٢)، يحدث في مسجد البصرة، قال الحسن البصري: «حدثنا جندب بن عبدالله في هذا المسجد، وما نسينا منذ حدثنا..»^(٣). وكذا البحر «ابن عباس» (ت ٦٨هـ)، فسر القرآن في جامع البصرة^(٤)، وحَدَّث على منبر البصرة وذكر حديث الشفاعة^(٥).

بل إن معاوية بن قرة المزني البصري (ت ١١٣هـ)، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ من مزينة إذا كان يوم الجمعة اغتسلوا، ثم أتوا الجمعة، وجلسوا يبثون العلم

(١) أخرجه البخاري (٦٧٧) / ١ / ١٣٦، في مسجدنا هذا. قال العيني الظاهر أنه مسجد البصرة. العيني، محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي (ت ٨٥٥هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت)، ج ٥، ص ٢٠١، وأبو قلابة الجرمي البصري (ت ١٠٤هـ).

(٢) نزل الكوفة والبصرة، وبقي إلى حدود سنة سبعين. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣ / ١٧٥.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٣) / ٤ / ١٧٠، في هذا المسجد. قال العيني الظاهر أنه مسجد البصرة. عمدة القاري ٨ / ١٩١.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢ / ٣٦٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٢ / ٩٧-٩٨، وهو أول من عرّف بالناس في البصرة، فكان يصعد المنبر ليلة عرفة، ويجمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب، ثم ينزل فيصلي بهم المغرب. وقد اختلف العلماء بعده في ذلك: فمنهم من كره ذلك وقال: هو بدعة، ومنهم من استحبه ذلك لأجل ذكر الله وموافقة الحجاج. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢ / ٩٠-٩١؛ انظر: أحمد: المسند (٣٢٩١) / ٥ / ٣٢٣، ٢٦٩٢؛ أبو داود: السنن (١٦٢٢) / ٢ / ١١٥؛ النسائي: السنن (١٨٥٠) / ٣ / ١٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٤. (٥) أحمد: المسند (٢٦٩٢) / ٤ / ٤٢٧.

أثر الصحابة في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

والسنة حتى يخرج الإمام^(١).

وإذا كانت المساجد هي مراكز العلم في عصر الصحابة، فهي كذلك في عصر تلاميذهم من التابعين، فقد قضى فيها العلماء سنين طويلة محدّثين ومعلّمين، فكان أبو عبدالرحمن السلمي الكوفي (ت ٧٤هـ)، يقرئ الناس في مسجد الكوفة أربعين سنة^(٢)، كما كان أبو حصين الأسدي الكوفي (ت ١٢٨هـ) يقرئ الناس في مسجد الكوفة خمسين سنة^(٣).

ومن التابعين من يُعلّم والصحابة متوافرون، منهم عامر الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ)، يقول محمد بن سيرين البصري (ت ١١٠هـ): «قدمت الكوفة، وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير»^(٤).

ويعلمون في أوقات مختلفة من اليوم، فقد كان سعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٤هـ)، يُعلّم بعد الفجر وبعد العصر^(٥)، وكان علماء التابعين يتدارسون الحديث ويتذاكرونه في مسجد الكوفة^(٦).

وكذا في مسجد البصرة، فعامر بن عبدالله التميمي البصري يقرئ القرآن في مسجد البصرة في الصباح والعصر^(٧).

(١) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٧٣؛ انظر: ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ٤٨١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٨؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ١٩٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٤١٦.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٢؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ٣١٠.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٣٦، من مقول أبي شهاب الأكبر الكوفي.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٢، من مقول إسماعيل بن أبي خالد الكوفي (ت ١٤٦هـ).

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٦، كما يقول الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وهو المشهور بعامر بن عبد قيس التميمي البصري، يقال كانت وفاته في خلافة معاوية.

وجابر بن زيد الأزدي البصري (ت ١٠٣هـ)، يفتي بجامع البصرة، قال ابن الأعرابي: «كانت لأبي الشعثاء حلقة بجامع البصرة يفتي فيها قبل الحسن»^(١)، ومسلم بن يسار أبو عبدالله البصري (ت ١٠١هـ)، له حلقة فقه في مسجد البصرة، عن ابن عون البصري (ت ١٥٠هـ)، قال: «أدركت هذا المسجد، وما فيه حلقة تنسب إلى الفقه، إلا حلقة مسلم بن يسار»^(٢)، وأما الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، فحلقاته في المسجد، يمر فيها الحديث، والفقه، وعلم القرآن واللغة، وسائر العلوم^(٣). وفي عصر الخلفاء الراشدين ؓ أيضاً ظهر القصاص في العراق، وكانوا يقصون في المسجد^(٤).

وبعد عرض هذه الشواهد والأمثلة المتعددة عن التعليم في المساجد في العراق زمن الراشدين ؓ على يد علماء الصحابة ؓ في الكوفة والبصرة والتي اقتصر فيها على المبرزين منهم، تبين معها هذا القدر الكبير من الدروس والحلق التي عقدت في مساجد العراق من قبل الصحابة الكرام ؓ، وأن ذلك استمر على أيدي تلاميذهم من التابعين وهو من الشهرة بمكان.

ج - في المنازل والدور:

وإلى جانب التعليم في المساجد كان التعليم في المنازل والدور، حيث كان تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية وأحكام الدين، إذ كان الصحابة ؓ يستقبلون تلاميذهم في منازلهم ودورهم، ويقومون بتنشئتهم وتعليمهم، والشواهد على ذلك كثيرة، حيث

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥١١؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٨٦، ٢٦٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٩.

(٤) النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ): النسخ والنسخ، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، ط: الأولى، مكتبة الفلاح - الكويت، ١٤٠٨هـ، ص ٥١-٥٢، والقصاص هو التذكير والوعظ.

نقل هذا عن ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وأنس بن مالك، وغيرهم.

بل كان الصحابة ﷺ يجتمعون في منزل أحدهم يتدارسون العلم ويأتيهم تلاميذهم فينقلون ما يدور بينهم، ومن شواهد ذلك أنّ مرة الهمداني الكوفي، أتى ابن مسعود في داره، فقبل له هو عند أبي موسى الأشعري، فأثاه فإذا عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، ثم ذكر ما دار بينهم من حديث^(١).

واشترك في رواية مدارس الصحابة ﷺ للعلم أكثر من تلميذ، فعن علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، قالوا: كان ابن مسعود جالساً وعنده حذيفة وأبو موسى الأشعري، فسألهما سعيد بن العاص عن التكبير في الصلاة يوم الفطر والأضحى فجعل هذا يقول: سل هذا، وهذا يقول: سل هذا، فقال له حذيفة: سل هذا - لعبدالله بن مسعود - فسأله، فقال ابن مسعود: «يكبر أربعاً ثم يقرأ...»^(٢). وكذا شأن تلاميذهم من التابعين إذ كانوا يغشونهم في مجالسهم ومنازلهم.

و«ابن مسعود» (ت ٣٤هـ) كان يتردد عليه تلاميذه، قال مسروق الكوفي (ت ٦٣هـ): «كان عبدالله يقرأ بنا القرآن في المجلس، ثم يجلس بعده يحدث الناس»^(٣)، وإذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرؤوا، وفسر لهم^(٤).

وعن مسروق، قال: «كنا عند عبدالله جلوساً، وهو مضطجع بيننا، فأثاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم، أن آية الدخان تجيء

(١) عبد الرزاق: المصنف ٢/ ٣٩٢.

(٢) عبد الرزاق: المصنف ٣/ ٢٩٣، وعلقمة بن قيس النخعي الكوفي (ت ٦٢هـ)، والأسود بن يزيد النخعي الكوفي (ت ٧٥هـ).

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ١٥٥.

(٤) القاسم بن سلام: فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، وآخرون، ط: الأولى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤١٥هـ، ص ١٠٥، من رواية ابن أبي نليل الأنصاري الكوفي (ت ٨٢هـ).

فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنون منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله: وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئاً، فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم،...»^(١).

وتوحي بعض الروايات بكثرة من يحضر مجلس ابن مسعود، وأن فيهم عليّة القوم وغيرهم، قال زاذان أبو عمر: «دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخز واليمينية»^(٢) قد سبقوني إلى المجلس، فقلت: يا عبد الله من أجل أنني رجل أعمى أدنيت هؤلاء وأقصيتني، قال: ادن، فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس، فسمعتة يقول: «...»^(٣).

وتشير إحدى الروايات أنهم يأتون إلى بيته بعد الفجر، قال أبو عقرب: «أتيته ذات يوم فوافقتة فوق البيت فلم ينزل إلينا حتى طلعت الشمس قال: وغدونا على عبد الله وسمعتة يقول عن النبي ﷺ: إن ليلة القدر في السبع الأواخر»^(٤)، وأخرى أنهم يأتونه في الصباح، حيث روى أبو عبيدة بن عبد الله: «أن ابن مسعود إذا أصبح خرج أتاه الناس إلى داره فيقول: على مكانكم، ثم يمر بالذين يقرئهم القرآن، فيقول: يا فلان بأي سورة أنت؟ فيخبرونه، فيقول: بأي آية يفتح عليه الآية التي تليها، ثم يقول تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض، قال: فيظن الرجل أنها ليست في القرآن آية خير منها، ثم يمر بالآخر فيقول له مثل ذلك حتى يقول لذلك كلهم»^(٥)، فهو يتابعهم بشكل فردي، ويشجعهم ويحفزهم على تعلم القرآن.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٨) / ٤ / ٢١٥٥، وجاء فيها من طريق آخر: قال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه. مسلم / ٤ / ٢١٥٦.

(٢) وجاء أصحاب الخز والديباج. الحلية / ٤ / ٢٠٢، أي من عليّة القوم، ممن يلبسون الخز، والألبسة انيمية، والديباج.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء / ٤ / ٢٠٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى / ٦ / ١٧٨، وهو: زاذان الكندي الكوفي.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى / ٦ / ١٩٧؛ ابن أبي شيبه: المصنف / ٢ / ٢٥٠؛ البخاري: التاريخ الكبير، (د. ط) دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن، (د. ت)، ج ٩، ص ٦٢، وهو: أبو عقرب الأسدي الكوفي.

(٥) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف / ٣ / ٣٦٦-٣٦٧.

وقد يكون دخول التلميذ عليه في وقت غير مخصص للدرس، قال السلماني: «هجمت على عبدالله بن مسعود ذات يوم وهو في دهليزه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: القائم بعدي في الجنة والذي يقوم بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة»^(١).

وروى شقيق أن عبدالله قال: «إني لأعرف النظائر التي كان يقرأ بهن رسول الله ﷺ: عشرين سورة في عشر ركعات»، ثم أخذ بيد علقمة فدخل، فخرج إلينا علقمة فسألناه، فأخبرنا بهن^(٢).

و«حذيفة بن اليمان» (ت ٣٦هـ)، فقد كان تلاميذه يغشونه في داره، وربما أتوه في وقت غير مناسب فردهم، فقد جاء رجل إلى حذيفة، فدق الباب فخرج إليه حذيفة، فقال: ما جاء بك؟ فقال: جئت للحديث، فسق حذيفة الباب دونه، ثم قال: «إن عمر جذب لنا السمر بعد صلاة العشاء»^(٣).

و«عمار بن ياسر» (ت ٣٧هـ)، يأتيه تلاميذه ويجلسون عنده، قال خلاص: «كنت جالساً عند عمار بن ياسر فسأله رجل، فقال: يا أبا اليقظان، كيف تقول في الوتر؟ فقال عمار: أما أنا فأوتر قبل أن أنام..»^(٤).

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٧٦١/٢، وهو: عبيدة السلماني الكوفي (ت ٧٢هـ).

(٢) النسائي: السنن (١٠٠٤) ١٧٤/٢؛ مسلم (٨٢٢) ٥٦٣/١؛ الخطيب: الفقيه والمتفقه ٢/٢٩٤، وهو: شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي (ت ٨٢هـ).

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٧٩/٢، وجذب السمر بعد العشاء، أي ذمه وعابه. وكل عائب جادب. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٤٣، من رواية أبي وائل شقيق بن سلمة الكوفي (ت ٨٢هـ)، وإبراهيم التيمي الكوفي (ت ٩٢هـ)، وانظر قريباً منها: عبدالرزاق: المصنف ١/٥٦٢.

(٤) عبدالرزاق: المصنف ٣/١٥، خلاص بن عمرو الهجري البصري، توفي في حدود المئة. الصفدي، خليل بن أيبك بن عبدالله (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (د. ط)، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ ج ١٣، ص ٢٣٤.

وكانوا مع الحديث والذكر يطعمون الطعام، قال صلة العبسي: «كنا عند عمار بن ياسر فأتي بشاة مصلية، فقال: كلوا، ففتحى بعض القوم، فقال: إني صائم، فقال عمار: من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم عليه السلام»^(١).

وكذا «أنس بن مالك» (ت ٩٣هـ)، يأتيه تلاميذه في منزله، قال الرومي: كنا عند أنس بن مالك فقال له رجل: يا أبا حمزة إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم، فقال: «اللهم اغفر لنا وارحمنا، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(٢).

وكان يتفقد تلاميذه ويسأل عنهم ويعلن عن حبههم، قال حميد الطويل: فكنا نأتي أنساً، فيقول: أين ثابت؟ إن ثابتاً دويبة أحبها^(٣).

وتوحي هذه الرواية بكثرتهم وكثرة تردهم على أنس، وطيب مشاعره نحوهم، بل إنه يعلن حبه لهم، وليس هذا الحب خاصاً بثابت البناني مع مكانته عنده، وإنما الحب يعمهم كما يقول ثابت: «كنا عند أنس بن مالك وجماعة من أصحابه، فالتفت إلينا فقال: والله لأنتم أحب إلي من عدتكم من ولد أنس إلا أن يكونوا في الخير مثلكم»^(٤).

قال معبد بن هلال العنزى البصري: «اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت:

(١) الترمذي: السنن (٦٨٦) ٣/٦١، وقال الترمذي: حسن صحيح؛ عبدالرزاق: المصنف ٤/١٥٩، وهو: صلة بن زفر العبسي الكوفي (ت ٨٠هـ).

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/٧٧، وهو: عبدالله بن عبدالرحمن الرومي (ت ١٣١هـ).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣٢؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٢٤٠؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/٣٢١، وحميد الطويل البصري (ت ١٤٢هـ)، وثابت البناني البصري (ت ١٢٧هـ).

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣٢.

لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة،...»^(١).

وقال سفيان: «دخلنا على أنس بن مالك، فخرج علينا إلى مجلسه، فمر بنا فلم يسلم علينا حتى انتهى إلى مجلسه، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: السلام عليكم، فسألناه...»^(٢). ومما يدل على كثرة تردد القراء على أنس ما تحكيه هذه الرواية، من أن زياداً النميري، جاء مع القراء إلى أنس بن مالك، فقال له: اقرأ، فرفع صوته، وكان رفيع الصوت، فقال: ما هذا؟، ما هكذا كانوا يفعلون^(٣).

وكل هذه الشواهد التي أوردتها عن مجالس العلم في منازل الصحابة ﷺ ودورهم في العراق، أمثال ابن مسعود، وأبي موسى، وحذيفة، وعمار، وأنس، وغيرهم؛ تبين أن منازل الصحابة ﷺ كانت ميداناً لنشر العلم، والإقراء، والرواية، والتربية، كما توحى بعمق الصلة بين الصحابة ﷺ وتلاميذهم من التابعين.

وعلى هذا النهج درج تلاميذهم من التابعين فكانت لهم مجالس في المنازل والدور يعلمون فيها القرآن الكريم، والسنة النبوية، والأحكام، فهذا عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي (ت ٨٢هـ)، جعل بيته مكاناً لتعليم القرآن، قال مجاهد: «كان لعبدالرحمن بن أبي ليلى بيت فيه مصاحف يجتمع إليه فيه القراء قلما تفرقوا إلا عن طعام، قال: فأتيته...»^(٤)، وأبو إسحاق السبيعي يحدث تلاميذه، حتى قال ابنه

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ٩/١٤٦.

(٢) عبدالرزاق: المصنف ٦/٣٣٢، و«سفيان»، الراوي عنه ابن عيينة، حيث قال: «عن شيخ يقال له سفيان»، ولم أفق على ترجمته.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١١٩، و«زياد» هو ابن عبدالله. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ط: الأولى، دائرة المعارف النظامية - الهند، ١٣٢٦هـ ج ٣، ص ٣٩٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١١٠-١١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٥، وهو: مجاهد بن جبر المكي الكوفي (ت ١٠٤هـ).

يونس: «كان الأعمش إذا جاء إلى أبي، رحمته من طول جلوس الأعمش معه»^(١)، ويبيّن الأعمش، قيمة هذه الأحاديث التي عند أبي إسحاق السبيعي فيقول: كنت إذا خلوت بأبي إسحاق، حدثنا بأحاديث عبدالله غضاً، ليس عليها غبار^(٢).

وكان يطول مُكث التلاميذ مع شيوخهم؛ حتى يمر على الشيخ وقت لم يتناول فيه طعامه وشرابه، وعلى الرغم من هذا فإن الشيخ لا يتبرم من ذلك؛ بل يشير إلى أن ذلك مما كان يفعله المسلمون، قال ابن حازم: «كنا عند الحسن وقد انتصف النهار وزاد، فقال ابنه: خفوا عن الشيخ، فإنكم قد شققتم عليه، فإنه لم يطعم طعاماً ولا شرباً قال: مه - وانتهره - دعهم، فوالله ما شيء أقر لعيني من رؤيتهم، أو منهم، إن كان الرجل من المسلمين ليزور أخاه، فيتحدثان، ويذكران ويحمدان ربهما حتى يمنعه قائلته»^(٣).

بل يشمون رائحة طعامه ويرونه وهو يُطهى، وفي ذلك دلالة على كثرة ترددهم عليه وذهاب الكلفة بين الشيخ وتلاميذه، قال أيوب: «ما وجدت ريح مرقعة قط أطيب من ريح مرقعة الحسن»^(٤). وقال أبو هلال: «قلما دخلنا على الحسن، إلا وقد رأينا قدرًا يفوح منها ريح طيبة»^(٥)، وتبلغ كثرتهم أن يمتلئ بهم البيت، فقد تحدث أحدهم أنهم يكونون عند الحسن ملء البيت^(٦).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩٧؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٦ / ٢٢٣، وأبو إسحاق عمرو بن عبدالله الكوفي (ت ١٢٧هـ)، والأعمش سليمان بن مهران الأسدي الكوفي (ت ١٤٨هـ).

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٦ / ٢٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٧٠، وهو: جرير بن حازم الأزدي البصري (ت ١٧٠هـ).

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٦٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٤، أيوب بن أبي تميمة السخيتاني البصري (ت ١٣١هـ).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٤، وأبو هلال: الأقرب أنه الراسي البصري (ت ١٦٥هـ).

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٧٢، وهو: أبو بكر بن عياش الكوفي (ت ١٩٣هـ)، ووقع في الأصل: أبو بكر بن عباس تصحيحاً.

ومن دروس المنازل ما هو خاص بمسائل محددة، فالحسن البصري (ت ١١٠هـ)، كان له مجلس خاص في منزله، لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن^(١).

ويبلغ من تردد التلاميذ على الشيوخ في منازلهم أن يحرموهم القائلة، وهذا ما يجعل بعض الشيوخ يتوقف عن التحديث، كما قال ثابت البناني: «لولا أن تصنعوا بي ما صنعتم بالحسن لحدثتكم أحاديث مؤنقة ثم قال: منعوه القائلة، منعوه النوم»^(٢).
وسطوح المنازل هي الأخرى مكان للمدارسة والتحديث، قال ثابت: «كنا قعوداً مع الحسن على سطحه إذ صنع الحجاج ما صنع، قال سليمان: وكان أخرج المسلمين من البصرة، قال: فجاء سعيد بن أبي الحسن ونحن قعود مع الحسن، فقال: ...، قال: فرد عليه الحسن، وكره ما قال»^(٣).

د - أماكن أخرى:

والتعليم كما كان في حملات الفتح وفي المساجد والمنازل، كان كذلك في السفر، وفي الطرقات، وفي المجالس المفتوحة، وفي الأسواق.

ومن مصابحتهم والأخذ عنهم في السفر، وخاصة في الحج، ما جاء عن علقمة بن قيس، حيث كان مع ابن مسعود في الحج ولقيهم الخليفة عثمان في منى، قال علقمة: «كنت مع عبدالله فلقية عثمان بمنى، فقال: يا أبا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة فخلوا، فقال عثمان: هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن تزوجك بكرةً، تذكرك ما كنت تعهد؟»

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٣٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٤، ثابت البناني البصري (ت ١٢٧هـ).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٦.

فلما رأى عبد الله أن ليس له حاجة إلا هذا أشار إلي، فقال: يا علقمة، فانتهيت إليه وهو يقول: أما لئن قلت ذلك، لقد قال لنا النبي ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١).

وهو هنا يُسمع علقمة الذي لم يتزوج فيرغبه في الزواج.

وخرج جماعة مع ابن مسعود إلى الحج وأخذوا عنه المناسك، يقول عبد الرحمن يزيد: «خرجنا مع عبد الله رضي الله عنه، إلى مكة...»، وروى شيئاً من عمل عبد الله في الحج، حيث ذكر صلاته في مزدلفة المغرب والعشاء والفجر^(٢)، ورميه جمره العقبة، فيذكر كيف رماها، ومكان رميه وعدد الحصى^(٣)، وذكر أنه وقف مع عبد الله بعرفة وعلى الناس عثمان، حتى إذا غربت الشمس قال: «لو أن أمير المؤمنين أفاض الساعة، أصاب السنة، فما كان كلامه بأسرع من أن أفاض»^(٤)، وأنه أفاض مع عبد الله، قال: فلما انتهينا إلى الجمره قال: «القط لي فناولته سبع حصيات»^(٥)، وعنه قال: «أفضت مع عبد الله، فرمى سبع حصيات استبطن الوادي»^(٦)، وأخرى، أنه حج مع عبد الله، فرمى الجمره الكبرى بسبع حصيات، وجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه، وقال: «هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة»^(٧)، وأنه كان مع عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ٣/٧؛ ومسلم (١٤٠٠) ٢/١٠١٨، (١٤٠٠) ٢/١٠١٩، علقمة بن قيس النخعي الكوفي (ت ٦٢هـ).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٨٣) ٢/١٦٦، عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٦) ٢/٩٤٢، ٢/٩٤٣.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٣٨٧.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٢٠٣.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٢٦٠.

(٧) أحمد: المسند (٣٩٣٩) ٧/٥٤-٥٥، (٤١٥٠) ٧/٢١٧، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

مسعود بجمع، فلما دخل مسجد منى قال: «كم صلى أمير المؤمنين؟ قالوا: أربعاً. فصلى أربعاً، قال: فقلنا: ألم تحدثنا أن النبي ﷺ صلى ركعتين، وأباً بكر صلى ركعتين؟ فقال: بلى، وأنا أحدثكموه الآن، ولكن عثمان كان إماماً فما أخالفه، والخلاف شر»^(١).

وممن صحبه بالحج مولاه عمير أبو عمران، قال: «خرجت مع عبد الله إلى مكة فصلى ركعتين بقنطرة الحرة»^(٢).

وممن صحب ابن مسعود في الحج، عبد الله بن سخبيرة، وذكر شيئاً من نسكه، حيث قال ابن سخبيرة: غدوت مع عبد الله بن مسعود، من منى إلى عرفات، فكان يليي، قال: وكان عبد الله رجلاً آدم، له ضفران، عليه مسحة أهل البادية^(٣).

وذكر علقمة شيئاً من المعاملة الحسنة من ابن مسعود لغير المسلمين، ذلك أنه كان معه في سفر، فصحبه دهاقين من أهل الحيرة، فلما دخلوا الكوفة أخذوا في طريق غير طريقهم، فالتفت إليهم فرآهم قد عدلوا، فأتبعهم السلام، قال علقمة، فقلت: أتسلم على هؤلاء الكفار؟ فقال: نعم صحبوني، وللصحبة حق^(٤).

وعمر بن الحارث بن المصطلق صحبه في السفر وحكى مدة المسح على الخفين من عمله، حيث قال: «خرجت مع عبد الله، إلى المدائن فمسح على الخفين ثلاثاً لا يتزعهما»^(٥)، وكذا أبو وائل حيث جاء عنه قوله: سافرت مع عبد الله فمكث ثلاثاً يمسح على الخفين^(٦).

(١) البيهقي: السنن الكبرى (٥٤٣٦) ٣/٢٠٦.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٢٠٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠٩.

(٣) أحمد: المسند ٧/٧٢، عبد الله بن سخبيرة الأزدي الكوفي، يكنى أبا معمر. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٠٣.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٢٥٩؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٦/١٢.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١/١٦٥؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ١/٢٠٧.

(٦) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ١/٢٠٧، وأبو وائل: شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي (ت ٨٢ هـ).

ومن التعليم في الطرقات والمجالس المفتوحة، ما جاء عن أبي نصره قال: مر عمران بن حصين بمجلسنا، فقام إليه فتى من القوم، فسأله عن صلاة رسول الله ﷺ في الغزو، والحج، والعمرة؟ فجاء فوقف علينا فقال: إن هذا سألتني عن أمر، فأردت أن تسمعه، أو كما قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ فلم يصل إلا ركعتين حتى رجع إلى المدينة...»^(١)، وهو يشير هنا إلى أنه كان يقصر الصلاة في السفر.

وما جاء عن أبي عثمان النهدي: قال: «مر بنا أنس بن مالك ومعه أصحاب له فقال: أصليتم؟ قلنا: نعم قال: فنزل فأمر أصحابه، فتقدم فصلى بهم، قال أبو عثمان: ثم جلس فوضعنا له طنفسة»^(٢) ووسادتين، فحدثنا حديثاً حسناً عن رسول الله ﷺ، ثم ركب فانطلق»^(٣).

وخباب بن الأرت (ت ٣٦هـ) في الكوفة، كان يُحدّث في طريقه من المسجد إلى منزله، يقول فروة بن نوفل أنه أقبل مع خباب بن الأرت، من المسجد إلى منزله فقال له: «إن استطعت أن تقرب إلى الله فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه»^(٤).

وحذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ) يعلم أحد تلاميذه عملياً وقت خروج الفجر، فبينما كان صلة بن زفر يسير مع حذيفة خارج المدائن حتى إذا كانوا بالصحراء، التفت حذيفة وراءه إلى الأفق فقال: «يا صلة أرايت لو كان معك رغيف وعرق أكنت آكلاً وأنت تريد الصوم؟ قال: قلت: لا والله، ثم سار هنية فقلت: يا أبا عبد الله، الصلاة، فالتفت إلى الأفق فقال: يا صلة أرايت لو كان معك قرح من لبن وأنت تريد الصوم أكنت شاربه؟

(١) أحمد: المسند (١٩٨٧٢) ٣٣/١٠٤؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٢٠٥، أبو نصره العبدى المنذر بن مالك البصري (ت ١٠٨هـ).

(٢) والطنفسة: البساط الذي له خمل رقيق. ابن منظور لسان العرب ٦/١٢٧، مادة: طنفس.

(٣) عبدالرزاق الصنعاني: المصنف ٢/٢٩١، والنهدي البصري (ت ٩٥هـ).

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١٣٥؛ القاسم بن سلام: فضائل القرآن ٧٧؛ أبو نعيم: الحلية ٩/٢١٧، وهو: فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي.

قال: قلت: لا والله قد أصبحت، قال: لكنني أنا وأيم الله لو رميت بسهم ما خفي علي حيث يقع. قال صلة: فقلت في نفسي إنما هذا شيء يعلمنيه^(١).

وسلمان الفارسي (ت ٣٥هـ) يعلم تلميذه وهو جالس معه تحت ظل شجرة، ويكون التعليم بالمثال، ويفعل ذلك مع تلميذه كما فعل النبي ﷺ معه، عن أبي عثمان النهدي، قال: «كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة، وأخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه، ثم قال: يا أبا عثمان، ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ فقال: هكذا فعل بي رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة، فأخذ منها غصناً يابساً، فهزه حتى تحات ورقه فقال: «يا سلمان: ألا تسألني لم أفعل هذا؟» قلت: ولم تفعله؟ قال: «إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى الصلوات الخمس، تحاتت خطاياه، كما يتحات هذا الورق»، وقال: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]»^(٢).

والتعليم يكون في الأسواق، وذلك بتوجيه التجار والباعة وتعليمهم، ومن ذلك أن علياً دخل السوق ويده الدرّة، وقال: يا أيها التجار، خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ، لأسألك فإن أجبتني وإلا جعفتك^(٣) بهذه الدرّة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع، وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت، قص فمثلك من يقص^(٤).

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩/ ٣٣٦، صلة بن زفر العسبي الكوفي.

(٢) أحمد: المسند (٢٣٧٠٧) ٣٩/ ١١١؛ ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ١٦.

(٣) جعفه جعفاً فانجعف: صرعه وضرب به الأرض فانصرع. وجعف الشيء جعفاً. قلبه. ابن منظور:

لسان العرب ٩/ ٢٧، مادة: جعف.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥/ ٧٠.

ومن التعليم في الأسواق، أن علياً خرج من مسجد الكوفة فمر بسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، وأتى أصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يَرْبُ كسبكم، ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال لا يباع في سوقنا طافي^(١).

واستمر التعليم في الطرق، والمجالس المفتوحة، والأسواق، على يد تلاميذ الصحابة   من التابعين، فهذا بكار يقول: قال لي ابن عون «يا ابن أخي، قد قطعوا عليّ الطريق، ما أقدر أن أخرج لحاجة، يعني مما يسألونه عن الحديث»^(٢).

وكان أيوب يتقي هذه المجالس في طريقه، قال حماد بن زيد: «وكان أيوب يأخذ بي في طريق هي أبعد، فأقول: إن هذا أقرب، فيقول: إنني أتقي هذه المجالس»^(٣)، وهو إنما يتقيها كي لا يقطعوا عليه طريقه بما يسألونه من العلم، كما جاء في الرواية السابقة عن ابن عون.

وقد يكون السماع والتعلم من خلال مجالس القضاء، فهذا مكحول يقول: «اختلفت إلى شريح ستة أشهر، لا أسأله عن شيء أكتفي بما أسمعته يقضي به»^(٤).



(١) طفا: طفا الشيء فوق الماء يطفو طفواً: ظهر وعلا ولم يرسب، ومنه الطافي من السمك لأنه يعلو ويظهر على رأس الماء، وهو الميت منه. ابن منظور: لسان العرب ١٥ / ١٠، مادة: طفا، والخبر عند ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٤٨٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ١٠٦-١٠٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٢٦٢، بكار بن محمد السيريني البصري (ت ٢٢٤)، وابن عون البصري (ت ١٥٠هـ).

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢ / ٢٣٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٢٤٨؛ حماد بن زيد الأزدي البصري (ت ١٧٩هـ).

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ / ١٣٩.

المبحث الثاني

أثر الصحابة في إلقاء القرآن وتفسيره

أ - إلقاء القرآن وتعليمه:

كان أول شيء عني الصحابة بتعليمه هو القرآن الكريم، وذلك أنه مصدر الهداية والعلم، وهو أول شيء تعلموه من النبي المعلم ﷺ، ولذا ظهر في تاريخ صدر الإسلام من عُرفوا «بالقراء» من الصحابة والتابعين وهم حفاظ القرآن ومتقنوه، وغالبًا هم حفاظ السنة، وأهل الفقه، لكن غلب عليهم وصف «القراء».

وحين دخل الصحابة العراق فاتحين، واستقر عدد منهم في الكوفة والبصرة، وفيهما جنود الفتح وأسراهم أخذ الصحابة في تعليم الناس وإقراءهم القرآن، وكان هذا شغلهم الشاغل، حيث أقبل الناس على تعلم القرآن وحفظه حتى أتقنته أعداد كبيرة منهم، كما حفظته أعداد أخرى، حتى شهر العراق بالقراء وأئمة القراءة، بل أصبح العراق منافسًا للحجاز لا يدانيه غيره من الأمصار الإسلامية في هذا المجال، فقد بعث الفاروق عددًا من قراء الصحابة لتعليم القرآن؛ فاشترك في تعليم القرآن للعراقيين كثير من الصحابة، منهم أبو زيد ثابت بن زيد الأنصاري، وقيل أنه من الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ^(١).

وهناك من شهر بذلك، وفي مقدمتهم، علي بن أبي طالب، وابن مسعود بالكوفة، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين في البصرة.

(١) نزل البصرة، واختط بها، ثم قدم المدينة، فمات بها في خلافة عمر بن الخطاب، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٣٦، وأبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ مختلف فيه وجزم ابن الأثير أنه: قيس بن السكن. أسد الغابة ١/ ٢٦٩؛ وكذا ابن حجر. الإصابة ١/ ٥٠٥، ٣٦٢، وما يرجحه مقولة أنس عنه كما في الصحيح أحد عمومي.

ويعد «ابن مسعود» (ت ٣٢هـ) أشهر من اشتغل بتعليم القرآن الكريم في الكوفة من الصحابة، فهو شيخ أهل الكوفة ومقرؤهم، والذي قال عنه رضي الله عنه: «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد»^(١).

هذا وقد سبقت الإشارة إلى علو قدم ابن مسعود في العلم بين الصحابة رضي الله عنه وفي أخذ القرآن وإقرائه، وهذه القصة مع عمر بن الخطاب تؤكد ذلك، فعن الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ)، قال: ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركباً في سفر له، فيهم عبدالله بن مسعود فأمر عمر رجلاً يناديهم من أين القوم؟ فأجابه عبدالله: أقبلنا من الفج العميق. فقال عمر: أين تريدون؟ فقال عبدالله: البيت العتيق. فقال عمر: البيت العتيق؟! فقال عمر: إن فيهم عالماً، وأمر رجلاً فناداهم أي القرآن أعظم. فأجابه عبدالله: الله لا إله إلا هو الحي القيوم [سورة البقرة: ٢٥٥] حتى ختم الآية. قال: نادهم أي القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: إن الله يأمر بالعدل والإحسان [سورة النحل: ٩٠]، فقال عمر: نادهم أي القرآن أجمع؟ فقال ابن مسعود: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره [سورة الزلزلة: ٨، ٧] فقال عمر: نادهم أي القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: ليس بآمانيتكم ولا آمانني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزيه [سورة النساء: ١٣٣]، فقال عمر: نادهم أي القرآن أرجى: فقال ابن مسعود: قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله [سورة الزمر: ٥٣]، فقال عمر: نادهم أيكم ابن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم^(٢).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٥؛ أحمد: المسند (٤٢٥٥) ٧/ ٢٨٧.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ١٥١؛ وانظر: عبدالرزاق الصنعاني: تفسير عبدالرزاق رقم (٣٦٧٣)، تحقيق: د. محمود محمد عبده، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ ج ٣، ص ٤٤٩؛ ابن حبيب، عبدالملك بن حبيب القرطبي (ت ٢٣٨هـ): طبقات الفقهاء من لدن الصحابة ومن بعدهم من العلماء، تحقيق: رضوان الحصري، ط: الأولى، مركز ابن القطان - المغرب، ١٤٣٣هـ ص ٦٥-٦٦.

وكان عمر بعثه إلى الكوفة يعلم أهلها القرآن، وجلس ابن مسعود في مسجد الكوفة يعلم القرآن حيث كثر تلاميذه، ومنهم: علقمة بن قيس النخعي الكوفي (ت ٦٢هـ)، وكان ابن مسعود يستمع لقراءته القرآن ويأمره بالترتيل. «قرأ علقمة على عبدالله، فكانه عجل، فقال عبدالله: فذاك أبي وأمي رتل، فإنه زين القرآن، قال: وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن»^(١).

ولذا طلب منه ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن لحسن صوته، قال علقمة: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن صوت في القرآن؛ فكان عبدالله يستقرئني ويقول: اقرأ فذاك أبي وأمي، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «حسن الصوت تزيين للقرآن»^(٢).

بل طلب منه أن يُمسك عليه سورة من القرآن، فعن علقمة، أن عبدالله، قال: «أمسك علي سورة البقرة، فلما قرأها قال: هل تركت منها شيئاً؟ فقلت: حرفاً واحداً قال: كذا وكذا؟ فقلت: نعم»^(٣).

ويثني ابن مسعود على قراءة علقمة وأنه يقرأ كما يقرأ، عن علقمة قال: كنا جلوساً عند عبد الله، ومعنا زيد بن حدير، فدخل علينا خباب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، كل

(١) القاسم بن سلام: فضائل القرآن ١٥٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٨٦، ٨٩، فذاك أبي وأمي. «يعني: أنت مفدى بأبي وأمي، والفداء فكاك الأسير». العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٢/٢٠٤، «وهي كلمة تقولها العرب على الترحيب أي لو كان لي إلى الفداء سبيل لفديتك بأبوي اللذين هما عزيزان عندي والمراد من التفدية لازمها وهو الرضا» العيني: عمدة القاري ١٧/١٤٨، ويجوز أن يقال ذلك لغير الرسول ﷺ «وقد استوعب الأخبار الدالة على الجواز أبو بكر بن أبي عاصم وجزم بجواز ذلك فقال للمرء أن يقول ذلك لسultanه ولكبيره ولذوي العلم ولمن أحب من إخوانه غير محظور عليه ذلك بل يثاب عليه إذا قصد توقيره واستعظافه ولو كان ذلك محظوراً لنهى النبي ﷺ قائل ذلك ولأعلمه أن ذلك غير جائز أن يقال لأحد غيره». العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي (ت ١٣٢٩هـ): عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، ط: الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ، ج ١٤، ص ٩٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٩٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٨٩-٩٠؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١٣٧.

هؤلاء يقرأ كما تقرأ؟ فقال: إن شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك، قال: أجل، فقال لي: اقرأ، فقال ابن حدير: تأمره يقرأ، وليس بأقرئنا فقال: أما والله إن شئت لأخبرتك ما قال رسول الله ﷺ، لقومك وقومه، قال: «فقرأت خمسين آية من مريم»، فقال خباب: أحسنت، فقال عبد الله: «ما أقرأ شيئاً إلا هو يقرؤه»^(١).

بل إن ابن مسعود اتخذ علقمة مساعداً له في تعليم القرآن وهذا مع دلالة على إتقانه للقرآن، فهو يدل على كثرة التلاميذ، يقول رباح أبو المثنى: وكان عبد الله وعلقمة يصفان الناس صفيين عند أبواب كندة، فيقرئ عبد الله رجلاً، وقرئ علقمة رجلاً، فإذا فرغاً، تذاكرا أبواب المناسك، وأبواب الحلال والحرام^(٢).

ولم يقتصر الأمر على علقمة، إذ ظهر غيره من أصحاب ابن مسعود يعلمون القرآن، حيث اشتهر منهم ستة يقرئون الناس القرآن، ويعلمونهم السنة، قال إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ): كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس القرآن، ويعلمونهم السنة، ويصدر الناس عن رأيهم، ستة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وأبو مسيرة عمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس^(٣).

بل إلى جانب هؤلاء الستة نفرٌ كثير غيرهم، حيث كثر أصحاب ابن مسعود ممن أخذوا عنه القرآن حتى بلغوا السبعين، قال عبدة بن أبي لبابة: «كنت في سبعين من أصحاب ابن مسعود، وقرأت عليهم القرآن»^(٤).

(١) أحمد: المسند (٤٠٢٥) ٧/١٢٤ - ١٢٥، وخباب: هو الصحابي خباب بن الأرت.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤١/١٦٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٥، رباح كذا في السير، ولعله رباح ابن الحارث النخعي أبو المثنى الكوفي. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٥٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/٢٩٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٠؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/١٧٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢/٢٩٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٧.

(٤) وعبدة هو: أبو القاسم الأسدي الكوفي، وفاته في حدود سنة (١٢٠هـ). الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٩.

ويحرض الناس ويحفزهم على أخذ القرآن، إذ كان ابن مسعود، يقرأ القرآن، فيمر بالآية، فيقول للرجل: «خذها، فوالله لهي خير مما على الأرض من شيء»^(١).

ويقول الأعمش الكوفي (ت ١٤٨هـ): «بينما ابن مسعود يوماً معه نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال: علام اجتمع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: على ميراث محمد يقتسمونه»^(٢)، وجاء في رواية أخرى، «وهو يقرئ قوماً القرآن»^(٣).

وكان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرؤوا، وفسر لهم^(٤)، ويقول: «أعربوا القرآن فإنه عربي»^(٥).

ويزداد حملة القرآن في الكوفة ويكثر القراءة فيها في وقت مبكر من عصر الراشدين، ويبلغ من أمر تعليم الناس القرآن في الكوفة تشييع الفاروق للصحابة الذين بعثهم مع «عمار» إلى الكوفة، ويعلل ذلك أنهم يأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، ذلك أن عمر وجه عشرة من الأنصار إلى الكوفة، ليعلموا الناس^(٦)، منهم قرظة بن كعب الأنصاري (ت ٤٠هـ)، الذي قال: «أردنا الكوفة فشيّعنا عمر إلى صرار»^(٧) فتوضأ فغسل مرتين، وقال: تدرتون لم شيعتكم؟ فقلنا: نعم نحن

(١) القاسم بن سلام: فضائل القرآن ٥٢.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٤٢٢.

(٣) ابن بطلان، علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ): شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: الثانية، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٣هـ، ج ١٠، ص ٢٦٦.

(٤) القاسم بن سلام: فضائل القرآن ١٠٥.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١١٦.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٩٧، وقرظة نزل الكوفة وابتنى بها داراً في الأنصار، ومات بها في خلافة علي بن أبي طالب وصلّى عليه بالكوفة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧؛ ابن حجر: الإصابة ٥/٣٢٩.

(٧) وصرار بئر قديمة بالمدينة على ثلاثة أميال على طريق العراق. عاتق بن غيث البلادي: معجم المعلم الجغرافية في السيرة النبوية ١٧٦.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلميّة في العراق

أصحاب رسول الله  ، فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله  ، امضوا وأنا شريككم»^(١).

فالفاروق معني بتعليم القرآن في الكوفة ومتابع لذلك، كما هو معني بغيرها من الأمصار. ومنهم «عبيد بن عازب» وهو أحد العشرة من الأنصار الذين وجههم عمر بن الخطاب مع عمار بن ياسر إلى الكوفة^(٢).

فهذا الوفد الذي بعثه الفاروق مع «عمار» إلى الكوفة لتعليم أهلها، هم من الأنصار، كما تفيد عبارة ابن سعد، «العشرة من الأنصار الذين وجههم عمر»، وتؤكد رواية ابن قانع، عن قرظة بن كعب قال: شيع عمر الأنصار وقال: «إنكم تأتون أرضاً...»^(٣)، وكذا رواية ابن ماجه، «فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا: لحق صحابة رسول الله  ، ولحق الأنصار»^(٤).

وللتعرف إلى هؤلاء العشرة من الأنصار الذين بعثوا لتعليم أهل الكوفة، فعدا من صرح بهم «ابن سعد»، وهما قرظة بن كعب، وعبيدة بن عازب^(٥)، فإنه بعد ترجمته

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٦؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط: الأولى، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤١٤هـ ج ٢، ص ٩٩٩-١٠٠٠؛ الحاكم: المستدرک (٣٤٧) ١/١٨٣ وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي؛ وعند ابن ماجه: السنن (٢٨) ١/١٢ وصححه الألباني.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧؛ ابن حجر: الإصابة ٤/٣٤٤، ووفاة عبيد بعد خلافة عليّ حيث «شهد عبيد بن عازب، وأخوه البراء ابن عازب مع عليّ مشاهده كلها». ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠١٨/٣.

(٣) ابن قانع، عبد الباقي بن مرزوق البغدادي (ت ٣٥١هـ): معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراحي، ط: الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبويّة، ١٤١٨هـ ج ٢، ص ٣٦٦.

(٤) ابن ماجه: السنن (٢٨) ١/١٢.

(٥) وقد سبق التعريف بهما.

«لعمار» في الكوفيين ترجم لجماعة من الصحابة ﷺ: عشرة منهم من الأنصار منهم قرظة، وعبيدة، وسهل بن حنيف الأنصاري (ت ٣٨هـ)، وحذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، وأبو قتادة بن ربعي الأنصاري (ت ٤٠هـ)، وأبو مسعود الأنصاري (ت ٤٠هـ)، والبراء بن عازب الأنصاري (ت ٧٢هـ)، وزيد بن أرقم الأنصاري (ت ٦٨هـ)، والحارث بن زياد الأنصاري، وعبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري (ت ٦٨هـ)، وحذيفة جاء له ذكر في خطاب عمر لأهل الكوفة بتولية عمار وحذيفة سنة (١٥هـ).

فقد يكونون هم المعنيون بالعشرة، وقد لا يكونون عشرة بالتمام، فقد يزيدون أو ينقصون على عادة العرب في ذكر الرقم على سبيل التقريب، وقد ذكر ابن حجر، أبا أحمد بن قيس بن لوذان الأنصاري، حين قال: «وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر مع عمار بن ياسر إلى الكوفة»^(١).

ومن الصحابة الكرام ﷺ الذين أخذ أهل الكوفة عنهم القرآن «علي بن أبي طالب»، وكان أشهر تلاميذه أبو عبدالرحمن السلمي الكوفي (ت ٧٤هـ)^(٢).

ومن الصحابة الكرام ﷺ أيضاً الذين أخذ أهل الكوفة عنهم القرآن «مُجمّع بن جارية الأنصاري» وهو من الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ^(٣)، وأخذ ابن مسعود عنه بعض القرآن^(٤).

(١) ابن حجر: الإصابة ٦/٦، ولم أجده عند غيره.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ / ١٧٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٥٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٣٦٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/٥٠٣؛ ابن حجر: الإصابة ٥/٥٧٧، حيث ترجم له ابن سعد في الكوفيين، وذكر ابن حجر أن عمر بعثه ليعلم أهل الكوفة، ويظهر أنه ليس من العشرة الذين بعثهم عمر للكوفة. الإصابة ٥/٥٧٧، وقد أمره عمر أن يصلي بالناس في مسجد قباء. الإصابة ٣/٥٧، وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/٣٥٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٤٠؛ ابن حجر: الإصابة ٥/٥٧٧.

الفصل الثاني

أثر الصحابة في الحياة العلمية في العراق

أما البصرة فيعد «أبو موسى الأشعري» (ت ٤٤هـ)، أشهر من اشتغل بتعليم القرآن فيها من الصحابة، فهو شيخ أهل البصرة ومقرئهم، وهو الذي قال عنه النبي ﷺ: «لقد أعطي مزمارًا من مزامير آل داود»^(١).

وقال عنه العجلي: «وكان أحسن أصحاب رسول الله ﷺ صوتًا، وكان عمر استعمله على البصرة وهو فقههم وعلمهم»^(٢).

وعلم أبو موسى الناس القرآن من بعد صلاة الصبح رجلًا رجلًا، قال ابن شوذب البلخي البصري (ت ١٥٦هـ): «كان أبو موسى إذا صلى الصبح، استقبل الصفوف رجلًا رجلًا يقرئهم»^(٣).

وقال أبو رجاء العطاردي التميمي البصري (ت ١٠٥هـ) «وكنا نجلس حلقة حلقة، وكأنما أنظر إليه بين ثوبين أبيضين، وعنه أخذت هذه السورة: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]»^(٤).

ويبين أبو كنانة القرشي البصري أثر أبي موسى الأشعري في تعليم القرآن لأهل البصرة، في حديث رواه في قدوم أبي موسى الأشعري البصرة بعد المغيرة بن شعبة، حيث قال: «فلم يأت علينا شهران حتى ختم سبعة منا القرآن، أحدهم غنيم بن قيس، فأوفدهم الأشعري إلى عمر بن الخطاب، فلما قدموا عليه فرض لهم ألفين ألفين»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٧٩٣) ١/٥٤٦.

(٢) العجلي: الثقات ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٩؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٢/٦٧.

(٤) الحاكم: المستدرک (٢٨٧٢) ٢/٢٤٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٢٣، وغنيم بن قيس المازني أبو العنبر، روى عن أبيه وعن أبي موسى وابن عمر، ووفاته بعد الثمانين للهجرة. خليفة: الطبقات ١/٣٣٢؛ ابن حجر: الإصابة ٥/٢٥٨-٢٥٩.

هنا يرد سؤال مفاده: هل حفظوا القرآن في شهرين على يد أبي موسى؟ أم أنهم أتموا حفظه عليه؟

والذي يهمنا هنا أنه بحفظهم القرآن يحتفى بهم، فيحتفي بهم «الفاروق» فيمنحهم جائزة أو عطاءً لكل واحد منهم ألفين، ويأتي الاحتفاء الكبير من الخليفة بهؤلاء «القراء» الذين يمثلون باكورة «قراء» البصرة، وهذه صورة أخرى من صور التحفيز والتشجيع على التعلم عند الصحابة.

ولقد أظهر الخليفة الفاروق عناية كبيرة بتعليم القرآن في ولايات الدولة الإسلامية، ومنها البصرة وبقية مدن العراق، ولذا كتب إلى أبي موسى أن «اكتب إليّ بمن قرأ القرآن ظاهراً»^(١).

ومما يؤكد أثر الأشعري في البصرة، الحوار الذي جرى بين عمر وأنس بن مالك، حيث قال أنس: «بعثني الأشعري إلى عمر، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كبير ولا تسمعها إياه»^(٢).

كما يؤكد ذلك هذا الحوار بين الفاروق والأشعري، ذلك أن عمر لقي أبا موسى الأشعري، فقال له: «أيسرك أنك خرجت من عمالك كفافاً خيره بشره وشره بخيره لا لك ولا عليك؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لقد قدمت البصرة وإن الجفاء فيهم لفاش، قال: فعلمتهم القرآن والسنة، وغزوت بهم في سبيل الله، وإنني لأرجو بذلك فضيلة، قال: لكنني وددت أني خرجت من عملي خيره بشره وشره بخيره كفافاً لا لي ولا علي، وخلص لي عملي مع رسول الله ﷺ»^(٣).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٣١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤ / ١٠٨، ١٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٩٠.

(٣) أبو طاهر المخلص، محمد بن عبد الرحمن البغدادي المخلص (ت ٣٩٣هـ): المخلصيات، تحقيق: نبيل =

ولم يقتصر الأمر على أبي موسى مع أهمية أثره في البصرة، فلقد خرج مع أبي موسى من المدينة عشرة من الأنصار حيث طلب ذلك من عمر، وذلك حين وجهه إلى البصرة، فقال أبو موسى: «يا أمير المؤمنين، فوجه معي نفرًا من الأنصار، فإن مثل الأنصار في الناس كمثل الملح في الطعام، فوجه معه عشرة من الأنصار، فيهم أنس بن مالك، والبراء بن مالك، فقدم أبو موسى البصرة»^(١).

فكان ممن قدم مع أبي موسى إلى البصرة هذا الرهط من الأنصار، وفي مقدمتهم أنس بن مالك فتعلم منهم أهل البصرة، وللتعرف إلى هؤلاء العشرة من الأنصار الذين بعثوا لتعليم أهل البصرة، فإن «ابن سعد» ترجم لسته من الأنصار متتابعين، وهم: البراء بن مالك الأنصاري (ت ١٧هـ)، أنس بن مالك الأنصاري (ت ٩٣هـ)، هشام بن عامر الأنصاري (ت ٦٠هـ)، أبو زيد ثابت بن زيد الأنصاري (ت، في خلافة الفاروق)، بشير بن أبي زيد الأنصاري (ت ٦٣هـ)، أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري (ت، في خلافة عبد الملك)، وثلاثة منهم صرحت الروايات بأسمائهم.

وقد يكون غالبهم من الأنصار وفيهم من هو من غيرهم، حيث ذكر ابن كثير أن عبدالله بن المغفل المزني (ت ٥٧هـ)، «أحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة ليفقهوا الناس»^(٢)، وقد ترجم له ابن سعد قبل الستة، وقبله عمران بن حصين (ت ٥٢هـ) وهو ممن علم أهل البصرة.

=سعد الدين جرار، ط: الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، ١٤٢٩هـ ج ١، ص ٣٥٩، المتقي الهندي، علي بن حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي (ت ٩٧٥هـ): كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيان و صفوة السقا، ط: الخامسة، مؤسسة الرسالة، (د.م)، ١٤٠١هـ ج ١٢، ص ٦٢٠.

(١) أبو حنيفة الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط: الأولى، دار إحياء الكتب العربي - القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١١٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٢٥٦؛ ابن حجر: الإصابة ٤/٢٠٧.

وقد جاء عند الطبري أنهم تسعة وعشرون من المهاجرين والأنصار، حيث جاء فيها أن أبا موسى قال لعمر: «أعني بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالملاح لا يصلح الطعام إلا به، فاستعن بمن أحببت فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر»^(١).

وتؤكد رواية البلاذري أن قدوم عمران بن حصين (ت ٥٢هـ) للبصرة كان بعد قدوم أبي موسى إليها، حيث «قدم أبو موسى البصرة...، واتبعه عمر بن الخطاب بعمران بن الحصين الخزاعي وصيّره على تعليم الناس الفقه والقرآن، وخلافة أبي موسى إذا شُخص عن البصرة»^(٢).

ونجح عن ذلك أن ازداد حملة القرآن في البصرة وكثر القراء فيها في وقت مبكر من عصر الراشدين، حتى بلغ الأمر أن بلغ عددهم ثلاثمئة (٣٠٠) رجل، ويشني عليهم شيخهم أبو موسى ويوصيهم بتعاهد القرآن، والعمل به، «بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمئة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فأتولوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، كما قست قلوب من كان قبلكم...»^(٣).

وطالب الفاروق مع تعليم القرآن بالتفقه في السنة وفي العربية وإعراب القرآن، حيث كتب عمر إلى أبي موسى: «أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعرّبوا القرآن فإنه عربي، وتمعددوا فإنكم معدّيون»^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٧١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ٣٦٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٦.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٠) ٢/ ٧٢٦.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ١١٦، ٥/ ٢٤٠، يقال: تمعدد الغلام، إذا شب وغلظ. وقيل: أراد تشبهوا بعيش معد بن عدنان. وكانوا أهل غلظ وقشف: أي كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم. ابن الأثير: النهاية ٤/ ٣٤٢.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلميّة في العراق

وسلمان الفارسي طلب أن يؤخذ القرآن من رجل عربي، وذلك حين أتاه أهل الكوفة يستقرئونه، يقول خليلد العصري: لما قدم علينا سلمان أتيناه يستقرئنا القرآن، فقال: «القرآن عربي فاستقرئوه رجلاً عربياً»، فاستقرأنا زيد بن صوحان؛ فكان إذا أخطأ أخذ عليه سلمان، فإذا أصاب، قال: «أيم الله»^(١).

وأخذ التابعون في تعليم القرآن كما تعلموه، وهذا «أبو عبدالرحمن السلمي الكوفي» (ت ٧٤هـ)، إمام من أئمة القراء روى عن شيوخه من قراء الصحابة   طريقة تعلم القرآن، فقال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله  : «أنهم كانوا يقرئون من رسول الله   عشر آيات، ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العمل والعلم فإننا علمنا العمل والعلم»^(٢).

وأبو عبدالرحمن السلمي، قرأ القرآن، وجوّده، ومهّره فيه، فقد «أخذ القراءة عرضاً عن: عثمان، وعليّ، وزيد، وأبيّ، وابن مسعود»^(٣)، كما تعلم من والده القرآن، وكان والده من أصحاب رسول الله  ^(٤).

وهو إمام المصحف العثماني لأهل الكوفة حين بعثه عثمان^(٥)، وقد روى أبو عبدالرحمن عن عثمان بن عفان: أن رسول الله   قال: «خيركم من تعلم القرآن

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١١٧، ٤١٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١١٧؛ أحمد: المسند (٢٣٤٨٢) ٣٨/٤٦٦؛ وانظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١/٣٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٧١، وروي نحوه عن ابن مسعود. البيهقي: السنن الكبرى (٥٢٨٩) ٣/١٧٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٩.

(٥) فهد الرومي: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين  ، (د. ط)، مجمع الملك فهد - السعودية، (د. م)، ص ٢٦.

وعلمه»، قال أبو عبد الرحمن: «فذاك الذي أقعدي مقعدي هذا»، وقد علّم القرآن في زمن عثمان واستمر في ذلك حتى زمن الحجاج بن يوسف^(١)، فهو يمثل بما علم، ويبحث عن هذه الخيرية، فيجلس لتعليم القرآن أكثر من أربعين عامًا.

وسار في تعليمه على هدي الصحابة ﷺ فلم يكن يُكثر من الآيات في التعليم^(٢)، وكان يقرئ الناس إذا أقرأهم يبدأ بأهل السوق^(٣)، وفي ذلك العناية بتعليم العامة من أهل السوق.

و«علقمة بن قيس الكوفي» (ت ٦٢هـ)، اتخذه ابن مسعود مساعدًا له في تعليم القرآن^(٤).

و«عبيدة السلماني الكوفي» (ت ٧٢هـ)، أحد أصحاب عبدالله بن مسعود الذين يقرئون ويفتون^(٥).

أما «الحارث الأعور» فقال: «تعلمت القرآن في ستين»^(٦)، و«أبو وائل الكوفي» (ت ٨٢هـ)، قال: «أنه تعلم القرآن في شهرين»^(٧).

(١) الترمذي: السنن (٢٩٠٧) ٥/١٧٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى

٦/١٧٢؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٨، ٢٧٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧٢؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١١٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٧٠.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٨٩، من قول عطاء بن السائب.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٥.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١/١٢٠-١٢١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٤١.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/١٥٣.

(٧) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٢٣/١٦٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/١٦٣ وهو: شقيق بن سلمة الأسدي.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلمية في العراق

و«زر بن حبيش الكوفي» (ت ٨٢هـ)، مقرئ الكوفة^(١)، قرأ علي: ابن مسعود، وعليّ، وتصدّر للإقراء، فقرأ عليه: يحيى بن وثاب، وعاصم بن بهدلة، وأبو إسحاق، والأعمش، وغيرهم^(٢).

بل يرحل إلى المدينة للأخذ عن الصحابة  ، إذ يقول: «خرجت في وفد من أهل الكوفة، وأيم الله، إن حرضني على الوفادة إلا لقي أصحاب رسول الله   فلما قدمت المدينة، أتيت أبيّ بن كعب، وعبدالرحمن بن عوف، فكانا جليسي وصاحبي. فقال أبيّ: يا زر، ما تريد أن تدع من القرآن آية إلا سألتني عنها؟»^(٣).

و«أبو عمرو الشيباني الكوفي» (ت ٩٣هـ)، قال عنه عاصم: «كان أبو عمرو الشيباني يقرئ القرآن في المسجد الأعظم، فقرأت عليه، ثم سألته عن آية، فاتهمني بهوى»^(٤).

و«عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي» (ت ٨٢هـ)، قيل: إنه قرأ القرآن على عليّ^(٥).

و«سعيد بن جبير الكوفي» (ت ٩٤هـ)، قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، وطائفة^(٦).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/١٦٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/١٦٧ وزرّ هو: أبو مريم الأسدي.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٩/٢٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/١٦٧-١٦٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/١٧٤ وأبو عمرو هو: سعد بن إياس، وعاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي (ت ١٢٧هـ).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٣.

(٦) الذهبي: طبقات القراء = معرفة القراء، تحقيق: أحمد جان، ط: الثانية، مركز الملك فيصل - الرياض، ١٤١٧هـ ج ١، ص ٨٢؛ سير أعلام النبلاء ٤/٣٢٢.

ومن قراء البصرة «أبو الأسود الدؤلي البصري» (ت ٦٩ هـ) قرأ القرآن على عثمان، وعلي^(١). وهو أول من نقط المصاحف^(٢).

ومنهم «أبو العالية الرياحي البصري» (ت ٩٣ هـ) الذي أخذ القراءة عرضاً عن: أبي، وزيد، وابن عباس، ويقال: قرأ على عمر^(٣)، ويقول: «قرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين»^(٤).

ويبلغ من علمه بالقرآن أن يقول عنه أبو بكر بن أبي داود: «وليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده: سعيد بن جبير»^(٥).

ويؤكد أبو العالية على طريقة تعليم القرآن الكريم، فيقول: «تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإنه أحفظ عليكم، وجبريل كان ينزل به خمس آيات، خمس آيات»^(٦).

ومنهم «عامر بن عبدالله التميمي البصري»، الذي يأتيه الناس في الصباح فيقرئهم القرآن، ثم يقوم فيصلي إلى الظهر، ثم يصلي العصر ويقرئ الناس إلى المغرب^(٧)، وهو إمام المصحف العثماني لأهل البصرة حين بعثه عثمان^(٨).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨٢/٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨٣/٤.

(٣) الذهبي: طبقات القراء ٧٧/١؛ سير أعلام النبلاء ٢٠٨/٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٣/٧؛ الذهبي: طبقات القراء ٧٧/١.

(٥) الذهبي: طبقات القراء ٧٧/١؛ سير أعلام النبلاء ٢٠٨/٤، وأبو بكر هو: صاحب كتاب المصاحف ولم أقف عليه فيه، وهو ابن أبي داود صاحب السنن.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١١/٤.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥-١٦، وهو عامر بن عبد قيس التميمي، والخبر من رواية الحسن البصري (ت ١١٠ هـ).

(٨) فهد الرومي: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين ٢٦.

الفصل الثاني

أثر الصحابة في الحياة العلمية في العراق

و«أبو رجاء العطاردي البصري» (ت ١٠٥هـ)، أخذ القرآن عن أبي موسى الأشعري وتلقن عليه، ثم عرضه على ابن عباس، وكان خيرًا، تلاءً لكتاب الله^(١).
و«سليمان بن قتيبة التيمي البصري» المقرئ عرض ختمة على ابن عباس وقرأ عليه عاصم الجحدري^(٢).

ثم تتابع القراء من تلاميذ التابعين، فعدا «أبي عمرو بن العلاء»، هناك «يحيى بن وثاب الكوفي» (ت ١٠٣هـ)، الذي أقبل على القرآن، وتلا على أصحاب علي، وابن مسعود، حتى صار أقرأ أهل زمانه^(٣)، و«قرأ يحيى بن وثاب على عبيد بن نضيلة، وقرأ عبيد بن نضيلة على علقمة، وقرأ علقمة على عبدالله، فأى قراءة أصح من هذه؟»^(٤)، و«كان يحيى بن وثاب من أحسن الناس قراءة، ربما اشتبهت أن أقبل رأسه من حسن قراءته، وكان إذا قرأ، لا تسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد»^(٥).

و«الضحاك بن مزاحم الكوفي» (ت ١٠٥هـ)، صاحب التفسير^(٦).

و«عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي» (ت ١٢٧هـ)، الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد شيخه أبي عبدالرحمن السلمي، وتصدر للإقراء مدة بالكوفة^(٧)، وعاصم أخذ القرآن من أكثر من طريق حيث أخذه عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي، وأخذه عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، وقال عاصم: «ما أقراني أحد حرفًا إلا أبو

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١١٧، من قول الحسن بن صالح الهمداني الكوفي (ت ١٦٩هـ)، وعبيد بن نضيلة توفي بالكوفة في ولاية بشر بن مروان.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨١، من مقول الأعمش الكوفي (ت ١٤٨هـ).

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨.

(٧) الذهبي: طبقات القراء ١/ ١٠٦؛ سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦.

عبدالرحمن، وكان قد قرأ على عليّ - رضي الله تعالى عنه - وكنت أرجع من عنده، فأعرض عليّ زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود^(١).

ولذا يقول حفص بن سليمان القارئ: «قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي قرأت بها عليّ أبي عبدالرحمن، فهي التي أقرأتكم بها، وما كان من القراءة التي أقرأت بها أبا بكر بن عياش، فهي القراءة التي عرضتها عليّ زر بن حبيش، عن ابن مسعود^(٢).

و«أبو إسحاق السبيعي الكوفي» (ت ١٢٧هـ)، رأى أسامة بن زيد النبوي، وقرأ القرآن عليّ: الأسود بن يزيد، وأبي عبدالرحمن السلمي. وكان طلبة للعلم، كبير القدر^(٣)، وكان أصحاب ابن مسعود إذا رأوا أبا إسحاق، قالوا: هذا عمرو القارئ^(٤)، وقد قرأ القرآن عليّ أبي إسحاق عرضاً: حمزة بن حبيب، فهو أكبر شيخ له في كتاب الله تعالى^(٥).

ومن قراء البصريين، «يحيى بن يعمر العدواني البصري» (ت ٨٩هـ)، قرأ القرآن عليّ أبي الأسود الدؤلي، وقيل في يحيى: إنه أول من نقط المصاحف^(٦).

و«الحسن البصري» (ت ١١٠هـ)، قرأ القرآن عليّ حطان بن عبدالله الرقاشي^(٧).

ومن خلال النظر في كتب طبقات القراء يتبين الأثر الكبير الذي تركه الصحابة

(١) الذهبي: طبقات القراء ١/١٠٨؛ سير أعلام النبلاء ٥/٢٥٩.

(٢) الذهبي: طبقات القراء ١/١٠٨؛ سير أعلام النبلاء ٥/٢٥٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٣.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/٣٤٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٤، من قول الأعمش الكوفي (ت ١٤٨هـ).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٤.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٢.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٦٥.

في تعليم القرآن الكريم في العراق وذلك بتفوق هذا الإقليم على غيره من الأقاليم الإسلامية بكثرة القراء.

حيث ذكر الذهبي في كتابه «طبقات القراء» الطبقة الأولى من القراء من الصحابة ؓ وعددهم سبعة (٧)، ثلاثة (٣) منهم ممن نزل العراق وهم:

١- علي بن أبي طالب (الكوفة).

٢- عبدالله بن مسعود (الكوفة).

٣- أبو موسى الأشعري (البصرة)^(١).

وذكر ضابطه في تحديد هؤلاء السبعة دون غيرهم من حفاظ القرآن من الصحابة ؓ فقال: «فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في زمن النبي ﷺ، وأخذ عنهم من بعدهم عرضاً، وعليهم دارت الأسانيد بالقراءات العشر، وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة؛ كمعاذ و...، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم...»^(٢).

والطبقة الثانية من القراء عند الذهبي وعددهم (١٥) منهم (١٠) عراقيون أما الخمسة فثلاثة منهم من الصحابة ؓ، فيهم ابن عباس وقد نزل العراق، وأبو هريرة وعبدالله بن السائب، فلم يبق إلا اثنان هما: المغيرة المخزومي الدمشقي، وعبدالله بن عياش المكي، ثم المدني.

ويقول الذهبي عن هذه الطبقة: «فهؤلاء الذين دارت عليهم أسانيد الحروف المشهورة من أهل الطبقة الثانية، وتوفي معهم عدد كثير وجم غفير من جهة القرآن، لم

(١) الذهبي: طبقات القراء ١/٥٢-٦٠.

(٢) الذهبي: طبقات القراء ١/٦٢.

تتصل بنا أسانيدهم»^(١).

وأما الطبقة الثالثة وعددهم (١٨) فإن منهم (١٠) عراقيين، ويقول الذهبي عن هذه الطبقة: «فهؤلاء الأئمة الثمانية عشر قطرة من بحر بالنسبة إلى حملة القرآن في زمانهم، اقتصرت على هؤلاء لدوران الأسانيد في القراءات عليهم»^(٢).

أما الطبقة الرابعة وعددهم (٢٦) فإن منهم (١٣) عراقياً^(٣).

والجدول التالي عن كبار القراء العراقيين والحجازيين من التابعين وأتباعهم، ويوضح تفوق العراقيين على غيرهم.

بيان أعداد القراء من التابعين في الطبقات الأولى عند الذهبي في «طبقات القراء»

في العراق والحجاز:

(١) الذهبي: طبقات القراء ٧٨/١.

(٢) الذهبي: طبقات القراء ١١١/١.

(٣) الطبقة الثانية من القراء العراقيين، ممن دارت عليهم أسانيد الحروف المشهورة، فهم: ١- حطان بن عبدالله الرقاشي البصري، ٢- الأسود بن يزيد الفقيه الكوفي، ٣- مسروق بن الأجدع الفقيه الكوفي، ٤- علقمة بن قيس الفقيه الكوفي، ٥- زر بن حبيش الأسدي الكوفي، ٦- عبيد بن نضيلة المقرئ الكوفي، ٧- أبو عبدالرحمن السلمي الكوفي، ٨- أبو رجاء العطاردي البصري، ٩- أبو الأسود الدؤلي البصري، ١٠- أبو العالية الرياحي البصري. الذهبي: طبقات القراء ٦٣/١-٧٨. وأما الطبقة الثالثة من العراقيين فهم: ١- يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، ٢- يحيى بن يعمر العدواني البصري، ٣- سعيد بن جبير الكوفي، ٤- الحسن بن أبي الحسن البصري، ٥- عيسى بن عبدالرحمن البصري، ٦- نصر بن عاصم الليثي البصري، ٧- حمران بن أعين الكوفي، ٨- عاصم بن أبي النجود الكوفي، ٩- عاصم الجحدري البصري، ١٠- طلحة بن مصرف الكوفي. الذهبي: طبقات القراء ٧٩/١-١١١. وأما الطبقة الرابعة من العراقيين فهم: ١- الأعمش الكوفي، ٢- أبو عمرو بن العلاء البصري، ٣- أبان بن ثعلب الكوفي، ٤- ابن أبي ليلي الكوفي، ٥- حمزة بن حبيب الكوفي، ٦- عيسى الهمداني الكوفي، ٧- عيسى الثقفي أبو عمر البصري، ٨- شهاب المجاشعي البصري، ٩- المفضل الضبي الكوفي، ١٠- المفضل بن صدقة الكوفي، ١١- سلام بن سليمان البصري، ١٢- أبو بكر بن عياش الكوفي. ١٣- حفص بن سليمان الكوفي. الذهبي: طبقات القراء ١١٣/١-١٦٠.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ؓ في الحياة العلميّة في العراق

المكان/ الطبقة	البصرة	الكوفة	العراق	المدينة	مكة	الحجاز
الثانية	٤	٦	١٠	-	١	١
الثالثة	٥	٥	١٠	٤	٢	٦
الرابعة	٤	٩	١٣	٤	٥	٩
المجموع	١٣	٢٠	٣٣	٨	٩	١٦

ويتضح من الجدول ما يلي:

١/ التفوق الكبير للعراقيين على الحجازيين في طبقات قراء التابعين عند الذهبي.

٢/ أن الفارق بينهما أقل في الطبقة الرابعة - أتباع التابعين - مع تفوق العراقيين.

وهذا التفوق للعراق لا يقلل من أهميّة الحجاز العلميّة، وخاصة المدينة النبويّة بقدر ما يظهر منافسة العراق له، وبروز أئمة القراءة فيه، وإلاّ فهو منبع الرسالة، ومصدر العلم، ومنه خرج الصحابة ؓ ينشرون العلم في الأقاليم، وفيه الأئمة الكبار من التابعين، وفي مقدمتهم الفقهاء السبعة، وعلى رأسهم سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد.

لقد كان للعراق النصيب الأكبر من أئمة القراءة من التابعين، ويعدّ نصيبه الأول من بين الأقاليم الإسلامية في القراء السبعة وكذا من العشرة، فإن أربعة من القراء السبعة عراقيون، كما أن ستة من القراء العشرة عراقيون^(١).

(١) وهم: ١/ أبو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ)، ٢/ عاصم بن أبي النجود البصري (ت ١٢٧هـ)، ٣/ حمزة بن حبيب الكوفي (ت ١٥٦هـ)، ٤/ الكسائي علي بن حمزة الكوفي (ت ١٨٩هـ)، هؤلاء من السبعة، ومن المكملين للعشرة: ٥/ يعقوب بن إسحاق البصري (ت ٢٠٥هـ)، =

ومن هنا فقد اتضح لنا الأثر الكبير الذي تركه الصحابة في العراق في تعليم القرآن من خلال هذا التفوق للعراقيين على غيرهم في القراءة والإقراء للقرآن الكريم.

ب - إملاء المصاحف وكتابتها وجمع القرآن:

لقد كان لبعض الصحابة مصاحف كتبوها لأنفسهم منهم: علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهم، وكان ابن مسعود يملي المصاحف على تلاميذه^(١)، فعن قيس بن مروان، أنه أتى عمر فقال: «جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة، وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلبه، فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبي الرجل، فقال: ومن هو ويحك؟ قال: عبدالله بن مسعود. فما زال يطفأ ويسرى عنه الغضب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها.

ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك...»^(٢).

وكانوا يعرضون عليه المصحف بعد كتابته، فعن سحيم بن نوفل الأشجعي الكوفي، قال: «بينما نحن عند عبد الله إذ جاءت وليدة أعرابية إلى سيدها ونحن نعرض مصحفاً، فقالت: ما يحبسك وقد لفع فلان مهرك بعينه،...»^(٣)، ولذا جاء عن

6= /خلف بن هشام البغدادي (ت 229هـ). إبراهيم بن فاضل المشهدي. «مدرسة العراق الإقرائية بالقراءات القرآنية». بحوث ملتقى كبار قراء العالم الإسلامي، كرسي تعليم القرآن وإقرائه، جامعة الملك سعود - الرياض، 1435هـ، ص 539-540

(١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. م)، 1394هـ ج 1، ص 216.

(٢) أحمد: المسند (107) 1/309؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء 1/475-476، وجاء من رواية علقمة بن قيس عن رجل جاء إلى عمر. ابن الجوزي: صفة الصفوة 1/150؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ 538/2.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف 6/50.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ؓ في الحياة العلميّة في العراق

زر بن حبيش الأسدي الكوفي قوله: «كنا نعرض المصاحف على عبد الله»^(١).

وكان جمع القرآن في زمن عثمان بمشورة من حذيفة الذي خشى الاختلاف بين المسلمين على القرآن لما شاهده في بعض الفتوح، فحدث أنس بن مالك: «أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان...»^(٢).

وحين جمع القرآن في زمن الخليفة عثمان وأرسلت المصاحف للأمصار كان نصيب العراق مصحفان من الأربعة، أو الخمسة، أو الستة، أو السبعة، على اختلاف الروايات، أحدهما للكوفة والآخر للبصرة^(٣).

وفي هذا دلالة كبيرة على أهمية العراق في القراءة والإقراء زمن الراشدين ؓ، حيث خص بمصحفين.

واستمرت كتابة المصاحف في عهد الراشدين ؓ فمن بعدهم في العراق، سواء أكان ما كتبه تلاميذ ابن مسعود عن شيخهم، أم ما كتبه على المصحف العثماني.

فهذا أبو حكيمة العبدي، كان يكتب المصاحف، وقال: «كنت أكتب المصاحف،

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨٧) ٦/١٨٣-١٨٤.

(٣) انظر: السندي، عبد القيوم عبد الغفور السندي، جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين ؓ، (د. ط)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف - المدينة النبوية، (د. ت)، ص ٤٣، فهد الرومي: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين ؓ ٣٠.

فبينما أنا أكتب مصحفاً، إذ مر بي علي بن أبي طالب، فقام ينظر إلى كتابي فقال: أجل قلمك. قال: فقصمت من قلمي قصمة ثم جعلت أكتب. فقال: هكذا نوره كما نوره الله عز وجل»^(١).

ومطر بن طهمان الوراق الخراساني البصري (ت ١٢٩هـ)، كان من العلماء العاملين، وكان يكتب المصاحف، ويتقن ذلك^(٢).

ومالك بن دينار البصري (ت ١٣١هـ)، كان يكتب المصاحف^(٣). وقال: «دخل عليّ جابر بن زيد وأنا أكتب، فقال: يا مالك، ما لك عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله، هذا- والله- الكسب الحلال»، وكان ينسخ المصحف في أربعة أشهر^(٤).

ج - تفسير القرآن:

يعد تفسير الصحابة في النوع الثالث من أنواع التفسير، بعد تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة، وذلك لما لديهم من الفهم والعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأكثر الصحابة في التفسير في العراق «عبدالله بن مسعود» (ت ٣٢هـ)، فقد ترك أثراً في التفسير وخاصة إيضاح التفسير بالقراءة، فإنه من أكثر الصحابة عناية بذلك، إذ لم يقاربه في ذلك أحد من الصحابة أو مفسري التابعين^(٥)، ويبين

(١) القاسم بن سلام: فضائل القرآن ١٢٠؛ الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت ٣٨٥هـ): المؤلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبد القادر، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٦هـ، ج ٢، ص ٥٦٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٥٢/٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٤٣/٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٦٣/٥.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٥.

(٥) محمد بن عبدالله الخضير: تفسير التابعين، ط: الأولى، دار الوطن - الرياض، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ٤٦٧.

الفصل الثاني

أثر الصحابة في الحياة العلمية في العراق

هذه المنزلة والمكانة العالية لابن مسعود في التفسير، مسروق الكوفي (ت ٦٣هـ)، حيث قال: «كان عبدالله يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار»^(١).

وكان ابن مسعود يسأل تلاميذه عن تفسير الآية ثم يفسرها، فعن أبي مسيرة، قال: قال لي ابن مسعود: «يا أبا مسيرة ما تقول في ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦] قال: قلت: لا أعلمها إلا بقر الوحش. قال: وأنا لا أعلم فيها إلا ما قلت»^(٢).

وتحدث ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) عن تفسير الصحابة في مكانته ومنزلته، مشيراً لمكانة ابن مسعود في التفسير فقال: «وحيث نذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح؛ لاسيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبدالله بن مسعود. قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: عن مسروق؛ قال: قال عبدالله -يعني ابن مسعود-: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناوله المطايا لأتيته».

ثم قرن بابن مسعود حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس فقال: «ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن... ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين؛ ابن

(١) الطبري: التفسير = جامع البيان ١/٨١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٠٦؛ الطبري: التفسير = جامع البيان ٢٤/٢٥.

أثر الصحابة رضي الله عنهم في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

مسعود وابن عباس»^(١).

وأشار ابن تيمية إلى مكانة ابن مسعود في التفسير فقال: «وكان ابن مسعود يقول: لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته، وكل واحد من أصحاب ابن مسعود وابن عباس نقل عنه من التفسير ما لا يحصيه إلا الله»^(٢).

ولقد كان البحر ابن عباس (ت ٦٨هـ)، إمام التفسير، يفسر القرآن في جامع البصرة، حيث ذكر الحسن البصري أنه كان مثجة كثير العلم، وأنه كان يقوم على منبر البصرة، فيقرأ البقرة وآل عمران، فيفسرهما آية آية^(٣).

وكان ابن عباس يغشى الناس في رمضان وهو أمير البصرة، فما ينقضي الشهر حتى يفقههم^(٤)، وعلى الرغم من أن أثر ابن عباس كان أكبر في الحجاز وخاصة مكة، إذ هو إمامها، فإنه ترك أثرًا في العراق خلال إمارته على البصرة، وكذا من خلال تلاميذه الذين استوطنوا العراق.

وعلي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، من أئمة الصحابة رضي الله عنهم في التفسير، ونقل عنه قوله: «أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟»^(٥).

(١) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، (د. ط)، مكتبة الحياة - لبنان، ١٤٠٩هـ، ص ٤٠-٤٢، مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦٤-٣٦٦.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٥/ ١٥٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٣٦٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٤، وابن عباس تولى إمارة البصرة سنة (٣٦هـ)، في خلافة عليّ وأقام فيها أربع سنين. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٤٣، وكان أهل البصرة مغبوطين به، يفقههم ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطي فقيرهم. ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ١٠٥، والحسن لم ير ابن عباس وإنما يحدث عن حدثه. ابن المديني: العلل ٥١.

(٤) ابن حجر: الإصابة ٤/ ١٢٩.

(٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٣٤، من رواية زاذان الكندي الكوفي، وأبي البخري الطائي الكوفي (ت ٨٣هـ)، وهي مشهورة عن أبي بكر الصديق.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية في العراق

وقال أبو الطفيل المكي الكوفي (ت ١١٠ هـ): «سمعت علياً رضي الله عنه يقول: لا يسألوني عن كتاب ناطق، ولا سنة ماضية، إلا حدثتكم، فسأله ابن الكواء عن الذاريات، فقال: هي الرياح»^(٦).

وعن يسيع الحضرمي الكوفي قال: كنت عند علي بن أبي طالب فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أ رأيت قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له علي: ادنه، ادنه! ثم قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، يوم القيامة^(٧).

وأشهر الصحابة ﷺ بالتفسير عشرة وهم:

- ١- عبدالله بن عباس.
- ٢- عبدالله بن مسعود.
- ٣- علي بن أبي طالب.
- ٤- أبي بن كعب.
- ٥- أبو بكر الصديق.
- ٦- عمر بن الخطاب.
- ٧- عثمان بن عفان.
- ٨- زيد بن ثابت.
- ٩- أبو موسى الأشعري.
- ١٠- عبدالله بن الزبير.

(٦) الطبري: التفسير = جامع البيان ٢٢/٣٩٠، وجاء عنه أنه قال: «شهدت علياً رضي الله عنه وهو يخطب ويقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به وسلوني عن كتاب الله؛ فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار أم بسهولة نزلت أم بجبل، فقام ابن الكواء وأنا بينه وبين علي رضي الله عنه فقال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ ① ﴿فَالْحَمَلَاتِ وَفَرًا﴾ ② ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ ③ ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ [سورة الذاريات: ١-٤]، قال: ويملك سل تفقها ولا تسل تعتنا...». ثم أجابه عند سؤاله وأسئلة أخرى تالية. ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/٤٦٤، وأبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي.

(٧) الطبري: التفسير = جامع البيان ٩/٣٢٧، يسيع بن معدان الحضرمي. ابن حبان: الثقات، ط: الأولى، دائرة المعارف العثمانية - الهند، ١٣٩٨ هـ ج ٥، ص ٥٥٨.

وهؤلاء العشرة ثلاثة منهم نزلوا العراق، وأشهرهم في التفسير الأربعة الأوائل،
واثنان منهم نزلوا العراق - عدا ابن عباس -^(١).

وعن طبقات التفسير يقول عباس الدوري (ت ٢٧١هـ): «وأما طبقات التفسير
فسته أيضاً: عبدالله بن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك بن
مزاحم، والسدي»^(٢).

وكلهم تابعيون سوى ابن عباس وكلهم عراقيون سوى مجاهد، أما ابن جبير فهو
مكي كوفي والغالب عليه كونه كوفياً^(٣)، وعليه فإن أربعة من خمسة من أئمة التفسير
من التابعين في طبقات الدوري عراقيون.

وذلك أنه اشتهر جماعة من التابعين في العراق بالتفسير، منهم «سعيد بن جبير
الكوفي» (ت ٩٤هـ)، قال قتادة: «كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء أعلمهم
بالمناسك، وكان سعيد بن جبير، أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي
ﷺ وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام»^(٤).

ومنهم «قتادة السدوسي البصري» (ت ١١٧هـ)، يقول معمر بن راشد: «وسمعت
قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً»^(٥).

(١) محمد لطفي الصباغ: لمحات في علوم القرآن، ط: الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤١٠هـ، ص
٢٠٢؛ الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، ط: الثانية عشرة، (د.ن)، (د.م)، ١٤٢٤هـ، ص ٣٧.

(٢) ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ١٦١/٢.

(٣) وسيرد مزيد تحرير لذلك في الصفحات التالية.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٧/٥، وهو قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ)، وسعيد بن جبير
كوفي على قول الأكثرين من أهل العلم، وعده بعضهم مكياً، وكان كثير التردد على مكة، وهو من كبار
تلاميذ ابن عباس، وتأثر به كثيراً في التفسير، ولذا غلب المنهج المكي على مسلكه عموماً - بحسب
رأي بعض الباحثين - محمد الحضيرى: تفسير التابعين ١٣٧/١ - ١٣٨.

(٥) الترمذي: السنن ٢٠٠/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٧١/٥، وعنده عن قتادة قال: ما سمعت
شيئاً إلا وحفظته. ومعمر بن راشد البصري اليباني (ت ١٥٣هـ).

وقال عنه أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): «كان فتادة عالمًا بالتفسير، وباختلاف العلماء...، ثم وصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره، وقال: فلما تجد من يتقدمه»^(١). كما اشتهر بالتفسير «إسماعيل السدي المفسر الكوفي» (ت ١٢٨هـ)، يقول إسماعيل بن أبي خالد الكوفي (ت ١٤٦هـ): «كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي - رحمهما الله-»^(٢)، ومر إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ) بالسدي وهو يفسر، فقال: «أما إنه ليفسر تفسير القوم»^(٣).

وعن التفسير عند التابعين قال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): «وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد...، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير»^(٤). ويذكر ابن تيمية المفسرين من التابعين بعد أن ينقل قول الثوري: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به» ثم يقول: «وكسعيد بن جبير (الكوفي)، وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح، والحسن (البصري)، ومسروق بن الأجدع (الكوفي)، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية (البصري)، والربيع بن أنس (البصري)، وفتادة (البصري)، والضحاك بن مزاحم (الكوفي)، وغيرهم من التابعين»^(٥).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧٦.

(٢) البخاري: التاريخ الكبير ١/ ٣٦١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٣١٣.

(٤) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٢٤-٢٥، مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٤٧؛ السيوطي: الإقنان ٤/ ٢٤٠.

(٥) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ٤٥، الفتاوى ١٣/ ٣٦٩، والنسبة للبلدان بين الأفراس من وضعي لتوضيح العراقيين منهم.

وهؤلاء (١١) مفسراً من كبار التابعين، والعراقيون منهم (٧).

ويشير أحد الباحثين إلى طبقات المفسرين فيقول: «ولو سبرت المفسرين المذكورين في كتب طبقات المفسرين، وأطلعت على ما دونوه من منجزاتهم في التفسير لظهر لك أنهم لا يخرجون عن أربعة أنواع: الأول- طبقة المجتهدين الأول:

وهم مفسرو السلف من الصحابة ﷺ والتابعين وأتباع التابعين، الذين دونت أقوالهم في كتب التفسير المسندة. وقد كان لهؤلاء اجتهاد واضح في التفسير، وكانوا أصحاب آراء فيه، فمن المفسرين من جيل الصحابة ﷺ: ابن مسعود (ت ٣٢هـ)، وابن عباس (ت ٦٨هـ).

ومن المفسرين من جيل التابعين: أبو العالية (البصري)، (ت ٩٣هـ)، وسعيد بن جبير (الكوفي)، (ت ٩٤هـ)، والشعبي (الكوفي)، (ت ١٠٣هـ)، ومجاهد بن جبر (المكي الكوفي) (ت ١٠٤هـ)، والضحاك بن مزاحم (الكوفي)، (ت ١٠٥هـ)، وعكرمة (ت ١٠٥هـ)، والحسن (البصري)، (ت ١١٠هـ)، وعطاء بن أبي رباح (١١٤)، وقتادة (البصري)، (ت ١١٧هـ)، ومحمد بن كعب القرظي (الكوفي المدني)، (ت ١١٨هـ)، والسدي (الكوفي)، (ت ١٢٨هـ)، وزيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ)، وأبو مالك غزوان الغفاري (الكوفي)»^(١).

وهؤلاء (١٣) مفسراً و(٨) منهم عراقيون، والتاسع مكّي عراقي، والعاشر مدني عراقي.

(١) مساعد بن سليمان الطيار: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط: الثانية، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤٢٧هـ، ص ٢١٠-٢١١، والنسبة للبلدان بين الأقواس من وضعي، قال ابن سعد: أبو مالك الغفاري صاحب التفسير وكان قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٩٥.

ثم يذكر المفسرين من أتباع التابعين، «ومن المفسرين في جيل أتباع التابعين: الكلبي (الكوفي) (ت ١٤٦هـ)، ومقاتل بن حيان (ت ١٥٠هـ)، وابن جريج (ت ١٥٠هـ)، وسفيان الثوري (الكوفي) (ت ١٦١هـ)، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢هـ)، ويحيى بن سلام البصري (ت ٢٠٠هـ)»^(١). وهؤلاء (٧) مفسرين و(٣) منهم عراقيون.

وبحسب هذه الدراسة، عن طبقة المجتهدين الأول من المفسرين، وهم مفسرو السلف من الصحابة ؓ والتابعين وأتباع التابعين، فإن للعراق نصيباً كبيراً منهم، حيث ذكرت الدراسة اثنين من الصحابة ؓ أحدهما ابن مسعود، والآخر ابن عباس، وذكرت من التابعين (١٣)، منهم (٨) عراقيون، و(٢) عراقيان حجازيان، وذكرت من أتباع التابعين (٧) منهم (٣) عراقيون، وإذا كان مجموع هذه الطبقة (٢٠) باستثناء الصحابين، فإن العراقيين منهم (١١).

وأشهر مدارس التفسير في عهد التابعين أربع، وترتيبها حسب كثرة المروي عنها في التفسير كما يلي^(٢):

(١) مساعد الطيار: مفهوم التفسير والتأويل ٢١٠-٢١١.

(٢) كما توصل لذلك أحد الباحثين، انظر: الخضير: تفسير التابعين ١/٣٦٩، ١/٣٧١-٥٢٤، حيث ذكر نسبة مرويات كل مدرسة منها، من مجموع التفسير المروي عن مشاهير مفسري التابعين على النحو التالي: المكيّة (٠،٤٦)، البصريّة (٠،٣٨)، الكوفيّة (٠،١٤)، المدنيّة (٠،٠٢)، ويعزو القلة في ذلك عند المدنيّة هيبتها وتعظيمها للتفسير. الخضير: تفسير التابعين ١/٥٠٥، وكذا الكوفيّة حيث هابت التفسير وتورعت فيه. ١/٥٠١. وإن كان المشهور لدى الباحثين ثلاث مدارس للتفسير حيث لا يذكرون المدرسة البصرية، وإنما يوردونها ضمن الكوفية رغم أن مروياتها أكثر من الكوفية كما هو واضح في دراسة الخضير أعلاه. انظر: الذهبي، محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ): التفسير والمفسرون، (د. ط)، مكتبة وهبة - القاهرة، (د. ت)، ج ١، ص ٧٦-٨٨، الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم ٣٥.

أثر الصحابة في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

١- المدرسة المكيّة.

٢- المدرسة البصريّة.

٣- المدرسة الكوفيّة.

٤- المدرسة المدنيّة.

وهنا نجد أن أشهر مدارس التفسير في عهد التابعين، حجازيتان وعراقيتان.

هذا وقد أفاد العراقيون من المدرسة المكيّة، حيث أخذوا عن ابن عباس حين تولى إمارة البصرة^(١).

وهذا أبو العالية البصري (ت ٩٣هـ)، الذي صحب ابن عباس، وكان يذنيه على سرير الإمارة، يقول: «كان ابن عباس يرفعني على السرير، وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرة»^(٢).

وفوق ذلك كان كثير التردد على مكة حيث حج ستاً وستين حجة^(٣)، فكان يلقي ابن عباس فيها.

وكذا سعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٤هـ)، وهو من كبار أصحاب ابن عباس، وكان

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٤٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، وتقدمت الإشارة إلى ذلك قريباً.

(٢) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ١٨/ ١٧٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٨، قال الذهبي: هذا كان سرير دار الإمارة، لما كان ابن عباس متوليها لعلي رضي الله عنهما.

(٣) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط: الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٠٠؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط: الأولى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ، ج ١، ص ١٠٢، محمد الخضير: تفسير التابعين ٢٩١.

كثير التردد على مكة، ومثل حلقة اتصال مهمة بين المدرستين، مما كان له الأثر في تقارب المدرستين الكوفية والمكية، ذلك أن ابن جبير الذي كان من أكثر تلاميذ ابن عباس رواية عنه في التفسير أكثر من رواية تفسير شيخه بين طبقة متوسطي التابعين فتناقله تلاميذه الكوفيون، وقد ظهر ذلك جلياً عند صغار التابعين منهم، أمثال السدي، والضحاك بن مزاحم، ثم عند الثوري^(١).

كما أخذ العراقيون عن ابن عباس في المدينة، فهذا أبو الجوزاء الربيعي البصري (ت ٨٣هـ)، يقول: «جاورت ابن عباس في داره اثنتي عشرة سنة ما في القرآن آية إلا وقد سألته عنها»^(٢).

وأفاد العراقيون من المدرسة المدنيّة ذلك أن من أشهر تلاميذها أبو العالية البصري^(٣)، وقد أخذ القراءة والتفسير فيها عن كبار الصحابة   وفي مقدمتهم أبي بن كعب، ولذا جمع أبو العالية بين علوم مكة والمدينة والبصرة في التفسير، وعليه فقد أفاد التابعون في العراق من مدارس التفسير في الحجاز.

وبسبب هذا التفوق للعراقيين في التفسير فقد كانوا من أول من دون التفسير، «أول ما دون من العلوم التفسير، ومن أقدم التفاسير تفسير أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي (البصري ت ٩٣هـ) الذي رواه الربيع بن أنس عنه، ثم تفسير مجاهد بن جبر (المكي الكوفي ت ١٠٤هـ)، ثم تفسير عطاء بن أبي رباح (المكي ت ١١٤هـ) ثم تفسير محمد بن كعب القرظي (المدني الكوفي ت ١١٧هـ)»^(٤).

(١) محمد الخضير: تفسير التابعين ١/٤١٧-٤٢٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٢٤؛ ابن قتيبة: المعارف ١/٤٦٩؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/١٥٢، وأبو الجوزاء هو أوس الربيعي.

(٣) الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٨٦-٨٧.

(٤) الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي (ت ١٦١هـ): تفسير سفيان الثوري، مقدمة المصحح

ص ٥، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣هـ.

د- علوم القرآن.

ومما يؤكد الأثر الكبير الذي تركه الصحابة ﷺ في تعليم القرآن وتفسيره في العراق، أن العراقيين إلى جانب كونهم من أول من دون التفسير، فقد كان كثير من أوائل المصنفات في علوم القرآن عراقية المشرب، إذ كان للعراق نصيب كبير منها، ومن ذلك:

أ- في القراءات: فأول كتاب في القراءات هو كتاب «القراءات» ليحيى بن يعمر العدواني البصري (ت ٨٩هـ)^(١).

ب- في النسخ والمنسوخ: حيث إن أول كتاب وصل إلينا عن النسخ والمنسوخ هو كتاب «النسخ والمنسوخ» لقتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ)^(٢).

وتتابعت بعد ذلك المصنفات في علوم القرآن كما في غيرها، وظهر هذه المصنفات الأولى في علوم القرآن من العراق يؤكد الأثر العلمي الكبير الذي تركه الصحابة ﷺ في تعليم القرآن وتفسيره في إقليم العراق.



(١) السيوطي: الإتيان، مقدمة التحقيق، ٢٦؛ عبد القيوم السندي: صفحات في علوم القراءات، ط: الأولى، المكتبة الأمدادية، (د. م)، ١٤١٥هـ ص ٣٩.

(٢) قتادة السدوسي، قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز البصري (ت ١١٧هـ): النسخ والمنسوخ، مقدمة المحقق ص ٥، تحقيق: حاتم صالح انضمامن، ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة، (د. م)، ١٤١٨هـ.

المبحث الثالث

أثر الصحابة   فيه رواية السنّة

إذا كان أثر الصحابة   قوياً وظاهراً في تعليم القرآن في العراق فهو كذلك في رواية السنة والتحديث، رغم ما ورد عن عمر بن الخطاب من توصيته الصحابة   الذين بعثهم لتعليم الناس في الكوفة بالإقلال من الرواية عن النبي   حتى لا يصدوهم عن القرآن^(١)، ومع ذلك فقد حفظت لنا كتب الحديث والتراجم ما يشعر بمنافسة العراق للحجاز في السنة والحديث، حيث أخذ العراقيون عن الصحابة   ممن نزل العراق أمثال: أنس بن مالك، وعبدالله بن عباس، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وسواهم   بل إن منهم من رحل للمدينة النبويّة للقاء الصحابة   المقيمين فيها والأخذ عنهم، ولذا فإن كلاً من ابن سعد وخليفة في «طبقاتهما» راعى في تقديم البلدة على غيرها كثرة العلماء ونشاط الرواية فيها، حيث اتفقا على تقديم المدينة، فالكوفة، فالبصرة، على بقية المدن الإسلامية، كذلك فعل ابن حبان بعد ما يزيد على القرن من ظهور كتابيهما^(٢).

وحيث إن عددًا من الأصحاب   الذين نزلوا العراق هم من أصحاب الرواية، وفيهم من هو من المكثرين، فسأعرض لهم مشيراً لعدد مروياتهم الحديثية، كما أوردتهم «بقي بن مخلد» (ت ٢٧٦هـ)، في مقدمة مسنده، حيث بدأ «بأصحاب الألوّف»، وهم أربعة، منهم أنس بن مالك نزيل البصرة: ألفان ومئتان وستة وثمانون حديثاً (٢٢٨٦)، وهو الثالث في الرواية بعد أبي هريرة وابن عمر.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٦، وتقدمت الإشارة إليه في هذا الفصل.

(٢) خليفة: الطبقات، مقدمة المحقق ٥٤.

ثم «بأصحاب الألف».

ثم «أصحاب المئين»، بدأهم بعبدالله بن مسعود: ثمانمئة وثمانية وأربعون حديثاً (٨٤٨)، وهو الثامن في الرواية عنده من بين الصحابة ﷺ، في حين أن بعض الدراسات تجعل ابن مسعود من أصحاب الألف^(١).

وعلي بن أبي طالب: خمسمئة وستة وثلاثون حديثاً (٥٣٦)، وهو العاشر في الرواية من بينهم.

وأبي موسى الأشعري: ثلاثمئة وستون حديثاً (٣٦٠)، وهو الثالث عشر في الرواية من بينهم.

والبراء بن عازب: ثلاثمئة وخمسة أحاديث (٣٠٥)، وهو الرابع عشر في الرواية من بينهم.

وسعد بن أبي وقاص: مئتان وواحد وسبعون حديثاً (٢٧١)، وهو السادس عشر في الرواية من بينهم^(٢).

وحذيفة بن اليمان: مئتان وخمسة وعشرون حديثاً (٢٢٥)، وهو الثامن عشر في الرواية من بينهم^(٣).

(١) في دراسة عن مرويات ابن مسعود في الكتب الستة، والموطأ، ومسنند أحمد ذكرت الدراسة « أن المقدار الذي وصل إلينا عن ابن مسعود في هذه الرسالة زاد على ألف حديث، وأن ما ورد عنه بأسانيد صحيحة يقارب (١١٠٣)، وبأسانيد حسان (١٦)، وحسنة لغيرها (٥٧٧)، فيكون مجموعها بهذه الأسانيد (١٦٩٦)». منصور العبدلي: مرويات ابن مسعود، ط: الأولى، دار الشروق - جدة، ١٤٠٦هـ ج ٢، ص ٦٦٢.

(٢) بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٧٩-٨١.

(٣) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ): أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، ضمن جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس وناصر الدين الأسد، ط: الأولى، =

الفصل الثاني

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية في العراق

ثم «أصحاب المئة»، ومنهم عمران بن حصين: مئة وثمانون حديثاً (١٨٠)، وهو الثاني والعشرون في الرواية من بين الصحابة ﷺ.

وبريدة بن الحبيب الأسلمي: مئة وسبعة وستون حديثاً (١٦٧)، وهو الرابع والعشرون في الرواية من بينهم، وقد اختط في البصرة، ثم خرج منها غازياً إلى خراسان فمات بمرور.

وجابر بن سمرة الأنصاري: مئة وستة وأربعون حديثاً (١٤٦) وهو الثلاثون في الرواية من بينهم.

والمغيرة بن شعبة: مئة وستة وثلاثون حديثاً (١٣٦)، وهو الثاني والثلاثون في الرواية من بينهم.

وأبو بكرة نفيح بن الحارث: مئة واثنان وثلاثون حديثاً (١٣٢)، وهو الثالث والثلاثون في الرواية من بينهم.

ثم النعمان بن بشير: مئة وأربعة عشر حديثاً (١١٤)، وهو السابع والثلاثون في الرواية من بينهم.

وأبي مسعود الأنصاري: مئة حديث وحديثان (١٠٢)، وهو الثامن والثلاثون في الرواية من بينهم.

= دار المعارف، (د. م)، (د. ت)، ص ٢٧٧، ولم يورده بقي بن مخلد، وقد ذكر أحد الباحثين أن لحذيفة أكثر من هذا الرقم من الروايات، إذ تزيد على ثلاثمئة حديث وإن لم يصل إلى الرقم بدقة، وقال الأولى أن يرفع حذيفة إلى الدرجة التي يروي أصحابها أكثر من ثلاثمئة حديث ولم يصلوا إلى الألف عند ابن حزم. إبراهيم بن محمد العلي: حذيفة بن اليمان أمين سر رسول الله ﷺ، ط: الأولى، دار الأرقم - دمشق، ١٤١٧ هـ ص ١٥٤.

وجريير بن عبدالله الجلي: مئة حديث (١٠٠)، وهو التاسع والثلاثون في الرواية من بينهم^(١).

وأكتفي بهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم ممن روى مئة حديث فأكثر ممن نزل العراق، وهم ستة عشر (١٦) صحابياً من بين ثمان وثلاثين (٣٨) صحابياً هم الأكثر رواية من الصحابة رضي الله عنهم، حسب ما أورده «بقي بن مخلد».

ويبقى الصحابي الجليل «أنس بن مالك» (ت ٩٣هـ)، أكثر الصحابة رضي الله عنهم أثراً في نشر السنة في العراق، حيث نقل عنه تلاميذه من البصريين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا فاقت البصرة الكوفة في هذا الميدان، وعرف البصريون برواية السنة والتحديث.

ويبين «أنس» لتلاميذه رغبته في مجالس العلم، فيحدثهم بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غدوة إلى طلوع الشمس، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ومن العصر إلى غروبها أحب إلي من كذا وكذا»، قال يزيد الرقاشي: كان أنس إذا حدث هذا

(١) بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٨١-٨٣، وانظر: ابن حزم: أساء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، ضمن جوامع السيرة ٢٧٨، هذا وعن تفاوت الصحابة في كثرة الرواية مع أن جميعهم أئمة يقتدى بهم فإن «محمد بن عمر الواقدي» بين فضل الصحابة وعلمهم، والسبب الذي من أجله كان أكثر الرواية والعلم إنشاء جاء عن صغار الصحابة، فيقول: «إنما قلت الرواية عن الأكبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم هلكوا قبل أن يحتاج إليهم. وإنما كثرت عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب لأنها وليا فسئلا وقضيا بين الناس. وكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أئمة يقتدى بهم ويحفظ عليهم ما كانوا يفعلون ويستفتون فيفتون. وسمعوا أحاديث فأدوها فكان الأكبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل حديثاً عنه من غيرهم... فلم يأت عنهم من كثرة الحديث مثل ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،... فكان أكثر الرواية والعلم في هؤلاء ونظراتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم بقوا وطالت أعمارهم واحتاج الناس إليهم. ومضى كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله وبعده بعلمه لم يؤثر عنه بشيء ولم يحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٧٦-٣٧٧.

الفصل الثاني

أثر الصحابة في الحياة العلمية في العراق

الحديث، أقبل عليّ، وقال: «والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك، ولكنهم قوم يتعلمون القرآن والفقه»^(١)، وكان «أنس» ينكر عليه الوعظ والقصص في المسجد^(٢).

و«أنس بن مالك» وهو من المكثرين في الحديث كان يحتاط في حديثه أن لا يكون جاء بنص الحديث، قال تلميذه محمد بن سيرين البصري (ت ١١٠هـ): كان أنس بن مالك، إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال: «أو كما قال رسول الله ﷺ»^(٣).

ويغضب حين يُحدّث ويُسأل، فعن أنس بن مالك أنه حدّث بحديث عن رسول الله ﷺ، فقال رجل: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ فغضب غضباً شديداً، وقال: «والله ما كل ما نحدثكم به سمعناه من رسول الله ﷺ، ولكن كان يحدث بعضنا بعضاً، ولا يتهم بعضنا بعضاً»^(٤)، ذلك أن الصحابي عدل غير متهم، ولذلك كان بعضهم يروي عن بعض عن رسول الله ﷺ.

ويؤكد منزلته في الحديث في البصرة مورق العجلي البصري (ت ١٠٨هـ)، قال قتادة: «لما مات أنس بن مالك قال مورق: ذهب اليوم نصف العلم، قيل: كيف ذاك يا أبا المعتمر؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعال إلى من سمعه من النبي ﷺ»^(٥).

(١) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ١/ ٩١؛ انظر: البيهقي: السنن الكبرى ٨/ ٦٨.

(٢) يزيد الرقاشي البصري وكان قاصاً زاهداً. ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٠٩.

(٣) أحمد: المسند (١٣١٢٤) ٢٠/ ٣٨٥؛ ابن ماجه: السنن (٢٤) ١/ ١١؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢١.

(٤) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین (٦٤٥٨) ٣/ ٦٦٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢١، ونقل نحوه عن البراء بن عازب.

(٥) البخاري: التاريخ الكبير ٢/ ٢٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٤٥٧، قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ).

وكان «عبدالله بن مسعود» (ت ٣٢هـ) من أكثر الصحابة أثرًا في الكوفة، قال الشعبي (ت ١٠٣هـ): «ما دخل الكوفة أحد من الصحابة أنفع علمًا ولا أفاقه صاحبًا من عبدالله»^(١).

وكان «ابن مسعود» شديد الورع في التحديث، وكان يحذر التحديث عن النبي ﷺ، عن علقمة: «أن عبدالله بن مسعود كان يقوم قائمًا كل عشية خميس، فما سمعته في عشية منها يقول: قال رسول الله، غير مرة واحدة، قال: فنظرت إليه وهو معتمد على عصا، فنظرت إلى العصا تززع»^(٢).

وفي ذلك ما فيه من تعظيم السنة عنده، ولذا قال عمرو بن ميمون الأودي الكوفي (ت ٧٤هـ): جلست إلى عبد الله - أظنه، قال: سنة - فما سمعناه يحدث فيها عن رسول الله ﷺ، إلا أنه تحدث يومًا فجرى على لسانه: «قال رسول الله» فعلته كربة حتى رأيت العرق يتحدر عليه، قال: «إن شاء الله أما فوق ذا، أو قريب من ذا، أو دون ذا»^(٣).

وكان يتخول الكوفيين في التحديث، قال عبدالله بن مرداس الكوفي: «كان عبدالله يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلمات، فيسكت حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا»^(٤).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ١٥٦-١٥٧؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٣٣/ ١٦١، وعلقمة بن قيس الكوفي (ت ٦٢هـ).

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ط: الثانية، مكتبة ابن تيمية - مصر، (د. ت)، رقم (٨٦٢٩)، ج ٩، ص ١٢١؛ انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ١٥٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف ١١/ ٢٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٢.

وفعل ذلك خشية إملالهم، وهو يهتدي برسول الله   في ذلك، قال أبو وائل شقيق بن سلمة الكوفي (ت ٨٢هـ): خرج علينا عبد الله، فقال: إني أخبر بمكانكم، فما يمنعي أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملككم، «إن رسول الله   كان يتخولنا بالموعظة في الأيام، مخافة السامة علينا»^(١).

وحرص «ابن مسعود» على أن يحدث الناس بما يعقلون، وهو الذي يقول: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم»^(٢).

و«عمران بن حصين» (ت ٥٢هـ)، له أسطوانة يستند إليها في مسجد البصرة في حلقة يحدثهم، قال هلال بن يساف: «قدمت البصرة، فدخلت المسجد، فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية، مستند إلى أسطوانة في حلقة يحدثهم. قال: فسألت: من هذا؟ فقالوا: عمران بن الحصين»^(٣).

ولم يكتف العراقيون بسماع الرواية عن الصحابة   في العراق، ولا عن من سمع عن الصحابة   في المدينة، بل رحلوا إليها ليأخذوا عنهم مباشرة، فعن أبي العالية الرياحي البصري (ت ٩٣هـ) قال: «إن كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله  ، فلم نرض، حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواهم»^(٤).

وقد برز عدد كبير من المحدثين من تلاميذ الصحابة   في العراق:

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢١) ٤/٢١٧٢؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/٤٣٥.

(٢) البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى (٦١١)، ٣٦٢؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٠-١١؛ الطبراني: المعجم الكبير ١٨/١٠٣؛ الحاكم: المستدرک (٥٩٨٨) ٣/٥٣٥.

(٤) الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ): مسند الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: الأولى، دار المغني للنشر - السعودية، ١٤١٢هـ، رقم (٥٨٣)، ج ١، ص ٤٦٥، وقال المحقق: إسناداه صحيح؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١٣.

منهم «أبو وائل الكوفي» (ت ٨٢هـ)، الذي قال عنه إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ) «قد أدركت أصحاب عبدالله وهم متوافرون وهم يعدونه من خيارهم»^(١).

ومنهم «قيس بن أبي حازم الكوفي» (ت ٩٨هـ)، قال سفيان بن عيينة الكوفي المكي (ت ١٩٨هـ): «ما كان بالكوفة أحد أروى عن أصحاب رسول الله ﷺ، من قيس بن أبي حازم»^(٢).

ومنهم «الشعبي الكوفي» (ت ١٠٣هـ)، الذي قال: «أدركت خمسمئة من أصحاب النبي ﷺ»^(٣)، وقال العجلي: «سمع الشعبي من ثمانية وأربعين من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: ولا يكاد يرسل إلا صحيحًا»^(٤).

وقال الشعبي: «ما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالماً»^(٥)، وقال ابن أبي ليلى الأنصاري الكوفي (ت ٨٢هـ): «كان إبراهيم صاحب قياس، والشعبي صاحب آثار»^(٦).

ومنهم «سعید بن جبیر الكوفي» (ت ٩٤هـ)، الذي قال له ابن عباس: حدث. قال: أحدث وأنت ها هنا؟! قال: أوليس من نعمة الله عليك أن تتحدث وأنا شاهد، فإن

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٩/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦٣/٤، الأعمش الكوفي (ت ١٤٨هـ).

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩٩/٤؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤٤٩/١٢، وكان انتقال ابن عيينة من الكوفة إلى مكة سنة (١٦٣هـ) فاستمر بها إلى أن مات. ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢٢/٤.

(٣) البخاري: التاريخ الكبير ٤٥٠/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٩٨/٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٠١/٤؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٣٤٦/٢٥.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢٢٤/١٢؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٣٥١/٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٠١/٤.

(٦) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٣٦٧/٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٠٣/٤.

أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك^(١).

ويقول: «ربما أتيت ابن عباس، فكتبت في صحيفتي حتى أملاها، وكتبت في علي حتى أملاها، وكتبت في كفي»^(٢).

ومن أئمة الحديث من التابعين البصريين، «بشير بن كعب العدوي البصري»، قال عمرو بن دينار المكي (ت ١٢٦هـ): «قال لي طاوس: اذهب بنا نجالس الناس. قال: فجلسنا إلى رجل من أهل البصرة يقال له بشير بن كعب العدوي، فقال طاوس: رأيت هذا أتى ابن عباس فجعل يحدثه. فقال ابن عباس: كأني أسمع بحديث أبي هريرة»^(٣).
ومنهم «أبو قلابة الجرمي البصري» (ت ١٠٤هـ)، وهو عبدالله بن زيد، «وكان ثقة، كثير الحديث»^(٤).

ومنهم «الحسن البصري» (ت ١١٠هـ)، الذي أثنى عليه شيخه «أنس بن مالك» (ت ٩٣هـ)، وأحال السؤال عليه حين سئل، ذلك «أن أنس بن مالك، سئل عن مسألة، قال: عليكم مولانا الحسن، فسلوه، فقالوا: يا أبا حمزة، نسألك وتقول سلوا مولانا الحسن؟ فقال: إنا سمعنا وسمع، فحفظ ونسينا»^(٥).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٥٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٣٣٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٣٣٥.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٩٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/٤٧١، ووفاة بشير قبل التسعين للهجرة.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٨٣؛ العجلي: الثقات ٢٥٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٧٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٧٣، من رواية خالد بن رباح الهذلي، ولعله ابن رباح البصري. ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس التميمي، الرازي (ت ٣٢٧هـ): الجرح والتعديل، ط: الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند، ١٢٧١هـ، ج ٣، ص ٣٣٠.

ومنهم «قتادة السدوسي البصري» (ت ١١٧هـ)، الذي سُهر بالحفظ حتى قال بكر المزني: «من سره أن ينظر إلى أحفظ من أدركنا، فلينظر إلى قتادة»^(١).

وتشتهر الرواية والتحديث في العراق حتى يكون للتابعي الواحد المئين من الشيوخ، فهذا أبو إسحاق السبيعي الكوفي (ت ١٢٧هـ)، الذي ذكر علي بن المديني البصري (ت ٢٣٤هـ): أنه أحصى مشيخته وأنهم نحو من ثلاثمئة شيخ، وقال علي في موضع آخر: أربعمئة شيخ، وقيل: إنه سمع من ثمانية وثلاثين صحابياً^(٢)، وقال أبو حاتم: «هو يشبه الزهري في الكثرة»^(٣).

ويبرز أئمة حفاظ كبار يبلغ من شأنهم أن يكون عليهم مدار الحديث، يقول أبو داود الطيالسي البصري (ت ٢٠٣هـ): «وجدنا الحديث عند أربعة: الزهري، وقاتادة، وأبو إسحاق، والأعمش، وكان قتادة أعلمهم بالاختلاف، والزهري أعلمهم بالإسناد، وأبو إسحاق أعلمهم بحديث علي وابن مسعود، وكان عند الأعمش من كل هذا، ولم يكن عند واحد من هؤلاء إلا ألفين ألفين»^(٤).

وثلاثة من هؤلاء الأربعة الذين ذكرهم الطيالسي عراقيون، وهو ما يبين الأثر الكبير للصحابة في نشر السنة والحديث في العراق.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧١-٢٧٢؛ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): شرح علل الترمذي، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، ط: الأولى، مكتبة المنار - الأردن، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٤٤١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٦/ ٢١٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٤، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٤.

(٤) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٩٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٠١.

ويتتابع الأمر من بعد ذلك في العراق، إذ يظهر فيه كبار الأئمة في الحديث من تلاميذ التابعين شهروا بالحفظ والرواية.

وقد عرف أهل البصرة بالرواية والتحديث، فيأتون بعد أهل المدينة في ذلك، قال الخطيب البغدادي: «ولأهل البصرة من السنن الثابتة بالأسانيد الواضحة ما ليس لغيرهم مع إكثارهم وانتشار رواياتهم»^(١)، وقال ابن تيمية: اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الأحاديث أحاديث أهل المدينة، ثم أحاديث أهل البصرة، وأما أحاديث أهل الشام فهي دون ذلك^(٢).

والتقليل من التحديث هو نهج كثير من محدثي التابعين في العراق فهذا الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) يقول: «لولا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدثتكم بكثير مما تسألون عنه»^(٣).

وأبو قلابة الجرمي البصري (ت ١٠٤ هـ) يحدث ثلاثة أحاديث، فعن خالد قال: «كنا نأتي أبا قلابة، فإذا حدثنا ثلاثة أحاديث قال: قد أكثرت»^(٤)، ونقل مثل ذلك عن سليمان التيمي وغيره^(٥).

ومذاكرة الحديث أسلوب من أساليب ضبط الحفظ يتواصى به كبار تابعي العراق، فهذا عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي (ت ٨٢ هـ) يقول: «حياة الحديث مذاكرته»، قال: وقال عبدالله بن شداد: «يرحمك الله كم من حديث قد أحبيته في

(١) الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي ٢/٢٨٦؛ السيوطي: تدريب الراوي ١/٨٦.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٢٠/٣١٦؛ السيوطي: تدريب الراوي ١/٨٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٥٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٨٥.

(٥) عبد العزيز بن محمد العجلان: أبو المعتمر التيمي ومروياته في السيرة النبويّة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٢٢ هـ. ص ١٧٣.

صدري قد كان مات»^(١).

والوعظ والتذكير والقصص باب من أبواب الحديث، وفي عصر الخلفاء الراشدين ظهر القصاص في العراق، حيث اشتهر عدد منهم فكانوا يقومون بالتذكير والوعظ، منهم الصحابي الأسود بن سريع (ت ٤٢هـ) نزيل البصرة، ووزارة بن أوفى البصري (ت ٧٣هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وعدي بن ثابت الأنصاري الكوفي (ت ١١٦هـ)، وقتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ)، وثابت البناني البصري (ت ١٢٧هـ)، ومطر الوراق الخراساني البصري (ت ١٢٩هـ)، وسواهم.

وكانوا يقصون في المسجد، وأحياناً في المنازل، وكان للصحابة موقف حذر من القصاص ولعل هذا يرجع إلى تخوفهم من إيرادهم الأخبار دون تمحيص، وأن الناس ينشغلون بها عن العلوم الشرعية^(٢)، كما كان للصحابة موقف من بعضهم ممن تنقصه بعض أدوات العلم أو ظهر منه انحراف، وقد نقل ذلك عن عليّ، وابن مسعود، وابن عباس.

حيث نهى عليّ عن طلب الشهرة بالقصاص، فقد ورد «أن علياً^(٣) دخل مسجد الكوفة فرأى قاصاً يقص فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل محدث، قال: إن هذا يقول:

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١١٢؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٢٨٦؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٥٧٩/٢.

(٢) عبد السلام بن محسن آل عيسى: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية، ط: الأولى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ، ج ٢، ص ٨٧٦.

(٣) في الأصل: عليه السلام، وهذا وإن كان معناه صحيحاً، إلا أنه من شعار الأنبياء، وقد نقل ابن كثير عن أهل العلم النهي عن ذلك، و«هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى؟ على ثلاثة أقوال»، ثم قال: «وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحاً، لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين. التفسير ٦/٤٢٢ - ٤٢٣.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية في العراق

اعرفوني سلوه هل يعرف الناسخ من المنسوخ؟ فسألوه فقال: لا، فقال: لا تحدث^(١). وذكر لابن مسعود قاص يجلس بالليل ويقول للناس: قولوا: كذا، قولوا: كذا، فقال: «إذا رأيتموه فأخبروني، فأخبروه. قال: فجاء عبدالله متقنعا، فقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبدالله بن مسعود، تعلمون أنكم لأهدى من محمد وأصحابه، وإنكم لمتعلقون بذنب ضلالة»^(٢).

و«بلغ عمر أن رجلاً يقص بالبصرة فكتب إليه: ﴿الرَّيَّةَ أَيَّتُ الْكِنْبِ الثَّيْنِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴿٣﴾ [سورة يوسف: ١-٣] إلى آخر الآية، قال: فعرف الرجل فتركه»^(٣).

ومر ابن عباس بقاص يقص فركله برجله، وقال: «أندري ما الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا قال: هلكت وأهلكت»^(٤).

وكان موقف الصحابة ﷺ نهي القصاص وزجرهم، بل إخراجهم من المسجد، وذلك ممن «اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار»^(٥). ولذا «أخرج عليُّ القصاص من المسجد، ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه إذا كان يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال...»^(٦).

(١) النحاس: الناسخ والمنسوخ ٤٨-٤٩، ٥١-٥٢؛ ابن شيبه: المصنف ٥/٢٩٠.

(٢) عبدالرزاق: المصنف ٣/٢٢١؛ الطبراني: المعجم الكبير (٨٦٢٩) ٩/١٢٥، من رواية قيس بن أبي حازم البجلي الكوفي (ت ٩٨).

(٣) ابن أبي شيبه: المصنف ٥/٢٩١.

(٤) النحاس: الناسخ والمنسوخ ٥٠-٥١.

(٥) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ): إحياء علوم الدين، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، (د. ت)، ج ١، ص ٣٥.

(٦) الغزالي: إحياء علوم الدين ١/٣٤-٣٥.

وحتى يتضح لنا الأثر الكبير للصحابة في نشر الحديث والسنة في العراق نقف على بعض الكتب المعنوية بتراجم الرواة، والتي تذكرهم على طبقات حسب أمصارهم وبلدانهم مما يدخل تحت مسمى كتب «الطبقات»، لتتعرف إلى أثر الصحابة في نشر السنة في العراق بين تلاميذهم من التابعين وذلك بمقارنتهم بأمثالهم في الحجاز، حيث نقف على كتابين من أقدم ما كتب في هذا الفن وهما:

١- الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠هـ).

٢- كتاب الطبقات لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ).

١/ أما ابن سعد فقد بلغ عدد رجال الطبقات الثلاث الأولى عنده من البصريين (٢١٨) بينما عدد الكوفيين (٥٣٦) ليصبح مجموع العراقيين عنده (٧٥٤) تابعياً. في حين بلغ عدد رجال الطبقات الثلاث الأولى عند ابن سعد من المدنيين (٤٧٦)، بينما عدد المكيين (٨٩)، ليصبح مجموع الحجازيين عنده (٥٦٥)، تابعياً، ويكون التفوق في العدد للعراق^(١).

٢/ وأما خليفة فقد بلغ عدد رجال الطبقات الأربع الأولى عنده من البصريين (٢٧٠) بينما عدد الكوفيين (٢٤٤)، ليصبح مجموع العراقيين عنده (٥١٤) تابعياً. في حين بلغ عدد المدنيين (٣٨٥)، بينما عدد المكيين (٦٥) ليصبح مجموع الحجازيين عنده (٤٥٠) تابعياً، فيكون التفوق في العدد للعراق^(٢)، كما هو عند ابن سعد.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، الكوفيون ٦٦/٦ - ٣٣٦، والبصريون ٧/٩١ - ٢٤٦، والمكيون ٥/٤٦٣ - ٤٩٠، والمدنيون: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٧/٥ - ٤٢٨، ط: الخانجي، لوجود نقص في تابعي المدينة في طبعة صادر التي اعتمدت عليها في سائر الكتاب.

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات، الكوفيون ١٤٠ - ١٦٣، والبصريون ١٩٠ - ٢١٥، والمدنيون ١٣٠ - ٢٦٥، والمكيون ٢٧٩ - ٢٨٤، ذلك أن الطبقات الأربع عند خليفة تقارب الطبقات الثلاث عند ابن سعد لاختلافهم في تحديد الطبقة.

ومما يوضح أثر الصحابة ؓ في العراق وكثرة تلاميذهم؛ التفوق الكبير لعدد رجال الطبقة الأولى في العراق عنهم في الحجاز، حيث إنهم في الكوفة أكثر منهم في الحجاز بأضعاف، بينما هم في البصرة مقاربون لهم في الحجاز، فعدد العراقيين في الأولى عند ابن سعد (٣٩٦)، وعددهم عند خليفة (٢٢١)، ليصبح مجموعهم (٦١٧)، بينما عدد الحجازيين في الأولى عند ابن سعد (١٥٢)، وعددهم عند خليفة (٨٥)، ليصبح مجموعهم (٢٣٧).

ومن هنا ندرك الأثر الكبير الذي تركه الأصحاب ؓ في نشر السنة النبويّة في العراق على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، حيث اتضح أن للعراق حظًا كبيرًا في ذلك يكاد يضاهي حظ المدينة النبويّة.

ومن الأثر العلمي للصحابة ؓ في العراق وجود الأحاديث المكتوبة مما عدّ مقدمة للتصنيف في الحديث، إذ إن بعض التابعين كانوا يكتبون ما يسمعون من مشايخهم، من أجل مراجعة المحفوظ، فإذا حفظ محاسنها أو أتلّفها، وبعضهم يحتفظ بها عنده.

وممن كانت لديهم كتب «عبدة السلماني الكوفي» (ت ٧٢هـ)، من كبار التابعين من أصحاب ابن مسعود في العراق وقد محا كتبه عند موته، خشية أن يضعوها في غير موضعها^(١).

ومنهم «أبو قلابة الجرمي البصري» (ت ٩٤هـ) فحين مات بالشام أوصى بكتبه لأيوب السخيتاني البصري (ت ١٣١هـ)، فأرسل أيوب فجاء بها عدل راحلة^(٢)، ويقول أيوب: وجدت في كتاب أبي قلابة عن أنس^(٣).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٩٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٣/٤.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٨٨-٨٩.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٨٨.

ومنهم «الحسن البصري» (ت ١١٠هـ)، حيث جاء أن حميد الطويل أخذ كتب الحسن فنسخها ثم ردها عليه^(١).

ولذا ظهر التصنيف في البصرة مبكرًا، حيث اختلف في أول من صنف في الإسلام، فقيل: عبد الملك بن جريج المكي (ت ١٥٥هـ)، وقيل: سعيد بن أبي عروبة البصري (ت ١٥٦هـ)^(٢).

قال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي: من أول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج، وابن أبي عروبة^(٣). ولا بن أبي عروبة كتاب السنن في الحديث^(٤).

هذا وظهر في العراق بدايات مبكرة لجوانب من علوم الحديث عند التابعين، ومن ذلك الحكم على الأحاديث ونقدها، وممن عرف بذلك الربيع بن خثيم الكوفي (ت ٦٥هـ) الذي يقول: «إن من الحديث حديثًا له ضوء كضوء النهار تعرفه، وإن من الحديث حديثًا له ظلمة كظلمة الليل تنكره»^(٥).

ومنهم «إبراهيم النخعي الكوفي» (ت ٩٦هـ)، الذي قال عنه الأعمش الكوفي (ت ١٤٨هـ): «وكان إبراهيم صيرفي الحديث»^(٦)، وهذا يدخل في معرفة علل

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٨٩/٢.

(٢) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د. ط)، مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١م، ج ١، ص ٣٤؛ الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي ٢٨٢/٢؛ ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣٢٢/٢٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٢٧/٦.

(٤) إسماعيل البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (ت ١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي - لبنان، (د. ت)، ج ١، ص ٣٨٧.

(٥) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٥٦٤/٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٦/٦؛ الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ٤٣١.

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢١٩/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٢١/٤.

الحديث، وهو من أوائل مَنْ نقد المتن.

كما ظهر توثيق الرجال عند التابعين العراقيين، واستمر ذلك فيمن بعدهم، ومن ذلك قول عمرو بن مرة الكوفي (ت ١١٦هـ): «وكان الشعبي من معادن الصدق. قال مسعر: وكان عمرو من معادن الصدق. قال سفيان: وكان مسعر من معادن الصدق. قال ابن أبي عمر: وكان سفيان من معادن الصدق»^(١).

وتبعاً لذلك ظهرت كتب الثقات^(٢)، والضعفاء في تمييز رجال الحديث^(٣).

ومن آثار اشتغال أهل العراق بالحديث الشريف وكذا بعلوم العربية ظهور كتب الغريب، فكان أول ظهورها في العراق^(٤).

* * *

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٥٧٣/٢.

(٢) وأول من صنف في الثقات، «أبو الحسن أحمد العجلي الكوفي» (ت ٢٦١هـ) نزيل طرابلس الغرب، في كتابه «الثقات». أكرم ضياء العمري: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ط: الثانية، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٥هـ، ص ٣١١.

(٣) وأول من صنف في الضعفاء، «يحيى بن معين البصري» (ت ٢٣٣هـ)، في كتابه «الضعفاء». أكرم العمري: موارد الخطيب ٣٣٥، وتتابع التأليف في علوم الحديث ورجاله في العراق، فقد ذكرت المصادر تسعة وعشرين مصنفًا في الحديث ورجاله لمؤلف واحد وهو علي بن المديني البصري (ت ٢٣٤هـ). أكرم العمري: موارد الخطيب ٣١٦.

(٤) «وكتاب غريب الحديث أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى (البصري، ت ٢٠٩هـ)، وقطرب (البصري، ت ٢٠٦هـ)، والأخفش الأوسط (البلخي البصري، ت ٢٢١هـ)، والنضر بن شميل (المازني البصري، ت ٢٠٣هـ)». الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢؛ وانظر: الذهبي: تاريخ الإسلام ٣٢٥/١٦، والنضر بن شميل هو أبو الحسن المازني. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٩.

المبحث الرابع

أثر الصحابة رضي الله عنهم في نشر العلم الشرعي والفقه في الدين

وكما أن الصحابة رضي الله عنهم سادة الأمة وأئمتها وقادتها، فهم سادات المفتين والعلماء، قال مجاهد بن جبر المكي الكوفي (ت ١٠٤هـ): العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. وقال قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ)، في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سورة سبأ: ٦]، قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (١).

فالصحابه رضي الله عنهم هم حملة العلم ونقلته عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تلاميذهم من التابعين فمن بعدهم، وعند الوقوف على أدوار الفقه الإسلامي في عصر صدر الإسلام، نجد أن علماء تاريخ التشريع والفقه الإسلامي قسّموه إلى أدوار، والدور الثاني من هذه الأدوار هو عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهناك تقسيمات عدة، ومن أشهرها التقسيم الذي يعدّ أن هذا الأدوار ستة، ومنها:

٢- الدور الفقهي الثاني: عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ١١-٤٠، ومدته ٣٠ عامًا.

٣- الدور الفقهي الثالث: الفقه في عهد صغار الصحابة رضي الله عنهم وكبار التابعين إلى أوائل القرن الثاني الهجري، من ٤١ - ١٠٠، ومدته ٥٩ عامًا (٢).

ويعنينا منها هذان الدوران، الدور الثاني وهو عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والدور الثالث لأنه امتداد وأثر لعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ويمتاز عصر الراشدين رضي الله عنهم من الناحية الفقهية بكثرة الأحداث التي جدّت بعد عصر النبوة تبعًا لفتوحات الإسلامية،

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/ ١٢؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٦٩، ٧٧٠.

(٢) عماد علي جمعة: المكتبة الإسلامية، ط: الثانية، سلسلة التراث العربي الإسلامي، (د. م)، ١٤٢٤هـ

وما ترتب عليها من تعاملات مع أهل البلاد المفتوحة وترتيبات إدارية ومالية احتاج معها الصحابة ؓ إلى الإجماع، والاجتهاد، والقياس، «وهذا العهد يتميز بكثرة الأحداث التي جددت بعد عهد النبوة، لكثرة الفتوحات واختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم التي لها أعراف لم تكن معروفة عند العرب. ولا بد من معرفة حكم الله في هذه الحوادث الجديدة؛ لأنه - كما كررنا مرارًا - ليس هناك حادثة إلا ولها حكم شرعي. وكان هذا العهد يتميز بوجود صحابة عرفوا بالفقه، فكان يرجع إليهم إذا نزلت الحوادث»^(١).

ولذا فإن هؤلاء العلماء من الصحابة ؓ الذين قاموا بالواجب التشريعي من بيان النصوص ونشرها، والإفتاء فيما لا نص فيه هم رجال السلطة التشريعية في هذا العهد، وهم الذين خلفوا الرسول ﷺ في رجوع المسلمين إليهم، فقد طالت صحبتهم للرسول ﷺ، وحفظوا عنه القرآن والسنة، وشاهدوا أسباب نزول الآيات وورود السنن، وكثير منهم كانوا مستشاري الرسول ﷺ في اجتهاده؛ فلهذه المزايا كانوا أهلاً لأن يبيّنوا النصوص، ويجهتدوا فيما لا نص فيه، وأهلاً لأن يرجع المسلمون إليهم ويثقوا بما يصدر عنهم من بيان أو إفتاء^(٢).

وقد كان هؤلاء المفتون من الصحابة ؓ في أول هذا العهد أكثرتهم العظمى بالمدينة، وبعد أن امتدت الفتوح الإسلامية تفرقوا بالأمصار؛ ولذا كان التشريع في أول هذا العهد باجتهاد الجماعة، ثم بعد ذلك صار باجتهاد الأفراد^(٣).

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط: الثانية، ذات السلاسل - الكويت، من ١٤٠٤ - ١٤٠٩ هـ ج ١، ص ٢٥.
 (٢) خلاف، عبد الوهاب خلاف (ت ١٣٧٥ هـ): علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، (د. ط)، مطبعة المدني - مصر، (د. ت)، ص ٢٣١.
 (٣) خلاف: علم أصول الفقه ٢٣١.

والصحابه رضي الله عنهم كما أنهم متفاوتون في العلم هم كذلك متفاوتون في الفتيا، وقد أشار «ابن حزم» (ت ٤٥٦هـ) إلى ذلك، «فمنهم المكثرون ومنهم دون ذلك، والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مئة ونيف وثلاثون نفساً، ما بين رجل وامرأة»^(١).

ونزل العراق عدد من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم ومفتيهم، قال يزيد بن عميرة الشامي: «لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له يا أبا عبد الرحمن أوصنا. قال: أجلسوني. فقال: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما، يقول ثلاث مرات، فالتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبدالله بن مسعود، وعند عبدالله بن سلام،..»^(٢)، واثنان من هؤلاء الأربعة نزلوا العراق.

وقال أبو إسحاق السبيعي الكوفي (ت ١٢٧هـ)، قال عبدالله: «علماء الأرض ثلاثة، فرجل بالشام، وآخر بالكوفة، وآخر بالمدينة، فأما هذان فيسألان الذي بالمدينة، والذي بالمدينة لا يسألهما عن شيء»^(٣).

وقال الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «ثلاثة يستفتي بعضهم من بعض: فكان عمر وعبدالله وزيد بن ثابت يستفتي بعضهم من بعض، وكان علي وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري يستفتي بعضهم من بعض، قال الشيباني: فقلت للشعبي: وكان أبو موسى بذاك؟ فقال: ما كان أعلمه، قلت: فأين معاذ؟ فقال: هلك قبل ذلك»^(٤).

(١) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (د.ت)، ج ٥، ص ٩٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٠-٣٥١؛ ابن القيم: إعلام الموقعين ١/ ١٠.

(٢) أحمد: المسند (٢٢١٠٤) ٣٦/ ٤١٨-٤١٩؛ الترمذي: السنن (٣٨٠٤) ٥/ ٦٧١، وصححه الألباني.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٧/ ١٢٢؛ ابن القيم: إعلام الموقعين ١/ ١٢.

(٤) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/ ١٢.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلميّة في العراق

وعليّ، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وسلمان الفارسي، وعمران بن حصين، وسواهم من فقهاء الصحابة   الذين نزلوا العراق.

ويتقدمهم في التأثير «ابن مسعود» (ت ٣٢هـ)، فهو من علماء الصحابة   وفقهائهم الكبار، وكان يعلم تلاميذه الأحكام كما يعلمهم القرآن، قال الأسود بن يزيد الكوفي (ت ٧٥): «لقد رأيت عبدالله يعلم علقمة التشهد كما يعلمه السورة من القرآن»^(١)، وقال زاذان الكندي الكوفي: «لقد سألت عبدالله بن مسعود عن أشياء ما سُئلت عنها»^(٢).

ونقل عنه أصحابه بعض أفعاله للاقتداء والاهتداء، حيث قال أحدهم: «رأيت ابن مسعود يقرأ هاهنا خلف الإمام، قال: أظنه قال: في الظهر، أو قال: في العصر»^(٣)، ونقل عنه قصر الصلاة في السفر بعد خروجه من الكوفة عند نهر الحيرة^(٤).

ونهى «ابن مسعود» عن التقليد الأعمى، بقوله: «لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر»^(٥)، وقد أصبح تلاميذه بعده يمثلون مدرسة فقهية متكاملة.

ومنهم «علي بن أبي طالب»، وهو من علماء الصحابة   الكبار ذوي الأثر في العراق ولكن الشيعة أفسدوا كثيراً من علمه بالكذب عليه، «وأما علي بن أبي طالب»^(٦)

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩/٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧٩/٦؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٤٦٦/١؛ ابن عساکر:

تاريخ مدينة دمشق ٢٨٦/١٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٩/٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٠٩/٦.

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء ١٣٦/١؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٩٨٧/٢؛ ابن القيم: إعلام

الموقعين ١٣٥/٢.

(٦) في الأصل: عليه السلام.

فانتشرت أحكامه وفتاويه، ولكن قاتل الله الشيعة فإنهم أفسدوا كثيراً من علمه بالكذب عليه، ولهذا تجد أصحاب الحديث من أهل الصحيح لا يعتمدون من حديثه وفتواه إلا ما كان من طريق أهل بيته وأصحاب عبدالله بن مسعود، كعبدة السلماني، وشريح، وأبي وائل، ونحوهم، وكان - رضي الله عنه -^(١) يشكو عدم حملة العلم الذي أودعه كما قال: إن ههنا علماً لو أصبت له حملة^(٢).

ونقل عنه أصحابه بعض أفعاله، من مثل: قصر الصلاة في السفر^(٣)، ونهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس: «يا أيها الناس إياكم وصلاة الشيطان ولكن إذا كانت الشمس قيس^(٤) رمحين فليقم الرجل فليصل ركعتين فتلك صلاة الأوابين»^(٥)، وقال المصنف العامري الكوفي: قال لي علي: «يا أبا بني عامر سلني عما قال الله ورسوله فإننا نحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله» قال: والحديث طويل^(٦).

كما نقلوا قنوته في مسجد الكوفة^(٧)، وكراهيته الصلاة في الموضع الذي فيه خسف^(٨)، وفتواه الحالف بالطلاق أنه لا شيء عليه، ولم يعرف له في الصحابة ﷺ مخالف^(٩).

(١) في الأصل: وكرم الله وجهه.

(٢) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/١٧، وانظر مقولة علي عند الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٦/٣٧٦؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٨٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٢٩.

(٤) والقيس: القدر، يقال: قيس رمح. ابن منظور: لسان العرب ٦/١٨٧، مادة: قيس.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٦/٢٣٩-٢٤٠؛ ابن أبي شيبه: المصنف ٢/١٧٤، وعنده «قدر رمح أو رمحين».

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٤٠؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٧٥٩.

(٧) ابن سعد: الطبقات ٦/٢٤١، وذكرها ابن أبي شيبه دون ذكر المسجد. المصنف ٦/٩٠.

(٨) عبدالرزاق: المصنف ١/٤١٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٤٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه: المصنف ٢/١٥٢.

(٩) ابن القيم: إعلام الموقعين ٣/٥١.

وكان عليٌّ معني بتعليم العلم، حريص على نشره، بل إنه يمتحن فقهاء الكوفة ويختبرهم، روى هبيرة بن يريم الهمداني الكوفي (ت ٦٦هـ)، أن عليًا قال: «يا أيها الناس، يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم. فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة، فجعل يسألهم ما كذا ما كذا، ويسألونه: يا أمير المؤمنين، ما كذا، فيخبرهم، حتى ارتفع النهار وتصعدوا غير شريح جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا قال كذا وكذا، ولا يسأله شريح عن شيء إلا أخبره به، فسمعت عليًا يقول: قم يا شريح، فأنت أفضى العرب»^(١).

وهنا نلاحظ كثرة فقهاء التابعين في الكوفة زمن علي حيث امتلأت بهم الرحبة. ومنهم «أبو موسى الأشعري» (ت ٤٤هـ)، وهو من فقهاء الصحابة ؓ وعلماهم ومفتيهم، ولذا بعثه عمر أميرًا على البصرة، فأقرأهم، وفقههم^(٢). ومنهم «سلمان الفارسي» (ت ٣٥هـ)، وهو من علماء الصحابة ؓ، فهو من الأربعة الذين أمر معاذ أن يطلب العلم منهم^(٣).

ومنهم «عمران بن حصين» (ت ٥٢هـ)، الذي بعثه عمر بن الخطاب ليفقه أهل البصرة، يقول عنه أبو الأسود الدؤلي البصري (ت ٦٩هـ): «قدمت البصرة، وبها عمران بن حصين أبو النجيد، وكان عمر بن الخطاب بعثه يفقه أهل البصرة»^(٤)، وترك أثرًا كبيرًا على أهل البصرة حتى أثنى عليه إماما أهل البصرة الحسن البصري وابن سيرين بذلك^(٥).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٣٤؛ وانظر: الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٨٨؛ الخطيب البغدادي:

الفتية والمتفقه ١/ ٤٣٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٢ وفي بعضها «اجمعوا لي القراء».

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٣؛ العجلي: الثقات ١/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) أحمد: المسند (٢٢١٠٤) ٣٦/ ٤١٨-٤١٩؛ الترمذي: السنن (٣٨٠٤) ٥/ ٦٧١، وصححه الألباني.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٠.

(٥) تقدم ذلك فيما سبق.

وكان أهل البصرة يستفتونه فيما يقع لهم^(١)، وحين يقلل أحدهم من شأن الحديث مدعيًا الاكتفاء بالقرآن يوضح له بنظر الفقيه خطأه، «إنك لأحمق، أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة، في كتاب الله الصيام مفسر؟، الكتاب أحكمه والسنة فسرتة»^(٢)، وأخرى عند ابن عبد البر^(٣)، وتأتي حادثة مشابهة يرويها الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) قال: «بينما نحن عند عمران بن حصين قال له رجل: يا أبا نجيد، حدثنا بالقرآن، قال: أليس تقرأ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣]، أكنتم تعرفون ما فيها...، فذكر نحوه» قال الرجل: أحييتني يا أبا نجيد، أحيك الله كما أحييتني قال: فما مات ذلك الرجل حتى كان من فقهاء المسلمين»^(٤).

بل روى الحسن اختلاف صحابيين في مسألة في الصلاة ونقل فتوى كل واحد منهما^(٥)، ونقل أبو نضرة حكاية عمران -رضي الله عنه- لصلاة رسول الله ﷺ في الغزو والحج، وكذا نقل عن أبي بكر وعمر وعثمان، قال أبو نضرة: «مر عمران بن حصين في مجلسنا.. وذكر الخبر»^(٦).

وهنا نلاحظ حرص الصحابة ﷺ على نشر العلم، فعمران لم يكتف بإجابة من سأله، وإنما خاطب من هم في المجلس الذي قام منه ذلك السائل.

ومنهم «أبو مسعود الأنصاري البصري» (ت ٤٠ هـ)، وهو معدود في علماء الصحابة ﷺ^(٧)، يقول سعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٤ هـ): «رأني أبو مسعود البصري في

(١) عبدالرزاق: المصنف ٤٣٦/٨، هياج بن عمران التميمي البصري.

(٢) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢٣٦/١، أبو نضرة العبدي البصري (ت ١٠٨ هـ).

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١١٩٢/٢.

(٤) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢٣٨/١.

(٥) ابن أبي شيبه: المصنف ٤١٢/١.

(٦) ابن أبي شيبه: المصنف ٢٠٥/٢، وتقدم ذكر الخبر.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٩٤/٢.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلمية في العراق

يوم عيد ولي ذؤابة فقال: يا غلام أو يا غليم إنه لا صلاة في مثل هذا اليوم قبل صلاة الإمام فصل بعدها ركعتين وأطل القراءة»^(١).

ومنهم «سعد بن أبي وقاص» (ت ٥٥هـ)، والذي أخذ منه ابن عمر المسح على الخفين، «أتى ابن عمر سعد بن مالك، فراه يمسخ على خفيه، فقال ابن عمر: إنكم لتفعلون هذا؟ فقال سعد: نعم، فاجتمعنا عند عمر، فقال سعد: يا أمير المؤمنين أفأت ابن أخي في المسح على الخفين؟ فقال عمر: كنا ونحن مع نبينا  ، نمسخ على أخفانا لا نرى بذلك بأساً»^(٢).

ومنهم «عمار بن ياسر» (ت ٣٧هـ)، وكان عمار لا يجيب عن المسألة التي لم تقع، قال الشعبي: «سئل عمار عن مسألة فقال: هل كان هذا بعد؟، قالوا: لا، قال: فدعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمناها لكم»^(٣)، وتشير لفظة «تجشمناها لكم» إلى أنه سيجتهد في بيان حكمها حال وقوعها^(٤).

وقال أبو راشد: خطبنا عمار بن ياسر فتجوّز في الخطبة؛ وقال: نهانا رسول الله   أن نطيل الخطب»^(٥).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ / ٢٥٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٣٥.

(٢) عبدالرزاق: المصنف ١ / ١٩٦؛ مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ): موطأ الإمام مالك، تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٦هـ، ج ١، ص ٣٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣ / ٢٥٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ٤٢٣.

(٤) ويقال: تجشمت الأمر إذا تكلفته على مشقة. السرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي (ت ٣٠٢هـ): الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الله القناص، ط: الأولى، مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص ٥٧٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ / ٢١٥؛ ابن أبي شيبة: المصنف ١ / ٤٥٠، وأبو راشد ذكره العجلي: الثقات ٤٩٧؛ وابن حبان: الثقات ٥ / ٥٧٨، وابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢ / ٩٢، وأنه يروي عن عمار، ولم يسم.

ومنهم «أنس بن مالك» (ت ٩٣هـ)، الذي قال عنه أبو هريرة: «ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم، يعني أنس بن مالك»^(١)، وهو شيخ أهل البصرة، حيث نقل عنه تلاميذه بعض أعماله للاهتمام والاحتجاج بها، ومن ذلك قصر الصلاة في السفر مدة طويلة حال الإقامة دون الجمع^(٢)، وكذا وضع السترة عند الصلاة^(٣).

بل ربي تلاميذه على العمل والافتداء، وهذا ثابت البناني (ت ١٢٧هـ)، يقول: قال: مشيت مع أنس فجعل يقارب بين الخطي، فقال: يا ثابت، لم لا تسألني لم أفعل بك هذا؟ قال: ولم تفعله؟ قال: إني مشيت مع زيد بن ثابت ففعل بي مثل هذا، وقال: لم لا تسألني لم أفعل بك هذا؟ قال: فسألته، فقال زيد: هكذا فعل بي رسول الله ﷺ، وقال لي: «يا زيد، أتدري لم أفعل بك هذا؟»، قلت: ولم فعلته؟ قال: «أردت أن تكثر خطانا إلى المسجد»^(٤).

ويسأله تلاميذه فيجبهم، يقول عاصم الأحول البصري (ت ١٤٢هـ): سألت أنس بن مالك: «أحرم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم هي حرام، حرّمها الله ورسوله لا يختلي خلاها، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٥).

ومنهم «عبدالله بن عباس» (ت ٦٨هـ)، وهو من كبار علماء الصحابة وفقهاءهم،

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٤٥١؛ ابن حجر: الإصابة ٢٧٧/١.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ٤٤٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١١٥-١١٦.

(٤) أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ): مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر - مصر، ١٤١٩هـ ج ١، ص ٤٩٧؛ انظر: عبدالرزاق: المصنف ٢/ ٢٨٩.

(٥) أحمد: المسند (١٣٠٦٣) ٢٠/ ٣٥٤، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقد روى نحوه الشيخان.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلمية في العراق

وقد اشتهر بعلمه وسبقه؛ حتى قال مجاهد بن جبر المكي الكوفي (ت ١٠٤هـ)، قال: «ما سمعت فتياً أحسن من فتيا ابن عباس، إلا أن يقول قائل: قال رسول الله  »^(١).

وابن عباس وإن كان نزل البصرة فقد أفاد منه أهل الكوفة، قال عبدالله بن أبي الهذيل العنزي الكوفي: «دفع إلي أهل الكوفة مسائل أسأل عنها ابن عباس، فسئل عما في كتابي كله»^(٢).

وذكر ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) أنه قد جمعت له فتاوى كثيرة، فقال: «جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون فتاوى عبد الله بن العباس في عشرين كتاباً»^(٣).

ومنهم «عبدالله بن أبي أوفى» (ت ٨٦هـ)، وهو آخر علماء الصحابة   موتاً في البلدان، جاء عند الطبري: «أن رجلاً سأل الحسن عن مسألة، فتكلم فيها فقال السائل: يا أبا سعيد إن العلماء يخالفونك، قال: ثكلتك أمك! وهل رأيت عالماً؟ ذهب والله العلماء في كل بلد، فكان آخرهم موتاً بالمدينة جابر بن عبدالله، وبمكة عبدالله بن عمر أو عمرو - قال الطبري وأنا أشك وفي كتابي ابن عمر - وبالْبصرة أنس بن مالك، وبالْكوفة عبدالله بن أبي أوفى، وبالْشام أبو أمامة»^(٤).

وكان من حرص الصحابة   على نشر العلم والفقهِ ما كتبه عمر إلى أهل البصرة، كما جاء في سؤال أبي رجاء للحسن عن نقط المصاحف، فقال: «ما بلغك ما كتب به عمر أن تعلموا العربية، وحسن العبارة، وتفقهوا في الدين»^(٥).

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٩٣٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١١٦؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٨١٦.

(٣) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ٩٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٨.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١١/ ٦٣٧ - ٦٣٨.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ١١٦.

وقد برز في العراق كبار أئمة التابعين ممن اشتهر بالعلم والفتيا، ووصفوا بذلك من قبل الصحابة في الأئمة، يأتي في مقدمتهم أصحاب ابن مسعود الذين قال عنهم شيخهم ابن مسعود: «أتم جلاء قلبي»^(١). وقال عنهم علي: «أصحاب عبدالله بن مسعود سرج هذه القرية»^(٢)، وجاء ذلك من قول سعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٤هـ): «كان أصحاب عبدالله سرج هذه القرية»^(٣)، وقال: «كان أصحاب عبدالله شيوخ هذه الأمة»^(٤).

بل إن هذا الوصف اشتهر عنهم، قال الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «ولقد كان أصحاب عبدالله يسمون قناديل المسجد، أو سرج المصر»^(٥)، ويُن فضلهم فقال: «ما رأيت قوماً قط أكثر علماً ولا أعظم حلمًا ولا أعف عن الدنيا من أصحاب عبدالله لولا ما سبقهم أصحاب محمد ما قدمنا عليهم أحدًا»^(٦)، وقال: «ما دخل الكوفة أحد من الصحابة أنفع علمًا، ولا أفقه صاحبًا من عبدالله»^(٧).

بل إن الشعبي كان يُستفتى والصحابة متوافرون^(٨)، وقيل فيه: «ما رأيت أحدًا أفقه من الشعبي»^(٩). وكان واحدًا من علماء الأمصار الأربعة في زمنه، «ابن المسيب

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠؛ ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير، السفر الثالث ١/ ٢٦٨.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٠.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٠.

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٥٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٩.

(٦) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٢؛ ونحوه عند ابن سعد:

الطبقات الكبرى ٦/ ١١-١٢؛ وأبي نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٤؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٣/ ١٥٨.

(٨) كما جاء عن ابن سيرين. الذهبي: تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي ١/ ٦٤.

(٩) نقل ذلك عن أبي مجلز وأبي حصين. أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ٣١١، ٣١٠؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة

دمشق ٢٥/ ٣٥٧، ٣٥٨.

الفصل الثاني

أثر الصحابة في الحياة العلمية في العراق

بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام^(١). بل إنه رأس في زمانه كما ابن عباس في زمانه، يقول ابن عيينة: «الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه»^(٢).

وقال إبراهيم التيمي الكوفي (ت ٩٢هـ): «كان فينا ستون شيخاً من أصحاب عبدالله»^(٣)، وقال: «لقد أدركت سبعين شيخاً من أصحاب عبدالله، أصغرهم الحارث بن سويد»^(٤).

وقال ابن المديني: «لم يكن أحد من الصحابة له أصحاب حفظوا عنه، وقاموا بقوله في الفقه إلا ثلاثة: زيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عباس»^(٥)، وقال عنهم أبو نعيم: «إذ هم المشهورون بالتبحر في علم القرآن والأحكام»^(٦).

وحفظ هؤلاء الأصحاب فتاوى ابن مسعود وعلمه، وفهموا مراميها وأهدافها، وحرروها، حتى قال ابن جرير الطبري: «لم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذهبه في الفقه غير ابن مسعود»^(٧).

(١) كما قاله الزهري. الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٣٦٢؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٥/١٧٩.

(٢) وكيع بن الجراح، محمد بن خلف بن حيان البغدادي (ت ٣٠٦هـ): أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز المراغي، ط: الأولى، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ١٣٦٦هـ، ج ٢، ص ٤٢١، الخطيب البغدادي:

تاريخ بغداد ١٢/٢٢٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٣٠٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٠؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٥٧٦؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء ٨١.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/١٢٧، وفي المصنف ستين شيخاً. ابن أبي شيبه ٧/٢٢٦.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٥؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٩/٣٢٧.

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/١٦٩.

(٧) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/١٦، وكان أحفظ هؤلاء الأصحاب لفقه ابن مسعود وأكثرهم تأسيًا

به هو علقمة بن قيس النخعي، لأنه كان أكثرهم ملازمة له، حتى إنه كان يبيت في بيت ابن مسعود فيسمع منه ويخدمه، والذي أعانه على ذلك خفة حمله، فقد كان لا عقب له. محمد رواس قلعجي: بين فقيهين، مجلة البحوث الإسلامية ٦/٢١٥.

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

والمبرزون من أصحاب عبد الله جماعة، وذكر بعضهم أن الذين يفتون ويقرؤون القرآن منهم ستة، ومنهم من زاد على ذلك، وتفاوت النقل في ذكر وتحديد بعضهم، وهم: علقمة بن قيس (ت ٦٢هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ)، وعبيدة السلماني (ت ٧٢هـ)، وعمرو بن شرحبيل الهمداني، والحارث بن قيس الجعفي^(١).

وإن اشتهرت الكوفة بفقهاؤها من التابعين، فلقد كان للبصرة فقهاؤها، ومن أشهرهم جابر بن زيد الأزدي البصري (ت ١٠٣هـ)، والذي أثنى ابن عباس على علمه حين قال: «لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عما في كتاب الله علمًا»^(٢).

وقال له ابن عمر: «يا جابر إنك من فقهاء البصرة، وإنك تستفتي، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت ذلك، وإلا فقد هلكت وأهلكت»^(٣).

وكذا الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وقتادة السدوسي (ت ١١٧هـ)، وغيرهم من مشاهير تلاميذ الصحابة ﷺ في البصرة^(٤).

لقد بلغ من شأن الفقه والفقهاء في العراق بروز أئمة كبار يضاھون أئمة الحجاز، بل ربما فاقوهم عددًا، وهذه بعض المقولات والمقارنات عنهم من قبل أئمة التابعين وتابعيهم، ومن ذلك:

(١) كما ذكرهم إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ). أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٠، وقال الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «كان الفقهاء بعد أصحاب رسول الله ﷺ بالكوفة في أصحاب عبد الله: علقمة، وعبيدة، وشريح، ومسروق». الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٢/ ٢٩٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦، وسيرد التعريف بمشاهير تلاميذ الصحابة ﷺ في الكوفة من ص ٣٠٦ - ٣١٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧٩ - ١٨٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٢.

(٣) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢/ ٣٤٤؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٨٦، من رواية الضحاك بن مزاحم الكوفي (ت ١٠٥هـ).

(٤) والذي سيرد التعريف بهم ص ٣١٧ إلى ٣٢٢.

قال محمد بن سعد: أحسبه عن قتادة السدوسي (ت ١١٧هـ) قال: «إذا اجتمع لي أربعة لم ألتفت إلى غيرهم، ولم أبال من خالفهم: الحسن، وسعيد بن المسيب، وإبراهيم، وعطاء، قال: هؤلاء الأربعة أئمة الأمصار»^(١). عراقيان وحجازيان.

وقال معمر بن راشد البصري اليماني (ت ١٥٣هـ): «كان الزهري في أصحابه مثل الحكم بن عتيبة في أصحابه»^(٢)، ويقول: «لم أر في هؤلاء أفقه من: الزهري، وقتادة، وحماد»^(٣). عراقيان وحجازي.

وعلي بن المديني البصري (ت ٢٣٤هـ) يقول: «دار علم الثقات على ستة: اثنين بالحجاز واثنين بالكوفة واثنين بالبصرة؛ فأما اللذان بالحجاز فالزهري، وعمرو بن دينار، واللذان بالكوفة أبو إسحاق السبيعي، والأعمش، واللذان بالبصرة قتادة، ويحيى بن أبي كثير»^(٤). أربعة عراقيين وحجازيان.

وقال: حفظ العلم على الأمة ستة: فلأهل مكة: عمرو بن دينار، ولأهل المدينة: الزهري، ولأهل الكوفة: أبو إسحاق - السبيعي -، والأعمش، ولأهل البصرة: قتادة، ويحيى بن أبي كثير^(٥). أربعة عراقيين وحجازيان.

ويبلغ من انتشار العلم والفقهاء في العراق أن يكثُر العلماء في القبيلة الواحدة، يقول أبو يعلى منذر الثوري الكوفي: «كان في بني ثور ثلاثون رجلاً ما منهم رجل دون ربيع

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٣١؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٥٥/ ٣٥٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٢، ٢٧٣؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٥٥/ ٣٥٣.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٣١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٤٥.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ٩/ ١١؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٤٦/ ٢٢٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٨/ ١٩٣.

بن خثيم»^(١).

والربيع بن خثيم أبو يزيد الكوفي (ت ٦٥هـ)، من أصحاب ابن مسعود القرينين، حتى إنَّ أبا عبيدة بن عبدالله بن مسعود، قال عنه: «كان الربيع بن خثيم إذا دخل على عبدالله لم يكن عليه يومئذ إذن لأحد حتى يقضي كل واحد منهما من صاحبه حاجته، قال: وقال له عبدالله: يا أبا يزيد لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله رآك لأحبك وما رأيتك إلا ذكرت المحبتين»^(٢)، و«كان عبدالله إذا رأى الربيع بن خثيم قال: وبشر المحبتين»^(٣).

وإمام مثل الربيع بن خثيم الذي يقول عنه ابن مسعود ما يقول، ويكون في قبيلته من هم قريون منه، بل ما منهم رجل دونه، دليل على انتشار كبير للعلم والفقہ في العراق على أيدي الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ويرتبط العلم بالعمل فتشتهر القبيلة بالعلم والعمل، يقول شبرمة: «ما رأيت حيًا بالكوفة أكثر شيخًا فقيهاً متعبداً من بني ثور»^(٤).

وإذا كان الأمر ليس خاصاً بقبيلة بعينها وإن اشتهر بنو ثور بذلك، كان ذلك برهاناً آخر على القدر الكبير من العلم والفقہ في العراق، وعن أبي بكر الزبيدي، عن أبيه، قال: «ما رأيت حيًا أكثر جلوساً في المساجد من الثورين والعريين»^(٥).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٩٠؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٨٢؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ١٠٦؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٢٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٨٣؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ١٠٧؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٢.

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٨؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٩٠، ١١، وشبرمة بن طفيل الضبي الكوفي روى عن ابن مسعود.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٩١؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٢٣٦؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٨، أبو بكر بن الوليد ابن عامر الزبيدي، اسمه صمصوم. ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٣.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ؓ في الحياة العلمية في العراق

وكمؤشر على كثرة الفقهاء من التابعين في العراق، ينظر لكثرة المشاركين منهم مع ابن الأشعث في معركة «دير الجماجم» سنة (٨٢)^(١)، حيث كانت لهم كتيبة خاصة بهم هي «كتيبة القراءة»^(٢)، وقد بلغوا (٥٠٠) عالم كما عند خليفة^(٣)، في حين بلغوا (٤٠٠٠) من القراء كما عند غيره^(٤)، ومع ما يحمله هذا العدد من مبالغة، ومع أن اسم القراء يشمل إلى جانب العلماء أهل العبادة والزهد، إلا أنه مؤشر على كثرة الفقهاء في العراق من تلاميذ الصحابة ؓ^(٥).

بل إن الفقه لم يعد حكراً على التلاميذ الكبار، ولا على الرجال فقط وإنما شاركت فيه النساء، حيث كان للمرأة إسهام بارز في العلم، فلم يقتصر الأمر على قراءتها للقرآن، أو روايتها للحديث، بل تجاوز ذلك إلى المناقشة في الأحكام والسؤال عن الدليل، وهذه حادثة تنم عن مستوى العلم والوعي الذي بلغته نساء التابعين في العراق، فعن عبد الله بن مسعود قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات»^(٦)، والنامصات

(١) دير الجماجم: بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/٥٠٣.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦/٣٥٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٣٣٧.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢٨٧.

(٤) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت ٣٧٠هـ): أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٥هـ، ج ١، ص ٨٦، الكوثري: محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ): فقه أهل العراق وحديثهم، ط: الأولى، دار البصائر - القاهرة، ١٤٣٠هـ، ص ٤٥.

(٥) عبدالله بن عبدالرحمن الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٤هـ، ص ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٨.

(٦) الواشمة: أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضر. وقد وشمتم تشم وشمًا فهي واشمة. والمستوشمة والموتشمة: التي يفعل بها ذلك. ابن الأثير: النهاية ٥/١٨٩.

والمتنمصات^(١)، والمتفلجات^(٢) للحسن المغيرات خلق الله»، قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن، فأنته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات، للحسن المغيرات خلق الله، فقال عبد الله: «وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله» فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته فقال: «لئن كنت قرأتيه لقد وجدته، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن، قال: «اذهبي فانظري»، قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئاً، فقال: «أما لو كان ذلك لم نجامعها»^(٣).

وهذا يُشعر بما كانت عليه المرأة المسلمة -قارئة القرآن- من العلم والوعي والحرص على معرفة أحكام دينها، وكيف أعطاها الإسلام من حرية القول فيما ينفعها، حيث جاءت هذه المرأة لابن مسعود تجادله في مقالته التي سمعتها عنه، واستمرت في ذلك حتى أذعن للحق، وهنا تظهر حكمة ابن مسعود وأسلوبه التربوي معها حيث تقبل مجادلتها لمعرفة الحق والتفقه في الدين، كما تقبل ما وقع منها من شبه اتهام له بأنه لا يأخذ أهله بذلك الذي ينهى عنه، فلم يتبرم ولم يستثر، بل طلب منها وبرفق أن تتحقق بنفسها مما تدعيه، وعادت لتشهد أنها لم تر في زوجها ما يخالف ما هو عليه^(٤).

(١) النامصة: التي تنتف الشعر من وجهها. والمتنمصة: التي تأمر من يفعل بها ذلك. ابن الأثير: النهاية ٥ / ١١٩.

(٢) الفلج بالتحريك: فرجة ما بين الشايبا والرابعيات، والمتفلجات: أي النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة في التحسين. ابن الأثير: النهاية ٣ / ٤٦٨.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٥) ٣ / ١٦٧٨؛ والبخاري (٤٨٨٦) ٦ / ١٤٨، وغيرهم، وأم يعقوب لا يعرف اسمها، وامراته هي: زينب بنت عبد الله الثقفية. ابن حجر: فتح الباري، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ، ج ٨، ص ٦٣٠.

(٤) محمد أديب الصالح: الربانيون قدوة وعمل، ط: الأولى، دار الوطن - الرياض، ١٤١٢ هـ، ص =

كما ظهر الفقه عند غيرها، من نساء التابعين، حيث قالت ميمونة بنت مذعور: «مر بنا مورك العجلي - البصري (ت ١٠٨هـ) -، فطبخ له غلام لنا بيضاً في قدر صغيرة، فقال له مورك، ما هذه القدر؟ قال: رهن عندي فقال له مورك: أنتستطيع أن تغني عني بيضك هذا؟ قالت: وكره استعماله الرهن»^(١)، وهذا وأمثاله مما يدل على انتشار العلم لدى النساء.

ومما يدل على انتشار الفقه بين تلاميذ الصحابة ﷺ أن وُجد من أئمة الفقه من تابعي العراق من يفتي بحضرة الصحابة ﷺ - كما مر معنا - أمثال علقمة بن قيس، وسعيد بن جبير، والشعبي، ولذا فإن ابن حزم ذكر كبار التابعين من أهل الكوفة ويُن مَكَانَتَهُم الْعِلْمِيَّة وَأَنَّهُمْ يَفْتُونَ، وأكابر الصحابة ﷺ حاضرون مقرون لهم بذلك، فقال: «وهؤلاء أصحاب ابن مسعود وعليّ وأكابر التابعين كانوا يفتون في الدين ويستفتيهم الناس وأكابر الصحابة أحياء حاضرون يجوّزون لهم ذلك، وأكثرهم قد أخذ عن عمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين وعليّ وغيرهم»^(٢).

وحتى يتضح لنا الأثر الكبير للصحابة ﷺ في نشر الدين والعلم والفقه في العراق نقف على بعض الكتب المعنّية بتسمية الفقهاء، والتي تذكرهم على طبقات حسب أمصارهم وبلدانهم مما يدخل تحت مسمى كتب «طبقات الفقهاء»، لتتعرّف إلى أثر الصحابة ﷺ في نشر العلم والفقه في العراق بين تلاميذهم من التابعين وذلك بمقارنتهم بفقهاء الحجاز من خلال الجداول.

وقد رتّب عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت ٢٣٨هـ) في كتابه «طبقات الفقهاء»

١٩٧-١٩٨.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢١٦؛ ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد البغدادي (ت ٢٨١هـ) الورع، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، ط: الأولى، الدار السلفية - الكويت، ١٤٠٨هـ، ص ١٢٥.

(٢) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ٥/٩٩-١٠٠.

البلدان التي ترجم لفقهاؤها؛ فبدأ بالمدينة، ثم الكوفة، ثم البصرة، ثم مكة، ثم الشام، ثم مصر، ولعله أراد بهذا الترتيب أن يبين أنها كذلك في الاهتمام بالفقه، وكثرة من كان بها من الفقهاء^(١).

هذا وستناول الكتب موضوع المقارنة بحسب أسبقيتها، وهي:

- ١- تسمية فقهاء الأمصار، للنسائي (ت ٣٠٣هـ).
- ٢- مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان، أبو حاتم الرازي (ت ٣٥٤هـ).
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (ت ٤٥٦هـ).
- ٤- طبقات الفقهاء، للشيرازي (ت ٤٧٦هـ).

واثنان منها من القرن الرابع، واثنان من القرن الخامس، وهي من أقدم المصادر في بابها، ولست معنيًا بالمنهجية التي ساروا عليها باختيار الفقهاء، بقدر ما أنا معني بالمقارنة بين عدد الفقهاء في العراق والحجاز عند كل واحد منهم، من أجل أن تطرد المقارنة، وذلك حتى يتضح من خلال تلك المقارنات الأثر الكبير الذي تركه الصحابة الكرام ﷺ من علم وفقه على أهل العراق مقارنة بالحجاز والمدينة النبوية منبع الدين والرسالة.

أولاً: أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) في كتابه «تسمية فقهاء الأمصار»، حيث ذكر فقهاء العراق من الصحابة ﷺ فذكر الفقهاء من أهل الكوفة:

(١) ابن حبيب القرطبي: طبقات الفقهاء ٣٣، وابن حبيب سار على ذكر عشرة فقهاء من كل بلد، ولذا مع تقدمه - إذ إنه من أقدم الكتب المطبوعة التي وقفت عليها في طبقات الفقهاء - إلا أنني لم أدرجه في المقارنات لتعذر المقارنة عنده.

١- علي بن أبي طالب ٢- وعبدالله بن مسعود.

والفقهاء من أهل البصرة: ١- أبو موسى الأشعري ٢- وعمران بن حصين^(١).

وذكر فقهاء الحجاز من الصحابة ﷺ فذكر الفقهاء من أهل المدينة: ١- عمر بن

الخطاب ٢- زيد بن ثابت ٣- عبدالله بن عمر ٤- عائشة بنت الصديق.

والفقهاء من أهل مكة عبدالله بن عباس^(٢).

ثم ذكر فقهاء التابعين على طبقات، وسنقف على الطبقات الثلاث الأولى عنده

في العراق والحجاز.

أولاً: بيان بأعداد فقهاء التابعين عند النسائي في «تسمية فقهاء الأمصار» في العراق

والحجاز.

المكان/ الطبقة	البصرة	الكوفة	العراق	المدينة	مكة	الحجاز
الأولى	٢	٧	٩	١٢	٦	١٨
الثانية	٤	٢	٦	٥	١	٦
الثالثة	٣	٤	٧	٢	٢	٤
المجموع	٩	١٣	٢٢	١٩	٩	٢٨

ومن هذا الجدول يتضح ما يلي: ١/ تفوق الحجاز على العراق في الطبقة الأولى.

(١) النسائي: تسمية فقهاء الأمصار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط: الأولى، دار الوعي - حلب،

١٣٦٩ هـ ص ١٢٨.

(٢) النسائي: تسمية فقهاء الأمصار ١٢٦-١٢٧.

٢/ التساوي بينهما في الطبقة الثانية. ٣/ تفوق العراق في الطبقة الثالثة. ٤/ ويلحظ من المقارنة تقارب العدد النهائي لفقهاء التابعين في الإقليمين، والتفوق للحجاز^(١).

ثانياً: ابن حبان، أبو حاتم الرازي (ت ٣٥٤هـ) في كتابه «مشاهير علماء الأمصار»، حيث ذكر مشاهير علماء الصحابة رضي الله عنهم في الأمصار، وبين منهجه فيمن يذكرهم من أهل مصر وأنه لا يذكر إلا من استوطن مصر^(٢).

وقد أورد مشاهير الفقهاء من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكانوا على النحو التالي:

١- فقهاء الصحابة رضي الله عنهم: في البصرة أورد خمسين (٥٠) صحابياً، وفي الكوفة أربعة وأربعون (٤٤) صحابياً، فيكون مجموع فقهاء الصحابة رضي الله عنهم في العراق عنده أربعة وتسعين (٩٤) صحابياً، وفي المدينة مئة وأثنى وخمسين (١٥٢) صحابياً، وفي مكة واحداً وستين (٦١) صحابياً، ليكون مجموع فقهاء الصحابة رضي الله عنهم عنده في الحجاز مئتين

(١) فقهاء التابعين من أهل الحجاز: النسائي: تسمية فقهاء الأمصار ١٢٦-١٢٧. ومن فقهاء التابعين في الكوفة: ٤٦- علقمة بن قيس ٤٧- والأسود بن يزيد ٤٨- وعمرو بن شرحبيل أبو ميسرة ٤٩- وعبيدة السلماني ٥٠- وشريح ٥١- ومسروق بن الأجدع ٥٢- وعبدالله بن عتبة. (وبعد هؤلاء) ٥٣- عامر بن شراحيل ٥٤- وإبراهيم النخعي. (وبعد هذين) ٥٥- الحكم ٥٦- وحامد بن أبي سليمان والحكم أثبتها في الحديث ٥٧- ومنصور بن المعتمر ٥٨- والمغيرة بن مقسم. النسائي: تسمية فقهاء الأمصار ١٢٨. ومن التابعين من أهل البصرة: ٧٨- حميد بن عبد الرحمن الحميري ٧٩- ومطرف بن عبدالله بن الشخير. (وبعد هؤلاء) ٨٠- الحسن بن أبي الحسن البصري ٨١- ومحمد بن سيرين ٨٢- وجابر بن زيد وقد ذكرناه في أصحاب ابن عباس ٨٣- وأبو قلابة واسمه عبدالله بن زيد الجرمي. (٢) فيقول: «لكنني أذكر منهم من استوطن بالبصرة وجعلها لنفسه داراً واختط بها خططاً فممن قطن البصرة من الصحابة أجمعين». ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط: الأولى، دار الوفاء للطباعة - مصر، ١٤١١هـ، ص ٦٥، ويقول: «فمن مشاهير الصحابة بالكوفة الذين كانوا لها قاطنين وإن كانوا يخرجون منها في بعض الأحيان في الغزوات والتجارات سواء أدركتهم المنية بها أو بغيرها بعد أن كانوا مستوطنين لها». ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ٧٤.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية في العراق

وثلاثة عشر (٢١٣) صحابياً^(١).

وسوف نقف على فقهاء التابعين عند أبي حاتم في العراق والحجاز.

ثانياً: بيان بأعداد فقهاء التابعين عند ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» في

العراق والحجاز.

المكان الطبقة	البصرة	الكوفة	العراق	المدينة	مكة	الحجاز	ملحوظات
التابعون	٩١	١١٧	٢٠٨	١٦٩	٥٠	٢١٩	

ومن هذا الجدول يتضح تفوق الحجاز على العراق في عدد الفقهاء من التابعين

بنسبة قليلة^(٢).

ثالثاً: «أبو محمد بن حزم» (ت ٤٥٦هـ)، في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام»

تحدث عن المفتين من الصحابة ﷺ وذكر المكثرين منهم فقال: «وكان المكثرون

منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم

(١) فقهاء الصحابة في البصرة: من رقم ٢١٥ إلى ٢٦٥ = ٥٠، مشاهير علماء الأمصار ص ٦٥ - ٧٣،

فقهاء الصحابة في الكوفة: من رقم ٢٦٦ إلى ٣٢٠ = ٤٤، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص

٧٤ - ٨٣، فقهاء الصحابة في العراق: ٥٠ + ٤٤ = ٩٤، فقهاء الصحابة في المدينة: من رقم ١ إلى ١٥٢ =

١٥٢، مشاهير علماء الأمصار ص ٢٢ - ٥٤، فقهاء الصحابة في مكة: من رقم ١٥٣ إلى ٢١٤ =

٦١، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص ٥٥ - ٦٤.

(٢) فقهاء التابعين في البصرة: من رقم ٦٤٠ إلى ٧٣١ = ٩١، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار

ص ١٤٢ - ١٥٨، فقهاء التابعين في الكوفة: من رقم ٧٣٢ إلى ٨٤٩ = ١١٧، ابن حبان: مشاهير علماء

الأمصار ص ١٥٩ - ١٧٩، فقهاء التابعين في العراق: ٩١ + ١١٧ = ٢٠٨، فقهاء التابعين في المدينة:

من رقم ٤١٩ إلى ٥٨٨ = ١٦٩، مشاهير علماء الأمصار ص ١٠٣ - ١٣٢، فقهاء التابعين في مكة: من

رقم ٥٨٩ إلى رقم ٦٣٩ = ٥٠، مشاهير علماء الأمصار ص ١٣٣ - ١٤١، فقهاء التابعين في الحجاز

ص ١٦٩ + ٥٠ = ٢١٩.

المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخمة^(١) وثلاثة من هؤلاء السبعة ممن نزل العراق.

وذكر «ابن حزم» المفتين من تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم في الأمصار على طبقات، وسوف نقف على الطبقتين الأوليين عنده في كتابه «الإحكام» في العراق والحجاز.

ثالثاً: بيان بأعداد فقهاء التابعين عند «ابن حزم» في كتابه «الإحكام» في العراق

والحجاز.

المكان الطبقة	البصرة	الكوفة	العراق	المدينة	مكة	الحجاز	ملحوظات
الأولى	٢١	٣٩	٦٠	١٧	١٠	٢٧	
الثانية	٢٠	٨	٢٨	٥	٣	٢٧	
المجموع	٤١	٤٧	٨٨	٥٢	١٥	٦٧	

ومن هذا الجدول يتضح ما يلي: ١/ تفوق العراق على الحجاز في الطبقة الأولى. ٢/ تقارب العراق والحجاز في الطبقة الثانية. ٣/ تفوق العراق في مجموع الطبقتين^(٢).

رابعاً: أبو إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، في كتابه «طبقات الفقهاء»، حيث ترجم لمن اشتهر من الصحابة رضي الله عنهم بالفيتا فذكر ثمانية عشر صحابياً، خمسة منهم نزلوا العراق وهم:

(١) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ٩٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣٧-٢٣٨؛ ابن

القيم: إعلام الموقعين ١/ ١٠.

(٢) ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ٩٧-١٠٠.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ؓ في الحياة العلميّة في العراق

١- علي بن أبي طالب ٢- عبدالله بن مسعود ٣- أبو موسى الأشعري ٤- عمران بن حصين ٥- أنس بن مالك^(١).

ثم ترجم لفقهاء التابعين في الأمصار الإسلامية، وسنقف على فقهاء التابعين عند «الشيرازي» في «طبقات الفقهاء» في العراق والحجاز.

رابعاً: بيان بأعداد فقهاء التابعين عند «الشيرازي» في «طبقات الفقهاء» في العراق والحجاز.

المكان الطبقة	البصرة	الكوفة	العراق	المدينة	مكة	الحجاز	ملحوظات
التابعون	١٩	١٩	٣٨	٢٣	٧	٣٠	

حيث أوردهم في طبقة واحدة، فيلحظ التقارب بين أعداد الفقهاء في الإقليمين، إلا أن التفوق لصالح العراق. وبعد هذه المقارنات من خلال أربعة كتب معنيّة بطبقات الفقهاء من مؤلفات القرنين الرابع والخامس، تبين لنا تقارب عدد فقهاء التابعين وتابعيهم في العراق، مع أمثالهم من فقهاء الحجاز.

ومن خلال الوقوف عند هذا العدد الكبير من الفقهاء والمفتين في العراق ندرك الأثر الكبير للصحابة ؓ في نشر الدين والعلم والفقّه فيه، وفي مقدمتهم «عبدالله بن مسعود» (ت ٣٢هـ)، هذا الإمام الكبير صاحب المكانة العلميّة الرفيعة، إذ هو من أبرز من نشر الدين والفقّه والعلم في الأمة، حيث كان له تلاميذ وأصحاب نشروا علمه، فهو رابع أربعة من الصحابة ؓ عامة علم الأمة أخذ عن أصحابهم، كما يقول ابن القيم: «والدين والفقّه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبدالله بن عمر، وأصحاب عبدالله بن عباس؛ فعلم الناس عامته عن

(١) الشيرازي: طبقات الفقهاء ٣٦-٥١.

أصحاب هؤلاء الأربعة؛ فأما أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر، وأما أهل مكة فعلمهم عن أصحاب عبدالله بن عباس، وأما أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبدالله بن مسعود.

وعليه فعامّة علم أهل الحجاز عن الثلاثة وعامّة علم أهل العراق عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ)، حيث ظهر عدد كبير من تلاميذ ابن مسعود ممن اشتهروا بالعلم والفتيا وكانوا من كبار أئمة التابعين، مع إفادتهم من غيره من الصحابة ﷺ ممن جاء ذكرهم في هذا المبحث، وفي مقدمتهم عليّ، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وسلمان، وسواهم؛ ولذا برزت أعداد كبيرة من الفقهاء من تلاميذ الصحابة ﷺ من التابعين في العراق، وكذا تلاميذهم من الأتباع، وهو ما جعل العراق منافسًا للحجاز في الفقه والفقهاء، وهذا أثمر ظهور أئمة الفقه في العراق بعد ذلك، حيث عُرف العراق بالفقه والفقهاء، فعلم ابن مسعود وفقهه تم نقله عبر طبقات التابعين إلى أتباعهم حتى أبي حنيفة وأقرانه، إذ إنَّ «أشهر من حمل علم ابن مسعود عن أصحابه من التابعين من تلاميذهم إبراهيم النخعي، وعامر الشعبي، والحكم بن عتيبة، وكان المبرز من هؤلاء إبراهيم النخعي.

ثم حمل الفقه عنهم -أي عن النخعي والشعبي والحكم بن عتيبة- حماد بن أبي سليمان، وسليمان بن مهران الأعمش، وسليمان بن المعتمر، ومسعر بن كدام وكان أوعى هؤلاء حماد بن أبي سليمان.

ثم حمل الفقه عن هؤلاء، أبو حنيفة وسفيان الثوري ومحمد بن أبي ليلى، وعبدالله بن شبرمة والحسن بن صالح بن حي وغيرهم، وبذلك نرى أن فقه أبي حنيفة -بل فقه العراق جملة- يعود في أصوله إلى فقه عبدالله بن مسعود، فهو العميد الأول للمدرسة، وغارس البذور الأولى فيها»^(١).

(١) محمد رواس قلعجي: بين فقهاء، مجلة البحوث الإسلامية ٦/ ٢١٥-٢١٦.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية في العراق

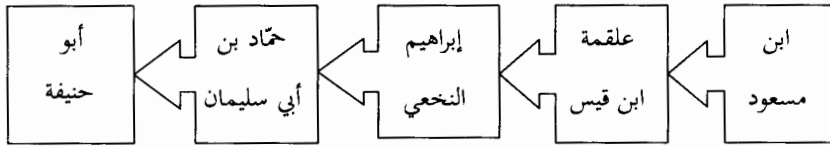
ولذا فقد شهرت مدرسة الكوفة الفقهية بالاستنباط، وبأئمتها الكبار الذي قعدوا ونظروا لها، كأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وأمثالهم، فهم أثر من آثار «ابن مسعود»، ذلك أن محمد بن الحسن أخذ الفقه عن أبي يوسف، وأبو يوسف عن أبي حنيفة، وأبو حنيفة عن حماد بن أبي سليمان، وحماد عن إبراهيم النخعي، وإبراهيم عن علقمة بن قيس، وعلقمة عن شيخه ابن مسعود.

وقد قال الذهبي: «أفقه أهل الكوفة: علي، وابن مسعود، وأفقه أصحابهما: علقمة، وأفقه أصحابه: إبراهيم، وأفقه أصحاب إبراهيم: حماد، وأفقه أصحاب حماد: أبو حنيفة، وأفقه أصحابه: أبو يوسف.

وانتشر أصحاب أبي يوسف في الآفاق، وأفقههم: محمد، وأفقه أصحاب محمد: أبو عبدالله الشافعي - رحمهم الله تعالى -»^(١).

وهذا كله يؤكد ما جاء في ثنايا هذا المبحث من أثر الصحابة الكرام ﷺ في نشر الفقه في العراق.

وهذا رسم توضيحي لتسلسل التلاميذ من حملة فقه ابن مسعود:



* * *

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٦.

المبحث الخامس

اجتهادات الصحابة وقياساتهم في المسائل الحادثة

لقد كان مصدر التشريع في عصر النبوة كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ، فكان ﷺ موضع الفتوى، وفي عهد الراشدين ﷺ، أصبح كبار الصحابة هم المفتون فكانوا يجتهدون فيما لا يجدون له أثراً من الكتاب والسنة، كيف لا وقد تربوا على يدي النبي ﷺ، «تربية تشريعية محكمة يشاهدونه وهو يجتهد في حادثة؛ فيرون تطبيقه عياناً لأحكام القرآن، والقرآن قد ينزل على سبب فيطبق على سببه وعلى غيره، كل ذلك أكسبهم هذا الذوق وصدق التقدير الشرعي فيما لم يُنص على حكمه. ولقد دفعتهم سرعة الأحداث ومجريات الأمور إلى ولوج باب الاجتهاد والتصدي للفتوى ببصيرتهم النافذة»^(١).

فكانت اجتهادات كبار الصحابة ﷺ وفي مقدمتهم الصديق في مسألة الخلافة، ثم أمر المرتدين مانعاً وحامياً - بإذن الله - من التفرق والخلاف.

وعليه فقد ظهر في هذا العهد مصدر ثالث للتشريع وهو اجتهاد الصحابة ﷺ، فكانت مصادر التشريع في هذا العهد ثلاثة: القرآن، والسنة، واجتهاد الصحابة ﷺ، فكانت إذا عرضت حادثة أو وقعت خصومة نظر أهل الفتيا من الصحابة ﷺ في كتاب الله، فإن وجدوا فيه نصاً يدل على حكمها أمضوه، وإن لم يجدوا في كتاب الله نصاً وعلموا من السنة ما يدل على حكمها أمضوه، وإن لم يجدوا ما يدل على حكمها في القرآن أو السنة، اجتهدوا في معرفة حكمها واستنبطوه بالقياس على ما ورد فيه النص،

(١) عبدالله الزايد. «أطوار الاجتهاد الفقهي». - مجلة البحوث الإسلامية (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء) - الرياض، ع ١٥ (١٤٠٦ هـ). ص ٨٩.

أو بما تقتضيه روح التشريع ومصالح الناس^(١).

وفي عهد صغار الصحابة ؓ وكبار التابعين ظهرت المدارس الفقهية وهو الطور الثالث من الأطوار الفقهية: «طور صغار الصحابة وكبار التابعين، وهذا الطور امتداد لعهد صغار الصحابة، وقد اشترك أكثرهم في حروب الفتنة، ولكن هذا العهد تميز بوجود مدرستين: إحداهما بالحجاز، والأخرى بالعراق»^(٢).

وهؤلاء التابعون منهم من كان يستفتى، ويفتي في حياة الصحابة ؓ أنفسهم مثل: سعيد بن المسيب بالمدينة، وعلقمة بن قيس، وسعيد بن جبيرة بالكوفة، - كما مر معنا - حتى أن عبدالله بن عباس كان إذا حج أهل الكوفة واستفتوه قال لهم: أليس فيكم سعيد بن جبيرة؟.

ومدرسة العراق عرفت بالاجتهاد والقياس، وذلك بسبب أن أئمتها شددوا في قبول الرواية حيث كان العراق موطن الفتن، من الشعبيين، والملاحدة، والرافضة، وسواهم من أهل الفتن.

حيث قيل عن مدرسة العراق: أنها «كانت تلجأ إلى الرأي كثيراً، والرأي عندهم يرجع إما إلى القياس الأصولي، وهو إلحاق مسألة لا نص فيها بمسألة فيها نص شرعي، لعل جامعة بينهما، وإما رد المسائل المستحدثة إلى قواعد الشريعة العامة؛ لأن أساتذة هذه المدرسة شددوا في الرواية، نظراً لأن العراق كان يومئذ موطن الفتن»^(٣).

(١) خلاف: علم أصول الفقه ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٢٧.

(٣) إذ إن فيه جماعة من الفرق، ومنهم الشعبيون الذين يكون العداء للإسلام، ولكنهم يعبرون عن ذلك بكرهيتهم للعرب، ومنهم الملاحدة الذين لا يفتنون يثرون الشبهات، ومنهم غلاة الرافضة الذين بالغوا في حب علي حتى جعلوه إلهًا أو شبه إله، ومنهم الخوارج الذين يستيحيون دماء المسلمين الذين على غير نحلتهن، ويكرهون عليًا وشيعته، ومنهم...، ومنهم... فكان الفقهاء الذين يعتد بهم =

كما كان من الحجازيين من يعتمد على الرأي في كثير من استنباطاته، كربيعة بن عبد الرحمن، المشهور بربيعة الرأي، وهو شيخ الإمام مالك، وكان في العراق من يكره الأخذ بالرأي كعامر بن شراحيل الشعبي^(١).

وقد عرف ابن مسعود (ت ٣٢هـ) بالاجتهاد وإعمال الرأي فيما يعرض له من مسائل وحوادث، وعرف غيره من الصحابة ﷺ في هذا النهج، ويأتي في مقدمتهم عمر ابن الخطاب، الذي قال فيه الرسول ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»^(٢). ولذا كثر ربط فقه ابن مسعود بفقه عمر وذلك لاتفاقهما في طريقة التفكير، حتى عُدّا من مدرسة فكرية واحدة، فقال الشعبي: ثلاثة يستفتي بعضهم من بعض فكان عمر وعبدالله وزيد بن ثابت يستفتي بعضهم من بعض،...»^(٣).

= يتحرون في الرواية، ويدققون فيها، ويضعون شروطاً لم يلتزمها أهل الحجاز. وذلك أنهم اعتبروا عمل الصحابي أو التابعي بغير ما روى قدحاً في روايته. فيحملون هذه الرواية على أنها منسوخة أو مؤولة. وكذلك يعتبرون أن انفراد الثقة برواية في مسألة تعم بها البلوى قدحاً في روايته، ويحملون هذه الرواية على أنها إما منسوخة أو خطأ من الراوي عن غير قصد؛ لأنهم كانوا يتحاشون وصف الثقات بتعمد الكذب، فالعدل قد ينسى أو يخطئ. ومن هنا كثر اعتماد فقهاء هذه المدرسة على الأخذ بالرأي فيما يجد لهم من أحداث، اللهم إلا إذا ثبتت عندهم سنة لا شك فيها، أو كان احتمال الخطأ فيها احتمالاً ضعيفاً.

وكان زعيم هذه المدرسة عبدالله بن مسعود. ثم جاء من بعده تلاميذه، وأشهرهم علقمة النخعي، ثم من بعده إبراهيم النخعي، وعليه تخرّج أئمة هذا المذهب. الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٢٧-٢٨، وبالرغم من أن هذا العهد كانت فيه فتن كبرى إلا أن هذه الفتن كان تأثيرها يكاد ينحصر في أمر الخلافة وما يتصل بها من أحكام. الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٣٠.

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٢٨، والمراد بالمدرسة التزام اتجاه خاص ومنهج متميز. الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٢٩.

(٢) الترمذي: السنن (٣٦٨٢) ٥/ ٦١٧، وصححه الألباني؛ الحاكم: المستدرک (٤٥٠١) ٣/ ٩٣، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وقال الذهبي على شرط مسلم.

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/ ١٢؛ محمد رواس قلنجي: بين فقيهين، مجلة البحوث الإسلامية ٦/ ٢٠٩.

بل بينهما اتفاق في كثير من المسائل وكان ابن مسعود يثني على علم عمر وهذا ما جعل البعض يغتر - كما يقول أحد الباحثين -: «فظنوا أن ابن مسعود لا يعدو أن يكون ظلاً لعمر»، وينفي ذلك فيذكر أن ابن مسعود خالف عمر في مسائل عدة^(١).

بل إن النخعي يقدم قول ابن مسعود على قول عمر، قال الأعمش الكوفي (ت ١٤٨ هـ): «كان النخعي لا يعدل بقول عمر وعبدالله إذا اجتماعا، فإذا اختلفا كان قول عبدالله أعجب إليه لأنه كان ألطف»^(٢).

ويعلل أحدهم كون قوله ألطف بتقلبه في البلاد، «وإنما كان قول عبدالله ألطف لأن عبدالله بن مسعود تقلب في البلاد واطلع على أحوال وأوضاع لم يطلع عليها عمر، ولذلك كان اجتهاد عبدالله أكثر واقعية من اجتهاد عمر - رضي الله عنهما -»^(٣).

ومما يدل على أهمية فتاوى الصحابة ﷺ والتابعين التشريعية أنه عند بدء تدوين السنة - مع نهاية القرن الأول الهجري - حُفظت معها فتاوى الصحابة ﷺ والتابعين، وهو: «الطور الرابع: عهد صغار التابعين وكبار تابعي التابعين...، ويتميز هذا الطور بأنه قد بدئ فيه بتدوين السنة مختلطة بفتاوى الصحابة والتابعين، وذلك بأمر من أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، بعد أن شرح الله صدره لهذا، وخشي أن تضعف السنة وأقوال الصحابة والتابعين»^(٤).

(١) فيقول: «وقد ذكر ابن القيم أن المسائل التي خالف فيها ابن مسعود عمر بن الخطاب تبلغ نحو مئة مسألة، ولكنه لم يذكر منها إلا أربع مسائل، وقد استقرأت فقه ابن مسعود وفقه عمر بن الخطاب فأحصيت من المسائل التي خالف فيها ابن مسعود عمر بن الخطاب ثلاثاً وأربعين». ابن القيم: إعلام الموقعين ٢/١٦٧؛ محمد رواس قلعجي. «بين فقيهين». - مجلة البحوث الإسلامية ٦/٢١٤.

(٢) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/١٤.

(٣) محمد رواس قلعجي. «بين فقيهين». - مجلة البحوث الإسلامية ٦/٢٠٨.

(٤) وذلك بعد أن زالت العلة التي خشي معها أن يختلط القرآن بغيره...، فأمر حملة العلم في عهده بأن يدونوا ما عندهم من سنة وفتاوى الصحابة والتابعين، لتكون مرجعاً يرجع إليه، ونهاذج يبتدي بها =

ومما يبرز أثر الصحابة ﷺ الفقهي في العراق في القياس والاجتهاد، ما نقل عنهم وعن تلاميذهم من دعوتهم إلى الاجتهاد والقياس في المسائل الحادثة، وفي رسائل عمر بن الخطاب التي كان كتب بها إلى أبي موسى الأشعري، أما بعد: «فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك...، الفهم الفهم فيما ينخلج في صدرك، وربما قال في نفسك ويشكل عليك ما لم ينزل في الكتاب ولم تجر به سنة، واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض وانظر أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق فاتبعه»^(١).

ويقول عبدالله بن يزيد الخطمي: كتب إلينا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «أما بعد، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان، فإن له اثنين ولكم واحد»^(٢).

وسئل عليّ عن مسيره إلى صفين: هل كان بعهد عهده إليه رسول الله ﷺ أم رأي رآه؟ قال: بل رأي رأيته^(٣).

=المجتهدون في حل مشاكل المجتمع الإسلامي المتطور الذي تتوالى فيه الأحداث التي تتطلب أحكامها الشرعية.

ومن هنا يتبين زيف ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن تدوين السنة كان لتبرير الآراء الفقهية، إذ التاريخ يشهد بأن الآراء الفقهية والسنة دونتا في عهد واحد، وبذل العلماء في جمعها جهداً لم تبذله أمة في تنقيح الرواية والتثبت من صحتها. الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٣١-٣٢.

(١) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ١/ ٤٩٢-٤٩٣؛ الدارقطني: السنن (٤٤٧١) ٥/ ٣٦٧-٣٦٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - لبنان، ١٤٢٤هـ، ج ٥، ص ٣٦٨؛

البيهقي: السنن الكبرى (٢٠٥٣٧) ١٠/ ٢٥٢؛ ابن القيم: إعلام الموقعين ١/ ٦٧-٦٨.

(٢) النسائي: السنن (٥٧١٧) ٨/ ٣٢٩، وصححه الألباني، السنن الكبرى (٥٢٠٨) ٥/ ١٢٠، ورجح عمر تأثير النار في الحل بالنسبة للطلاء لأن علة التحريم في الخمر الإسكار، وهو ما أشار إليه (نصيب الشيطان).

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٥٠.

وعبدالله بن مسعود إمام أهل العراق يقول وقد سئل عن مسألة لم يجد فيها أثراً، وقد شقت عليه فدفعهم إلى غيره ومكثوا شهراً - كما جاء في بعض طرق الخبر-، ثم إنهم ألحوا عليه أن يفتيهم فقال: «أقول برأيي، فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه برآء...»، قال: وذلك بسَمْعِ أناس من أشجع، فقاموا فقالوا: نشهد أنك قضيت بما قضى به رسول الله   في امرأة منا يقال لها: بروع بنت واشق قال: فما رئي عبدالله فرح فرحةً يومئذ إلا بإسلامه»^(١). وكان فرحه لموافقة فتواه فتوى رسول الله  .

ويوضح ابن مسعود (ت ٣٢هـ) هذا المسلك فيقول: «إذا حضرك أمر لا تجد منه بدءاً، فاقض بما في كتاب الله، فإن عييت فاقض بسنة نبي الله  ، فإن عييت فاقض بما قضى به الصالحون، فإن عييت فأومئ إيماء، ولا تأل، فإن عييت فافرر منه ولا تستح»^(٢).

وهذا ما يوضحه «الفاروق» إذ كتب شريح إلى عمر يسأله، فكتب إليه، «أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله  ، فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله  ، فاقض بما قضى به الصالحون، فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله  ، ولم يقض به الصالحون، فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيراً لك، والسلام عليكم»^(٣).

(١) النسائي: السنن (٣٣٥٨) ٦/١٢٢، وصححه الألباني؛ أحد: المسند (٤٢٧٦) ٧/٣٠٩، وقال المحقق حديث صحيح؛ الترمذي: السنن (٤٤١٥) ٣/٤٤٢؛ الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ١/٤٩٥ - ٤٩٦؛ ابن القيم: إعلام الموقعين ١/٥٠.

(٢) عبدالرزاق: المصنف ٨/٣٠١؛ ونحوه عند ابن أبي شيبة: المصنف ٤/٥٤٤؛ الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ١/٤٩٣؛ ابن القيم: إعلام الموقعين ١/٥٠.

(٣) النسائي: السنن (٣٥٩٩) ٨/٢٣١، وصححه الألباني موقوفاً؛ الدارمي: السنن (١٦٩) ١/٢٦٦.

وعليه فقد كان للصحابة   اجتهاداتهم وقياساتهم فيما جد لهم من مسائل في جوانب حياتهم المختلفة، ولذا قال ابن القيم: «الصحابة  ، مثلوا الوقائع بنظائرها، وشبهوها بأمثالها، وردوا بعضها إلى بعض في أحكامها، وفتحوا للعلماء باب الاجتهاد، ونهجوا لهم طريقه، وبينوا لهم سبيله»^(١).

وقد سار على هذا النهج من الاجتهاد والقياس تلاميذ الصحابة   من التابعين وتابعيهم، فكانت لهم اجتهاداتهم وأقيستهم، خاصة أن المستجدات والنوازل في عصرهم أكثر من عصر الصحابة  .

وهذا الحسن البصري (ت ١١٠هـ) يقول له أبو سلمة بن عبد الرحمن: «أرأيت ما تفتي به الناس، أشيء سمعته أم برأيك؟ فقال الحسن: لا والله ما كل ما تفتي به سمعناه، ولكن رأينا لهم خير من رأيهم لأنفسهم»^(٢).

وإبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ) قيل له: «أكل ما أسمعك تفتي به سمعته؟ فقال لي: لا، فقلت: تفتي بما لم تسمع؟ فقال: سمعت الذي سمعت، وجاءني ما لم أسمع فقسته بالذي سمعت»^(٣).

ولذا يقول حماد بن أبي سليمان عن شيخه إبراهيم النخعي: «ما رأيت أحضر قياساً من إبراهيم»^(٤).

ومحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) يقول: «من كان عالماً بالكتاب والسنة

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/١٦٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/٥٢، ٧/١٦٥؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٥٦، ابن القيم: إعلام الموقعين ١/٥٢-٥٣.

(٣) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ١/٤٩٩.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٥٦.

وبقول أصحاب رسول الله ﷺ وبما استحسّن فقهاء المسلمين وسعه أن يجتهد برأيه فيما يتلى به، ويقضي به، ويمضيه في صلاته وصيامه وحجه وجميع ما أمر به ونهي عنه، فإذا اجتهد ونظر وقاس على ما أشبه ولم يأل وسعه العمل بذلك، وإن أخطأ الذي ينبغي أن يقول به»^(١).

ولذا قال أبو عمر بن عبد البر: «وقد جاء عن الصحابة   من اجتهاد الرأي والقول بالقياس على الأصول عند عدمها ما يطول ذكره وسترى منه ما يكفي في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى، وممن حفظ عنه أنه قال وأفتى مجتهداً رأيه وقائساً على الأصول فيما لم يجد فيه نصّاً من التابعين»^(٢).

فذكر التابعين من أهل المدينة ومكة واليمن، ثم قال: «ومن أهل الكوفة: علقمة، والأسود، وعبيدة وشريح القاضي، ومسروق ثم الشعبي، وإبراهيم النخعي، وسعيد ابن جبير، والحارث العكلي، والحكم بن عتيبة، وحماد بن أبي سليمان، وأبو حنيفة وأصحابه، والثوري، والحسن بن صالح، وابن المبارك وسائر فقهاء الكوفيين، ومن أهل البصرة: الحسن، وابن سيرين وقد جاء عنهما، وعن الشعبي ذم القياس ومعناه عندنا قياس على غير أصل لثلاثا يتناقض ما جاء عنهم، وجابر بن زيد أبو الشعثاء، وإياس بن معاوية، وعثمان البتي، وعبيدالله بن الحسن، وسوار القاضي»^(٣).

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٥٦؛ ابن القيم: إعلام الموقعين ١/٥٢-٥٣.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٥٨.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٥٨-٨٥٩، ذلك أن الرأي ثلاثة أقسام كما يقول ابن القيم: «رأي باطل بلا ريب، ورأي صحيح، ورأي هو موضع الاشتباه، والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح، وعملوا به وأفتوا به، وسوغوا القول به، وذموا الباطل، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بدمه وذم أهله.

والقسم الثالث: سوغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بد، ولم يلزموا أحداً العمل به، ولم يجرموا مخالفته، ولا جعلوا مخالفته مخائفاً للدين، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله =

ومن هنا فقد كان للصحابة في العراق ولتلاميذهم تعامل مباشر مع المسائل الحادثة والوقائع المستجدة حيث اجتهدوا في تنزيل الحكم الشرعي عليها وذلك في قضايا كثيرة في أبواب مختلفة، ومن أمثلة ذلك:

١ - اجتهادات الصحابة في مسائل العقائد:

أ- موقف الصحابة من المرتدين:

١- قتل المرتد: ومن ذلك ما وقع لابن مسعود (ت ٣٢هـ)، في إمارته على الكوفة حيث أمر بضرب عنق عبدالله بن النواحة، الذي ظهر عنه أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة، وذلك أن رجلاً من أهل الكوفة^(١)، مر ببعض مساجد بني حنيفة، فإذا هم يقرؤون قراءة مسيلمة^(٢)، وفي رواية وهم يذكرون مسيلمة ويزعمون أنه نبي^(٣).

وفي رواية قيس بن أبي حازم قال: «جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: إني مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرءون قراءة ما أنزلها الله: الطاحنات طحنًا، والعاجنات عجناً، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا. فأرسل إليهم عبدالله فأتى بهم، وهم سبعون رجلاً ورأسهم عبدالله بن النواحة. قال: فأمر به عبدالله

=ورده؛ فهو بمنزلة ما أبيع للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه كما قال الإمام أحمد: سألت الشافعي عن القياس، فقال لي: عند الضرورة، وكان استعمالهم لهذا النوع بقدر الضرورة: لم يفرطوا فيه ويفرعوه ويولدوه ويوسعوه كما صنع المتأخرون بحيث اعتاضوا به عن النصوص والآثار، وكان أسهل عليهم من حفظها». إعلام الموقعين ١/ ٥٣.

(١) وهو معيز السعدي. الدارقطني: المؤلف والمختلف ٤/ ٢٠١٧، وقيل إنه ابن معين السعدي. ابن ناصر الدين، محمد بن عبدالله بن محمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢هـ): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٩٣م، ج ٣، ص ١٢٩، وورد أنه: سمع مؤذنين يشهد أن لا إله إلا الله وأن مسيلمة الكذاب رسول الله، وأنه سمع أهل المسجد على ذلك. البيهقي: السنن الكبرى (١٦٨٨٦) ٨/ ٣٥٨.

(٢) الدارقطني: المؤلف والمختلف ٤/ ٢٠١٧.

(٣) ابن ناصر الدين: توضيح المشتبه ٣/ ١٢٩.

فقتل. ثم قال: ما كنا بمحرزين الشيطان من هؤلاء، ولكننا نحدرهم إلى الشام لعل الله أن يكفيناهم»^(١)، ذلك أن ابن مسعود استتابهم فتابوا إلا ابن النواحة أمر به فقتل^(٢).

٢- مقاتلة المرتدين من بني ناجية^(٣): وذلك أن بني ناجية قوم نصارى فمنهم من بقي على نصرانيته، ومنهم من أسلم وثبت على إسلامه، ومنهم من أسلم ثم ارتد. قال أبو الطفيل: كنت في الجيش الذين بعثهم علي بن أبي طالب إلى بني ناجية، قال: فانتهينا إليهم فوجدناهم على ثلاث فرق...، ثم قال للثالثة: ما أنتم؟، فقالوا: نحن قوم كنا نصارى فأسلمنا ثم رجعنا، فلم نر ديناً أفضل من ديننا الأول فتنصرنا، فقال لهم: أسلموا فأبوا، فقال لأصحابه: إذا مسحت على رأسي ثلاث مرات فشدوا عليهم ففعلوا، فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية^(٤).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٦٠-٢٦١؛ انظر: البيهقي: السنن الكبرى (١٦٨٨٦) ٨/ ٣٥٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٢/ ٦٨٥، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٧.

(٢) حيث جاء «عن حارثة بن مضرب، قال: خرج رجل يطرق فرساً له فمر بمسجد بني حنيفة فصلى فيه فقرأ لهم إمامهم بكلام مسيلمة الكذاب، فأتى ابن مسعود فأخبره فبعث إليهم فجاءهم، فاستتابهم فتابوا إلا عبدالله ابن النواحة، فإنه قال له: يا عبدالله، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لولا أنك رسول لضربت عنقك، فأما اليوم فلست برسول، يا خرشة قم فاضرب عنقه)، فقام فضرب عنقه». ابن أبي شيبه: المصنف ٦/ ٤٣٩؛ ابن ناصر الدين: توضيح المشتبه ٣/ ١٢٩؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٥/ ٦٤.

(٣) وهم عدة كثير من بني سامة بن لؤي، وناجية بنت جرم بن أبان أمهم كانت تحت سامة بن لؤي فنسبوا إليها، ومن بني عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤي أصحاب الخريت بن راشد، الذين ارتدوا أيام علي؛ فحاربهم، وقتلهم، وسبى نساءهم وأبناءهم. السمعاني، عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ): الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي وغيره، ط: الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٣٨٢ هـ، ج ١٣، ص ٥٥؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ هـ، ص ١٧٣.

(٤) ابن أبي شيبه: المصنف ٥/ ٥٦٤، ٦/ ٤٣٩، والمرتدون تسبى ذراريهم، وقد سبى أبو بكر ذراري من ارتد من العرب من بني حنيفة وغيرهم، وسبى علي بن أبي طالب بني ناجية. انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٤/ ٢١٢.

٣- إحراق عبدة الأصنام: ومن ذلك اجتهاد عليّ في إحراق جماعة تعبد الأصنام سرّاً في عهده، ممن يظهرون الإسلام فيأخذون العطاء والرزق ويصلون مع الناس ويعبدون الأصنام في السر، فأتى بهم علي بن أبي طالب فوضعهم في المسجد، وقيل في السجن، ثم استشار الناس في شأنهم، فقالوا اقتلهم، قال: لا، ولكنني أصنع بهم كما صنّع بأبينا إبراهيم - صلوات الله عليه -، فحرقهم بالنار^(١).

ب- موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفتنة زمن عثمان: فحين وقعت الفتنة زمن «عثمان» كان موقف الصحابة رضي الله عنهم منها واضحاً، وهو الوقوف مع الخليفة وإعانتته ونصرته، ولذا فإن الصحابة رضي الله عنهم وتلاميذهم في العراق كانوا يحضون الناس على إعانة عثمان وأهل المدينة ضد أهل الفتنة، «وكان المحضضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عقبة بن عمرو، وعبدالله بن أبي أوفى، وحنظلة بن الربيع التميمي، في أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان المحضضين بالكوفة من التابعين أصحاب عبدالله، مسروق بن الأجدع، والأسود ابن يزيد، وشريح بن الحارث، وعبدالله بن عكيم^(٢)، في أمثالهم، يسيرون فيها، ويطوفون على مجالسها، يقولون: يا أيها الناس... انهضوا إلى خليفتمكم، وعصمة أمركم.

وقام بالبصرة عمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، في أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يقولون مثل ذلك، ومن التابعين كعب بن سور، وهرم بن حيان العبدي، وأشباه لهما يقولون ذلك!»^(٣).

ج- التوقف في الفتن واعتزالها: فقد حذر من الفتن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان - ولم يدركاها -، وعمران بن حصين، وأسير صاحب

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٥٦٤، ٦/٤٤٠.

(٢) عبدالله بن عكيم الجهني الكوفي، يكنى أبا معبد، كان إمام مسجد جهينة، وكان كبيراً قد أدرك الجاهلية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١١٣، ١١٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٣٥٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٥٣١.

رسول الله ﷺ.

حيث حدّث ابن مسعود أحد الصحابة في التحذير من الفتن، قال وابصة الأسدي (ت ٥١هـ): «إني لبالكوفة في داري، إذ سمعت علي باب الدار: السلام عليكم ألعج؟ فقلت: وعليك السلام فلج، فلما دخل إذا هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فقلت: يا أبا عبدالرحمن أية ساعة هذه للزيارة - وذلك في نحر الظهيرة - قال: طال عليّ النهار، فتذكرت من أتحدث إليه فجعل يحدثني عن رسول الله ﷺ وأحدثه، قال: ثم أنشأ يحدثني، فقال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الراكب، والراكب فيها خير من المجري»، قلت: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «ذلك أيام الهرج حين لا يأمن الرجل جلسه» قلت: فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: «اكفف نفسك ويدك وادخل دارك» قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن دخل علي داري؟ قال: «فادخل بيتك» قال: قلت: أفأرأيت إن دخل علي بيتي؟ قال: «فادخل مسجدك واصنع هكذا - وقبض بيمينه على الكوع - وقل ربي الله حتى تموت على ذلك»^(١).

وحذر حذيفة من الفتن، حيث قال: «إياكم والفتن لا يشخص لها أحد، والله ما شخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة مقبلة، حتى يقول الجاهل هذه تشبه مقبلة وتبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتادكم»^(٢).

(١) الحاكم: المستدرک (٨٣١٤) ٤/٤٧٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه؛ معمر

بن راشد: الجامع ١١/٣٥٠؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٨٥.

(٢) معمر بن راشد: الجامع ١١/٣٥٩.

وأسير صاحب رسول الله ﷺ، يدعو إلى الاجتماع ويحذر من الفرقة^(١).

واعتزل الفتنة عدد من الصحابة ﷺ، وحذروا من المشاركة فيها، ومنهم: عمران ابن حصين، والمغيرة بن شعبة، وسعيد بن العاصي، وغيرهم.

حيث توقف بعض الصحابة ﷺ في العراق عن المشاركة فيما وقع بين الصحابة ﷺ، بل دعوا إلى ذلك، منهم عمران بن حصين، وذلك حين جاء أصحاب الجمل للبصرة كان من الصحابة ﷺ فيها من دعا إلى الإمساك والتخذيل درءاً للفتنة، فهذا عمران بن حصين (ت ٥٢هـ)، يسعى لتخذيل الفريقين في البصرة، «وأرسل إلى بني عدي فيمن أرسل، فأقبل رسوله حتى نادى على باب مسجدهم: ألا إن أبا نجيد عمران ابن الحصين يقرئكم السلام، ويقول لكم: والله لأن أكون في جبل حضن مع أعز خضر وضأن، أجز أصوافها، وأشرب ألبانها، أحب إلي من أن أرمي في شيء من هذين الصفين بسهم، فقالت بنو عدي جميعاً بصوت واحد: إنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ، لشيء - يعنون أم المؤمنين»^(٢).

وقد سار على هذا النهج تلاميذ الصحابة ﷺ، من أئمة التابعين في عصر الراشدين ﷺ وبعده، حيث حذروا من الفتن، واعتزلوها، وندم من اشترك منهم في بعضها، وممن حذر منها واعتزلها، مطرف بن عبدالله بن الشخير البصري (ت ٨٧هـ)، الذي قال: «لأن آخذ بالثقة في القعود أحب إلي من أن ألتمس - أو قال: أطلب - فضل الجهاد بالتغريب»^(٣)، وقيل ليزيد بن عبدالله بن الشخير: ما كان مطرف يصنع إذا هاج في الناس هيح؟ قال: «كان يلزم قعر بيته، ولا يقرب لهم جمعة، ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت»^(٤)،

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦٧ / ٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٠٣ / ٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٤٣ / ٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩١ / ٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٤٢ / ٧، ١٤٣.

وأتاه الحروريّة يدعونه إلى رأيهم، فقال: «يا هؤلاء، إنه لو كانت لي نفسان تابعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدى اتبعتها بالأخرى، وإن كانت ضلالة هلكت نفس وبقيت لي نفس، ولكنها نفس واحدة، وأنا أكره أن أغرر بها»^(١).

وممن اعتزل الفتن، أبو العالية الرياحي البصري (ت ٩٣هـ)، الذي تحدث عن محاورته لنفسه في المشاركة فقال: «لما كان زمن عليّ^(٢) ومعاوية، وإني لشاب، القتال أحب إليّ من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان لا يرى طرفاهما، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء، وإذا هلك هؤلاء هلك هؤلاء قال: فراجعت نفسي، فقلت: أي الفريقين أنزله كافرًا، وأي الفريقين أنزله مؤمنًا؟ أو من أكرهني على هذا؟ فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم»^(٣).

وممن اعتزل الفتن، الحسن البصري (ت ١١٠هـ)^(٤)، وعبدالله بن عون البصري (ت ١٥١هـ)^(٥)، وزبيد بن الحارث الياامي الكوفي (ت ١٢٢هـ)^(٦)، وأخرج الحسن البصري مكرهاً مع ابن الأشعث، وكاد يهلك في النهر هرباً من الاشتراك^(٧).

وندم بعض من شارك منهم في الفتن، وخاصة فتنة ابن الأشعث زمن الحجاج حيث شارك فيها القراء سُخطة على ظلم الحجاج، فندم جماعة منهم، كمسلم بن يسار

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٤٣.

(٢) في الأصل: عليه السلام.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٤؛ أبو نعيم: الحلية ٢/ ٢١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٩-٢١٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٦٤.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٩٧.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٣.

البصري (ت ١٠١هـ)^(١)، وطلحة بن مصرف الكوفي (ت ١١٢هـ)^(٢).

وذكر أيوب السختياني البصري (ت ١٣١هـ)، القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث، فقال: «لا أعلم أحداً منهم قتل إلا قدر غلب له عن مصرعه، ولا نجا فلم يقتل إلا قد ندم على ما كان منه»^(٣).

د- موقف الصحابة من المبتدعة: حذر الصحابة من البدع والمبتدعة وأنكروا عليهم، ومنهم ابن مسعود (ت ٣٢هـ)، إذ حذر من البدعة وأنكر على أصحابها وزجرهم عنها، فعن حارثة بن مضرب العبدي الكوفي، قال: «حلم حالم بالكوفة أنه من صلى في مسجد الكوفة غفر له، فاجتمع الناس في المسجد، قال: فأتى عبد الله، فخرج فزعاً حتى أتى المسجد، فقام بباب المسجد، فجعل يلوي ويلمع بثوبه، ويقول: اخرجوا لا تعذبوا، وإنما هي نفحة من الشيطان إنه لا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم»^(٤).

وقال الشعبي: «خرج ناس إلى الثوية»^(٥) عن رأس فرسخ من الكوفة، أو فرسخين، فبنوا مسجداً وقالوا نتعبد ولا نخالط الناس، فأتاهم عبد الله بن مسعود فقالوا: مرحباً بأبي عبد الرحمن، لقد كنا نحب أن تزورنا. فقال: أتيتكم زائراً ولا أنزل حتى يهدم مسجد الخبال، أنتم أهدي من أصحاب محمد؟ إنكم لعمسكون بذياب ضلالة، رأيتم

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٨/٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩٢/٥؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١٧/٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٨/٧.

(٤) السرقسطي: الدلائل في غريب الحديث ٤٠٠/١، وانظر: ابن أبي شيبة: المصنف ١٧٥/٦.

(٥) موضع قريب من الكوفة، ذكر العلماء أنها كانت سجنًا للنعمان بن المنذر، كان يجس بها من أراد قتله، فكان يقال لمن حبس بها ثوى أي أقام، فسميت الثوية بذلك، وقال ابن حبان: دفن المغيرة بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثوية، وهناك دفن أبو موسى الأشعري. ياقوت: معجم البلدان ٨٧/٢.

لو صنع الناس مثل الذي صنعتم، من كان يقيم الحدود؟ من كان يعمر المساجد؟ من كان يجاهد العدو؟ ارجعوا فخالطوا الناس، وتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلّموا من أنتم أعلم منه. قال: قلت للشعبي: أهم عمرو بن عتبة ومعضد وأصحابهما؟ قال: نعم^(١).

قال ابن مسعود داعياً للتمسك بالسنة وترك البدعة: «إذا رأيتم المحدث فعليكم بالأمر الأول»^(٢)، وقال: «عليكم بالطريق فالزموه، فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً»^(٣).

وكذا حذيفة بن اليمان، يقول زيد بن وهب الكوفي (ت ٨٣هـ): انطلق حذيفة إلى رجل من النخع يعود، فانطلق وانطلقت معه، فدخل عليه ودخلت معه، فلمس عضده فرأى فيه خيطاً فأخذه فقطعه، ثم قال: «لو مت وهذا في عضدك ما صليت عليك»^(٤).

وعن الخط التاريخي لظهور البدع، فقد عدّ أحد الباحثين أنها ظهرت على فترات، واعتبر أولى الفترات التي ظهرت فيها البدع ما بين (٣٧ - ١٠٠)، حيث ظهرت بدعة الخوارج، وبدعة التشيع، وبدعة القدر. وكان للصحابة موقف من هذه البدع بحسبها^(٥).

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ١٣/٣٢٦-٣٢٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠٧، وعمرو بن عتبة بن فرقد السلمي ولأبيه عتبة بن فرقد صحبة، وروى عمرو عن عبدالله بن مسعود، وكان عمرو من المجتهدين في العبادة، وقتل شهيداً. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠٦، ٢٠٧، معضد بن يزيد العجلي ويكنى أبا زياد وكان من المجتهدين العباد، وغزا أذربيجان في خلافة عثمان فقتل بها شهيداً. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٦٠، وهو ما يدل على أنهم أجابوه وخالطوا الناس وجاهدوا معهم.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٢٧٣.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/٣٨١؛ الطبراني: المعجم الكبير (٨٦٣٣) ٩/١٢٦.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٣٥.

(٥) اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري (ت ٤١٨هـ): شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد حمدان، ط: الثامنة، دار طيبة - السعودية، ١٤٢٣هـ، مقدمة المحقق ١/٤٥-٤٦.

فالخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب في «صيفين» سنة (٣٨هـ)، قد كان لحذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ) حدسٌ في التحذير من طريقتهم، حين حث على اتباع السنة والاعتصام بها والبعد عن البدع؛ فقال: «يا معشر القراء، اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً»^(١).

وتذكر رواية أخرى عن خرشة، «أن حذيفة، دخل المسجد، فمر على قوم يقرئ بعضهم بعضاً، فقال: إن تكونوا على الطريقة، لقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن تدعوه فقد ضللتهم، قال: ثم جلس إلى حلقة، فقال: إنا كنا قوماً آمننا قبل أن نقرأ، وإن قوماً سيقروا ون قبل أن يؤمنوا، فقال رجل من القوم: تلك الفتنة، قال: أجل، قد أتتكم من أمامكم حيث تسوء وجوهكم ثم لتأتينكم ديمماً ديمماً، إن الرجل ليرجع فيأتمر الأمرين: أحدهما عجز والآخر فجور»، قال خرشة: فما برحت إلا قليلاً حتى رأيت الرجل يخرج بسيفه يستعرض الناس»^(٢).

وقد ناظر علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، هؤلاء الخوارج الذين حملوا السلاح لنصرة مذهبهم^(٣)، وكذا ناظرهم ابن عباس (ت ٦٨هـ)، وقصته معهم

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ١٣٩.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٤٥١، وهو هنا يجذر القراء من الابتداع، وقد شارك جماعة منهم بعد ذلك مع الخوارج.

(٣) فقد سألت عائشة عبد الله بن شداد، مرجعه من العراق، عن القوم الذين قتلهم عليٌّ، فقال: «فإن علياً لما كاتب معاوية، وحكّم الحكمين، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فتزلوا بأرض يقال لها: حروراء، من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سراك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى. فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذناً فأذن: أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن. فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف، حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنها هو مداد في ورق، =

مشهورة^(١)، حيث رجع كثير منهم بهذه المناظرات.

= ونحن نتكلم بها روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله عز وجل، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٥٣]، فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ونقموا علي أن كاتب معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية، حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: سهيل لا تكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: كيف نكتب؟ فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: فاكتب: محمد رسول الله فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك. فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً. يقول: الله تعالى في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكريهم، قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: قوم خصمون فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله. فقام خطبائهم فقالوا: والله لنواضعه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لتبعنه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله. فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على علي الكوفة، فبعث علي، إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، ففقوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمة محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين. فقالت له عائشة: يا ابن شداد، فقد قتلهم فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة. فقالت: الله؟ قال: الله الذي لا إله إلا هو لقد كان». أحمد: المسند (٦٥٦) ٢/ ٨٤-٨٦، وقال المحقق إسناد حسن؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/ ٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٥٦٦.

(١) قال عبد الله بن عباس: «لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم قال: إني أخافهم عليك قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم قلت: هاتوا ما نقيتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه قالوا: ثلاث قلت: ما هن؟ قال: أما إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل، ولم يسب، ولم يغتم، إن كانوا كفاراً لقد حل سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم قلت: هذه=

وحدد عليٌّ موقفه من الخوارج وسياسته معهم في قوله: «لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا، لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم شيئاً ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا»^(١).

=ثنتان، فما الثالثة؟ وذكر كلمة معناها قالوا: محان نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا قلت: لهم رأيكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربيع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه رأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، هذا أفضل وفي المرأة وزوجها: ﴿خَفَّتْ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهَا قَبَلَتْهَا فَاتَّبَعْتُ أَحْكَامَ مَا نَهَا عَنْهُ﴾ [النساء: ٣٥] فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟ خرجت من هذه؟ قالوا: نعم قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأما فقد كفرتم: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِن نَفْسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ مِّنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا أتيتكم بها ترضون. إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله ﷺ: امح يا علي اللطم إنك تعلم أي رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد خا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار». النسائي: السنن الكبرى (٨٥٢٢) ٧/ ٤٨٠-٤٨١؛ وانظر: عبد الرزاق: المصنف ١٠/ ١٥٧-١٦٠.

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٥٦٢؛ القاسم بن سلام: الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (د. ط)، دار الفكر - بيروت، (د. ت)، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٦٧٦٣) ٨/ ٣١٩؛ الطبراني: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، (د. ط)، دار الحرمين - القاهرة، (د. ت)، ج ٧، ص ٣٧٦.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ؓ في الحياة العلمية في العراق

فعدّ لهم حقوقهم ما لم يفارقوا جماعة المسلمين، أو يقاتلوهم، ولذا لما خرجوا على الجماعة، وقطعوا الطريق، تبرأ منهم عليّ والصحابة ؓ، وقاتلوهم في «النهران». واستمر ذلك الموقف من الصحابة ؓ مع الخوارج، ولذا قال الذهبي في ترجمة سمرة بن جندب «وكان شديدًا على الخوارج، قتل منهم جماعة»^(١).

ومعاوية بن قرة المزني البصري (ت ١١٣هـ) يقول: «خرج محكم في زمان أصحاب رسول الله ﷺ، فخرج عليه بالسيوف رهط من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم عائذ بن عمرو»^(٢).

وعلى هذا النهج كان موقف التابعين من الخوارج، وذلك بعيب منهجهم، والتحذير منهم، والمشاركة في محاربتهم، جاء أبو السليل القيسي إلى صلة بن أشيم العدوي البصري (ت ٦٢هـ)، فقال له: يا صلة، علمني مما علمك الله فقال له: «...، وإياك وقوماً يقولون نحن المؤمنون وليسوا من الإيمان على شيء، وهم الحرورية» ثلاث مرات^(٣)، وحين انتحل الخوارج أحدًا من سادة التابعين بادر إلى البراءة منهم، كما وقع ذلك لجابر بن زيد البصري (ت ١٠٣هـ)^(٤).

وكذا حين أتت الحرورية مطرّف بن عبدالله البصري (ت ٨٦هـ)، يدعونه إلى رأيهم، فقال: يا هؤلاء، لو كان لي نفسان، بايعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدى، أتبعها الأخرى، وإن كان ضلالة، هلكت نفس وبقيت لي

(١) انذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٦؛ وانظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٦٥٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٢/ ٣٠٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٣١، وهو المزني، كان ممن بايع تحت الشجرة. ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٩٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٣٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٨١، ١٨٢، ومع ذلك لا يزال الأباضية يعدونه إمامهم.

نفس، ولكن هي نفس واحدة لا أغرر بها^(١).

وأبو العالية الرياحي البصري (ت ٩٣هـ)، يقول: «فقد أنعم الله علي بنعمتين، لا أدري أيهما أفضل: أن هداني للإسلام، ولم يجعلني حروريًا»^(٢).

وكذا موقف الصحابة ﷺ من بدعة التشيع التي ظهرت في خلافة علي بن أبي طالب، حيث ردوها وأنكروها، ويظهر ذلك جليًا في موقف عليّ منهم وهم يفضلونه ويعظمونه فكيف بغيره، ذلك أنها «كانت ثلاثة طوائف غالية؛ وسبابة؛ ومفضلة، فأما الغالية، فإنه حرقهم بالنار فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله. فاستتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا فأمر في الثالث بأخاديد فخذت وأضرم فيها النار ثم قذفهم فيها وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا

أججت ناري ودعوت قنبرًا

وأما السبابة، فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله فهرب منه إلى قرقيسيا^(٣)؛ وكلمه فيه وكان عليّ يداري أمراءه؛ لأنه لم يكن متمكنًا ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به. وأما المفضلة، فقال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفتريين. وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر^(٤).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٤٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/١٩٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢١٢.

(٣) قرقيسيا: كورة من كور ديار ربيعة، وهي كلها بين الحيرة والشام. البكري: معجم ما استعجم ٣/١٠٦٦.

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣٥/١٨٤-١٨٥، ويظهر أنه سقط من النص: أميره، ليصبح «وكلمه فيه أميره».

وأما القدريّة فقد أعلن الصحابة ؓ براءتهم منهم، وأخبروا أنهم مجوس هذه الأمة^(١).

وعلى هذا النهج من محاربة البدعة والتحذير منها درج التابعون، وتابعوهم. وحين ظهرت بذور التصوف زمن التابعين من خلال لبس الصوف والخشن من اللباس، أنكروا عليهم ذلك ودعوهم إلى التجمل. قال أبو العالية الرياحي: «زارني عبد الكريم أبو أمية، وعليه ثياب صوف، فقلت له: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تراوروا، تجملوا»^(٢).

وحماد بن أبي سليمان الكوفي (ت ١٢٠هـ)، قدم البصرة، فجاهه فرقد السبخي، وعليه ثوب صوف، فقال له: ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتني ننتظر إبراهيم^(٣)، فيخرج، عليه معصفرة، ونحن نرى أن الميتة قد حلت له^(٤).

والمبتدعة في الدين عند التابعين هم أهل الأهواء وكان موقفهم واضحًا من أهل الأهواء، تحذيرًا منهم، ومن سماع كلامهم، ونهيًا عن مجالستهم، حيث نقل ذلك عن جماعة منهم.

قال أبو قلابة الجرمي البصري (ت ١٠٤هـ): «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تحادثوهم، فإني لا آمن أن يغمروكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»^(٥).

(١) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مقدمة المحقق ٤٦/١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢١٣؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/٢١٧.

(٣) إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ)، وحماد من كبار أصحابه.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/٢٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٢٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٨٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٤٧٢.

ويقول أبو قلابة: «إذا حدثت الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضال»^(١).

وإبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ)، كان يبغض المرجئة، ويقول: «لأنا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة»^(٢).

ويقول الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «إياكم ومعبداً الجهني، فإنه ضال مضل»^(٣). وجاء عن الحسن، وابن سيرين: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم»^(٤).

وكان محمد بن سيرين البصري (ت ١١٠هـ)، يصفهم بقوله: لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد الحديث، فلما وقعت الفتنة، سئل عن إسناد الحديث، فينظر من كان من أهل البدع، ترك حديثه»^(٥).

وقال أبو الجوزاء الربيعي البصري (ت ٨٣هـ): «لأن أجالس الخنازير، أحب إلي من أن أجالس أحدًا من أهل الأهواء»^(٦).

وكانوا يعدون الخوارج من أهل الأهواء، وكان أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي (ت ٧٤هـ)، يقول: «لا يجالسنا حروري»^(٧).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٨٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٣؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٧٤، والأزارقة فرقة من الخوارج.

(٣) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٥٩/ ٣٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧٢.

(٥) أبو نعیم: حلیة الأولیاء ٢/ ٢٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٣٠٣/ ١٢.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٢.

(٧) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٧٩.

٢- اجتهادات الصحابة   في مسائل الأحكام:

وكما كان للصحابة   أقوالهم واجتهاداتهم في مسائل العقائد، فقد كانت لهم اجتهاداتهم وقياساتهم في مسائل الأحكام، ومن ذلك:

أ- معاملة أرض السواد في العراق: حيث اجتهد الصحابة   في ذلك، فهناك من رأى قسم الأرض بحجة أنها فتحت عنوة، ومنهم من رأى أن تكون خراجية ليعم نفعها المسلمين وتبقى موردًا ثابتًا لهم، وهو رأي عمر الذي وجه قادة العراق به، فلم تقسم على الفاتحين على الرغم من أنها فتحت عنوة، بل تركت في أيدي أهلها على أن يدفعوا خراجها. قال أبو يوسف: «والذي رأى عمر رضي الله عنه من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عند ما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقًا من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم؛ لأن هذا لو لم يكن موقوفًا على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرترقة»^(١).

وابن مسعود اشترى أرضًا خراجية على أن يكفيه خراجها، وقد جاء في ذلك خبراً مفاده: «اشترى ابن مسعود من دهقان أرضًا على أن يكفيه ابن مسعود جزيتها- أي: خراجها-»^(٢).

ب- وضع التاريخ الهجري: احتاج الصحابة   إلى وضع تاريخ لهم يختصون به، وكان من أسباب وضع التاريخ الهجري، معاناة الولاة زمن عمر من أن كتبه تأتيهم

(١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت ١٨٢هـ): الخراج، تحقيق: طه عبدالرءوف سعد، وسعد حسن محمد، (د. ط)، المكتبة الأزهرية للتراث، (د. م)، (د. ت)، ص ٣٨.

(٢) القاسم بن سلام: الأموال ٧٨، ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي (ت ٦٢٠هـ): المغني، (د. ط)، مكتبة القاهرة، (د. م)، ١٣٨٨هـ ج ٢، ص ٧٢٠.

وليس لها تاريخ والذي عبر عن هذه المعاناة والي البصرة أبو موسى الأشعري، كما عند ابن الأثير، «وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع الناس للمشورة، فقال بعضهم: أرخ لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: أرخ لمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: بل نؤرخ لمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مهاجرته فرق بين الحق والباطل، قاله الشعبي»^(١). وذلك سنة سبع عشرة^(٢).

ج- المضاربة بمال بيت المال: إذ وقع في زمن الصحابة رضي الله عنهم المضاربة بمال من بيت المال، فقد كان عبدالله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش إلى العراق فلما قفلا مرّا على أبي موسى الأشعري، وهو أمير البصرة، فرحب بهما وسهل، ثم قال: «هاهنا مال من مال الله، أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، فأسلفكماه فتبتاعان به متاعاً من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين، ويكون الربح لكما، فقالا: وددنا ذلك، ففعل، وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال، فلما قدما باعا فأربحا، فلما دفعا ذلك إلى عمر قال: أكل الجيش أسلفه، مثل ما أسلفكما؟ قال: لا، فقال عمر بن الخطاب: ابنا أمير المؤمنين، فأسلفكما، أديا المال وربحه، فأما عبدالله فسكت، وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، هذا لو نقص هذا المال أو هلك لضمنناه؟ فقال عمر: أدياه، فسكت عبدالله، وراجعه عبيد الله، فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً؟ فقال عمر: قد جعلته قراضاً، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه، وأخذ عبدالله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب نصف ربح المال»^(٣).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٣٨٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١ / ١٢.

(٢) أو ثمان عشرة. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٣٩١.

(٣) مالك بن أنس: موطأ مالك ٢ / ٦٨٧ - ٦٨٨؛ البيهقي: السنن الكبرى (١١٦٠٥) ٦ / ١٨٣، وهذا مما اعتمد عليه الفقهاء في المضاربة وهو الذي استقر عليه قضاء عمر بن الخطاب ووافق عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو العدل؛ فإن النماء حصل بهال هذا وعمل هذا فلا يختص أحدهما بالربح. ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣٠ / ٣٢٣.

د- الذبائح والأطعمة: حيث يوجد في أرض العراق غير المسلمين من أهل الكتاب، والوثنيين، وغيرهم جدت مسائل في الذبائح، فهذا ابن مسعود يطلب من الناس أن يسألوا عن اللحم فإن كان من أهل الكتاب أكلوا معللاً الحاجة للسؤال أنهم بأرض يقصب بها النبط، أو النبط والفرس، قال ابن مسعود: «إنكم نزلتم أرضاً لا يقصب بها المسلمون إنما هم النبط، أو قال: النبط وفارس، فإذا شريتم لحماً فسلوا، فإن كان ذبيحة يهودي أو نصراني فكلوه؛ فإن طعامهم حل لكم»^(١).

وهذا علي بن أبي طالب يخص نصارى بني تغلب بأن لا تؤكل ذبائحهم، عن عبيدة السلماني، أن علياً كان يكره ذبيحة نصارى بني تغلب، ويقول: «إنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر»^(٢).

وقالت بهذا القول طائفة، منهم: عطاء، وسعيد بن جبير، وهو أحد قولي الشافعي^(٣).

ولوجود الجبن في أرض العراق، فقد سأل كثير بن شهاب الكوفي عمر بن الخطاب، قال كثير: سألنا عمر عن الجبن، فقال: «سموا عليه وكلوا»^(٤).

ه- إجازة شهادة أهل الكتاب للمسلمين: وذلك أن رجلاً من خثعم مات بأرض من السواد، فأشهد على وصيته رجلين من أهل الكتاب، إما يهوديين، وإما نصرانيين، فرفع ذلك إلى أبي موسى الأشعري فأحلفهما بعد صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو

(١) عبدالرزاق: المصنف ٤/ ٤٨٧.

(٢) عبدالرزاق: المصنف ٤/ ٤٨٥، ٧/ ١٨٦.

(٣) خليل محيي الدين الميسر. «الذبائح والطرق الشرعية في إنجاز الذكاة»... مجلة مجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) - جدة، ع ١٠ (١٤١٨هـ)... ص ٤٤٥، والصفحة بحسب ترتيب المكتبة الشاملة.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٤٩.

إنها لو صيته بعينها، ما بدلا، ولا غيرا، ولا كتما، ثم أجازها^(١).

و- الامتناع عن الشرب بأنية الذهب والفضة: ذلك أن حذيفة استسقى بالمدائن، فأتاه دهقان بإناء من فضة فيه شراب، فأراد أن يضرب به وجهه، فقبل له: إن الدهاقين يكرمون الأمراء بهذا، قال: إني كنت نهيته واتخذت عليه الحجة، أن رسول الله ﷺ: «نهانا أن نشرب في أنية الفضة والذهب»^(٢).

ز- معاملة أبناء البغاة: ومن أحكام البغاة كيف يعامل أبناؤهم؟، ذلك أن البغاة وإن قوتلوا فإن أبناءهم لا يُسبون، وقد سأل عمار بن ياسر عليّ بن أبي طالب عن معاملة أبناء البغاة، فأجابه ووافق عمار، «قال عمار لعلي: ما تقول في أبناء من قتلنا؟ قال: لا سبيل عليهم. قال: لو قلت غير ذا خالفناك»^(٣).

ومن خلال هذه النماذج التي تم عرضها في هذا المبحث تبين لنا أن الصحابة الكرام ﷺ، قد اجتهدوا وقاسوا على المسائل التي جدّت في حياتهم، في مسائل العقائد، ومسائل الأحكام، وكذا سار على نهجهم في ذلك تلاميذهم من التابعين.

* * *

(١) عبدالرزاق: المصنف ٨ / ٣٦٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥ / ١٠٣.

(٣) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٤٣ / ٤٦٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ٤٢٤.

المبحث السادس

موقف الصحابة ؓ من تراث الأمم السابقة

كان العراق قبل الفتح الإسلامي مهد حضارات قديمة متنوعة، بابلية، وآشورية، وكلدانية، ويونانية، وفارسية، كما كان ذا تنوع ديني كبير، مجوسية، ونصرانية، ويهودية، وصابئة، وغيرها، وقد أسهمت هذه الديانات، وتلك الحضارات، في إفراز مزيج من التراث الديني، والحضاري.

وكان موقف الصحابة ؓ من هذا التراث مختلفاً بين ما هو ديني، وما هو حضاري، ففي حين أفادوا من الثاني وأسسوا عليه إدارياً، وعسكرياً، وغيرها، فإنهم تجاهلوا الأول وأعرضوا عنه، بل رفضوه وحذروا منه.

ذلك أن الصحابة ؓ أخذوا عنهم الدواوين ورتبوا شؤون الإقليم والدولة على أساسها، دون أن يتجاوزوا أحكام الشريعة، «وفي هذا العهد لم يتأثر الفقه بالقوانين الرومانية أو الفارسية. وإذا كان الصحابة قد اقتبسوا بعض التنظيمات الإدارية من هؤلاء أو أولئك، فليس معنى هذا أنهم خرجوا عن الخط المرسوم، وهو رد الأحكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إما بطريق مباشر، وإما بطريق الإجماع أو القياس أو الاستصلاح، فقد أبطل المسلمون أعرافاً كانت شائعة في البلاد المفتوحة لأنها تخالف التشريع الإسلامي نصاً وروحاً»^(١).

ذلك أن الإسلام خاتم الأديان وناسخها وخيرها، وأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران:

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٢٧.

[٨٥]، فقد كان الصحابة يشعرون بالاستغناء بما عندهم من الحق عن ما عند غيرهم، ولقد كان موقف الصحابة هذا واضح إذ تمثله عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وغيرهم. قال عبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ): «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء؛ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل»^(١).

وجاء في رواية أخرى بزيادة: «إن كنتم سائلهم لا محالة فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»^(٢).

وهو هنا بعد أن نهى عن سؤال أهل الكتاب جملة، يقرر إن كنتم سائلين لا محالة فخذوا ما وافق القرآن ودعوا ما خالفه، إذا فالمأذون بأخذه يؤخذ لا لذاته وإنما لموافقته القرآن، وفيما عندنا غنية عنه.

وهذا النهج هو ما تربي عليه تلاميذه، فعن عبدالرحمن بن الأسود، عن أبيه، قال: «أصبت أنا وعلقمة، صحيفة، فانطلقنا إلى ابن مسعود بها، وقد زالت الشمس، أو كادت تزول، فجلسنا بالباب، ثم قال للجارية: انظري من بالباب؟ فقالت: علقمة والأسود. فقال: ائذني لهما. قال: فدخلنا، فقال: كأنكما قد أطلتما الجلوس. قلنا: أجل. قال: فما منعكما أن تستأذنا؟ قال: خشينا أن تكون نائماً، فقال: ما أحب أن تظنا بي هذا، إن هذه الساعة كنا نقيسها بصلاة الليل. فقلنا: هذه صحيفة فيها حديث حسن. فقال: هاتها يا جارية، هاتي الطست، فاسكبي فيها ماء. قال: فجعل يمحوها بيده، ويقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف: ٣]. فقلنا: انظر فيها، فإن فيها حديثاً عجيباً فجعل يمحوه ويقول: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره».

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٠٠ عبد الرزاق: المصنف ٦/ ١١١.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٠٤ عبد الرزاق: المصنف ٦/ ١١١.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلمية في العراق

قال أبو عبيد: إن هذه الصحيفة أخذت من بعض أهل الكتاب، فلهذا كرهها عبدالله^(١). وابن مسعود هنا يربي تلاميذه على المنهج الصحيح في التلقي والاستدلال، وهو الأخذ عن الكتاب السنة والاهتداء بهما، وعدم التلقي عن غيرهما، وهو هنا يستن ويقتدي بحبيبه  ، فعن جابر بن عبدالله، « أن عمر بن الخطاب، أتى النبي   بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي   فغضب وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً، ما وسعه إلا أن يتبعني^(٢)».

قال ابن عون: فقلت للحسن: ما متهوكون؟ قال: «متحIRON»^(٣).

وقد وعى «عمر» هذا الدرس من حبيبه  ، ولذا نجده يداوي «صبيغاً» الذي كان يتتبع مُشكِل القرآن، ويسأل عنه^(٤)، فعن نافع مولى عبدالله، «أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو ابن العاص -رضي الله عنه- إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجهة، فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثة، فأرسل عمر إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبيرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم

(١) القاسم بن سلام: فضائل القرآن ٧٣-٧٤؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢٨٣/١.

(٢) أحمد: المسند (١٥١٥٦) ٢٣/٣٤٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٣١٢؛ البيهقي: شعب الإيوان

٣٤٧/١؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٨٠٦؛ البغوي: شرح السنة ١/٢٧٠.

(٣) البيهقي: شعب الإيوان ١/٣٤٨.

(٤) وهو صبيغ بن عسل التميمي. وقال يحيى بن معين: هو صبيغ بن شريك، من بني عمرو بن يربوع،

ضربه عمر بن الخطاب، وأمر أن لا يجالس لأجل ذلك. ابن الأثير: جامع الأصول ١٢/٥٢٥.

تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي، فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برأت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر: أن قد حسنت توبته، فكتب عمر: أن ائذن للناس بمجالسته^(١).

وقال عمرو بن ميمون الأودي (ت ٧٤هـ): كنا جلوساً بالكوفة، فجاء رجل ومعه كتاب، فقلنا ما هذا الكتاب؟ قال: كتاب دانيال، فلولا أن الناس تحاجزوا عنه لقتل، وقالوا: أكتب سوى القرآن^(٢)؟

وقال خالد بن عرفطة: كنت جالساً عند عمر إذ أتى برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: أنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس فجلس، فقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴿١﴾ [سورة يوسف: ٢] إلى ﴿لَمِنَ الْعَظِيمَاتِ﴾ [سورة يوسف: ٣] فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً، فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه ولا تُقرئه أحدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدًا من الناس لأنْهَكَنَّكَ عقوبة^(٣).

(١) الدارمي: السنن (١٥٠) / ١ - ٢٥٤ - ٢٥٥؛ ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٢٣ / ٤١١.

(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم، (د. ط)، إحياء السنة النبوية - بيروت، (د. ت)، ص ٥٦ - ٥٧، وهذا إن ثبت لا يلزم منه أخذ كتاب دانيال، وإنما نسخه كما تشير الرواية التالية.

(٣) الخطيب البغدادي: تقييد العلم ٥١؛ انظر: البلاذري: أنساب الأشراف ١٠ / ٣٧١، والسوس من بلاد الأهواز.

وكم وقع من الضلال والانحراف عند طوائف من المسلمين في القديم والحديث بسبب الانبهار بما عند أمم الكفر والاهتداء به، كما وقع للفلاسفة والمتكلمين قديماً، والتنويريين العصرانيين حديثاً، وقد جاء في رواية البيهقي أن النبي   قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا»^(١)، ولذا قال الشافعي: «حكمي في أهل الكلام، حكم عمر في صبيغ»^(٢).

ومن مواقف الصحابة   من تراث الأمم السابقة نهيمهم عن مشاكلة المشركين في زيهم ولباسهم، فحذيفة بن اليمان نهى عن زي العجم، ذلك أنه لما دعي إلى وليمة

(١) البيهقي: شعب الإيمان ١/٣٤٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠/٢٩، وما جاء عن أهل الكتاب وهو ما يعرف بالإسرائيليات، على ثلاثة أقسام: الأول: ما علمنا صحته مما عندنا من القرآن والسنة، وهو صحيح وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم، وذلك مثل ما يتعلق بالبشارة بالنبي  ، ورسالته، وأمثال ذلك، وفي هذا القسم ورد قوله:  : (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). أخرجه البخاري (٣٤٦١) ٤/١٧٠، قال ابن حجر: «أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه   الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية؛ خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار. ابن حجر: فتح الباري: ٦/٤٩٨. القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل: ما ذكره في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام... فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترناً ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه، وبدلوه، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَدْوٍ مَوَاضِعَهُ﴾. وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي   للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك رحمه الله في حديث: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»: «المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن: أما ما علم كذبه فلا». ابن حجر: فتح الباري ٦/٣٨٨، والقسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا تؤمن به، ولا نكذبه، لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدق، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم. أبو شهبة: محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ): الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط: الرابعة، مكتبة السنة، (د.م)، (د.ت)، ص ١٠٦-١٠٧.

فرأى شيئاً من زي العجم خرج وقال: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

وأنس بن مالك نهى عن زي اليهود، حيث دخل عليه جماعة وفيهم غلام، له قرنان، أو قستان، فمسح رأسه وبرك عليه وقال: «احلقوا هذين، أو قصوهما فإن هذا زي اليهود»^(٢)، «وعلل النهي عنهما بأن ذلك زي اليهود، وتعليل النهي بعله يوجب أن تكون العلة مكروهة مطلوب عدمها، فعلم أن زي اليهود - حتى في الشعر - مما يطلب عدمه، وهو المقصود»^(٣).

وابن مسعود يكره الصلاة في الطاق^(٤) حتى لا تقع مشابهة أهل الكتاب، إذ يقول: «إنه في الكنائس، فلا تشبهوا بأهل الكتاب»^(٥).

ونهى عمر عن رطانة الأعاجم، ونهى عن الدخول على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم، ليعتد المسلمون عن شعائرهم وعباداتهم، حيث قال: «إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم»^(٦)، والمقصود في النهي عن رطانة الأعاجم بحيث يعتاد التحدث بها، ولذا فالمسلمون الفاتحون نشروا لغتهم العربية في الأمصار التي فتحوها، ولم يأخذوا لغاتهم، لا فارس، ولا الروم، ولا

(١) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، (د. ت)، ص ١٣١.

(٢) أبو داود: السنن (٤١٩٧) / ٤ / ٨٤.

(٣) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ١٣١ - ١٣٢.

(٤) الطاق: عقد البناء حيث كان، والجمع أطواق وطيقان، ابن منظور: لسان العرب ٢٣٣ / ١٠، وهو المحراب حيث يكره للإمام أن يصلي في طاق القبلة إذا لم يكن هناك حاجة. ابن قدامة: المغني ٢ / ١٦١.

(٥) البزار: المسند (البحر الزخار) ٥ / ٢١؛ ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ١٣٣، ابن قدامة: المغني ١٦١ / ٢.

(٦) عبدالرزاق: المصنف ١ / ٤١١؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥ / ٢٩٩؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٨٨٦١) ٩ / ٣٩٢؛ ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ١٩٩.

غيرها من الأمم التي حلوا في أراضيها^(١).

والنهي عن تعلم لسانهم، وعن مجرد دخول كنائسهم يوم عيدهم، يؤكد على الاعتزاز بالدين الإسلامي، وعلى الاعتزاز باللغة العربية لغة القرآن، كما يؤكد على موقف الصحابة   الرافض والمحذر من التراث الديني للأمم السابقة.

وكان للصحابة   موقف واضح من بقايا الشراكيات الموجودة في البلاد المفتوحة، ومن ذلك أن المسلمين عند فتح «تستر» وجدوا قبراً ينسب لأحد الأنبياء «دانيال» وكانوا يستسقون به لنزول المطر، فقبروه وقاموا بتعمية قبره حتى لا يفتتن الناس به حيث أنكروا هذا العمل منهم^(٢).

وفي الوقت الذي كان فيه موقف الصحابة   من التراث الديني للأمم السابقة يتمثل بالتجاهل والإعراض، وأحياناً بالتحذير والرفض؛ مع محافظتهم على تراث تلك الشعوب وإعطائهم الحرية في دياناتهم ومعتقداتهم، فقد كان موقفهم من التراث

(١) «وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية - التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن - حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمرء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم. ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية عودوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديماً». ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ٢٠٦.

(٢) «ولما ظهر بتستر قبر دانيال وكانوا يستسقون به كتب فيه أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب؛ فكتب إليه يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً ويدفنه بالليل في واحد منها ويعفي القبور كلها لئلا يفتتن به الناس. وهذا قد ذكره غير واحد. ومن رواه يونس بن بكير في زيادات مغازي ابن إسحق». ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٢٧ / ٢٧٠ - ٢٧١، ١٧ / ٤٦٣، ١٥ / ١٥٤، والخبر في سيرة ابن إسحاق ٦٦ / ١، وأن ذلك في السوس من بلاد الأهواز. انظر: البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٧ - ٣٦٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٩٣ / ٤.

الحضاري مختلف جداً، حيث أفادوا منه، وأسسوا عليه، وطوروه، في الجوانب الحضارية المختلفة، علمية، وإدارية، وعسكرية، وغيرها، باعتباره منجزاً وموروثاً بشرياً لا يتعارض مع شرائع الدين، بل إن الإسلام يشجع على ذلك ويدعو إليه.

* * *

المبحث السابع

أثر الصحابة ؓ في الرواية التاريخية

يعد أقدم أنواع التأليف التاريخي ظهوراً عند المسلمين هو العناية بسيرة النبي المصطفى ﷺ وجمع أخبارها والتأليف فيها، إذ بدأ الاهتمام بالسيرة النبوية في عصر الصحابة ؓ فكانوا يعلمونها أبناءهم كما يعلمونهم السورة من القرآن^(١)؛ وذلك لمكانة النبي ﷺ من قلوبهم حيث أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وجمعهم بعد شتات، ووحدهم بعد فرقة، وكان موضع القدوة والأسوة، قال الله -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]. ولذا نشأ الاهتمام بالسيرة مع الاهتمام بالسنة إذ السيرة جزء من السنة، فكان هذا من أقدم أنواع التأليف ظهوراً عند المسلمين^(٢).

وتفيد المصادر أن كثيراً من الصحابة ؓ قد دوّنوا الأحاديث والمغازي وأخبار السيرة، وكانوا يملونها على تلاميذهم، وفيهم من نزل العراق، ومنهم «البراء بن عازب الأنصاري» ؓ (ت ٧٢هـ)، حيث جاء عن عبدالله بن حنش، قال: «رأيتهم يكتبون عند البراء بأطراف القصب على أكفهم»^(٣).

(١) جاء عن علي بن الحسين بن علي قوله: «كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن». ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٢٤٢.

(٢) السلمي، محمد بن صامل: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ط: الأولى، دار طيبة- الرياض ١٤٠٦هـ، ص ٢٩٣.

(٣) الدارمي: السنن (٥٢٠) ١/٤٣٩، وقال المحقق: إسناده صحيح؛ ابن أبي شيبه: المصنف ٥/٣١٤؛ الخطيب البغدادي: تقييد العلم ١٠٤-١٠٥؛ البغوي: معجم الصحابة ١/٢٥٨، والبراء شهد مع أبي موسى غزوة تستر، وشهد مع علي الجمل، وصفين، وقتال الخوارج، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً، ومات في إمارة مصعب بن الزبير. ابن حجر: الإصابة ١/٤١٢.

وعليه فقد أخذ العراقيون عن الصحابة ﷺ السيرة النبوية وفي مقدمتهم «البراء»، حيث يرى الأعظمي أن البراء «قد أملى شيئاً كثيراً من مغازي رسول الله ﷺ» مستدلاً بما رواه أبو إسحاق السبيعي الكوفي (ت ١٢٧هـ)، عن البراء بن عازب في المغازي فقد أحصى روايته عنه في البخاري فيما يتعلق بأحداث السيرة فقط فبلغت (٢٥) رواية^(١).

وكمؤشر على مرويات «البراء بن عازب» في السيرة النبوية فقد أجريت بحثاً في كتب السيرة والشمائل والدلائل عن ورود اسم «البراء بن عازب» من خلال أهم المصادر المتقدمة^(٢)، فتبعت ذلك حتى انتهيت إلى كتاب «سبل الهدى والرشاد» (ت ٩٤٢هـ)، فوقفت على (٣٠٧) نتيجة في (١٢) كتاباً^(٣)، علماً بأن اسمه يرد -أحياناً- في المصادر مفرداً «البراء»، كما في الرواية السابقة، ومن ثم لم تدخل مثل هذه الروايات ضمن الإحصائية.

وهذه المرويات عن «البراء» يغلب عليها الدلائل والشمائل والغزوات وأعدادها وأعداد المقاتلين والقتلى والأسرى والهجرة إلى المدينة، وهي موجودة في كتب

(١) محمد مصطفى الأعظمي: مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، ط: الأولى، مكتب التربية العربي - الرياض، ١٤٠١هـ، ص ٢٥-٢٦.

(٢) حسب الموجود في المكتبة الشاملة.

(٣) علماً بأنني لم أدخل في إحصائية الكتب التي ورد فيها ذكر الاسم أقل من (٧) مرات، ولمعرفة نتائج أهم هذه المصادر فقد جاءت كالتالي: طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، (٣١) نتيجة؛ الشمائل المحمدية للترمذي (ت ٢٧٩هـ)، (٧) نتيجة؛ شرف المصطفى للنيسابوري (ت ٤٠٧هـ)، (١٣) نتيجة؛ دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، (١٥) نتائج؛ الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي (ت ٥١٦هـ)، (٧) نتائج؛ عيون الأثر لابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)، (٨) نتائج؛ السيرة النبوية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، (٣٣) نتيجة؛ إمتاع الأسماع للمقرئزي (ت ٨٤٥هـ)، (٣٥) نتيجة؛ بهجة المحافل للعامري (ت ٨٩٣هـ)، (١٥) نتيجة؛ المواهب اللدنية للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، (٨) نتائج؛ حقائق الأنوار للحميري (ت ٩٣٠هـ)، (١٥) نتيجة؛ سبل الهدى والرشاد للصالح (ت ٩٤٢هـ)، (٨٧) نتيجة.

الفصل الثاني

أثر الصحابة   في الحياة العلمية في العراق

السنة من الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات وغيرها، وإنما اقتصر على كتب السير والشمائل كعيّنة للتعرف إلى حجم المرويات في السيرة النبوية لهذا الصحابي الجليل «البراء بن عازب»، ويظهر أن غالبية الروايات عنه في ذلك جاءت عن أبي إسحاق السبيعي الكوفي (ت ١٢٧هـ)^(١).

هذا وبحسب دراسة أحد الباحثين فإن «البراء» لم يكن من شيوخ «الزهري» حيث لم يذكره ضمن شيوخه^(٢)، ولذا لم أجد عند ابن إسحاق إلا رواية واحدة عن «البراء» قال فيها: وقد زعم لي بعض أهل العلم: أن البراء بن عازب كان يقول:..^(٣)، وكذا لم أجد عند الطبري إلا روايتين عن «البراء»^(٤).

ومن نماذج هذه المرويات ما جاء عنه في قصة الهجرة إلى المدينة من رواية العراقيين عنه^(٥).

(١) والسبيعي «أكثر الرواية عن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، والنعمان بن بشير،...». أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٤١/٤.

(٢) محمد بن محمد عواجي: مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط: الثانية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٣٠هـ، ص ١٠٨-١١١.

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣هـ): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط: الثانية، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي - مصر، ١٣٧٥هـ، ج ٢، ص ٣١١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٢٤/٢، ١٣١/٣.

(٥) عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: «اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى رحلي، فقال له عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حيث خرجتما والمشركون يطلبونكما، قال: رحلنا من مكة فأحينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهر فرميت ببصري هل أرى من ظل ناوي إليه، فإذا أنا بصخرة فانتبهنا إليها، فإذا بقية ظل لها فنظرت بقية ظل فسويته ثم فرشت لرسول الله ﷺ فيه فروة، ثم قلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحداً، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أريد، فسألته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش، قال: فسأه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، قال: فأمرته فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال =

وجاء عنه عن أبي بسرة، عن البراء بن عازب، «أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة»^(١).

ولئن كان للبراء جهد خاص في السيرة النبوية، فقد أسهم كثير من الصحابة ﷺ في ذكر بعض أخبار السيرة ضمن مروياتهم الحديثية؛ حيث نقلوا طرفاً من أخبار النبي ﷺ، وشمائله، ودلائل نبوته، ومغازيه، ومن الصحابة ﷺ الذين أخذ العراقيون عنهم السيرة النبوية، «أنس بن مالك الأنصاري» (ت ٩٣هـ)، حيث جاء في دراسة سيرة رسول الله للتيمي أن «أنس بن مالك في مقدمة شيوخ التيمي إذ روى عنه ست عشرة رواية في السيرة النبوية»^(٢).

وكمؤثر على مرويات «أنس بن مالك» في السيرة النبوية فقد أجريت بحثاً في كتب السيرة والشمائل والدلائل عن ورود اسم «أنس بن مالك» من خلال أهم

=هكذا، فضرب إحدى يديه بالأخرى، فحلب كعبة من لبن، ومعى لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقه، فصبيت على اللبن حتى برد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت، ثم قلت: أتى الرحيل يا رسول الله، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدر كنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن إن الله معنا، حتى إذا دنا منا، فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، وبكيت، فقال، ما يبكيك؟ فقلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكني أبكي عليك، قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: اللهم اكفناه بها شئت، قال: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجينني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في إبلك»، وانصرف عن رسول الله ﷺ ودعا له رسول الله ﷺ وانطلق راجعاً إلى أصحابه،... ابن أبي شيبه: المصنف ٧/ ٣٤٣-٣٤٤، وجاء فيها: «فخرج الناس حتى دخل المدينة، وفي الطريق وعلى البيوت الغلمان والخدم جاء محمد، جاء رسول الله، فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمره الله». ابن أبي شيبه: المصنف ٧/ ٣٤٤.

(١) ابن أبي شيبه: المصنف ٧/ ٣٥١.

(٢) عبد العزيز العجلان: أبو المعتمر التيمي ٥٩.

الفصل الثاني

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية في العراق

المصادر المتقدمة^(١) حتى انتهيت إلى كتاب «سبل الهدى والرشاد» (ت ٩٤٢هـ)، فوفقت على (١٧٥٦) نتيجة في (١٧) كتابًا، هذا مع أن اسمه يرد -غالبًا- في المصادر مفردًا (أنس).

فإن كان ورود اسمه كاملًا في الشفا (٢٣) مرة، فقد ورد فيه اسم أنس (١٤٤) مرة، وأجزم أنه المعني في قسم كبير منها، ومن ثم لم تدخل هذه ضمن تلك الإحصائية^(٢). ومن ذلك ما جاء عن أنس من رواية العراقيين عنه، في مقتل أبي جهل قال: «قال النبي ﷺ: من ينظر ما صنع أبو جهل! فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته قال: وهل فوق رجل قتلتموه؟ أو رجل قتله قومه؟»^(٣).

ومن الصحابة ﷺ الذين أخذ العراقيون عنهم السيرة النبوية، «علي بن أبي طالب» (ت ٤٠هـ)، ومن ذلك ما رواه العراقيون عنه، قال: «استعمل النبي ﷺ

(١) حسب الموجود في المكتبة الشاملة.

(٢) ولمعرفة نتائج أهم هذه المصادر فقد جاءت كالتالي: طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، (٣٥١) نتيجة، منها (١٢٨) في السيرة، والبقية في الصحابة، الشرائع للمحمدية للترمذي (ت ٢٧٩هـ)، (٥٣) نتيجة؛ دلائل النبوة لأبي نعيم (ت ٣٣٠هـ)، (٢٦) نتيجة؛ أخلاق النبي لأبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ)، (٧٥) نتيجة؛ شرف المصطفى للنيسابوري (ت ٤٠٧هـ)، (١٣٧) نتيجة؛ دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، (١٧٠) نتيجة؛ الأنوار في سرائر النبي المختار للبعوي (ت ٥١٦هـ)، (١٠٥) نتيجة؛ دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، (٣٦) نتيجة؛ الشفا لعباس (ت ٥٤٤هـ)، (٢٣) نتيجة؛ الاكتفاء للكلاعي (ت ٦٣٤هـ)، (٩) نتائج؛ عيون الأثر لابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)، (٢٤) نتيجة؛ السيرة النبوية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، (١١٢) نتيجة؛ إمتاع الأسماع للمقرئزي (ت ٨٤٥هـ)، (٣٠٤) نتيجة؛ بهجة المحافل للعامري (ت ٨٩٣هـ)، (٢١) نتيجة؛ المواهب اللدنية للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، (٦٥) نتيجة؛ حدائق الأنوار للحميري (ت ٩٣٠هـ)، (٤٣) نتيجة؛ سبل الهدى والرشاد للصالحي (ت ٩٤٢هـ)، (١٤٣) نتيجة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٦٣) ٧٤/٥؛ أحمد: المسند (١٢١٤٣) ١٩/١٩٠؛ البيهقي: دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، ط: الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ج ٣، ص ٨٦.

رجلاً من الأنصار على سرية بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال: فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا. فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، قال: فسكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له ذلك، قال: فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف»^(١).

وكمؤشر على مرويات «علي بن أبي طالب» في السيرة النبوية فقد أجريت بحثاً في كتب السيرة والشمائل والدلائل عن ورود اسم «علي بن أبي طالب» من خلال أهم المصادر المتقدمة^(٢) حتى انتهت إلى كتاب «سبل الهدى والرشاد» (ت ٩٤٢هـ)، فوقفت على (١٣٠٦) نتيجة في (١٧) كتاباً، علماً أن اسمه يرد -غالباً- في المصادر مفرداً (عليّ)، ومن ثم لم تدخل مثل هذه المرويات ضمن تلك الإحصائية^(٣).

(١) البيهقي: دلائل النبوة ٤/٣١٢.

(٢) حسب الموجود في المكتبة الشاملة.

(٣) ولمعرفة نتائج أهم هذه المصادر فقد جاءت كالتالي: دلائل النبوة لأبي نعيم (ت ٣٣٠هـ)، (١٢) نتيجة؛ السيرة النبوية لأبي حاتم البستي (ت ٣٥٤هـ)، (٦٥) نتيجة؛ أخلاق النبي لأبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ)، (٨) نتائج؛ شرف المصطفى للنيسابوري (ت ٤٠٧هـ)، (٢١٦) نتيجة؛ دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، (١٠٤) نتيجة؛ الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي (ت ٥١٦هـ)، (١١) نتيجة؛ دلائل النبوة لإساعيل الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، (١٤) نتيجة؛ الشفا لعياض (ت ٥٤٤هـ)، (٣٤) نتيجة؛ الاكتفاء للكلاعي (ت ٦٣٤هـ)، (٤٢) نتيجة؛ عيون الأثر لابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)، (٤٢) نتيجة؛ السيرة النبوية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، (١٣٤) نتيجة؛ إمتاع الأسماع للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، (٢٥٠) نتيجة؛ بهجة المحافل للعامري (ت ٨٩٣هـ)، (٤٥) نتيجة؛ الخصائص الكبرى للسيوطي (ت ٩١١هـ)، (٣٠) نتيجة؛ المواهب اللدنية للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، (٧٣) نتيجة؛ حقائق الأنوار للحميري (ت ٩٣٠هـ)، (٢٦) نتيجة؛ سبل الهدى والرشاد للصالحى (ت ٩٤٢هـ)، (٢٠٠) نتيجة.

ومن الصحابة ﷺ الذين أخذ العراقيون عنهم السيرة النبوية، «عبدالله بن مسعود» (ت ٣٢هـ)، ومن ذلك، قال عبدالله بن مسعود: «ضربت أبا جهل يوم بدر بسيفي فلم يغن شيئاً فأخذت سيفه فضربت به»^(١).

وكمؤثر على مرويات «عبدالله بن مسعود» في السيرة النبوية فقد أجريت بحثاً في كتب السيرة والشمائل والدلائل عن ورود اسم «عبدالله بن مسعود» من خلال أهم المصادر المتقدمة^(٢) حتى انتهت إلى كتاب «سبل الهدى والرشاد» (ت ٩٤٢هـ)، فوفقت على (٤٣٤) نتيجة في (١٥) كتاباً، هذا وأؤكد هنا ما ذكرته عن أنس، من أن اسمه يرد-غالبًا- في المصادر غير كامل، حيث يرد (ابن مسعود)، أو (عبدالله) وكمثال على ذلك فقد ورد اسمه كاملاً في الشفا (١٨) مرة، وورد فيه اسم ابن مسعود

(١) أبو إسحاق الفزاري: إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري (ت ١٨٨هـ): السير، تحقيق: فاروق حمادة، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٤٨، ومن ذلك ما جاء عن عبدالله بن مسعود، قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرًا، فنزل على أمية بن خلف بن صفوان، وكان أمية بن خلف إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار، وغفل الناس، انطلقت فطقت، قال: فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: أتطوف بالكعبة آمنًا، وقد أويتم محمدًا وأصحابه؟ قال: نعم، قال: فتلاحيا بينهما، قال: فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، قال: فقال له سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن عليك متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يسكته، فغضب سعد فقال: دعنا منك، فإني سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد، فكاد أن يحدث، فرجع إلى امرأته فقال: ما تعلمين ما قال أخي اليربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، فلما خرجوا البدر، وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما علمت ما قال لك أخوك اليربي؟ قال: فإني إذا لا أخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف أهل الوادي فسر معنا يومًا أو يومين، فسار معهم فقتل. البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ٢٥-٢٦.

(٢) حسب الموجود في المكتبة الشاملة.

(٦٠) مرة، وهو المعني في غالبها^(١).

ومن الصحابة الذين أخذ العراقيون عنهم السيرة النبوية، «عمران بن حصين» (ت ٥٢هـ)، وتغلب على المرويات عنه الدلائل والشمائل.

ومن ذلك ما حدث به العراقيون عنه، قال: سرى رسول الله ﷺ في سفر هو وأصحابه. قال: فأصابهم عطش شديد، فأقبل رجلان من أصحابه قال: أحسبه علياً والزبير أو غيرهما قال: إنكما ستجدان امرأة بمكان كذا وكذا، امرأة معها بعير عليه مزادتان فأتياني بهما، قال: فأتيا المرأة فوجداها قد ركبت بين مزادتين على البعير، فقالا لها: أجيبي رسول الله ﷺ قالت: ومن رسول الله ﷺ أهو الصابي؟ قالا: هو الذي تعنين، وهو رسول الله حقاً، فجاء بها فأمر النبي ﷺ فجعل في إناء من مزادتيهما، ثم قال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم عاد الماء في المزادتين، ثم أمر بعزلاء المزادتين ففتحت ثم أمر الناس فملؤوا آنيتهن وأسقيتهن، فلم يدعوا يومئذ إناء ولا سقاء إلا ملؤوه. قال عمران: فكان يخيل إلي أنها لم تزد إلا امتلاء، قال: فأمر النبي ﷺ بثوبها فبسط ثم أمر أصحابه فجاءوا من زادهم حتى ملأ لها ثوبها، ثم قال لها: اذهبي فإننا لم نأخذ من مائك شيئاً، ولكن الله عز وجل سقانا قال: فجاءت أهلها فأخبرتهم، فقالت:

(١) ولمعرفة نتائج أهم هذه المصادر فقد جاءت كالتالي: الشمائل المحمدية للترمذي (ت ٢٧٩هـ)، (٧) نتائج؛ دلائل النبوة لأبي نعيم (ت ٣٣٠هـ)، (١٧) نتيجة؛ شرف المصطفى للنيسابوري (ت ٤٠٧هـ)، (١٤) نتيجة؛ دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، (٥٧) نتيجة؛ الأنوار في شمائل النبي المختار للبعوي (ت ٥١٦هـ)، (٩) نتائج؛ دلائل النبوة لإساعيل الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، (٧) نتائج؛ الشفا لعياض (ت ٥٤٤هـ)، (١٨) نتيجة؛ الاكتفاء للكلاعي (ت ٦٣٤هـ)، (١٢) نتيجة؛ عيون الأثر لابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)، (١٤) نتيجة؛ السيرة النبوية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، (٢٧) نتيجة؛ إمتاع الأسماع للمقرئزي (ت ٨٤٥هـ)، (١١٩) نتيجة؛ بهجة المحافل للعامري (ت ٨٩٣هـ)، (١٧) نتيجة؛ المواهب اللدنية للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، (١٩) نتيجة؛ حقائق الأنوار للحميري (ت ٩٣٠هـ)، (١٤) نتيجة؛ سبل الهدى والرشاد للصالحي (ت ٩٤٢هـ)، (٨٤) نتيجة.

جتكم من أسحر الناس، أو إنه لرسول الله حقًا، قال: فجاء أهل ذلك الحواء حتى أسلموا كلهم»^(١).

وكمؤثر على مرويات «عمران بن حصين» في السيرة النبوية فقد أجريت بحثًا في كتب السيرة والشمائل والدلائل عن ورود اسم «عمران بن حصين» من خلال أهم المصادر المتقدمة^(٢) حتى انتهيت إلى كتاب «سبل الهدى والرشاد» (ت ٩٤٢هـ)، فوقفت على (١٩٤) نتيجة في (٩) كتب^(٣).

بل إن «دغفل بن حنظلة السدوسي الشيباني البصري» النسابة (ت ٦٥هـ)، له كتاب في السيرة، وهو مخطوط^(٤).

وهذا يبطل ما دأب على ذكره بعض المستشرقين ويردده بعض الباحثين من اقتصار دراسة السيرة في القرن الأول على المدينة دون غيرها، حتى قال أحدهم: «ولم يوجد دارسون يدرسون مغازي رسول الله في مراكز أخرى غير المدينة المنورة قبل القرن الثاني الهجري»^(٥).

(١) البيهقي: دلائل النبوة ٤/٢٧٦-٢٧٧.

(٢) حسب الموجود في المكتبة الشاملة.

(٣) ولمعرفة نتائج أهم هذه المصادر فقد جاءت كالتالي: شرف المصطفى للنيسابوري (ت ٤٠٧هـ)، (١٥) نتيجة؛ دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، (١٩) نتيجة؛ الشفا لعياض (ت ٥٤٤هـ)، (٩) نتائج؛ السيرة النبوية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، (٩) نتائج؛ إمتاع الأسماع للمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، (٢٩) نتيجة؛ بهجة المحافل للعامري (ت ٨٩٣هـ)، (١٠) نتائج؛ الخصائص الكبرى للسيوطي (ت ٩١١هـ)، (١٢) نتيجة؛ المواهب اللدنية للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، (١٩) نتيجة؛ سبل الهدى والرشاد للصالحى (ت ٩٤٢هـ)، (٧٢) نتيجة.

(٤) خزانة التراث (فهرس مخطوطات) ٧٦/٨٨٢ برقم (٧٧٩٢٠)، ٨٣/٦٦٥، برقم (٨٤٨٨٠)، ١١٣/٧٤١، برقم (١١٤٣٣٨)، مركز الملك فيصل - الرياض.

(٥) محمد ماهر حمادة: مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ، (د. ط)، دار العلوم - الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ٢١.

في حين أن هناك دارسين للمغازي والسيرة في القرن الأول الهجري في غير المدينة النبوية منها: العراق، أمثال: البراء بن عازب، وعمران بن حصين، وغيرهم  ، وكذا دغفل النسابة، وغيرهم، إلى جانب عدد من الصحابة   تضمنت مروياتهم جوانب من السيرة والدلائل والشمائل، ومنهم أنس بن مالك، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعمران بن حصين  ، وآخرون.

ولذا ظهر من التابعين في العراق من تلاميذ الصحابة   ممن عني بجمع أخبار السيرة والمغازي والتحديث بها، أمثال: «عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي» (ت ١٠٣هـ)، إذ كان يحدث بالمغازي ويثني ابن عمر على علمه بها، وهذا عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي (ت ١٣٦هـ)، يقول: «مر ابن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي، فقال: كأن هذا كان شاهداً معنا، وهو أحفظ لها مني وأعلم»، ومروياته ماثورة في الكتب الستة وغيرها^(١).

ومنهم «سليمان التيمي البصري» (ت ١٤٣هـ)، والرواية عن التيمي في السيرة والمغازي ماثورة في الكتب الستة، ومسند أحمد، وغيرها من كتب السنة والسيرة، وله كتاب سيرة رسول الله  ^(٢).

ومنهم «معمر بن راشد البصري اليماني» (ت ١٥٣هـ)، وهو من تلاميذ أبي إسحاق السبيعي الكوفي (ت ١٢٧هـ)، والرواية عن معمر في السيرة والمغازي ماثورة في الكتب الستة، ومسند أحمد، ومصنف عبدالرزاق، وهو من كبار تلاميذه، ومعاجم الطبراني، وعند كتاب السيرة مثل الواقدي فقد روى عنه في مغازيه قرابة خمسين

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٦٧.

(٢) عبد العزيز العجلان: أبو المعتمر التيمي، المقدمة ب.

قطعة، وذكر له صاحب الفهرست كتاب المغازي^(١).

ومنهم «أبو إسحاق الفزاري الكوفي» نزيل المصيصة (ت ١٨٥هـ)، وهو من تلاميذ أبي إسحاق السبيعي الكوفي (ت ١٢٧هـ)، والفزاري صاحب كتاب السير، قال الشافعي: «لم يصنف أحدٌ في السير مثل كتاب أبي إسحاق»^(٢).

كما كان للعراق إسهام في كتب الشمائل والدلائل النبويّة، وأقدم من ألف في دلائل النبوة استقلالاً «محمد بن يوسف الفريابي الكوفي» نزيل قيسارية (ت ١١٢هـ)، وله «دلائل النبوة»^(٣).

وتبعاً للاهتمام بالسيرة النبويّة في العراق ظهر الاهتمام بجوانب تاريخيّة أخرى، وظهرت كتابات مبكرة في الطبقات، والفتوح، والأنساب، حيث برز عدد من النسابة والإخباريين العراقيين، بل ظهرت أوائل الكتب في الأنساب والأخبار عراقية المشرب، ومن أوائل النسابة: «صّحار بن العباس العبدي البصري»، حيث كانت له صحبة، وله كتاب «الأمثال»^(٤). ومنهم «دغفل بن حنظلة السدوسي البصري» (ت ٦٥هـ)^(٥). و«خراش بن إسماعيل الشيباني» (ت ١٢٠هـ)^(٦). و«محمد بن السائب الكلبي الكوفي

(١) النديم، محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت ٤٣٨هـ): الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط: الثانية، دار المعرفة - لبنان، ١٤١٧هـ، ص ١٠٦، السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ٣٠٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٤٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ١٥١-١٥٢؛ السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ٣١٣-٣١٤.

(٣) النديم: الفهرست ١/ ١٣٠؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين ١/ ٦٧١.

(٤) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٧٣٥-٧٣٦؛ النديم: الفهرست ١/ ١١٨.

(٥) النديم: الفهرست ١١٧؛ السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ٣٣٢.

(٦) النديم: الفهرست ١٣٨.

(ت ١٤٦ هـ)، وكان له كتاب «أخبار ربيعة وأنسابها»^(١).

وهنا يتضح الأثر الذي تركه الصحابة رضي الله عنهم في الرواية التاريخية في العراق من خلال العناية بالسيرة النبوية ابتداءً، وبالتراجم والأخبار والأنساب تبعاً لذلك.

وبعد هذا العرض الذي قدمته في ثنايا مباحث هذا الفصل، فقد اتضح لنا الأثر العلمي الكبير الذي تركه الأصحاب رضي الله عنهم في أرض العراق، وأنه لا يفوقها في عصر الخلافة الراشدة سوى المدينة النبوية الطيبة، التي منها انتشر الإسلام، والصحابة رضي الله عنهم فيها متوافرون، ولذا نجد «ابن تيمية» (ت ٧٢٨ هـ) وهو يقرر أن علم النبوة إنما خرج من الأمصار الإسلامية التي نزلها جمهور الصحابة رضي الله عنهم، وذكر أنها خمسة من بينها العراقان وعددهما مصرين من الخمسة، «كما أن علم النبوة من الإيمان والقرآن؛ وما يتبع ذلك من الفقه والحديث وأعمال القلوب إنما خرجت من الأمصار التي يسكنها جمهور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي الحرمان والعراقان والشام: المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وسائر الأمصار تبع. فالقراء السبعة من هذه الأمصار؛ وكذلك أئمة أهل الحديث وأئمتهم أهل المدينة وأهل البصرة كالزهري ومالك وكقتادة وشعبة ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي»^(٢).

وهذا يؤكد الأثر العلمي الكبير الذي تركه الصحابة رضي الله عنهم في العراق في عصر الراشدين رضي الله عنهم.

* * *

(١) النديم: الفهرست ١٣٨؛ السلمي: منهج كتابة التاريخ ٣٣٢.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٠/٣٦١.

الفصل الثالث: تلاميذ الصحابة ❁ في العراق والرواة عنهم

- « المبحث الأول: تلاميذ الصحابة ❁ في الكوفة.
- « المبحث الثاني: تلاميذ الصحابة ❁ في البصرة.
- « المبحث الثالث: تلاميذ الصحابة ❁ في أماكن أخرى من العراق.
- « المبحث الرابع: الرواة عن تلاميذ الصحابة ❁ في العراق.
- « المبحث الخامس: أثر تلاميذ الصحابة ❁ في العراق في نشر علمهم واجتهاداتهم.

لقد ترك الصحابة ﷺ أثراً كبيراً في الأقاليم التي نزلوها في الجوانب الحضارية المختلفة، وفي مقدمتها الجانب العلمي، حيث نشروا الدين وعلموا العلم وتركوا جيلاً من التلاميذ؛ تمثل في جيل التابعين الذي حمل علمهم ونقله لمن بعدهم، وهكذا جيلاً إثر جيل حتى وصل إلينا غصناً طرياً، وإذ سبق الوقوف على تعريف الصحابي، فإنهم عرفوا التابعي: أنه من لقي الصحابي مؤمناً بالنبي ﷺ، ومات على الإسلام^(١)، ولقد كان للعراق نصيب كبير من تلاميذ الصحابة ﷺ من التابعين.

ذلك أن الصحابة ﷺ نشروا العلم وشجعوا على التعلم في البلاد التي نزلوها، وأبرز من ساهم في التعليم في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ هم القراء من حملة القرآن من الصحابة ﷺ؛ لانشغال غيرهم بأمر الفتوح وإرساء قواعد الدولة الجديدة، إذ إن «الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته؛ بما تلقوه من النبي ﷺ، أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء، أي الذين يقرؤون الكتاب؛ لأن العرب كانوا أمة أمية فاخص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة، ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتابة، وتمكّن الاستنباط وكُمّل الفقه، وأصبح صناعة وعلمًا؛ فبدلوا اسم الفقهاء والعلماء من القراء»^(٢).

وكان محور التعليم في هذه المدارس القرآن، ثم الأحاديث والأخبار وبعض الأحكام الفقهية والشعر؛ وكان الاهتمام بالقرآن لأنه شعار الدين، وأصبح القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعدُ من الملكات^(٣).

(١) ابن حجر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ١٤٠.

(٢) ابن خلدون: مقدمة التاريخ، تحقيق: حجر عاصي، (د.ط.)، مكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢٨٣.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ٣٣٤.

وعليه فقد اقتصر التعليم في عهد الخلفاء الراشدين على تعليم القرآن الكريم ومن ثم الحديث والأحكام، ثم دعت دواعي حفظ اللغة مع انتشار الصحابة وكثرة من دخلوا في الإسلام إلى الاهتمام باللغة ودراستها؛ خوفاً من ظهور اللحن في القرآن الكريم؛ فكان اهتمام أبي الأسود الدؤلي بقواعد اللغة أخذاً عن أمير المؤمنين عليّ أو بتوجيه منه^(١).

ومع ذلك كانوا يتناشدون الشعر ويتذكرون الأخبار، قال أبو خالد الوالبي الكوفي: «كنا نجالس أصحاب رسول الله ﷺ فيتناشدون الأشعار، ويتذكرون أيامهم في الجاهلية»^(٢).

لقد أخذ التابعون الدين وعلوم الشريعة عن الصحابة الكرام ذلك «أن الأصل في هذا الدين تلقي الأمة له عن أصحاب رسول الله ﷺ، وهم تلقوه عن رسول الله ﷺ وهو أوحى إليه من رب العزة والجلال، وبعد وفاته ﷺ تفرق الصحابة في الأمصار التي تمكنوا من فتحها بالإسلام، وأقبل عليهم الناس ينهلون من علمهم الذي حملوه عن رسول الله ﷺ، فكان كل واحد منهم مدرسة متكاملة في الحديث والفقه والقراءة والتفسير وغير ذلك»^(٣).

وعن مدارس العلم ومراكزه الأولى في الإسلام فإن «علي بن عبدالله المدني» (ت ٢٣٤هـ) يعد من أقدم من تكلم عنها^(٤)، حيث ذكر أكثر الصحابة تلاميذ وأتباعاً فقال: «لم يكن في أصحاب رسول الله ﷺ من له صحبة يذهبون مذهبه ويفتون بفتواه ويسلكون طريقته إلا ثلاثة: عبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبدالله بن عباس»^(٥).

(١) ابن خلدون: المقدمة ٣٣٨.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى ١٠ / ٤٠٧؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١ / ٤٣٥.

(٣) محمد بن مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٢٩٩.

(٤) محمد بن مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٣٠٠.

(٥) ابن المدني: العلل ٤٢.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة في العراق والرواة عنهم

واختار ابن المديني ثلاثة أئمة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم يمثلون ثلاثة مراكز من مراكز العلم الأولى في الإسلام: أما مكة والمدينة فهما مهبط الوحي ومركز دولة الإسلام الأولى، وأما الكوفة فهي أول الأمصار تمصيراً في الإسلام، وسيّر إليها عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - ليعلم الناس أمور دينهم.

أما اختياره لهؤلاء الأئمة فلأنهم كانوا رؤوساً في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض وقد جمعوا بين الرواية والفقهاء، ونلمح هذا الشرط من صنيعة - رحمه الله - في اختيار تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم إلى طبقة شيوخه حيث ركز اختياره على من عُرف بالرواية والفقهاء دون غيرهم^(١).

ونتوقف عند الأئمة الذين عليهم مدار الرواية والفقهاء في الأمصار عنده من خلال

الجدول التالي:

بيان بالأئمة الذين عليهم مدار الرواية في الأمصار عند «ابن المديني» في «العلل»

في العراق والحجاز:

المكان	الطبعة	الكوفة	البصرة	العراق	المدينة	مكة	الحجاز	ملحوظات
الأولى	٢	٢	٤	١	١	٢		
الثانية	١	٥	٦	٢	٢	٤		
الثالثة	٣	٢	٥	-	-	-		
المجموع	٦	٩	١٥	٣	٣	٦		

(١) محمد بن مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٣٠١.

ومن هنا يتبين لنا أن للعراق النصيب الأوفى من الأئمة الذين عليهم مدار الرواية والفقه عند ابن المديني من بين الأمصار الإسلامية بما فيها الحجاز، من التابعين وأتباعهم، ففي الطبقة الأولى^(١) عنده وهم من التابعين يدور الإسناد على ستة، أربعة منهم عراقيون، وفي الطبقة الثانية وهم من أتباع التابعين صار العلم عند اثني عشر، ستة منهم عراقيون، وفي الطبقة الثالثة وهم من أتباع التابعين انتهى العلم إلى ستة، خمسة منهم عراقيون^(٢).

وإذا تجاوزنا أئمة الرواية إلى سائر التلاميذ من الرواة وجدنا أن الصحابة الكرام

(١) الطبقات فن مهم من فنون علم الحديث يعنى بتراجم الرواة، والطبقة: القوم المشابهون، فقد يكونون من طبقة باعتبار، ومن طبقات باعتبار آخر. ابن جماعة الكناي، محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناي (ت ٧٣٣هـ): المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، محيي الدين عبدالرحمن رمضان، ط: الثانية، دار الفكر - دمشق، ١٤٠٦هـ، ص ١١٥، فالصحابه بأسرهم طبقة أولى، والتابعون طبقة ثانية، وأتباع التابعين طبقة ثالثة، وهلم جرًا، كما صنع ابن حبان وغيره. السخاوي: ٣٨٩/٤؛ محمد مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره، ص ٥١.

(٢) قال ابن المديني: «نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة... ثم ذكرهم»، وكان نصيب العراق منهم (٤) وهم: ١- قتادة بن دعامة السدوسي البصري، (ت ١١٧هـ). ٢- يحيى بن أبي كثير البصري، (ت ١٣٢هـ). ٣- أبو إسحاق السبيعي الكوفي، واسمه: عمرو بن عبدالله بن عبيد، (ت ١٢٩هـ). ٤- سليمان بن مهران الكوفي، وهو الأعمش، (ت ١٤٨هـ). ثم يقول ابن المديني: «ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف ممن صنف»، ثم ذكرهم بحسب بلدانهم وهم (١٢) مصنفاً، كان نصيب العراق منهم (٦) وهم: ١- سعيد بن أبي عروبة البصري، (ت ١٥٨هـ). ٢- حماد بن سلمة البصري، (ت ١٦٧هـ). ٣- أبو عوانة البصري: واسمه الوضاح، (ت ١٧٥هـ). ٤- شعبة بن الحجاج البصري، (ت ١٦٠هـ). ٥- معمر بن راشد البصري، (ت ١٥٤هـ). ٦- سفيان بن سعيد الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ). ثم يقول ابن المديني: «ثم انتهى علم الاثني عشر إلى ستة»، فذكرهم وكلهم عراقيون سوى ابن المبارك فهو خراساني وهم: ١- يحيى بن سعيد القطان البصري، (ت ١٩٨هـ). ٢- يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الكوفي، (ت ١٨٢هـ). ٣- وكيع بن الجراح الكوفي، (ت ١٩٧هـ). ٤- عبدالرحمن بن مهدي الأسدي البصري، (ت ١٩٨هـ). ٥- يحيى بن آدم الكوفي، (ت ٢٠٣هـ). ابن المديني: العلل ١٧ - ٤٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١ / ٧٨؛ محمد بن مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٣٠٥ - ٣٠٨.

قد تركوا عددًا كبيرًا من التلاميذ في العراق في عصر الراشدين ﷺ، وحتى نتبين شيئًا من ذلك نقف على بعض الكتب المعنّية بتراجم الرواة والتي تذكرهم على طبقات حسب أمصارهم وبلدانهم مما يدخل تحت مسمى كتب «الطبقات»، لتتعرّف إلى عدد تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق من التابعين ونقارنهم بأمثالهم في الحجاز من خلال الجداول، وسنكتفي بكتابين بصريين من القرن الثالث الهجري من أوائل الكتب في الطبقات وهما:

١/ الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ).

٢/ كتاب الطبقات لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ).

وقد اجتهدت في تمييز تلاميذ الصحابة ﷺ من التابعين عندهما؛ حيث لم أقف على ما يميز بين طبقات التابعين، وطبقات أتباعهم، وتبع الأتباع عندهما، فقد جاءت طبقات الرواة عندهما متعاقبة إلى عصرهما، فاقترنت على الطبقات الثلاث الأولى عند ابن سعد، وذلك بالاستقراء والنظر في تراجم بعض رجال الثالثة والرابعة عنده من خلال الوقوف على شيوخهم ووفياتهم، فرجّح عندي التوقف على الطبقة الثالثة واعتبارها نهاية التابعين عنده، ومما شجعني على المضي في ذلك أنني سألتزم ذلك في المقارنة بالحجاز فيكون المعيار موحدًا في المقارنة بينهما، وكذا فعلت مع طبقات خليفة إذ اقتصررت على الطبقات الأربع الأولى عنده لأن الرابعة توافق الثالثة عند ابن سعد في بعض مشاهير الرواة، ثم إنني بعد ذلك وقفت على من قال: إن طبقات التابعين عند ابن سعد ثلاث، وربما بلغت أربعاً^(١).

(١) فالحمد لله، وقد وقفت عليه عند السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ٤/١٤٨، والقول للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ) حيث يقول: «ثم إن التابعين طباق، فجعلهم مسلم في كتاب «الطبقات» ثلاث طبقات، وكذا فعل ابن سعد في «الطبقات»، وربما بلغ بهم أربع طبقات». العراقي، عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي (ت ٨٠٦هـ): شرح التبصرة والتذكرة ألفية=

ذلك أن «التمييز بين طبقات التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم في (طبقات ابن سعد) عسير إلا على من له معرفة ودربة واسعة بالرجال، لأنه يسرد طبقاتهم جميعاً بتعاقب ولم يفصل بينهم كما فعل في تمييز الصحابة عن غيرهم»^(١).

ونبدأ بمقارنة التلاميذ من التابعين بين العراق والحجاز عند ابن سعد في طبقاته:

بيان بأعداد التابعين في الطبقات الثلاث الأول عند ابن سعد في «الطبقات» في

العراق والحجاز:

المكان الطبقة	الكوفة	البصرة	العراق	المدينة	مكة	الحجاز	ملحوظات
الأولى	٣٤٤	٥٢	٣٩٦	١٤١	١١	١٥٢	
الثانية	٦٩	١١٢	١٨١	٢٤٤	٢٧	٢٧١	
الثالثة	١٢٣	٥٤	١٧٧	٩١	٥١	١٤٢	
المجموع	٥٣٦	٢١٨	٧٥٤	٤٧٦	٨٩	٥٦٥	

=العراقي، تحقيق عبداللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٣ هـ، ج ٢، ص ١٦١، وكذلك فعل خليفة بن خياط في «طبقاته» مثل ما فعل ابن سعد، ذلك أن الطبقة الرابعة عند ابن سعد وإن كان فيها بعض صغار التابعين أمثال: أيوب السختياني، وسليمان التيمي، ويونس بن عبيد، وعبدالله بن عون، وعاصم بن سليمان الأحول، وطبقتهم من البصريين. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٤٦-٢٧٣، وكذا أمثالهم من الكوفيين: إلا أن غالب رواياتهم عن كبار التابعين، ولعل هذا هو سبب قولهم عن طبقات التابعين عند ابن سعد «وربما بلغت أربعاً»، وغالب رجال الرابعة عند ابن سعد هم في الطبقتين الخامسة والسادسة عند خليفة، إذ إن أيوب، وعاصمًا في الخامسة، والتيمي، ويونس، وابن عون في السادسة. خليفة بن خياط: الطبقات ٢١٥-٢٢١، و«الطبقة في العادة تساوي جيلًا أو عشرين سنة أو عشر سنين، وهي تساوي في كتاب ابن سعد عشرين سنة تقريبًا، فمثلاً تراوح نهاية الطبقة الثالثة بين سنتي ١٠٨ - ١١٣» مقدمة إحسان عباس. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/١.

(١) محمد مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٧٢-٧٣.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

ومن خلال هذا الجدول يتضح لنا ما يلي:

١ / تفوق العراق في الطبقة الأولى عند ابن سعد حيث بلغ عدد العراقيين ستة وتسعين وستمئة (٣٩٦)، في حين بلغ عدد الحجازيين اثنين وخمسين ومئة (١٥٢).

٢ / تفوق الحجاز في الطبقة الثانية عند ابن سعد حيث بلغ عدد العراقيين واحداً وثمانين ومئة (١٨١) في حين بلغ عدد الحجازيين واحداً وسبعين ومئتين (٢٧١).

٣ / تفوق العراق في الطبقة الثالثة عند ابن سعد حيث بلغ عدد العراقيين (١٧٧) في حين بلغ عدد الحجازيين (١٤٢).

٤ / وبلغ مجموع العراقيين عند ابن سعد أربعة وخمسين وسبعمئة (٧٥٤)، في حين أن مجموع الحجازيين بلغ خمسة وستين وخمسمئة (٥٦٥)، بحيث يصبح التفوق في العدد للعراق^(١).

ومن هنا تبين لنا كثرة تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق، حيث وجدنا تفوق العراق على الحجاز-فضلاً عن غيره- في عدد من ترجم لهم «ابن سعد» في الطبقات الثلاث الأولى من التابعين.

وننتقل إلى ابن خياط في طبقاته:

بيان بأعداد التابعين في الطبقات الأربع الأولى عند ابن خياط في «الطبقات» في العراق والحجاز:

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، الكوفيون ٦/٦٦-٣٣٦، والبصريون ٧/٩١-٢٤٦، والمكيون ٥/٤٦٣-٤٩٠، والمدنيون، ط: الخانجي، ج٧، ص ٥-٤٢٨.

أثر الصحابة في الحياة العلمية والاجتماعية
في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

ملحوظات	الحجاز	مكة	المدينة	العراق	البصرة	الكوفة	المكان الطبقة
	٨٥	١٠	٧٥	٢٢١	١١٢	١٠٩	الأولى
	٢٠٤	٢٠	١٨٤	٦٠	٤٤	١٦	الثانية
	٥١	٢٢	٢٩	١٢٣	٦٩	٥٤	الثالثة
	١١٠	١٣	٩٧	١١٠	٤٥	٦٥	الرابعة
	٤٥٠	٦٥	٣٨٥	٥١٤	٢٧٠	٢٤٤	المجموع

ومن خلال هذا الجدول يتضح لنا ما يلي:

- ١/ تفوق العراق في الطبقة الأولى عند ابن خياط حيث بلغ عدد العراقيين واحداً وعشرين ومئتين (٢٢١)، في حين بلغ عدد الحجازيين خمسة وثمانين (٨٥).
- ٢/ تفوق الحجاز في الطبقة الثانية عند ابن خياط حيث بلغ عدد العراقيين ستين (٦٠) في حين بلغ عدد الحجازيين أربعة ومئتين (٢٠٤).
- ٣/ تفوق العراق في الطبقة الثالثة عند ابن خياط حيث بلغ عدد العراقيين ثلاثة وعشرين ومئة (١٢٣)، في حين بلغ عدد الحجازيين واحداً وخمسين (٥١).
- ٤/ تساوي عدد رجال الطبقة الرابعة عند ابن خياط في العراق والحجاز عشرة ومئة (١١٠).
- ٥/ وبلغ مجموع العراقيين عنده أربعة عشر وخمسمئة (٥١٤)، في حين أن مجموع الحجازيين عنده خمسين وأربعمئة (٤٥٠)، بحيث يصبح التفوق في العدد

للعراق^(١).

ومن هنا تبين لنا كثرة تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق حيث وجدنا تفوق العراق على الحجاز- بله سواه- في عدد من ترجم لهم «ابن خياط» من التابعين في الطبقات الأربع الأول، كما هو عند ابن سعد.

ومما يوضح أثر الصحابة ﷺ في العراق وكثرة تلاميذهم؛ التفوق الكبير لعدد رجال الطبقة الأولى في العراق عنه في الحجاز عندهما، حيث إنهم في الكوفة أكثر منهم في الحجاز بأضعاف، بينما هم في البصرة مقاربون لهم في الحجاز، ذلك أن عدد العراقيين في الأولى عند ابن سعد ستة وتسعون وثلاثمائة (٣٩٦)، بينما عدد الحجازيين فيها عنده واحد وأربعون ومئة (١٤١)، وعدد العراقيين في الأولى عند ابن خياط واحد وعشرون ومائتان (٢٢١)، بينما عدد الحجازيين فيها عنده (٨٥).

ومن خلال هذه المقارنة بين تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق و الحجاز عند ابن سعد وابن خياط في طبقاتهما، والتي أظهرت تفوق العراق على الحجاز في أعداد التلاميذ، ندرك حجم الأثر العلمي الذي تركه الصحابة ﷺ في العراق، كما ندرك أننا أمام المئات من التلاميذ من التابعين ﷺ.

وقد اشتهر منهم أئمة كبار يضاهون أئمة الحجاز، «حتى كان يقال في أئمة التابعين الأربعة أئمة أهل الأمصار: سعيد بن المسيب إمام أهل المدينة وعطاء بن أبي رباح إمام أهل مكة وإبراهيم النخعي إمام أهل الكوفة والحسن البصري إمام أهل البصرة، وأعلمهم بالحلال والحرام سعيد بن المسيب وأعلمهم بالمناسك عطاء وأعلمهم

(١) خليفة بن خياط: الطبقات، الكوفيون ١٤٠-١٦٣، البصريون ١٩٠-٢١٥، المدنيون ١٣٠-٢٦٥، المكيون ٢٧٩-٢٨٤، ذلك أن الطبقات الأربع عند ابن خياط تقارب الطبقات الثلاث عند ابن سعد؛ لاختلافها في تحديد الطبقة.

بالصلاة إبراهيم وأجمعهم الحسن»^(١).

ومنهم أئمة السنة ممن نُقلت أقوالهم في مسائل الاعتقاد من سلف هذه الأمة، وقد ذكر اللالكائي مَنْ رُسم بالإمامة في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله ﷺ^(٢)، فذكر أئمة الصحابة، ثم أئمة التابعين وأتباعهم في البلدان ممن اشتهروا بذلك، فذكر من التابعين وأتباعهم عشرين من المدنيين^(٣)، وذكر خمسة عشر من المكيين^(٤)، ليكون مجموع من ذكرهم من الحجازيين خمسة وثلاثين، كما ذكر أربعة وعشرين من الكوفيين^(٥)، وخمسة عشر من البصريين^(٦)، ليكون مجموع من ذكرهم من العراقيين تسعة وثلاثين إمامًا عراقياً من أئمة التابعين وتابعيهم الذين رُسموا بالإمامة في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله ﷺ، والصحابة، وأنهم يضاھون الحجازيين؛ بل يزيدون عليهم.

هذا ولم يقتصر تلاميذ الصحابة في العراق على العرب وحدهم، بل نبغ كثير من الموالي وأبنائهم ممن وحد الإسلام بينهم وبين العرب، ففي الكوفة: سعيد بن جبیر، وعاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، والحكم بن عتيبة، وحماد بن أبي سليمان، وفي البصرة: أبو العالية الرياحي، ومحمد بن سيرين، والحسن بن يسار البصري، ومسلم بن يسار، وغيرهم كثير.

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٢٦ / ٢٥٩.

(٢) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٢٩.

(٣) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٣٢-٣٥.

(٤) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٣٥-٣٧، وقد قال: «من أهل مكة أو من يعد منهم»، ولذا ذكر فيهم ابن عيينة وهو كوفي مكّي، ومحمد بن مسلم الطائفي وقال: يعد في المكيين، ويحيى بن سليم الطائفي، وقال: نزيل مكة، ومن ثم فالمكيون (١٢).

(٥) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٤٠-٤٢.

(٦) اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٤٢-٤٤.

وكذا لم يقتصر تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق على الرجال بل اشتركت النساء في التعلم والأخذ عنهم، ولئن كان سيدتا التابعين من النساء «حفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبد الرحمن»^(١)؛ فإن حفصة عراقية، كما أن عمرة مدنية، حيث أسهمت النساء في الرواية والتحديث في العراق.

بل الفقه شائع بينهن، حتى ترى شيئاً من ذلك عند من لم تكن من المشاهير بالعلم، يقول قريش بن حيان: «حدثني امرأة يقال لها ميمونة بنت مذعور قالت: مر بنا مورك العجلي، فطبخ له غلام لنا بيضاً في قدر صغيرة، فقال له مورك: ما هذه القدر؟ قال: رهن عندي فقال له مورك: أتستطيع أن تغني عني بيضك هذا؟ قالت: وكره استعماله الرهن»^(٢).

فقولها: وكره استعماله الرهن، هذا تعليل منها لفعله، وهذا مؤشر على حاسة فقهية تنم عن مستوى الوعي الفقهي لدى نساء ذلك العصر في هذا المصر.

والغالب على تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق أنهم إنما أخذوا العلم عن نزل العراق منهم، إلا أن عدداً منهم أخذوا عن الصحابة ﷺ في المدينة، سواء الذين أخذوا عنهم في المدينة ثم نزلوا العراق، أو الذين رحلوا من العراق إليهم في المدينة للطلب والسماع ومن ثم عادوا إلى العراق.

وهذا أبو موسى الأشعري يبعث بابنه أبي بردة إلى المدينة ليتعلم، قال أبو بردة: «أرسلني أبي إلى عبدالله بن سلام أتعلم منه فجئت فسالني: من أنت؟ فأخبرته فرحب بي فقلت: إن أبي أرسلني إليك لأسألك وأتعلم منك...»^(٣)، وسيرين، بعث ببنيه إلى

(١) العراقي: شرح التبصرة والتذكرة ٢/ ١٦٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢١٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٦٨.

أبي هريرة، فلما قدموا كان يحيى ابنه أحفظهم، فكناه أبا هريرة لحفظه^(١)، ويقول قيس ابن عباد: «خرجت إلى المدينة أطلب العلم والشرف»^(٢).

ولذا فعدد الرواة من الكوفيين عن عمر بن الخطاب وحده تسعة ومئة مع أنه لم يقدم العراق، بينما عددهم عن علي بن أبي طالب تسعة وسبعون ومئة، في حين أن عددهم عن عبدالله بن مسعود ثلاثة وأربعون ومائة.

كما أن ابن سعد صدر الطبقة الأولى عنده من الكوفيين بعشرة ممن روى عن خمسة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان، ثم ذكر في هذه الطبقة خمسة وعشرين ممن روى عن أحد عشر من الصحابة ثم قال: وغيرهم. واثنان من هؤلاء الأحد عشر فقط ممن نزل العراق.

أما من البصريين، فقد صدر ابن سعد الطبقة الأولى عنده بثمانية وثلاثين من الرواة من أصحاب عمر بن الخطاب، وصدّر الطبقة الثانية باثني عشر ومئة ممن روى عن خمسة من الصحابة اثنان منهم ممن نزل العراق.

وفي هذا ما يؤكد أن تلاميذ الصحابة في العراق معدودون ضمن من أخذوا عن الصحابة في المدينة، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهم.

ومن خلال مباحث هذا الفصل نتعرف وإلى تلاميذ الصحابة الكرام في العراق، وإلى تلاميذهم، كما نتعرف وإلى أثر تلاميذهم في نشر علمهم واجتهاداتهم، الكوفيين

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠٦.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ٢٨٥.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة   في العراق والرواة عنهم

ثم البصريين؛ وهذا ما سار عليه أهل الطبقات- كما مر معنا في الفصل السابق-^(١)
مبتدئين بالمبحث الأول: تلاميذ الصحابة   في الكوفة.

* * *

(١) فإن كلاً من ابن سعد وخليفة في «طبقاتهما» راعى في تقديم البلدة على غيرها كثرة العلماء ونشاط الرواية فيها، حيث اتفقا على تقديم المدينة، فالكوفة، فالبصرة، على بقية المدن الإسلامية، كذلك فعل ابن حبان بعدهم. خليفة: الطبقات، مقدمة المحقق ٥٤.

المبحث الأول

تلاميذ الصحابة   فيه الكوفة

لئن ترك الصحابة   جيلاً عظيماً من التلاميذ في العراق فلقد كان نصيب الكوفة منهم وافراً، إذ نجد المئات من التلاميذ الكوفيين الذين حفلت بذكرهم كتب الطبقات والتراجم، وبرز فيهم أئمة من كبار التابعين ممن اشتهر بالعلم والفتيا ووصفوا بذلك من قبل الصحابة   والأئمة، وأشير هنا إلى بعض مشاهيرهم ممن نقلوا علم الصحابة   فحفظوا الشريعة ومثلوا مدارس علمية تخرّج فيها أئمة كبار من تابعي التابعين.

ويأتي في مقدمتهم أصحاب ابن مسعود الكوفيون الذين قال عنهم شيخهم ابن مسعود: «أنتم جلاء قلبي»^(١)، وقال عنهم عليّ: «أصحاب عبدالله بن مسعود سُرج هذه القرية»^(٢).

بل إن هذا الوصف اشتهر عنهم، حيث قال الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «ولقد كان أصحاب عبدالله يسمون قناديل المسجد، أو سرج المصر»^(٣).

وبلغ هؤلاء الأصحاب من الكثرة أن يظهر من بينهم شيوخ تجاوز عددهم الستين، يقول إبراهيم التيمي الكوفي (ت ٩٢هـ): «كان فينا ستون شيخاً من أصحاب عبدالله»^(٤).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠؛ ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير، السفر الثالث ١/ ٢٦٨.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٠؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٦؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء

ويقول: «لقد أدركت سبعين شيخًا من أصحاب عبدالله، أصغرهم الحارث بن سويد»^(١).

وقد عرفوا واشتهروا حتى قال ابن المديني: «لم يكن أحد من الصحابة له أصحاب حفظوا عنه، وقاموا بقوله في الفقه إلا ثلاثة: زيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عباس»^(٢).

بل تميزوا عن غيرهم بتحرير فتاوى شيخهم ابن مسعود ومذاهبه في الفقه، قال ابن جرير الطبري: «لم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود»^(٣).

وقال عنهم أبو نعيم: «إذ هم المشهورون بالتبحر في علم القرآن والأحكام»^(٤).

بل فاق تلاميذه غيرهم من تلاميذ الصحابة ﷺ حتى قال الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أفقه أصحابًا من عبدالله بن مسعود»^(٥).

وبلغ من شأنهم أن حذيفة بن اليمان لما أشرف على الكوفة، قال: «ما أعلم أهل أبيات يدفع عنهم من سوء ما يدفع عنهم، إلا أبيات كن مع النبي ﷺ»^(٦).

والمبرزون من أصحاب عبدالله جماعة، فقد ذكر بعضهم أن الذين يفتون ويقرئون القرآن منهم ستة، ومنهم من زاد على ذلك، وتفاوت النقل في ذكر وتحديد بعضهم،

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٢٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥.

(٣) ابن القيم: إعلام الموقعين ١/ ١٦.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٦٩.

(٥) عبد الرزاق: المصنف ١٠/ ٢٦٩.

(٦) ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير، السفر الثالث ٢/ ٣٩٧، ونقل ذلك عن سلمان الفارسي. الفسوي:

المعرفة والتاريخ ٢/ ٦٧٧.

وهؤلاء الستة هم: علقمة بن قيس (ت ٦٢هـ)، والأسود بن يزيد (ت ٧٥هـ)، ومسروق ابن الأجدع (ت ٦٣هـ)، وعبيدة السلماني (ت ٧٢هـ)، وعمرو بن شرحبيل الهمداني، والحرث بن قيس الجعفي^(١).

ومن أشهر تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم من الكوفيين، علقمة بن قيس النخعي الكوفي (ت ٦٢هـ)، وهو من كبار أصحاب ابن مسعود، حيث «لازم ابن مسعود حتى رأس في العلم والعمل، وتفقه به العلماء، وبعد صيته وتفقه به أئمة: كإبراهيم، والشعبي وتصدى للإمامة والفتيا بعد عليّ، وابن مسعود وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون»^(٢)، بل إن من الصحابة رضي الله عنهم من يسأل علقمة ويستفتيه، فعن قابوس ابن أبي ظبيان الكوفي، قال: «قلت لأبي: لأي شيء كنت تأتي علقمة وتدع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟! قال: أدركت ناسًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة ويستفتونه»^(٣).

وكان عبدالله وعلقمة يصفان الناس صفين عند أبواب كندة، فيقرئ عبدالله رجلاً، ويقري علقمة رجلاً، فإذا فرغا، تذاكرا أبواب المناسك، وأبواب الحلال والحرام^(٤).

و«كان علقمة أبطن القوم بابن مسعود»^(٥)، وكان يشبه بابن مسعود في هديه

(١) كما ذكرهم إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ). أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٧٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٠، وقال الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «كان الفقهاء بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكوفة في أصحاب عبدالله: علقمة، وعبيدة، وشريح، ومسروق». الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/ ٢٩٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩، وأبوه حصين بن جندب المذحجي الكوفي (ت ٩٠هـ).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥، ٥٧، من قول الشعبي، أي أخبر بباطنه، فصار من خواصه وذلك أنه أقرب طلابه إليه. ابن منظور: لسان العرب ١٣/ ٥٥.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

ودله وسمته^(١)، فإذا رأيت علقمة، فلا يضرك أن لا ترى عبدالله، أشبه الناس به سمناً وهدياً^(٢).

ويثني ابن مسعود على علم تلميذه علقمة ويبلغ الأمر في ذلك أن يقرر أن ما عنده من العلم عند تلميذه، فيقول: «ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه»^(٣).

ومنهم عبدة بن عمرو السلماني الكوفي (ت ٧٢هـ)^(٤)، «وكان عبدة يوازي شريحاً في القضاء»^(٥)، «وكان أحد أصحاب عبدالله الذين يقرئون ويفتون»^(٦).

ومنهم مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي (ت ٦٣هـ)، يقول الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ): «كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح أعلم بالقضاء من مسروق، وكان شريح يستشير مسروقاً، وكان مسروق لا يستشير شريحاً»^(٧).

وبلغ من علمه أن تقول له أم المؤمنين عائشة: «يا مسروق، إنك من ولدي، وإنك لمن أحبهم إليّ، فهل لك علم بالمخدج؟»^(٨)، و«بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد»^(٩).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٤ / ٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٥ / ٤.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ٩٩ / ٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٨ / ٤.

(٤) وهو بفتح العين وكسر الباء. الدارقطني: المؤتلف والمختلف ١٥٠٧ / ٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٨٧ / ١٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤١ / ٤، من قول الشعبي.

(٦) العجلي: الثقات ٣٢٥.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦٥ / ٤؛ ونحوه عند ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨٢ / ٦.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦٦ / ٤.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨٤ / ٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦٧ / ٤، من قول سفيان بن عيينة.

ويقول علي بن المديني: «ما أقدم على مسروق أحدًا من أصحاب عبدالله»^(١).

وهو ممن توقف في الخلاف بين الصحابة، وكان إذا قيل له: «أبطأت عن علي وعن مشاهده، فيقول: أرأيتم لو أنه حين صف بعضكم لبعض، فنزل بينكم ملك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ٢٩]، أكان ذلك حاجزًا لكم؟ قالوا: نعم. قال: فوالله لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم، وإنها لمحكمة ما نسخها شيء»^(٢).

ومنهم شريح القاضي بن الحارث الكندي الكوفي (ت ٨٠هـ)، قال ابن سيرين البصري (ت ١١٠هـ): «أدركت الكوفة، وبها أربعة ممن يعد بالفقه... ثم شريح، وإن أربعة أحسهم شريح لخيار»^(٣)، ويقول إبراهيم النخعي الكوفي: «كان شريح يقضي بقضاء عبدالله»^(٤)، ووصفه علي بن أبي طالب بأنه أفضى العرب^(٥).

ومنهم سعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٤هـ)، الذي بلغ من شأنه أن «ابن عباس بعد ما عمي إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه قال: تسألوني وفيكم ابن أم دهماء»^(٦)، وسأل رجل ابن عمر في الفرائض، فقال: ائت سعيد بن جبير، فإنه أعلم بالحساب مني، وهو يفرض منها ما أفرض»^(٧).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦٧/٤.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦٨/٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠٢/٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠٣/٤.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠٢/٤؛ انظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٣٤/٤؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٥٨٨/٢؛ الخطيب: الفقيه والمتفقه ٤٣٢/١، من رواية هبيرة بن يريم الهمداني الكوفي (ت ٦٦هـ).

(٦) قال يعقوب - أحد الرواة -: يعني سعيد بن جبير. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٥٧/٦؛ الذهبي:

سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٤، من رواية جعفر بن أبي المغيرة المخزومي.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٥٨/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٤، من رواية سعيد بن جبير.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

وقيل: «كان أعلمهم بالقرآن: مجاهد، وأعلمهم بالحج: عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام: طاووس، وأعلمهم بالطلاق: سعيد بن المسيب، وأجمعهم لهذه العلوم: سعيد بن جبير»^(١).

ومنهم إبراهيم النخعي الكوفي (ت ٩٦هـ)، الذي قال فيه سعيد بن جبير: «أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟!»^(٢)، و«كان بصيرًا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن»^(٣)، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلًا صالحًا، فقيهاً^(٤).

ومنهم عامر الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ)، الذي قيل فيه: «ما رأيت أحدًا أفقه من الشعبي»^(٥)، وفي رواية أخرى تستثني سعيد بن المسيب في ذلك التفضيل دون غيره، «ما رأيت أحدًا أفقه من الشعبي، إلا سعيد بن المسيب، ولا طاووس، ولا عطاء، ولا الحسن، ولا ابن سيرين، فقد رأيت كلهم»^(٦).

وكان يستفتى والصحابة ﷺ متوافرون، قال أبو بكر الهذلي البصري (ت ١٦٧هـ): «قال لي ابن سيرين: الزم الشعبي، فلقد رأيت يستفتى وأصحاب رسول الله ﷺ

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤١، من قول خُصيف بن عبد الرحمن الخُضرمي الحراني (ت ١٣٧هـ).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ / ٢٧٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٢٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٢١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٢١.

(٥) من قول أبي مجلز السدوسي البصري (ت ١٠٦هـ)، وأبي حصين الأسدي الكوفي (ت ١٢٨هـ). أبو نعيم: حلية الأولياء ٤ / ٣١٠، وقيل فيه: «ما رأيت أحدًا أعلم من الشعبي». من قول مكحول الأزدي البصري. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٩٨، ونحوه من قول عاصم بن سليمان الأحول البصري (ت ١٤١هـ). - أبو نعيم: حلية الأولياء ٤ / ٣١٠.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٩٩، من قول أبي مجلز.

متوافرون»^(١).

وهو عالم زمانه، «علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه»^(٢).

ومنهم أبو البخترى الطائي الكوفي (ت ٨٣هـ)، قال حبيب بن أبي ثابت: اجتمعت أنا، وسعيد بن جبير، وأبو البخترى، فكان أبو البخترى أعلمنا وأفقهنا^(٣).

ومنهم حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي (ت ١١٩هـ)، «وكان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع: حبيب بن أبي ثابت، والحكم بن عتيبة، وحماد بن أبي سليمان، وكان هؤلاء الثلاثة أصحاب الفتيا، وهم المشهورون، وما كان بالكوفة أحد إلا يذل لحبيب»^(٤)، و«كان مفتي الكوفة قبل حماد بن أبي سليمان»^(٥).

ومنهم الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي (ت ١١٥هـ)، وهو من الثلاثة أصحاب الفتيا الذين سبقت الإشارة إليهم، وكان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع، ومنهم الحكم ابن عتيبة، وكان هؤلاء الثلاثة أصحاب الفتيا، وهم المشهورون^(٦). وقيل عنه: «ما بين

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٣٠٠، وعند أبي نعيم من قول ابن سيرين: «قدمت الكوفة وللشعبي

حلقة عظيمة، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير». حلية الأولياء ٤/٣١٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٣٠٠، وفي بعض المصادر: علماء الأزمنة الثلاثة. أبو نعيم: حلية الأولياء

٩/١٦٧؛ الخطيب: تاريخ بغداد ٤/٤٣٠، وهو من قول سفيان بن عيينة الكوفي المكي (ت ١٩٨هـ).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/٧٣، وهو سعيد بن فيروز

الكوفي الفقيه.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٢٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٢٨٩، من قول أبي بكر بن

عياش الكوفي (ت ١٩٣هـ).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٢٨٩، من قول أحمد العجلي.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٢٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٢٨٩.

لابتيها أحد أفقه منه»^(١)، وشبه الزهري به، و«كان الزهري في أصحابه مثل الحكم بن عتيبة في أصحابه»^(٢).

ومنهم حماد بن أبي سليمان مسلم الكوفي الفقيه (ت ١٢٠هـ)، أنبل أصحاب إبراهيم النخعي وأفقههم، وكان أحد العلماء الأذكياء، قيل لإبراهيم النخعي: من نسأل بعدك؟ قال: حماد^(٣)، ويقول مغيرة بن مقسم الكوفي (ت ١٣٦هـ): «أتينا إبراهيم نعوده حين اختفى، فقال: عليكم بحماد، فإنه قد سألني عن جميع ما سألني عنه الناس»^(٤)، وفي مقولة أبي بكر بن عياش أنفة الذكر: وكان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع، منهم حماد بن أبي سليمان، وكان هؤلاء الثلاثة أصحاب الفتيا، وهم المشهورون^(٥)، ويقول أبو إسحاق الشيباني الكوفي (ت ١٣٩هـ): «حماد بن أبي سليمان أفقه من الشعبي، ما رأيت أفقه من حماد!»^(٦).

وهناك غيرهم من أئمة التابعين الكوفيين أمثال: الأسود بن يزيد النخعي (ت ٧٥هـ)، وسويد بن غفلة الجعفي (ت ٨٢هـ)، وزر بن حبيش الأسدي (ت ٨٢هـ)، وأبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي (ت ٨٣هـ)، وعمرو بن ميمون الأودي (ت ٧٤هـ)، وعبدالله ابن شداد الليثي (ت ٨٢هـ)، والربيع بن خيثم الثوري (ت ٦٣هـ)، وعبدالرحمن بن

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٩، ٢١٢؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٤٣٣، من قول عبدة بن أبي لبابة، ويحيى بن أبي كثير.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٣١؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ١/ ٦٣٩، من قول معمر بن راشد البصري اليماني (ت ١٥٤هـ).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٢؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٩٥، والقائل هو: عبدالملك بن إياس الشيباني الكوفي.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٢.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٢٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٩.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٤.

أبي ليلي الأنصاري (ت ٨٣هـ)، وإبراهيم التيمي (ت ٩٢هـ)، وخيثمة بن عبد الرحمن (ت ٨٥هـ)، وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ١٠٤هـ)، وأبي إسحاق السبيعي (ت ١٢٧هـ)، وغيرهم من التابعين الكوفيين.

وإذا كانت هذه نماذج من مشاهير تلاميذ الصحابة   في الكوفة، فهناك المئات من التلاميذ فيها، ذلك أنه من خلال الوقوف على كتب الطبقات وفي مقدمتها طبقات ابن سعد، وابن خياط، فإننا نجد العدد الكبير من التلاميذ في الكوفة، حيث إن المجلد السادس من طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) كله في الكوفيين، من تلاميذ الصحابة  ، وتلاميذهم، وذلك في (٤١٧) صفحة، حيث استهله بتراجم الصحابة   ممن نزل الكوفة^(٧).

فقد ترجم ابن سعد لأربعة وأربعين وثلاثمئة (٣٤٤) تابعي من الطبقة الأولى^(٨)، منهم الستة من أصحاب ابن مسعود.

وترجم لتسعة وستين (٦٩) تابعياً من الطبقة الثانية^(٩)، منهم عامر الشعبي، وسعيد ابن جبير، وإبراهيم النخعي، والضحاك بن مزاحم.

كما ترجم لثلاثة وعشرين ومئة (١٢٣) تابعي من الطبقة الثالثة^(١٠)، منهم أبو إسحاق السبيعي، وحماد بن سليمان.

وعليه يكون مجموع من ترجم لهم ابن سعد في الطبقات الثلاث من التابعين ستة وثلاثين وخمسمئة (٥٣٦) تلميذ من تلاميذ الصحابة   من أهل الكوفة^(١١).

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/٦.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٦٦-٢٤٥.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٤٦-٣٠٦.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٠٧-٣٣٦.

(١١) انظر: ملحق رقم (٣) مشاهير تلاميذ الصحابة   في الكوفة ص ٥٧١.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ؓ في العراق والرواة عنهم

وأكثر رواية رجال الطبقة الأولى من الكوفيين وعددهم أربعة وأربعون وثلاثمئة (٣٤٤) تابعي، عن الصحابة ؓ كان عن عليّ، وابن مسعود، وعمر بن الخطاب، وبيان ذلك - كما عند ابن سعد - على النحو التالي:

١/ من روى عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله ابن مسعود، وعددهم عشرة^(١).

٢/ من روى عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وغيرهم، وعددهم ستة عشر (١٦)^(٢).

٣/ من روى عن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، ولم يرو عن علي بن أبي طالب، وعددهم اثنا عشر (١٢)^(٣).

٤/ من روى عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعددهم أربعة عشر (١٤)^(٤).

٥/ من روى عن عمر بن الخطاب، ولم يرو عن علي وابن مسعود، وعددهم سبعة وخمسون (٥٧)^(٥).

٦/ من روى عن علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعددهم خمسة وثلاثون (٣٥)^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٦٦-٨٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٨٦-١١٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١١٧-١٢١.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٢٢-١٣٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٣١-١٦٦.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٦٧-١٨١.

٧/ من روى عن عبدالله بن مسعود، وعددهم واحد وسبعون (٧١)^(١).

٨/ من روى عن جملة من الصحابة رضي الله عنهم - وذكرهم - ولم يرو عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود شيئاً، وعددهم خمسة وعشرون (٢٥)^(٢).

٩/ من روى عن علي بن أبي طالب، وعددهم أربعة ومئة (١٠٤)^(٣).

والذين سماهم من شيوخ الكوفيين من هذه الطبقة البالغ عددها أربعة وأربعون وثلاثمئة (٣٤٤) راو، هم ستة عشر (١٦) صحابياً، منهم أربعة (٤) نزلوا العراق وعدد الرواة عنهم سبعة وثمانون ومئتا (٢٨٧) راو ويمثلون ٤, ٨٣٪ من رجال هذه الطبقة، وروى منهم عن علي بن أبي طالب تسعة وسبعون ومئة (١٧٩) راو ويمثلون ٥٢٪ من رجال الطبقة، وعن عبدالله بن مسعود ثلاثة وأربعون ومئة (١٤٣) راو ويمثلون ٥, ٤١٪ من رجال الطبقة.

في حين أن اثني عشر (١٢) من شيوخهم ممن لم ينزلوا العراق، وعدد الرواة عنهم أربعة وثلاثون ومئة (١٣٤) راو ويمثلون ٩, ٣٨٪ من رجال الطبقة، وغالبهم روايته عن عمر بن الخطاب وهم تسعة ومئة (١٠٩) من الرواة ويمثلون ٦, ٣١٪ من رجال الطبقة.

ذلك أن أكثر روايتهم كانت عن علي بن أبي طالب وعددهم تسعة وسبعون ومئة (١٧٩)، ثم عن عبدالله بن مسعود وعددهم ثلاثة وأربعون ومئة (١٤٣)، ثم عن عمر ابن الخطاب وعددهم تسعة ومئة (١٠٩).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٨١-٢١١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢١١-٢١٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٧-٢٤٥.

كما ترجم ابن سعد لبعض النساء من التابعيات منهن ستُّ (٦) كوفيات^(١).

أما خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في «الطبقات» فقد ترجم لتسعة ومئة (١٠٩) تلميذ من الطبقة الأولى من الكوفيين^(٢)، وترجم لستة عشر (١٦) من الطبقة الثانية^(٣)، وترجم لأربعة وخمسين (٥٤) من الطبقة الثالثة^(٤)، كما ترجم لخمسة وستين (٦٥) من الطبقة الرابعة، وهي تساوي الثالثة عند ابن سعد بالنظر إلى بعض من ذكر فيهما، مثل أبي إسحاق السبيعي، والحكم بن عتيبة، وحماد بن أبي سليمان^(٥)، ليكون مجموع من ترجم لهم في الطبقات الأربع من الكوفيين خمسة وأربعين ومئتي (٢٤٥) تلميذ من تلاميذ الصحابة ﷺ.

ويلحظ هنا وجود فرق كبير في عدد الرواة من الكوفيين عند ابن خياط وابن سعد يتجاوز الضعف، ففي حين أن عددهم في الطبقات الأربع الأول عند ابن خياط خمسة وأربعون ومئتان (٢٤٥)، فإن عددهم في الطبقات الثلاث الأول عند ابن سعد ستة

(١) ومن التابعيات الكوفيات المترجم لهن: ١/ تملك الكوفية، وعند مسلم الحارقية، حيث ذكرها ضمن من تفرد بالرواية عنها أبو إسحاق السبيعي. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٩٣؛ مسلم: المنفردات والوحدان، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ١٤٠. ٢/ قمير بنت عمرو الكوفية، امرأة مسروق. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٩٤؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٤٦. ٣/ العالية بنت أيفع بن شراحيل الكوفية، امرأة أبي إسحاق السبيعي. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٧. ٤/ عائدة الأسدية الكوفية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٨. ٥/ أم محبة الكوفية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٨. ٦/ جسة بنت دجاجة الكوفية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٩؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٠٦.

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات ١٤٠-١٥٢.

(٣) خليفة بن خياط: الطبقات ١٥٢-١٥٤.

(٤) خليفة بن خياط: الطبقات ١٥٤-١٥٨.

(٥) خليفة بن خياط: الطبقات ١٥٩-١٦٣، ذلك أن ابن سعد وضعهم على (٩) طبقات في حين أن ابن خياط وضعهم على (١١) طبقة، وجاء في الأخيرة عند كليهما ذكر عثمان وعبدالله ابني أبي شيبه، ابن سعد ٦/ ٤١٢، ٤١٣، ابن خياط ١٧٣.

وثلاثون وخمسمئة (٥٣٦).

أما كتب طبقات الفقهاء، فإن ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) في كتابه «مشاهير علماء الأمصار»، حين عدد تلاميذ الصحابة ﷺ من الفقهاء ومنهم فقهاء الكوفة ذكر سبعة عشر ومئة (١١٧) فقيه من التابعين فيها^(٦).

ومن هنا ندرك الأثر الكبير للصحابة في الكوفة من خلال ما تركوه من تلاميذ بالمئين، حيث بلغوا عند ابن سعد ستة وثلاثين وخمسمئة (٥٣٦) تلميذ من التابعين. وإذا كان هذا المبحث قدم لنا شيئاً عن تلاميذ الصحابة ﷺ في الكوفة؛ فإن المبحث الثاني سيقدم لنا ما يقارب ذلك عن تلاميذ الصحابة ﷺ في البصرة.

* * *

(٦) فقهاء التابعين في الكوفة: من رقم ٧٣٢ إلى ٨٤٩ = ١١٧، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص ١٥٩-١٧٩.

المبحث الثاني

تلاميذ الصحابة ؓ في البصرة

لئن اشتهر ذلك القدر الكبير من تلاميذ الصحابة ؓ من التابعين في الكوفة؛ فإن البصرة تليها في هذه المكانة، من خلال المئات من التلاميذ البصريين الذين حفلت بذكرهم كتب الطبقات والتراجم، وبرز فيهم كبار أئمة التابعين ممن اشتهر بالعلم والفتيا ووصفوا بذلك من قبل الصحابة ؓ والأئمة، وأشير هنا إلى بعض مشاهيرهم من أئمة التابعين الذين نقلوا علم الصحابة ؓ وحفظوا الشريعة ومثلوا مدارس علمية تخرّج على أيديهم أئمة كبار أتباع التابعين.

ومن أشهرهم أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي البصري (ت ٩٣هـ)، الذي أثنى على علمه ابن عباس حين قال: «لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عما في كتاب الله علمًا»^(١)، وحين سئل عن شيء، قال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد!^(٢).

ووصفه ابن عمر بأنه من فقهاء البصرة، فقد «لقي ابن عمر جابر بن زيد وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا جابر إنك من فقهاء البصرة، وإنك تستفتي، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت ذلك، وإلا فقد هلكت وأهلكت»^(٣).

وقال عنه عمرو بن دينار المكي (ت ١٢٦هـ): «ما رأيت أحدًا أعلم بالفتيا من جابر

بن زيد»^(٤).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧٩-١٨٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٢.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٨٥-٨٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٢.

(٣) الخطيب: الفقيه والمتفقه ٢/ ٣٤٤، من رواية الضحاك بن مزاحم الكوفي (ت ١٠٥هـ).

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٨٦؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ١٣؛ وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٢.

وقال ابن الأعرابي الكوفي (ت ٢٣١هـ): «كانت لأبي الشعثاء حلقة بجامع البصرة يفتي فيها قبل الحسن»^(١).

وقال قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ) - يوم موت أبي الشعثاء -: «اليوم دفن علم الأرض»^(٢). «اليوم دفن علم أهل البصرة - أو قال: عالم العراق»^(٣).

ويستفتى حتى وهو في سجنه، فقد «سجن جابر بن زيد، فأرسلوا إليه يستفتونه في الخنثى كيف يورث، فقال: تسجنوني وتستفتوني؟ قال: انظروا من أيهما يبول فورثوه»^(٤).

ومنهم أبو العالية الرياحي البصري (ت ٩٣هـ)، الذي تصدّر لإفادة العلم، وبعد صيته^(٥).

ومنهم حميد بن عبدالرحمن البصري (ت ٩٥هـ)، يقول عنه «محمد بن سيرين البصري» (ت ١١٠هـ): «كان حميد بن عبدالرحمن أفقه أهل البصرة قبل موته بعشر سنين»^(٦)، وقال: «كان حميد بن عبدالرحمن أعلم أهل المصريين - يعني: الكوفة والبصرة»^(٧).

ومنهم أبو قلابة عبدالله بن زيد الجرمي البصري (ت ١٠٤هـ)، الذي قيل عنه: «لو

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٢، وابن الأعرابي هو أبو عبدالله محمد بن زياد، إمام اللغة وصاحب التصانيف. السير ١٠/ ٦٨٧.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٨٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٨٠، من رواية قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ).

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٤٧.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤.

كان أبو قلابة من العجم لكان موبذ موبذان، يعني قاضي القضاة^(١)، و«كان والله من الفقهاء ذوي الألباب»^(٢).

ومنهم مسلم بن يسار البصري (ت ١٠١هـ)، والذي هو «خامس خمسة من فقهاء البصرة»^(٣)، ويقول ابن عون البصري (ت ١٥٠هـ): «أدركت هذا المسجد، وما فيه حلقة تنسب إلى الفقه، إلا حلقة مسلم بن يسار»^(٤).

ومنهم الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، الإمام الكبير الذي قال فيه قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ): «كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام»^(٥)، ويقول: «ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء، إلا وجدت له فضلاً عليه...، وما جالست فقيهاً قط، إلا رأيت فضل الحسن»^(٦).

وهذا أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف المدني (ت ٩٤هـ) يقدم البصرة ويلقاه الحسن، يقول أبو نضرة العبدي البصري (ت ١٠٨هـ): «قدم أبو سلمة وهو ابن عبدالرحمن فنزل دار أبي بشير، فأتيت الحسن، فقلت: إن أبا سلمة قدم وهو قاضي المدينة وفقههم، انطلق بنا إليه، فأتيناها، فلما رأى الحسن، قال: من أنت؟ قال: أنا

(١) ابن سعد: الطبقات ٧/١٨٣؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/٢٨٤؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٦٥، وأبو قلابة عبدالله بن زيد، وهذا من قول مسلم بن يسار البصري (ت ١٠١هـ).

(٢) ابن سعد: الطبقات ٧/١٨٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٤٧٠، من قول أيوب السخيتاني (ت ١٣١هـ).

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥١١؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٨٨، من قول قتادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ).

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥١١؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/٨٦-٢٦٦.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٧٨.

(٦) المزني، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزني: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عوَّاد، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٣٠٨هـ ج ٦، ص ١٠٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٧٣.

الحسن بن أبي الحسن، قال: «ما كان بهذا المصر أحد أحب إلي أن ألقاه منك، وذلك أنه بلغني أنك تفتي الناس، فاتق الله يا حسن، وأفت الناس بما أقول لك: أفتهم بشيء من القرآن قد علمته، أو سنة ماضية قد سنها الصالحون والخلفاء، وانظر رأيك الذي هو رأيك فألقه»^(١).

ويقول علي بن زيد التيمي البصري (ت ١٣١هـ): «أدرت عروة بن الزبير وسعيد ابن المسيب ويحيى بن جعدة والقاسم بن محمد وسالمًا في آخرين فلم أر مثل الحسن، ولو أن الحسن أدرك أصحاب النبي ﷺ وهو رجل لا يحتاجوا إلى رأيه»^(٢).

وإمام الحجاز عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ)، يسأل عن شيء، فيقول: «لا أدري»، فقيل: «إن الحسن يقول كذا وكذا، قال: إنه والله ليس بين جنبي مثل قلب الحسن»^(٣)، وقال عنه عطاء: «عليك بذلك، ذاك إمام ضخم يقتدى به»^(٤).

وقال أبو قتادة العدوي البصري (ت ٤٤هـ): «عليكم بهذا الشيخ - يعني الحسن ابن أبي الحسن - فإنني والله، ما رأيت رجلاً قط أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه»^(٥)، ووصفه مطر الوراق هو والشعبي، بأنهما: حبرا الأمة، أو فقيها الأمة^(٦).

(١) الخطيب: الفقيه والمتفقه ٢/ ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٢ - ٣٣؛ ونحوه عند ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦١؛ وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٤، ٥٧٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٩.

(٤) المزي: تهذيب الكمال ٦/ ١١٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦١؛ الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٨، ٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧٣، ٥٧٧.

(٦) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٢، ومطر هو أبو رجاء الخراساني البصري (ت ١٢٩هـ).

ومنهم محمد بن سيرين البصري (ت ١١٠هـ)، الذي قال عنه وعن الحسن، قاضي البصرة سوار بن عبدالله بن قدامة التميمي البصري (ت ١٥٦هـ): «كان محمد والحسن سيدي أهل هذا المصر عربيها ومولاها»^(١)، وقال عثمان البتي البصري (ت ١٤٣هـ): «لم يكن أحد بهذه النقرة أعلم بالقضاء من محمد بن سيرين»^(٢)، ويقول ابن عون البصري (ت ١٥٠هـ): «ثلاثة لم تر عيناى مثلهم: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام، كأنهم التقوا، فتواصوا»^(٣).

ومنهم قتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ)، الذي قال عنه سعيد بن المسيب (ت ٩٤هـ): «ما كنت أظن أن الله خلق مثلك»^(٤)، وبعد أن أقام عنده أياماً قال له: «ارتحل يا أعمى، فقد نزفتني»^(٥)، وقال عنه محمد بن سيرين البصري (ت ١١٠هـ): «قتادة أحفظ الناس، أو من أحفظ الناس»^(٦).

وهناك غيرهم من أئمة التابعين البصريين مثل: الأحنف بن قيس التميمي (ت ٦٧هـ)، وأبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، وصلة بن أشيم العدوي (ت ٦٢هـ)، وأبي الجوزاء الربعي (ت ٨٣هـ)، ومطرف بن عبدالله بن الشخير العامري (ت ٨٧هـ)، وزرارة بن أبي أوفى الحرشي (ت ٧٣هـ)، وأبي رجاء العطاردي (ت ١٠٥هـ)، وثابت البناني (ت ١٢٧هـ)، وإياس بن معاوية المزني (ت ١٢١هـ)، ومحمد بن واسع الأزدي (ت ١٢٣هـ)، وغيرهم من التابعين البصريين.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٧/٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٦/٧؛ الخطيب: تاريخ بغداد ٤٢٠/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦٠٨/٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦٠٩/٤؛ وانظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٠٧/١٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٣٠/٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٣٠/٧.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٧١/٥.

وإذا كانت هذه نماذج من مشاهير تلاميذ الصحابة في البصرة، فإن هناك المئات من التلاميذ غيرهم، ذلك أنه من خلال الوقوف على كتب الطبقات وفي مقدمتها طبقات ابن سعد، وابن خياط، فإننا نجد العدد الكبير من التلاميذ في البصرة، فعند ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، في المجلد السابع من طبقاته تسع وثلاثمئة (٣٠٩) صفحة للبصريين، وهي تمثل أكثر من ٥٩٪ من المجلد، وترجم فيها لتلاميذ الصحابة من البصريين، ومن ثم تلاميذهم، وقد استهلها بتراجم الصحابة الذين نزلوا البصرة.

أما تلاميذ الصحابة فقد ترجم لاثنين وخمسين (٥٢) تابعيًا في الطبقة الأولى من أصحاب عمر بن الخطاب، فيهم ثمانية وثلاثون (٣٨) ممن روى عن عمر، منهم الأحنف بن قيس، وأبو الأسود الدؤلي، وعامر بن عبد القيس، وأبو العالية الرياحي، وفيهم أربعة عشر (١٤) ممن يقول: أتانا كتاب عمر، ويروي عنه ما أمر به في كتبه إلى أبي موسى والمغيرة وغيرهما، منهم الفضيل بن زيد الرقاشي، وبجالة بن عبدة^(١).

كما ترجم لاثني عشر ومئة (١١٢) تابعي في الطبقة الثانية، وفيهم ثمانية وعشرون (٢٨) ممن روى عن عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وأبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم، منهم: مطرف بن عبدالله، وأبو السوار العدوي، وغيرهم، وبقيتهم أربعة وثمانون (٨٤) ممن روى عن عمران بن حصين، وأبي هريرة، وأبي بكرة، وأبي برزة، ومعقل بن يسار، وعبدالله بن معقل، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وغيرهم، منهم جابر بن زيد، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين^(٢).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٩٠-١٤١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٤١-٢٢٩.

وترجم لأربعة وخمسين (٥٤) تابعيًا في الطبقة الثالثة، منهم قتادة السدوسي، وثابت البناني، وإياس بن معاوية^(١).

وعليه يكون مجموع من ترجم لهم ابن سعد في الطبقات الثلاث من التابعين البصريين ثمانية عشر ومئتي (٢١٨) تلميذ من تلاميذ الصحابة ﷺ^(٢).

أما خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في «الطبقات» فقد ترجم لتلاميذ الصحابة ﷺ من البصريين فكانوا في الطبقة الأولى اثني عشر ومئة (١١٢) تابعي^(٣)، وفي الطبقة الثانية أربعة وأربعين (٤٤) تابعيًا^(٤)، وفي الطبقة الثالثة تسعة وستين (٦٩) تابعيًا^(٥)، وفي الطبقة الرابعة خمسة وأربعين (٤٥) تابعيًا، وفيها ذكر قتادة السدوسي، وثابت البناني، وإياس بن معاوية، وهم في الثالثة عند ابن سعد^(٦)، ليكون مجموع من ترجم لهم ابن خياط في الطبقات الأربع من البصريين سبعين ومئتي (٢٧٠) تلميذ من تلاميذ الصحابة ﷺ.

ويلحظ هنا تفوق عدد البصريين في الطبقات الأربع الأول عند ابن خياط حيث بلغ سبعين ومئتين (٢٧٠)، على الطبقات الثلاث الأول عند ابن سعد حيث بلغ العدد ثمانية عشر ومئتين (٢١٨)، باثنين وخمسين (٥٢) تابعيًا.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩-٢٤٦.

(٢) انظر: ملحق رقم (٤) من مشاهير تلاميذ الصحابة ﷺ في البصرة ص ٥٧٤.

(٣) خليفة بن خياط: الطبقات ١٩٠-٢٠٢.

(٤) خليفة بن خياط: الطبقات ٢٠٢-٢٠٦.

(٥) خليفة بن خياط: الطبقات ٢٠٦-٢١١.

(٦) خليفة بن خياط: الطبقات ٢١١-٢١٥، وذلك أن ابن سعد وضعهم على (٨) طبقات، في حين أن ابن خياط وضعهم على (١٢) طبقة، وجاء في الأخيرة عند كليهما ذكر مسدد بن مسرهد. ابن سعد ٧/ ٣٠٧، ابن خياط ٢٢٩، وهما محدثان بصريان متعاصران، فابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، وابن خياط (ت ٢٤٠هـ).

كما ترجم ابن سعد لبعض النساء من التابعيات، منهن عشر (١٠) بصريات^(١)، وبهذا فقد ترجم ابن سعد لست عشرة (١٦) ممن وقفت عليهن من التابعيات العراقيات.

وأما عند النظر في كتب طبقات الفقهاء، فإن ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) في كتابه «مشاهير علماء الأمصار»، عدّد تلاميذ الصحابة ﷺ من الفقهاء، ومنهم فقهاء البصرة، فذكر واحداً وتسعين (٩١) فقيهاً من التابعين فيها^(٢).

ومن هنا ندرك الأثر الكبير للصحابة ﷺ في البصرة من خلال ما تركوه من تلاميذ بالمئين حيث بلغوا عند ابن خياط سبعين ومئتي (٢٧٠) تلميذ من التابعين.

وعليه فقد ترك الصحابة ﷺ في العراق عدداً كبيراً من التلاميذ تمثل في علماء وأئمة التابعين، ذلك أن مجموع من ترجم لهم ابن سعد من تلاميذهم من البصريين والكوفيين هو أربعة وخمسون وسبعمئة (٧٥٤) تابعي، في حين بلغ مجموع من ترجم

(١) ومن التابعيات البصريات المترجم لهن: ١/ معاذة العدوية البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٨؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٢. ٢/ حفصة بنت سيرين البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٧؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٠٩. ٣/ شمسية العنكية البصرية. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٢٨. ٤/ عمرة بنت قيس العدوية البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٩٠؛ ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٧٥١. ٥/ مية بنت محرز البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٧٠. ٦/ سهية بنت عمير الشيبانية البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٧١. ٧/ حفصة بنت أنس بن مالك البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٠. ٨/ هند بنت معقل بن يسار المازنية البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨١. ٩/ صخرية بنت جيفر البصرية. ٨/ ٤٨٢. ١٠/ أم شبيب العبدية البصرية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٤٨٧، والرباب بنت صليح أم الراح الضبية البصرية، روت عن عمها سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه. ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١٧.

(٢) فقهاء التابعين في البصرة: من رقم ٦٤٠ إلى ٧٣١ = ٩١، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ١٤٢-

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ؓ في العراق والرواة عنهم

لهم ابن خياط منهم من البصريين والكوفيين خمسة عشر وخمسمئة (٥١٥) تابعي، فيكون الفارق بينهما تسعة وثلاثين ومئتي (٢٣٩) تابعي ممن ترجموا له من التابعين في العراق.

أما مجموع من ترجم لهم ابن حبان من تلاميذ الصحابة ؓ في العراق فهو ثمانية ومئتا (٢٠٨) فقيه من التابعين، منهم واحد وتسعون (٩١) بصرياً وسبعة عشر ومئة (١١٧) كوفي.

وتدل لغة الأرقام هذه على أعداد كبيرة من التابعين من أهل الفقه والعلم في العراق، وهو ما يعني الأثر الكبير الذي تركه الصحابة ؓ في العلم، والسلوك، وشؤون الحياة عامة في هذا الإقليم في عصر الراشدين ؓ.

ولئن تمكنا في هذين المبحثين من الوقوف على تلاميذ الصحابة ؓ في العراق؛ في البصرة والكوفة، فإننا سوف نقف في المبحث الثالث على تلاميذهم في أماكن أخرى من العراق.

* * *

المبحث الثالث

تلاميذ الصحابة   في أماكن أخرى من العراق

إذا أطلق العراق في عصر الراشدين   فإنما هو البصرة والكوفة، بل إنه ليقال عنهما العراقان، ذلك أنهما أكبر مدينتين فيه في هذه الفترة، حيث أسسهما ونزلهما المسلمون الفاتحون، وانتقل إليهما الناس من المدائن وسائر مدن العراق^(١)، ولئن كان نزول الصحابة   في العراق إنما كان في البصرة والكوفة بشكل خاص، إلا أن هناك مدناً أخرى نزلها أو دخلها بعض الصحابة   كالمدائن، وواسط، ومن المتوقع أن يكون لهم فيهما تلاميذ، إلا أننا نجد ابن سعد يقتصر على ذكر أهل الفقه والحديث فيهما دون أن يحدد طبقاتهم حيث ذكرهم تبعاً، وقريب منه ابن خياط وإن كان ذكرهم في بعضها على طبقات إلا أنه لم يبيّن كونهم تابعين أم أتباعاً، أم تبع الأتباع، ومن هنا كان لا بد من الاجتهاد في تحديد المترجمين من أي الطبقات الثلاث هم لمعرفة تلاميذ الصحابة   عندهما في المدائن وواسط، وتمت الاستفادة من كتاب «تاريخ واسط» لبحشل الواسطي (ت ٢٩٢هـ)، وكتابي «الثقات»، و«مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، لتحديد تلاميذ الصحابة   فيهما، على أنني لم أقف عليهم إلا في مدينة «واسط» فقط^(٢).

أما «المدائن» وإن نزلها بعض الصحابة  ، وفي مقدمتهم حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، وكان أميرها^(٣)، وسلمان الفارسي (ت ٣٥هـ) وكان أميراً عليها^(٤)، إلا أنني

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٧٥ / ٥.

(٢) حيث لم أقف عليهم في غيرها مثل: المدائن، والأنبار.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣١٧ / ٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨٧ / ٤، ٣١٩ / ٧.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

لم أقف على أحد من تلاميذ الصحابة ﷺ فيها عند ابن سعد، ولا خليفة، ولا ابن حبان، كما لم أقف على كتاب في تاريخ المدائن يترجم لرجالها.

وقد نزل سعد بن أبي وقاص «المدائن» بعد فتحها في صفر سنة ست عشرة (١٦هـ)، بجيش القادسية واستوطنوها، ثم تحولوا إلى الكوفة سنة سبع عشرة (١٧هـ)^(١).

ثم إن سعدًا حين تحول إلى الكوفة، خير المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقام فيها تركه فيها «كالمسلحة فبقي أقوام من الأفاء»^(٢)، وأكثرهم بنو عيس^(٣). وترجم الخطيب البغدادي في «تاريخه» لواحد وخمسين (٥١) صحابيًا ممن ورد المدائن ودخلها^(٤).

ومرور علي بن أبي طالب بعد أن خرج من النخيلة بمن معه على المدائن واستنفاه مقاتلتها للخروج معه لصفين دليل على كثرة مقاتلتها^(٥).

ولئن كان الناس في المدائن في ولاية سعد مشغولين بالفتوح، والفترة قصيرة، فإنه وبعد أن استقرت الأمور في العراق بعد تمصير الكوفة والبصرة سنة سبع عشرة (١٧هـ)، وأصبحتا مراكز إمداد للفتوح في المشرق، وخلال ولاية سلمان الفارسي

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٢٠، ٢١؛ وانظر: البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٢.

(٢) والأفاء: أخلاط القبائل قوم نزاع من هنا وهنا، لا يعلم من هم، والواحد الفنو. ابن منظور: لسان العرب ١٥/ ١٦٥، مادة: أفاء.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٣، من رواية سيف بن عمر.

(٤) وبعضهم ممن دخلها مع جيش الفتح، والبقية ممن وردها مع علي بن أبي طالب لما سار إلى النهروان لقتال الخوارج، أو وردها معه لما سار إلى صفين، أو وردها مع الحسن بن علي لما بُوع بالخلافة حيث نزلها وراسل معاوية بالصلح منها، وهناك من وردها لأغراض أخرى. الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ١٣٨.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٦٥؛ جمال محمد جودة: العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، (د. ط)، (د. ن)، (د. م)، ١٩٧٧م، ص ٢٥٣.

(ت ٣٥هـ)، وحذيفة بن اليمان على المدائن (ت ٣٦هـ)، والتي استمرت تسعة عشر (١٩) عامًا يتوقع معها أن يكون للصحابة ﷺ فيها تلاميذ؛ وخاصة سلمان وحذيفة! إلا أنني لم أقف على شيء من ذلك، حيث رجعت لتهديب الكمال^(١)، ووقفت على تلاميذهما عنده فوجدتهم من الكوفيين والبصريين، وفيهم من خرج لهما في المدائن، مثل ابن أبي ليلى^(٢)، وعبدالله بن عكيم^(٣)، وإبراهيم التيمي، الذي يظهر أنه يلازمه؛ حيث يستأذنه في الرجوع إلى أهله في الكوفة^(٤)، وأبي الطفيل، وعمرو بن صليح^(٥)، وغيرهم.

بل بعدهما إذ لا يزال للصحابة ﷺ وجود كبير في العراق على مدى أكثر من عقدين على الأقل، بل عاش بعض صغار الصحابة ﷺ بعد ذلك لأربعة عقود؛ إذ فيهم من بقي إلى العقد التاسع من القرن الأول.

وحيث لم أجد في كتب التراجم ذكراً لتلاميذ الصحابة ﷺ فيها - بحسب ما وقفت عليه منها - مثل: ابن سعد، وخليفة، وابن حبان -، فهل إعراض كتب التراجم المذكورة عنهم مع عنايتها بتتبع الرواة في البلدان في هذه الفترة، مؤشر على عدم وجود تلاميذ للصحابة فيها؟!.

كما لم أقف على كتاب عن تاريخها؛ فهل عدم وقوفي على كتاب عن تاريخ المدائن هو مؤشر آخر على عدم وجود نشاط علمي فيها؟!.

(١) للمزي، وهو من أوسع الكتب ذكرًا للشيوخ وتلاميذ المترجمين.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٣) ٧/١١٣.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٦٧) ٣/١٦٣٧.

(٤) عبدالرزاق: المصنف ٢/٥٢٧؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٢٧٦، ٢٨٣.

(٥) أحمد: المسند (٢٣٣١٦) ٣٨/٣٤٢، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم؛ البزار: مسند البزار ٧/٢٢٥.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

وهل معنى ذلك أن الكوفة والبصرة استحوذتا على هذا الأمر؟، واقتصرت حلق التعليم والإقراء والتحديث في العراق عليهما؟!.

وهل لقرب المدائن من الكوفة أثر في ذلك؟.

أم أن السبب كون المدائن موزعة على مجموعة بلدان بحيث لا يتوفر فيها تجمع سكاني كبير نظرًا لفرقهم بينها؟.

أم أن حذيفة وسلمان لم يجلسا للتعليم فيها، أو أنهما لا يكثران من التحديث؟، مع أنه قد رويت عنهما أحاديث؟^(١).

إنه مع التسليم بذلك كله ووجاهته، وبأهمية المدينتين واستقطابهما لسكان العراق، وللعرب الفاتحين؛ ومنهم الصحابة ﷺ، ومن ثم تركز العلم فيهما، وأنه لم يعد لغيرهما في العراق في تلك الفترة مكانة تدانيهما، حتى المدن القديمة العريقة كالمدائن والحيرة والأنبار، إلا أنه يبقى محل نظر وتساؤل؛ هل للصحابة ﷺ تلاميذ في المدائن؟ وخاصة حذيفة، وسلمان؟.

وأما «واسط»^(٢)، فقد دخلها بعض الصحابة ﷺ، كما جاء عند «بحشل»^(٣)، في

(١) لحذيفة بن اليمان (٢٢٥) حديثاً ويأتي ترتيبه (١٨) من بين الرواة من الصحابة ﷺ - كما عند ابن حزم - وذكر بعضهم أن مروياته تزيد على (٣٠٠) حديث، وقد تقدم في الفصل الثاني، أما سلمان فله (٦٠) حديثاً. بقي بن مخلد: مقدمة مسنده ٨٥.

(٢) واسط، إنما كان اسمه واسط القصب، فبناها الحجاج سنة (٧٨) وقال: هذا واسط العراق الكوفة والبصرة، فسميت واسطاً. بحشل: تاريخ واسط ٣٨، تحقيق كوركيس عواد، ط الأولى ١٤٠٦ هـ، مكتبة العلوم والحكم.

(٣) وبحشل، هو أسلم بن سهل بن زياد بن حبيب الرزاز، أبو الحسن المعروف ببششل الواسطي (ت ٢٩٢ هـ)، عدّه المؤرخون محدث واسط في عصره، من كبار الحفاظ الثقات، إماماً، ثبّتا، صدوقاً. وقد جمع تاريخاً لواسط، هو أول سفر يؤلف في تاريخ هذه المدينة، ضبط فيه أسماء الرواة ورتب طبقاتهم. تاريخ واسط: مقدمة المحقق ١٩-٢٠.

تاريخ واسط، حيث ذكر تسعة (٩) من الصحابة، منهم أربعة (٤) من الرجال وهم: أنس بن مالك، ونافع مولى رسول الله ﷺ، وأبي بن مالك القشيري، وأبو الغادية الجهني^(١).

وخمس (٥) من النساء وهن: سمراء بنت نهيك، وأم مالك البهزية، وأم عاصم امرأة عتبة بن فرقد^(٢)، وأم عياش، وهي أمة لرقية بنت رسول الله ﷺ، وأم أمة الله، ويقال لها رزينة^(٣).

أما تلاميذ الصحابة من أهل واسط، فقد ذكر بحشل ثلاثة من التابعين ممن قدم واسطاً من العراق، وهم قتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ)^(٤)، وحصين ابن عبدالرحمن السلمى أبو الهذيل الكوفي، المعمر (ت ١٣٦هـ)^(٥)، ومروان مولى هند بنت المهلب البصري^(٦).

أما من ذكرهم ابن سعد وخليفة من أهل الفقه والحديث في واسط فإن ابن سعد أوردتهم تباعاً، وقد اعتبرتهم عندهما من أتباع التابعين بحسب المقارنة مع ابن حبان في «الثقات»، ولذا ضمنتهم المبحث التالي «الرواة عن تلاميذ الصحابة».

أما ابن حبان فمع أنه ذكر أن واسطاً لم ينزلها صحابي ولا تابعي، وإنما نزلها من

(١) تسمية القادمين مدينة واسط من الصحابة. تاريخ واسط ٤٢، وأبي بن مالك القشيري، ويقال الحرشي، نزيل البصرة. ابن حجر: الإصابة ١/١٨٢، وأبو الغادية الجهني، يسار بن سيع قاتل عمار له صحبة. ابن حجر: الإصابة ٧/٢٥٩.

(٢) الذي ولاه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كسكر، وهي جدة العلاء بن راشد الواسطي، وهي التي أعتقت زاذان جد يزيد بن هارون. تاريخ واسط ٤٢.

(٣) بحشل: تاريخ واسط ٤٢.

(٤) بحشل: تاريخ واسط ١١٨، ونلاحظ هنا أنه أطلق العراق على الكوفة والبصرة.

(٥) بحشل: تاريخ واسط ٩٧ - ١٠١.

(٦) بحشل: تاريخ واسط ١١٥.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ؓ في العراق والرواة عنهم

أتباع التابعين ممن قدموا من البصرة والكوفة^(١)، إلا أنه ذكر أبا حمزة القصاب عمران ابن أبي عطاء مولى بنى أسد وكان يسكن واسطاً مدة والبصرة زماناً من أصحاب ابن عباس^(٢)، وكذا عمر بن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف أخو سلمة كان على قضاء المدينة وقدم واسطاً فحدثهم بها فكتب عنه الواسطيون هشيم وذووه مات بالمدينة^(٣).

وهذا لا يتفق مع ما جاء عند «بحشل» حيث ذكر بعض من نزلها ووردها من

الصحابة والتابعين ؓ.

وبحسب ما وقفت عليه فلا يكاد يوجد تلاميذ للصحابة ؓ في العراق خارج المصرين الكوفة والبصرة، وحتى الذين ذكرهم بحشل من التابعين في واسط فقد قدموا منهما؛ وهذا يؤكد استقطابهما لسكان الإقليم في هذه الفترة، واستحواذهما على النشاط العلمي فيه، بسبب وجود عدد كبير من الصحابة ؓ فيهما.

وبعد الوقوف على تلاميذ الصحابة ؓ في العراق، فإننا سنقف في المبحث الرابع

على الرواة عن تلاميذ الصحابة ؓ.

* * *

(١) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ٢٧٩، ولذا بدأ فيها بالطبقة الثالثة وقال: فمن مشاهير هذه الطبقة

التي هي الطبقة الثالثة بها لعدم وجود الطبقة الأولى والثانية. ٢٧٩.

(٢) مشاهير علماء الأمصار ١٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٣٨٧.

(٣) مشاهير علماء الأمصار ٢١٣.

المبحث الرابع

الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق

من المفيد قبل الحديث عن الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق الوقوف على طبقات الرواة الرئيسة في عصر الرواية، لتبين في أية طبقة يكونون منها، ذلك أنها أربع طبقات: الأولى: الصحابة ﷺ، والثانية: التابعون، والثالثة: أتباع التابعين، والرابعة: تبع الأتباع^(١).

وعليه فهم الطبقة الثالثة: أتباع التابعين، وإذا سبق تحديد المراد بالصحابي، وكذا التابعي، فمن المهم معرفة المراد بأتباع التابعين، إذ إنهم من صحبوا التابعين، وإن لم تَظُلْ صحبتهم لهم^(٢).

إذن فالأصل في الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ أنهم من أتباع التابعين وإن اشترك معهم في الرواية عن تلاميذ الصحابة ﷺ صغار التابعين، فقد أدرجتهم ضمن أتباع

(١) محمد مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٤٨، «وكل من بينه وبين رسول الله ﷺ رجل واحد أدخلناه في كتاب التابعين سواء تأخر موته أو تقدم، وكل من بينه وبين رسول الله في اللقي رجلاً أدخلناه في كتاب تبع التابعين - بعد أن يكون ثقة - وكل من كان بينه وبين رسول الله ثلاثة أنفس في اللقي أدخلته في كتاب تبع الأتباع». ابن حبان: الثقات ٩ / ٢٩٣ - ٢٩٤، محمد مطر: علم الرجال نشأته وتطوره ٦٣، وأصل هذه الطبقات حديث «خير الناس قرني»، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: «خير الناس القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم ينشأ قوم يشهدون، ولا يستشهدون، ويحلفون، ولا يستحلفون، ويخونون، ولا يؤتمنون، يفشو فيهم السمن». قال الحاكم: فهذه صفة أتباع التابعين إذ جعلهم النبي ﷺ خير الناس بعد الصحابة ﷺ والتابعين المنتخبين، وهم الطبقة الثالثة بعد النبي ﷺ. الحاكم: معرفة علوم الحديث ٤٦، انظر: البيهقي: السنن الكبرى ١٠ / ٢٦٩، وأصله في الصحيحين، ابن حبان: الثقات ٨ / ١، وقال: هذه اللفظة: «ثم الذين يلونهم» في الرابعة، تفرد بها حماد بن سلمة، وهو ثقة مأمون، وزيادة الألفاظ عندنا مقبولة عن الثقات.

(٢) أبو شهبه: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، (د. ط)، دار الفكر العربي، (د. م)، (د. ت)، ص ٥٤٧.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

التابعين، فأوردتهم هنا، ولم أوردتهم ضمن تلاميذ الصحابة ﷺ مع أنهم من التابعين، وهم يمثلون الطبقة الرابعة عند ابن سعد، أمثال: أيوب السختياني (ت ١٣١هـ)، وسليمان التيمي (ت ١٤٣هـ)، ويونس بن عبيد (ت ١٤٠هـ)، وعبدالله بن عون (ت ١٥١هـ)، وعاصم بن سليمان الأحول (ت ١٤٢هـ)، وطبقتهم من البصريين، وكذا من الكوفيين، لأن غالب روايتهم عن كبار التابعين، وغالبهم في الطبقتين الخامسة والسادسة عند خليفة، فأيوب، وعاصم في الخامسة، والتيمي، ويونس، وابن عون في السادسة^(١).

وتوقفت على الطبقة السادسة، والسابعة عنده، حيث ترجم فيها لواحد وخمسين (٥١) من الرواة البصريين، خمسة عشر (١٥) منهم كانت وفاتهم من سنة (٢٢٠هـ) فما بعدها، وعشرة (١٠) منهم وفاتهم قبل سنة (٢٢٠هـ) في حين لم يذكر وفاة بقيتهم. ومن أشهر رجال هذه الطبقة: عبدالرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ)، وأبو داود الطيالسي (ت ٢٠٣هـ)، ووهب بن جرير (ت ٢٠٦هـ)^(٢).

وعددت هذه السنة (٢٢٠هـ) حدًّا للأتباع؛ لما جاء في فتح المغيث «وكان آخر من كان في أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين»^(٣).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٤٦-٢٧٣، خليفة بن خياط: الطبقات ٢١٥-٢٢١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٩٧-٣٠٧، ذلك أن طبقات التابعين عند ابن سعد، وابن خياط قائمة على اعتبار اللقيا بين الصحابة ﷺ والتابعين فكبار التابعين هم الذين رووا عن كبار الصحابة ﷺ، وهم الطبقة الأولى من التابعين، حيث إنها استعملت الطبقة للدلالة على المتشابهين من حيث تقاربهم في السن وفي الشيوخ الذين أخذوا عنهم، دون اعتبار لسني الوفاة، ولذا فالطبقة لا تتخذ مفهوم الوحدة الزمنية الثابتة، فمرة تكون حوالي عشر سنين، وأخرى تقارب العشرين، وثالثة في حدود الجيل. خليفة بن خياط: الطبقات، مقدمة المحقق ٤٤-٤٦.

(٣) السخاوي: فتح المغيث ٤/١٥٣، واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين. ابن حجر: فتح الباري لابن حجر ٦/٧.

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

بل إن ذلك يتوافق مع صنيع ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، حيث إن مشاهير الطبقة السابعة - عند ابن سعد ممن كانت وفاتهم قبل سنة (٢٢٠هـ) فما دونهم - قد وضعهم في تبع الأتباع، فهذا عبدالرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ)، وضعه ابن حبان في تبع الأتباع، وقال عنه: «وقد رأى جماعة رووا عن الصحابة إلا أنه لم تتبين صحة سماعهم عن الصحابة فلذلك عدلنا به عن أتباع التابعين إلى هذه الطبقة»^(١)، وسليمان ابن داود؛ أبو داود الطيالسي (ت ٢٠٣هـ)، وضعه في تبع الأتباع^(٢)، ووهب بن جرير (ت ٢٠٦هـ)، كذلك وضعه في تبع الأتباع^(٣).

فلهذين الأساسين توقفت في أتباع التابعين عند ابن سعد على الطبقة السادسة، وتوقفت على الطبقة العاشرة عند خليفة بن خياط، إذ إنها تساوي السادسة عند ابن سعد، ذلك أن المشاهير الذين أشرت إليهم في السابعة عند ابن سعد ذكرهم خليفة في الحادية عشرة^(٤).

وقد حَفَلت كتب الطبقات والتراجم بالرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق من الذين أخذوا عنهم الحديث والعلم، ومن خلال الوقوف على طبقات ابن سعد وابن خياط، نجد أنهما ترجما لعدد كبير منهم بلغوا المئتين من الرواة، وسيتم تناول هؤلاء الرواة ودراستهم من خلال الكوفيين، ثم البصريين، ثم الأماكن الأخرى في العراق.

فقد ترجم ابن سعد لـ واحد وثمانين (٨١) راوياً عن تلاميذ الصحابة ﷺ من الكوفيين من رجال الطبقة الرابعة، منهم: منصور بن المعتمر، والأعمش، وإسماعيل

(١) ابن حبان: الثقات ٨ / ٣٧٣.

(٢) ابن حبان: الثقات ٨ / ٢٧٥.

(٣) ابن حبان: الثقات ٩ / ٢٢٨.

(٤) خليفة: الطبقات ٢٢٧.

ابن أبي خالد، وأبو إسحاق الشيباني^(١).

كما ترجم لاثنين وخمسين (٥٢) راويًا عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة الخامسة من الكوفيين، منهم: محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلي، وأبو حنيفة^(٢).

وترجم لتسعة وأربعين (٤٩) راويًا عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة السادسة من الكوفيين، منهم: سفيان بن سعيد الثوري، وشريك بن عبدالله^(٣).

ليكون مجموع الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في هذه الطبقات الثلاث من الكوفيين عند ابن سعد مئة واثنين وثمانين (١٨٢) من أتباع التابعين.

وأما ابن خياط فقد ترجم لسبعة وعشرين (٢٧) من رجال الطبقة الخامسة من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من الكوفيين^(٤).

كما ترجم لسبعة عشر (١٧) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة السادسة من الكوفيين^(٥).

وترجم لاثنين وعشرين (٢٢) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة السابعة من الكوفيين^(٦).

وترجم لتسعة (٩) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة الثامنة من الكوفيين^(٧).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٣٧-٣٥٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٥٨-٣٧٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٧١-٣٨٥.

(٤) خليفة بن خياط: الطبقات ١٦٤-١٦٦.

(٥) خليفة بن خياط: الطبقات ١٦٦-١٦٧.

(٦) خليفة بن خياط: الطبقات ١٦٨-١٦٩.

(٧) خليفة بن خياط: الطبقات ١٦٩-١٧٠.

وترجم لثمان وعشرين (٢٨) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة التاسعة من الكوفيين^(٨).

وترجم لعشرة (١٠) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة العاشرة من الكوفيين^(٩).

ليكون مجموع الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في هذه الطبقات الست من الكوفيين عند ابن خياط مئة وثلاثة عشر (١١٣) من أتباع التابعين.

وأما الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من البصريين فقد ترجم ابن سعد لثلاثة وستين (٦٣) من رجال الطبقة الرابعة، منهم: أيوب السختياني، وسليمان التيمي، ويونس بن عبيد، وعبدالله بن عون، وعاصم الأحول^(١٠).

كما ترجم ابن سعد لخمسين (٥٠) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة الخامسة من البصريين، منهم: سعيد بن أبي عروبة، والسري بن يحيى، وشعبة ابن الحجاج، وحماد بن سلمة^(١١).

وترجم ابن سعد لتسعة وثلاثين (٣٩) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة السادسة من البصريين، منهم: حماد بن زيد، وأبو عوانة، ويزيد بن زريع، والمعتز بن سليمان التيمي، ويحيى بن سعيد القطان^(١٢).

ليكون مجموع الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في هذه الطبقات الثلاث من

(٨) خليفة بن خياط: الطبقات ١٧٠-١٧٢.

(٩) خليفة بن خياط: الطبقات ١٧٢-١٧٣.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٤٦-٢٧٣.

(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٧٣-٢٨٥.

(١٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٨٦-٢٩٧.

البصريين عند ابن سعد مئة واثنين وخمسين (١٥٢) من أتباع التابعين.

وأما الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من البصريين عند خليفة بن خياط فقد ترجم لسبعة وثلاثين (٣٧) من رجال الطبقة الخامسة^(١).

كما ترجم ابن خياط لثلاثة وعشرين (٢٣) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة السادسة من البصريين^(٢).

وترجم ابن خياط لثمانية عشر (١٨) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة السابعة من البصريين^(٣).

وترجم ابن خياط لأربعة وعشرين (٢٤) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة الثامنة من البصريين^(٤).

وترجم ابن خياط لاثنتين وعشرين (٢٢) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة التاسعة من البصريين^(٥).

وترجم لخمسة عشر (١٥) من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ من رجال الطبقة العاشرة من البصريين^(٦).

ليكون مجموع الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في هذه الطبقات الست من البصريين عند خليفة بن خياط مئة وتسعة وثلاثين (١٣٩) من أتباع التابعين.

(١) خليفة بن خياط: الطبقات ٢١٥-٢١٨.

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات ٢١٨-٢٢١.

(٣) خليفة بن خياط: الطبقات ٢٢١-٢٢٢.

(٤) خليفة بن خياط: الطبقات ٢٢٢-٢٢٤.

(٥) خليفة بن خياط: الطبقات ٢٢٤-٢٢٥.

(٦) خليفة بن خياط: الطبقات ٢٢٦-٢٢٧.

وعليه فإن عدد من ترجم لهم ابن سعد من العراقيين من الكوفيين والبصريين ثلاثمئة وأربعة وثلاثين (٣٣٤) من أتباع التابعين، في حين أن من ترجم لهم خليفة منهم يبلغ عددهم مئتين واثنين وخمسين (٢٥٢).

وأما الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في بلدات العراق الأخرى، وهي بغداد، والمدائن، وواسط، ففيها العشرات من التلاميذ.

أما «بغداد» فقد ترجم ابن سعد لثلاثة وخمسين (٥٣) من الفقهاء والمحدثين فيها ممن أخذوا عن تلاميذ الصحابة ﷺ من أتباع التابعين، حيث توقفت عند محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)^(١).

هذا وقد وقفت على ستة عشر (١٦) منهم قدموا لبغداد من خارج العراق فيبقى سبعة وثلاثون (٣٧) منهم يمكن أن يمثلوا الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق من البغداديين، علماً بأن منهم من ورد ضمن البصريين أو الكوفيين، وهذه طبيعة الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق في غير الكوفة والبصرة، إذ يغلب عليهم أنهم انتقلوا منهما؛ فأبو حنيفة النعمان، (ت ١٥٠هـ)، وعمار بن محمد، (ت ١٨٢هـ) من الكوفيين والبغداديين، وعباد بن عباد بن حبيب، (ت ١٨١هـ)، وعبدالله بن بكر السهمي، (ت ٢٠٨هـ)، من البصريين والبغداديين.

في حين ترجم ابن خياط لثلاثة عشر (١٣) من الفقهاء والمحدثين في «بغداد» ممن أخذوا عن تلاميذ الصحابة ﷺ من أتباع التابعين، حيث توقفت أيضاً عند محمد ابن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)، ويلاحظ أن الطبقة الأولى منهم عند ابن خياط خمسة (٥) وهي توافق الخمسة (٥) الأولين عند ابن سعد سوى واحد فقد اختلفا فيه^(٢).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٢١-٣٣٦.

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات ٣٢٧-٣٢٨.

وأما «المدائن» فقد ترجم ابن سعد لتسعة (٩) من الفقهاء والمحدثين فيها ممن أخذوا عن تلاميذ الصحابة ﷺ من أتباع التابعين، فيهم اثنان بصريان مدائنيان، وهما: عاصم بن سليمان الأحول، (ت ١٤٢هـ)، وهلال بن خباب، (ت ١٤٤هـ)، وبقيتهم مدائنيون - بحسب ما وقفت عليه -، منهم: نعيم بن حكيم، (ت ١٤٨هـ)، وشبابة بن سوار الفزاري، (ت ٢٠٦هـ)^(١).

وأما ابن خياط فقد ذكر في «المدائن» ستة (٦) من المحدثين على طبقتين - ممن ذكرهم ابن سعد - فذكر في الأولى الثلاثة الأولين عند ابن سعد^(٢).

وأما «واسط» فقد ترجم ابن سعد لثلاثين (٣٠) من الفقهاء والمحدثين، فيها منهم ثمانية وعشرون (٢٨) ممن أخذوا عن تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق من أتباع التابعين، وفيهم: منصور بن زاذان (ت ١٣١هـ)، والعوام بن حوشب (ت ١٤٨هـ)، وخلف بن خليفة (ت ١٨١هـ)^(٣).

وأما ابن خياط فقد ترجم لخمسة وعشرين (٢٥) من الفقهاء والمحدثين في «واسط» منهم أربعة وعشرون (٢٤) ممن أخذوا عن تلاميذ الصحابة ﷺ، من أتباع التابعين وقد جعلهم على أربع طبقات^(٤).

وعليه يكون مجموع من ترجم لهم ابن سعد من الرواة عن تلاميذ الصحابة ﷺ في بلدات العراق الأخرى، وهي بغداد، والمدائن، وواسط - ثلاثة وسبعون (٧٣)، في حين أن عددهم عند ابن خياط ثلاثة وأربعون (٤٣)، ليكون مجموع أتباع التابعين في

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٣١٩-٣٢٠.

(٢) خليفة بن خياط: الطبقات ٣٢٤-٣٢٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٣١٠-٣١٦، وقد أغفلت اثنين لقدمهما إلى واسط من غير العراق.

(٤) خليفة بن خياط: الطبقات ٣٢٥-٣٢٧، وواحد أغفله لأنه قدم واسطاً من الشام.

العراق عند ابن سعد أربعمئة وأحد عشر (٤١١)، أما عند ابن خياط فهم مئتان وخمسة وتسعون (٢٩٥).

أما في غيرها فلم أقف إلا على من هم من تبع الأتباع، مثل: «الأنباء»^(١)، و«حلوان» وفيها يطلق على كثير منهم «القزويني»^(٢).

واشتركت النساء في التعلم والأخذ عن التابعين، ومنهن من أسهمت في الرواية، إذ ترجم ابن سعد لبعض أتباع التابعين من العراقيات، ومنهن: ١ / أم قيس جدة عمر ابن ميمون بن مهران الكوفية، روت عن مسروق^(٣). ٢ / هنيذة امرأة إبراهيم النخعي الكوفية^(٤). ٣ / أم مريم الحنفية البصرية^(٥).

ولئن كنا نعرفنا إلى الرواة عن تلاميذ الصحابة ؓ في العراق، فإن من المفيد ذكره أن نتعرف إلى أثر تلاميذ الصحابة ؓ في العراق في نشر علمهم واجتهاداتهم، وهذا ما سيأتي ذكره في المبحث الخامس.

* * *

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٣٨٣.

(٢) انظر: الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٢ / ٦٢٣ - ٦٢٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٤٩٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٤٩٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٤٨٠.

المبحث الخامس

أثر تلاميذ الصحابة ؓ في العراق في نشر علمهم واجتهاداتهم

أسهم تلاميذ الصحابة ؓ من التابعين في العراق في نشر علمهم واجتهاداتهم، فهم من أبرز من نشر علم الصحابة ؓ وفقههم، فعامة علم الصحابة ؓ إنما انتشر في المدينة والعراق، ولذا نجد ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) في كتابه «مشاهير علماء الأمصار»، لما ذكر فقهاء التابعين، ذكر في الكوفة مئة وسبعة عشر (١١٧) فقيهاً، وذكر في البصرة واحداً وتسعين (٩١) فقيهاً؛ ليكون مجموعهم في العراق مئتين وثمانية (٢٠٨) فقهاء من التابعين^(١)، وبلغ فقهاء التابعين في المدينة مئة وسبعين (١٧٠) فقيهاً^(٢)، ليكون مجموعهم في العراق والمدينة ثلاثمئة وثمانية وسبعين (٣٧٨) فقيهاً، في حين أن مجموع فقهاء التابعين عنده خمسمئة وأربعة وسبعون (٥٧٤) فقيهاً.

ولقد كان لهذا العدد الكبير من فقهاء تلاميذ الصحابة ؓ في العراق، وغيرهم من التلاميذ أثر بارز في نشر علم الصحابة ؓ في العراق، حيث عُنوانوا بنشر العلم الذي أخذوه عن شيوخهم بالإقراء، والتحديث، والتعليم، ويمكن الوقوف على هذا الأثر من جانبين:

١- أثر كمّي يتمثل بكثرة تلاميذهم^(٣)؛ وهم الرواة عن تلاميذ الصحابة ؓ في العراق، وفيه بلغ عددهم مئتين وخمسة وتسعين (٢٩٥) عند خليفة بن خياط، في

(١) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ١٤٢-١٥٨.

(٢) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ١٠٣-١٣٢.

(٣) وتقدّم بيان ذلك في المبحث الرابع من هذا الفصل.

حين بلغوا أربعمئة وأربعة عشر (٤١٤) عند ابن سعد، على أن أعداد الفقهاء من تلاميذ التابعين في العراق مئتان وسبعة وعشرون (٢٢٧) فقيهاً كما عند ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، في حين أنهم في المدينة مئة وثلاثون (١٣٠) فقيهاً من أتباع التابعين، ومجموعهم عنده ستمئة وعشرة (٦١٠) فقهاء من أتباع التابعين، وهنا يتبين لنا الأثر الكبير الذي تركه التابعون في نشر علم الصحابة ﷺ واجتهاداتهم في العراق.

٢- وأثر نوعي ويتمثل ذلك بأنه برز من هؤلاء التلاميذ للتابعين أئمة كبار من أتباع التابعين صاروا أئمة الدنيا، في القرآن وتفسيره، والحديث، والفقه، والحفظ والرواية، ويتضح لنا شيء من هذا البروز لأولئك التلاميذ أن منهم من كان عليهم مدار الرواية في الأمصار، فمن خلال الوقوف على الأئمة الذين عليهم مدار الرواية في الأمصار - كما عند ابن المديني (ت ٢٣٤هـ) - نجد أن للعراق النصيب الأوفى من بين الأمصار الإسلامية، ففي الطبقة الثانية من التابعين عنده صار العلم عند اثني عشر ممن صنف في الحديث، ستة منهم عراقيون من تلاميذ التابعين، وهم: ١/ سعيد بن أبي عروبة البصري، (ت ١٥٦هـ). ٢/ حماد بن سلمة البصري، (ت ١٦٧هـ). ٣/ أبو عوانة البصري: واسمه الواضح، (ت ١٧٥هـ). ٤/ شعبة بن الحجاج البصري، (ت ١٦٠هـ). ٥/ معمر بن راشد البصري، (ت ١٥٤هـ). ٦/ سفيان بن سعيد الثوري الكوفي، (ت ١٦١هـ).

وفي الطبقة الثالثة انتهى علم هؤلاء إلى ستة من تلاميذ التابعين، خمسة منهم عراقيون، عدا ابن المبارك فهو خراساني، وهم: ١/ يحيى بن سعيد القطان البصري، (ت ١٩٨هـ). ٢/ يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الكوفي، (ت ١٨٢هـ). ٣/ وكيع ابن الجراح الكوفي، (ت ١٩٧هـ). ٤/ عبدالرحمن بن مهدي الأسدي البصري، (ت ١٩٨هـ). ٥/ يحيى بن آدم الكوفي، (ت ٢٠٣هـ)^(١).

(١) ابن المديني: العلل ١٧ - ٤٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧٨/١١، محمد بن مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٣٠٥ - ٣٠٨.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

وهؤلاء الثمانية عشر (١٨) الذين يعدّون أئمة العلم وأهل التصنيف من تلاميذ التابعين عند ابن المديني، وأحد عشر (١١) منهم عراقيون.

ذلك أنه لم يقتصر الأمر على الحفظ والرواية -مع أهميتهما- إذ تعداه إلى التصنيف؛ حيث ظهرت لهم كتب في التفسير وعلوم القرآن، والحديث من المسانيد والمصنفات، وفي أبواب الفقه، وغيرها؛ وإن اختلف في أول من صنف الكتب، فقيل سعيد بن أبي عروبة البصري (ت ٦٥١هـ)، وقيل عبد الملك بن جريج المكي (ت ٥٥١هـ)، فهم من أول من صنف الكتب^(١).

وقد ظهرت كتب «المصنفات» على أيديهم، مثل: «مصنف حماد بن سلمة بن دينار» البصري (ت ١٦٧هـ)^(٢)، و«مصنف وكيع بن الجراح» الكوفي، (ت ١٩٧هـ)^(٣).

كما ظهرت المسانيد على أيدي صغارهم، مثل: «مسند أبي داود بن داود الطيالسي» البصري (ت ٢٠٣هـ)، وهو أول من صنف في الإسلام^(٤).

وظهرت لهم مصنفات في التفسير، مثل: «تفسير شعبة بن الحجاج» (١٦٠هـ)، و«تفسير سفيان بن سعيد الثوري» (ت ١٦١هـ)، و«وكيع بن الجراح» (ت ١٩٧هـ)، و«يزيد بن هارون» (ت ٢٠٦هـ)^(٥).

(١) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٨١.

(٢) الكتاني، محمد بن أبي الفيض جعفر الحسني الإدريسي (ت ١٣٤٥هـ): الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المتصر بن محمد الزمزمي، ط: السادسة، دار البشائر الإسلامية، (د. م)، ١٤٢١هـ، ص ٤٠، ذلك أنّ «أول كتاب وضع في الفقه والحديث مصنف حماد بن سلمة». ابن خير الإشبيلي، محمد بن خير بن عمر اللمتوني الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ): فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، ط: الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ، ص ١١٢.

(٣) ابن خير الإشبيلي: الفهرست ١٠٦.

(٤) كما عند ابن خير، ولعله يريد من المسانيد. ابن خير الإشبيلي: الفهرست ١١٨.

(٥) سفيان الثوري: التفسير ٥.

وفي علوم القرآن، ففي التصارييف: نجد كتاب يحيى بن محمد بن سلام البصري (ت ١٨٠ هـ) «التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه»^(١).

وفي معاني القرآن: فإن أول من صنّف في معاني القرآن كانوا كلهم عراقيين، وهم:

١- الكسائيّ علي بن حمزة الكوفي (ت ١٨٩ هـ).

٢- الفراء يحيى بن زياد الكوفي (ت ٢٠٧ هـ).

٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت ٢١٠ هـ).

٤- قطرب محمد بن المستنير البصري (ت ٢٠٦ هـ).

٥- الأخفش سعيد بن مسعدة البصري (ت ٢١٥ هـ).

٦- أبو عبيد القاسم بن سلام الكوفي (ت ٢٢٤ هـ)، الذي جمع من كتبهم، وجاء

فيه بالآثار وأسانيدها، وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء^(٢).

وفي العقائد «كتاب الفقه الأكبر» لأبي حنيفة النعمان الكوفي (ت ١٥٠ هـ)^(٣).

كما ظهرت بعض الكتب على أبواب الفقه، ككتب القاضي أبي يوسف الكوفي

(ت ١٨٢ هـ)، «كتاب الصلاة»، و«كتاب الصيام»، و«كتاب الفرائض»، و«كتاب

البيوع»، و«كتاب الخراج»، وغيرها^(٤).

(١) يحيى بن سلام: التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، تحقيق: هند شلبي، (د. ط)، الشركة التونسية للتوزيع، (د. م)، ١٩٧٩ م، مقدمة المحقق، ص ٧.

(٢) الفراء، يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧ هـ): معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، ط: الأولى، دار المصرية للتأليف والترجمة، (د. م)، (د. ت)، مقدمة التحقيق، ص

١٢؛ الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٤٠٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ١٦/٣٢٥.

(٣) ابن النديم: الفهرست ٢٥١.

(٤) ابن النديم: الفهرست ٢٥٣.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

وكتاب «الخراج» ليحيى بن آدم الكوفي (ت ٢٠٣هـ)^(١)، وكتابي «الخراج»، و«كتاب الأموال» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)^(٢).

هذا مع وجود مصنفات في اللغة، والتاريخ، والطبقات والتراجم، والأنساب، وغيرها من أبواب العلم.

بل حُفظت أحاديثهم؛ وُجمعت وصُنفت فيها المسانيد والمصنفات، فقد جُمعت أحاديث المكثرين منهم بمؤلفات مستقلة، وقال عثمان بن سعيد الدارمي: يقال: «من لم يجمع حديث هؤلاء الخمسة فهو مفلس في الحديث: الثوري، وشعبة، ومالك، وحماد بن زيد، وابن عيينة، وهم أصول الدين»^(٣). وأربعة من هؤلاء الخمسة من تلاميذ التابعين عراقيون.

كما جُمعت أحاديث بعضهم كمسانيد، مثل: «مسند حديث يحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب السخيتاني» لإسماعيل القاضي (ت ٢٨٢هـ)^(٤).

و«مسند حديث شعبة بن الحجاج بن الورد»، و«مسند حديث سفيان بن سعيد الثوري» جميعًا للنسائي (ت ٣٠٣هـ)^(٥).

و«مسند حديث شعبة وسفيان الثوري مما رواه شعبة ولم يروه سفيان أو رواه سفيان ولم يروه شعبة من الحديث أو الرجال وهو كتاب الأعراب». للنسائي (ت ٣٠٣هـ)^(٦)، و«مسند حديث يحيى بن سعيد القطان». للنسائي (ت ٣٠٣هـ)^(٧).

(١) ابن النديم: الفهرست ٢٧٩.

(٢) أكرم العمري: موارد الخطيب ٢١٧-٢١٩؛ ابن النديم: الفهرست ٩٧.

(٣) السخاوي: فتح المغيث ٣/٣٢٥.

(٤) ابن خير الإشبيلي: الفهرست ١٢٤.

(٥) ابن خير الإشبيلي: الفهرست ١٢٢.

(٦) ابن خير الإشبيلي: الفهرست ١٢٣.

(٧) ابن خير الإشبيلي: الفهرست ١٢٤.

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

و«مسند حديث شعبة بن الحجاج»، و«مسند حديث سفيان الثوري». للدولابي (ت ٣١٠هـ)^(١).

و«كتاب مسند شعبة» بن الحجاج البصري، (ت ١٦٠هـ)، و«كتاب مسند سفيان» بن سعيد الثوري الكوفي، (ت ١٦١هـ)، و«كتاب مسند الأعمش» الكوفي، (ت ١٤٨هـ)، كلها للطبراني (ت ٣٦٠هـ)^(٢).

أو كحديث، أو أحاديث، مثل: حديث «يحيى بن سعيد» القطان البصري، (ت ١٩٨هـ)، للطبراني (ت ٣٦٠هـ)^(٣). و«أحاديث سليمان بن مهران الأعمش» الكوفي، (ت ١٤٨هـ)، لأبي بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ)^(٤).

ولئن كان فيما سبق من حديث عن أتباع التابعين في العراق، من خلال كثرة أعدادهم، أو بروز أئمة كبار منهم صاروا أئمة العلم، فإن في التعريف ببعض مشاهير هؤلاء الأئمة، تقديم نماذج لهذا الأثر الكبير الذي تركه تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق في نشر علمهم.

ومنهم منصور بن المعتمر السلمى الكوفي (ت ١٣٢هـ)، الحافظ، الثبت، القدوة^(٥)، ثقة، ثبت في الحديث، له أقل من ألفي (٢٠٠٠) حديث^(٦)، قال ابن مهدي: «لم يكن بالكوفة أحد أحفظ من منصور»^(٧).

(١) ابن خير الإشبيلي: الفهرست ١٢٣.

(٢) الكتاني: الرسالة المستطرفة ١١١.

(٣) الكتاني: الرسالة المستطرفة ١١١.

(٤) الكتاني: الرسالة المستطرفة ١١٠.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٠٢/٥.

(٦) العجلي: الثقات ٤٤١، المزني: تهذيب الكمال ٥٥٤/٢٨.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٥.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

ومنهم عبدالله بن شبرمة الضبي القاضي الكوفي (ت ١٤٤هـ)، الإمام، العلامة، فقيه العراق^(١)، وكان من أئمة الفروع^(٢)، وكان ابن شبرمة، ومغيرة، والحارث العكلي، والقعقاع بن يزيد وغيرهم، يسمرون في الفقه، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا النداء بالفجر^(٣).

ومنهم إسماعيل بن أبي خالد الكوفي (ت ١٤٦هـ)، الحافظ، الإمام الكبير، كان محدث الكوفة في زمانه مع الأعمش^(٤) قال الشعبي: «إسماعيل يحسو العلم حسوا»^(٥)، قال سفيان الثوري: «الحفاظ عندنا أربعة: عبد الملك بن أبي سليمان، وإسماعيل بن أبي خالد، وعاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصاري»^(٦).

ومنهم سليمان بن مهران الأعمش الكوفي (ت ١٤٨هـ)، الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، الحافظ^(٧)، وكان كثير الحديث، وكان عالماً بالقرآن رأساً فيه^(٨)، قال يحيى القطان: «هو علامة الإسلام»^(٩)، وكان شعبة إذا ذكر الأعمش، قال: المصحف المصحف^(١٠)، وله نحو ألف وثلاثمئة (١٣٠٠) حديث^(١١).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/٣٤٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/٣٤٨.

(٣) المزي: تهذيب الكمال ١٥/٧٩.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/١٧٦.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/١٧٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٤٤.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/٢٢٦-٢٢٧.

(٨) العجلي: الثقات، ٢٠٥.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/٢٢٨.

(١٠) وذلك من صدقه. المزي: تهذيب الكمال ١٢/٨٦.

(١١) المزي: تهذيب الكمال ١٢/٨٣.

ومنهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (ت ١٥٠هـ)، الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، وإمام أصحاب الرأي^(١)، قال عبدالله بن المبارك: «وأما أئمة الناس فأبو حنيفة ثم قال: ما رأيت في الفقه مثله»^(٢)، قال يحيى بن معين: «كان أبو حنيفة ثقة في الحديث»^(٣).

ومنهم سفيان بن سعيد الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ)، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، المجتهد، مصنف كتاب (الجامع)^(٤)، وكان ثقة مأموناً ثبتاً، كثير الحديث، حجة^(٥)، قال ابن عيينة: «ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري»^(٦)، وهو «أمير المؤمنين في الحديث»^(٧)، وقيل: «أصحاب الحديث ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه»^(٨).

ومنهم القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي (ت ١٨٢هـ)، الإمام، المجتهد، العلامة، المحدث، رئيس القضاة^(٩)، قال ابن معين: أبو يوسف صاحب حديث، صاحب سنة^(١٠).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٦٨.

(٢) المزي: تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٣٠.

(٣) المزي: تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٢٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٧١.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٨.

(٧) من قول شعبة، وسفيان بن عيينة، وأبي عاصم النبيل، ويحيى بن معين، وغير واحد من العلماء. المزي:

تهذيب الكمال ١١/ ١٦٤.

(٨) من قول سفيان بن عيينة. المزي: تهذيب الكمال ١١/ ١٦٦.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٥، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٣٠.

(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٧.

الفصل الثالث

تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم

ومنهم وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي (ت ١٩٧ هـ)، الإمام، الحافظ، محدث العراق^(١)، كان ثقة، مأموناً، عالمًا، رفيعًا، كثير الحديث حجة^(٢)، قال أحمد بن حنبل: «ما رأيت قط مثل وكيع في العلم، والحفظ، والإسناد، والأبواب، مع خشوع وورع»^(٣).

وغيرهم كثير من أهل العلم في العراق من تلاميذ التابعين من أئمة الإقراء والتفسير، والحديث والرواية، والفقه والفتيا من الكوفيين، مع أمثالهم من البصريين.

ومنهم عاصم بن سليمان الأحول البصري (ت ١٤٢ هـ)، الإمام، الحافظ، محدث البصرة^(٤)، وكان ثقة، وكان على الحسبة في الكوفة، وعلى قضاء المدائن في خلافة أبي جعفر^(٥)، قال سفيان الثوري: «الحفاظ عندنا أربعة: عبد الملك بن أبي سليمان، وإسماعيل بن أبي خالد، وعاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصاري»^(٦).

ومنهم أيوب السخيتاني البصري (ت ١٣١ هـ)، الإمام، الحافظ، سيد العلماء^(٧)، كان ثقة ثبتًا في الحديث، جامعًا، عدلًا، ورعًا، كثير العلم، حجة^(٨)، قال شعبة: «سيد الفقهاء»^(٩)، له نحو ثمانمئة (٨٠٠) حديث^(١٠).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤١، وهو غير الملقب بوكيع (ت ٣٠٦ هـ) صاحب كتاب أخبار القضاة.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٩٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ١٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣١٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٤٤.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٤٦.

(٩) أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٤، الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ١٠٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ١٩.

(١٠) المزي: تهذيب الكمال ٣/ ٤٦٠.

ومنهم معمر بن راشد الأزدي البصري (ت ١٥٤هـ)، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام^(١)، قال النسائي: معمر بن راشد الثقة المأمون^(٢).

ومنهم سعيد بن أبي عروبة البصري، (ت ١٥٦هـ)، الإمام، الحافظ، عالم أهل البصرة، وأول من صنف السنن النبوية، وكان من بحور العلم^(٣)، وكان ثقة، كثير الحديث^(٤)، قال أبو عوانة: لم يكن عندنا في ذلك الزمان أحد أحفظ من سعيد بن أبي عروبة^(٥).

ومنهم شعبة بن الحجاج البصري الواسطي (ت ١٦٠هـ)، الإمام، الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث^(٦)، له نحو ألفي (٢٠٠٠) حديث^(٧)، قال الذهبي: «ما أظنه إلا يروي أكثر من ذلك بكثير»^(٨).

ومنهم حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت ١٦٧هـ)، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام^(٩)، ثقة، كثير الحديث^(١٠)، وكان من أئمة الدين^(١١)، وعند يحيى بن الضريس عنه أن له عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) حديث^(١٢).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٧.

(٢) المزي: تهذيب الكمال ٣١٠/٢٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤١٣/٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٧٣/٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤١٤/٦.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٧، وكان ثقة مأموناً ثبتاً، صاحب حديث، حجة، ابن سعد:

الطبقات الكبرى ٢٨٠/٧، المزي: تهذيب الكمال ٤٩٤/١٢.

(٧) المزي: تهذيب الكمال ٤٨٩/١٢.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠٣/٧.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٤٤/٧.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٨٢/٧.

(١١) من قول الحجاج بن المنهال. المزي: تهذيب الكمال ٢٦٣/٧.

(١٢) المزي: تهذيب الكمال ٢٦٣/٧، قال الذهبي: يعني: بالمقاطيع والآثار. سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٧.

ومنهم أبو عوانة الوضاح بن عبدالله الواسطي البصري (ت ١٧٦هـ)، الإمام، الحافظ، الثبت، محدث البصرة^(١)، وكان ثقة صدوقاً^(٢).

ومنهم حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري (ت ١٧٩هـ)، العلامة، الحافظ، الثبت، محدث الوقت^(٣)، و«كان ثقة، ثبتاً، حجة، كثير الحديث»^(٤)، قال أحمد: «من أئمة المسلمين، من أهل الدين»^(٥)، وقيل: «أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة»^(٦).

ومنهم يزيد بن زريع العيشي البصري (ت ١٨٢هـ)، الحافظ، الموجود، محدث البصرة^(٧)، قال أحمد: «كان ريحانة البصرة»^(٨)، وكان ثقة حجة، كثير الحديث^(٩).

ومنهم ابن علية إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري (ت ١٩٣هـ)، الإمام، العلامة، الحافظ، الثبت^(١٠)، وكان فقيهاً، إماماً، مفتياً، من أئمة الحديث^(١١)، قال شعبة: «ريحانة الفقهاء وسيد المحدثين»^(١٢).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ٢١٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٧/ ٢٨٦، المزي: تهذيب الكمال ٧/ ٢٥٠.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٥٨.

(٦) من قول عبدالرحمن بن مهدي. المزي: تهذيب الكمال ٧/ ٢٤٥.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، الرسالة ٨/ ٢٩٦.

(٨) المزي: تهذيب الكمال ٣٢/ ١٢٧.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨٩، المزي: تهذيب الكمال ٣٢/ ١٢٩.

(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٠٧.

(١١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٠٨.

(١٢) المزي: تهذيب الكمال ٣/ ٢٧-٢٨.

ومنهم يحيى بن سعيد القطان البصري (ت ١٩٨هـ)، الإمام الكبير، الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث^(١)، و«كان ثقة، مأموناً، رفيحاً، حجة»^(٢)، قال أحمد: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان^(٣)، وقيل عنه: «إمام أهل زمانه»^(٤)، و«أدخل عبدالرحمن بن مهدي في تصنيفه ألفي حديث ليحيى بن سعيد القطان وهو حي، فكان يحدث بها عنه وهو حي»^(٥).

ومنهم عبدالرحمن بن مهدي العنبري البصري (ت ١٩٨هـ)، الإمام، الناقد، المجود، سيد الحفاظ^(٦)، وكان إماماً، حجة، قدوة في العلم والعمل^(٧)، «وكان ثقة كثير الحديث»^(٨)، قال الشافعي: «لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن»^(٩).

هذه كوكبة من مشاهير أتباع التابعين في العراق، ويتضح من خلالها الأثر الكبير الذي تركه تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق في نشر علمهم.

ومما يؤكد هذا الأثر لتلاميذ الصحابة ﷺ في العراق في نشر علمهم؛ ما مر معنا عن نقل علم ابن مسعود وفقهه حيث تم نقله عبر طبقات التابعين إلى أتباعهم حتى أبي

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٩٣، المزي: تهذيب الكمال ٣١/ ٣٤٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٧.

(٤) المزي: تهذيب الكمال ٣١/ ٣٣٩.

(٥) المزي: تهذيب الكمال ٣١/ ٣٣٦.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، الرسالة ٩/ ١٩٢-١٩٣.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٤.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٩٧، المزي: تهذيب الكمال ١٧/ ٤٤٢.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٤.

حنيفة، وأقرانه^(١).

وبعد أن أنهينا مباحث هذا الفصل: تلاميذ الصحابة ﷺ في العراق والرواة عنهم،
نتقل إلى الفصل الرابع وهو الحياة الاجتماعية للصحابة ﷺ في العراق.

* * *

(١) حتى إنهم كانوا يقولون: «إذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى ابن مسعود، أشبه الناس به سمًا وهديًا، وإذا رأيت إبراهيم فلا يضرك ألا ترى علقمة». ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٧٧/٧، مجلة البحوث الإسلامية ٦/٢١٥ - ٢١٦، وتناقله ابن مسعود إلى تبع الأتباع يؤكد ما جاء عند ابن المديني (ت ٢٣٤ هـ) عن أصحاب عبدالله وأعلم الناس بهم، فذكر أن من أخذ عنهم ممن يقول بقولهم ويفتي بفتواهم اثنان: إبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٦ هـ)، وعامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣ هـ). وأعلم الناس بهؤلاء من أهل الكوفة ممن يفتي بفتواهم ويذهب مذهبهم اثنان: سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨ هـ)، وأبو إسحاق عمرو بن عبدالله السبيعي (ت ١٢٩ هـ). ثم ذكر بعد هؤلاء التابعين سفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١ هـ)، إذ كان يذهب مذهبهم ويفتي بفتواهم، ومن بعده يأتي يحيى بن سعيد القطان البصري (ت ١٩٨ هـ)، كان يذهب مذهب سفيان الثوري وأصحاب عبدالله بن مسعود. وابن المديني لكونه محدثًا يذكر أبا إسحاق السبيعي مع الأعمش دون غيره أمثال حماد بن أبي سليمان، كما أنه معني بذكر أعلم الناس من كل طبقة فيكتفي بواحد أو اثنين. ابن المديني: العلل ٤٢ - ٤٤، محمد بن مطر الزهراني: علم الرجال نشأته وتطوره ٣١٢ - ٣١٤.

الفصل الرابع: الحياة الاجتماعيّة للصحابة ؓ في العراق

- « المبحث الأول: مكونات مجتمع العراق بعد الفتح.
- « المبحث الثاني: مكونات مجتمع الصحابة ؓ في العراق (الزوجات، الأولاد، الموالي).
- « المبحث الثالث: مساكن الصحابة ؓ في مدن وبلدات العراق.
- « المبحث الرابع: صلة الصحابة ؓ بفئات المجتمع.
- « المبحث الخامس: مدى تأثير الصحابة ؓ بمجتمع العراق.

على الرغم من أهمية الجوانب الاجتماعية في حياة الأمم، إلا أن المصادر التاريخية تعاني من نقص وشح في المعلومات عن الحياة الاجتماعية؛ لأن أغلب المؤرخين شغلوا بالجوانب السياسية وأحوال الدول والملوك والقادة، وأخبار المعارك والنزاعات والفتن، وأهملوا الجوانب الحضارية، وخاصة الاجتماعية منها.

ومن أجل ذلك يلجأ الدارسون عادة إلى استنطاق الآثار من مبان، وآنية، وتحف، وعملات، وما عليها من كتابات، ونقوش، ورسوم، إلى جانب ما يجدون من أخبار هنا وهناك في كتب الأدب والسمر، ويحاولون من خلال ذلك كله رسم معالم الحياة الاجتماعية، بل الفكرية للعصر الذي يريدون دراسته، ومن ثم يبقى كثير من النتائج التي يتوصل إليها أولئك الباحثون محل نظر لضعف درجة الوثوق بها^(١).

أما عن الجوانب الحضارية، ومنها الاجتماعية في عصر الراشدين ﷺ، ففي كتب السنة مادة غزيرة وموثوقة عن هذه الجوانب من تاريخ الصحابة ﷺ، «وهي معروضة بأسلوب جذاب رائع واقعي حي، وفيها لوحات فنية تبرز المعاني المجردة التي تقوم عليها الحياة الكريمة بصورة حسية معبرة مبيّنة»^(٢).

وتأتي بعدها كتب الآثار، المصنف لابن أبي شيبة، والمصنف لعبد الرزاق، والسنن الكبرى للبيهقي حيث تضمنت جوانب مهمة من الأحكام التفصيلية للحياة الاجتماعية، وقدراً كبيراً من آثار الصحابة ﷺ فيها.

وفي كتب التراجم وفي مقدمتها، كتب الصحابة ﷺ، وطبقات ابن سعد، وحلية أبي نعيم، وسير الذهبي، وكتب الرجال، مادة قيمة وثريّة في الحياة الاجتماعية للصحابة ﷺ، مما لا يتوافر في غيرها.

(١) محمد بن لطفی الصباغ: الحياة الاجتماعية في ضوء السنة ٥-٦.

(٢) محمد بن لطفی الصباغ: الحياة الاجتماعية في ضوء السنة ٧.

وفي كتب التاريخ العام وفي مقدمتها الطبري، وكتب الفتوح وفي مقدمتها البلاذري، معلومات مهمة وجيدة في هذه الجوانب من تاريخ الصحابة  .

وتأتي بعد ذلك كتب الخراج والأموال حيث تحوي الكثير من المعلومات المفيدة في الحياة الاجتماعيَّة للصحابة  .

وتأتي مصادر أخرى بدرجة تالية بعد هذه المصادر، من كتب البلدان، والأنساب، وغيرها من المصادر.

ولاشك أن تلك المصادر لا تعطي معلومات شاملة في الجانب الاجتماعي، إلا أنها تقدم مادة غنيَّة في الجوانب الحضاريَّة، ومنها الاجتماعيَّة.

* * *

المبحث الأول

مكونات مجتمع العراق بعد الفتح

أصبح العراق بعد الفتح الإسلامي خاضعاً للمسلمين؛ ومع هذا بقي التنوع القومي والديني قائماً في مجتمع العراق، من العرب والعجم، ومن المسلمين، والنصارى، والمجوس، والصابئة، وغيرهم.

وأصبح مجتمع العراق بعد الفتح الإسلامي يقوم على مكونين: مسلمين، وأهل ذمة. والمسلمون: عرب، وعجم. وأهل الذمة: عرب وعجم، إلا أن غالبيتهم من العجم.

والعرب: عرب ما قبل الفتح، وعرب ما بعد الفتح.

والعجم: فرس، وهنود، وترك. وفيهم: الموالي، والرقيق، وأهل الذمة.

وسوف نتناول هذه الفئات بشيء من التفصيل:

أولاً: العرب:

العرب منهم عرب ما قبل الفتح، فهناك قبائل عربية اشتهرت في العراق قبل الإسلام، وكانت موجودة عند وصول جيوش الفتح الإسلامي إليه، وقد سبق الحديث عنها في المبحث الثالث من التمهيد، على أن أهمها:

إياد، وتغلب بن وائل، وبكر بن وائل، ومنهم بنو عجل، ولخم؛ ومنهم آل (المنذر)، وطى، ومنهم قبيصة الطائي عامل كسرى على الحيرة يوم فتحها المسلمون، وتَنُوخ، وتميم، والأزد، وقنص بن معد، والغالبية منهم دخلوا في الإسلام، وبقيت جماعات

منهم على دياناتهم المختلفة من النصرانية، والصابئة، وغيرها، وقد خضعوا للمسلمين فصاروا أهل ذمة^(١).

أما عرب الفتح؛ وهم الفاتحون والقادمون بعد الفتح ممن استوطن العراق، فقد كانوا من قبائل شتى، وفي مقدمتهم الصحابة الكرام ﷺ، من المهاجرين والأنصار؛ ومن أبناء القبائل خارج مكة والمدينة، وكذلك أبناء هؤلاء وأمثالهم من التابعين، وقد ورد ذكرهم في ثنايا الكتاب. ومع أن عدد الذين نزلوا العراق واستوطنوه من الصحابة ﷺ قد تجاوز الألف، فإن عدد من ترجم لهم ابن سعد يزيد عن (٣٠٠) صحابي.

وكان للكوفة والبصرة النصيب الأكبر من الفاتحين والقادمين من جزيرة العرب بعد الفتح، وكانت العشيرة هي الوحدة الأساسية في الجيش، وفي الاشتراك في الحروب، وهي أصغر وحدة عسكرية في ميدان القتال، كما ظلت هي المكون الأساس في التنظيم الاجتماعي والمالي والإداري^(٢).

وأمام استقرار فتوح العراق سنة (١٧هـ) بعد معركة جلولاء، وفتح كور دجلة، أمر عمر بالتوقف عن الفتح وعدم التعمق بأرض العدو وبضرورة اتخاذ دور إقامة، ومراكز ثابتة للمجاهدين في الكوفة وفي البصرة، وجاء الإذن واحدًا لسعد ولعتبة بأن تختط كل قبيلة خطة خاصة بها، وبالبناء باللبن، وذلك ضمن تفكير استراتيجي يبدأ الاستقرار في معسكرات ثابتة، لاستقبال المجاهدين، لتكون هذه مراكز تنظيم وانطلاق لمناطق جديدة^(٣).

(١) تقدم بيان ذلك.

(٢) جاسم علي. موسوعة البصرة الحضارية: الموسوعة التاريخية، «البصرة في العصر الأموي»، ص ٤١.

(٣) خليفة بن خياط: التاريخ ١/١٢٨-١٢٩، ١٣٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٧٩، ٢٨/٤،

٤٤/٤؛ أبو يوسف: الخراج ٣٠؛ جمال جودة: العرب والأرض ١٥٣، ١٦١.

وقد روعي في اختيار موقعي الكوفة والبصرة سهولة صلتها بمركز الخلافة، ووقوعهما على الطرق الرئيسة التي تربط الجزيرة العربية بالعراق، وقربهما من منازل القبائل، ومن ثم يحكمون السيطرة من الناحية الاستراتيجية على العراق ومدخله؛ وهذا ما يفسر أهمية النواحي العسكرية في اختيار أماكن هذه الأمصار، حتى إن الروايات تصف هذه الأمصار ابتداء بأنها كانت دور هجرة ومنازل جهاد^(١).

وأصبحت هذه الأمصار قواعد للإقامة الدائمة للفتاحين وعيالاتهم، ومراكز لإقامة الولاية وما يتصل بهم من دواوين؛ كون كل واحدة منها تعد مركزاً إدارياً لأقاليم واسعة، كما أن أهلها من العرب المسلمين، ولكل منهما خصائص مشتركة^(٢).

أما الكوفة فبعد معركة جلولاء سنة (١٧هـ) أمر سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ) باتخاذ دار إقامة للمسلمين، وتم اختيار موضع الكوفة فخرج المسلمون من المدائن ونزلوا الكوفة، وقد جاء أن سعد بن أبي وقاص اختط موضع المسجد الجامع على أربعين ألف إنسان (٤٠,٠٠٠) من جنود الفتح^(٣)، واستمر هذا العدد للمجاهدين في الكوفة، حيث جاء في غزو أذربيجان، وأرمينيا سنة (٢٤هـ) أنه كان بالكوفة (٤٠,٠٠٠) من المجاهدين، وأنه كان يغزوهم من كل سنة (١٠,٠٠٠)^(٤).

وتكاثر سكان الكوفة مع تتابع النزوح إلى العراق، حتى بلغ عدد مقاتلة الكوفة

(١) انظر: الدينوري: الأخبار الطوال ١٢٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٧٩؛ جمال جودة: العرب والأرض ١٥٧.

(٢) صالح أحمد العلي: امتداد العرب، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٢٣.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٤٩١؛ وانظر: العلي: امتداد العرب ٢٥، وقيل اختطت على ١٠٠,٠٠٠ مقاتل. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٦٥، ابن الأثير: الكامل ٢/٤١٤، ابن كثير:

البداية والنهاية ١٠/١٦٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٤٦.

زمن زياد (٦٠,٠٠٠) وعيالهم (٨٠,٠٠٠)^(١).

وقسمت الكوفة عند تخطيطها زمن الفاروق إلى أسباع، وهي كما يلي:

١ / قسمت كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم، وجديلة سبعا.

٢ / قسمت قضاة، وبجيلة، وخثعم، وكندة، وحضرموت، والأزد سبعا.

٣ / قسمت مذحج، وحمير، وهمدان وحلفاؤهم سبعا.

٤ / قسمت تميم وسائر الرباب، وهوازن سبعا.

٥ / قسمت أسد، وغطفان، ومحارب، والنمر، وضيبة، وتغلب سبعا.

٦ / قسمت إياد، وعك، وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سبعا.

«فلم يزالوا بذلك زمان عمر وعثمان وعلي، وعامة إمارة معاوية، حتى ربّعهم زياد»^(٢).

وهذه ستة أسباع، أما السابع فلم أقف له على ذكر في المصادر، وقد حاول بعض الباحثين تحديده ولكن ليس هناك ما يؤكد ما ذهبوا إليه^(٣).

وعلى أساس هذا التقسيم القبلي ظهرت وظائف اجتماعية عدة، من أهمها: أمراء الأسباع، والعرفاء.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/٤٣٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٨، وربّعهم: جعل الكوفة أربع.

(٣) انظر مثلاً: ما ذكره لويس ماسينيون: خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة: تقي بن محمد المصعبي، ط: الأولى، دار الوراق - بيروت، (د. ت)، ص ١٩-٢١؛ والإشارة إلى الأسباع جاءت عند الطبري ٤/٤٩، ٥/٧٩؛ ابن الأثير: الكامل ٢/٦٩٠، ٧٤٩؛ لكن عدها وذكرها لم أقف عليه إلا عند الطبري في الموضوع السابق.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية للصحابة ﷺ في العراق

أما أمراء الأسباع أو رؤوس الأسباع^(١) فهم على الأسباع التي قسمت عليها قبائل الكوفة عند تخطيطها الذي وضعه سعد بن أبي وقاص، حيث استمر هذا التقسيم على مدى ثلاثين عاماً من نشأتها حتى ربّعها زياد سنة (٥٠هـ).

وهؤلاء الأمراء يتم اختيارهم من أصحاب البأس والنجدة والتجربة في الحرب، من فرسان الناس ووجهائهم وأولي الفضل منهم، فيقودونهم في الحروب ويديرون شؤونهم في السلم؛ فهم الواسطة بين الأمير والقبيلة وعن طريقهم يوزع العطاء وتنقل التعليمات^(٢).

ومن الوظائف الاجتماعية التي ظهرت: العرفاء، والعرافة، وهي معروفة قبل الإسلام، كما وجدت في عصر الرسالة^(٣)، ووجدت العرافة في عصر الراشدين ﷺ^(٤).

والعرفاء يستعين بهم الأمير مع أمراء الأسباع في المهام العسكرية والإدارية، حيث توزع القبيلة إلى وحدات صغيرة يكون عليها عريف يوزع العطاء على أهله^(٥).

قال عطية بن الحارث الكوفي: «قد أدركت مائة عريف، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة، وكان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم»^(٦).

(١) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٩، ٥/٧٩.

(٢) محمد الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ٤٨-٤٩.

(٣) في الحديث: «فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم». أخرجه البخاري (٧١٧٦) ٩/٧١؛ وانظر: أبو داود: السنن (٢٦٩٣) ٣/٦٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٩.

(٥) محمد الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ٥٠-٥١.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٩؛ وعطية بن الحارث الهمداني الكوفي، وهو أبو بروق، من أتباع التابعين وهو صاحب التفسير. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٦٩.

وأما البصرة فقد نزلها عتبة بن غزوان (ت ١٧هـ)، سنة (١٤هـ)^(١) بجنده وكانوا أكثر من (٣٠٠)، وقيل (٥٠٠)، فكان عددهم في البداية قليل؛ ذلك أن مهمتهم مساندة الفاتحين ومنع الفرس في تلك النواحي من إمداد إخوانهم على المسلمين؛ كما طلب الخليفة^(٢). وقد ازدادت أهمية البصرة بعد ذلك وازدادت أعداد جنودها، فبعد تمصير الكوفة واستقرار جيوش الفتح فيها، وتمصير البصرة؛ ازدادت أهمية البصرة فأُسند إليها فتوح الأهواز وفارس، وما والاها، حيث تتابعت إليها الهجرات من شرق جزيرة العرب وأواسطها^(٣). وتتابعت إليها الإمدادات من المدينة، فكثرت أعداد مجاهديها، فبعد فتح سوق الأهواز سنة (١٧هـ) بعث عتبة بن غزوان وفدًا إلى عمر فيهم الأحنف ابن قيس (ت ٧١هـ) وشكّاله حال أهل البصرة وقلة عطائهم، فجعل عمر (٤٠,٠٠٠) من أهل البصرة من أهل البلاء^(٤).

ذلك أن الانتصارات وظهور الإمكانيات الجديدة أدى إلى قدوم أعداد كبيرة من تميم، وبكر بن وائل، وغيرهم من أبناء القبائل في البوادي المجاورة، وربما أصبح معه المهاجرون والأنصار قلة في نهاية ولاية المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ)، وهو ما جعل أبا موسى الأشعري (ت ٤٤هـ) يقول لعمر حين بعثه للبصرة سنة (١٧هـ): أعني بعدة من

(١) اختلفوا في تمصير البصرة، ما بين سنة (١٤هـ) إلى (١٧هـ)، والذي يظهر أن نزولها من عتبة وجيشه وكانت الأبله سنة (١٤هـ)، وتخطيطها وتمصيرها والسياح بالبناء كان مع الكوفة سنة (١٧هـ). انظر:

الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٩٠-٥٩٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٩١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٧٩، ٤/ ٢٨، ٤/ ٤٤.

(٤) وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفًا، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء في الألفين حتى ساواهم بهم، ألحق جميع من شهد الأهواز. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٧٥.

أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فإني وجدتهم في هذه الأمة وهذه الأعمال كالمح لا يصلح الطعام إلا به، قال له: فاستعن بمن أحببت، فاستعان بتسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر^(١).

وزيادة سكان البصرة مع استمرار الفتوحات، يفسر توسعة أبي موسى الأشعري لمسجد البصرة في هذه الفترة^(٢).

ويشير أحدهم إلى أن ابن سعد ذكر أسماء رجال يتمون إلى (٤٠) عشيرة ممن استوطنوا البصرة في عهد أبي موسى^(٣)، وأن عدد أفراد العشيرة يقارب (١٠٠٠) رجل ممن هم في ديوان العطاء فقط^(٤)، فيكون عدد مقاتلة البصرة (٤٠,٠٠٠) رجل.

وأصبح غالبية سكان البصرة من أبناء القبائل العربية التي هاجرت إليها من شمال جزيرة العرب وشرقها؛ ولذا غلب على سكانها الأعراب في وقت مبكر من نشأتها، كما في مقولة الفاروق لأنس بن مالك، فحين بعث أبو موسى الأشعري أنس بن مالك (ت ٩٣هـ) إلى عمر قال له الفاروق: «كيف تركت الأعراب؟ قلت: الأشعريين؟ قال: بل أهل البصرة، قلت: أما إنهم لو سمعوا هذا لشق عليهم. قال: ولا تُبلِّغهم فإنهم أعراب، إلا أن يرزق الله رجلاً جهاداً في سبيل الله»^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٧١/٤؛ ابن الأثير: الكامل ٣٦٣/٢؛ وانظر: الدينوري: الأخبار الطوال ١١٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٣٣٨.

(٣) صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ط: الثانية، دار الطليعة - بيروت، ١٩٦٩م، ص ٤١.

(٤) صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية ٥٠، حيث استنتج ذلك من الدية التي حددها عمر ب (١٢٠٠٠) درهم، والرجل يدفع أربعة دراهم سنوياً لمدة ثلاث سنوات.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٤٥/٢، ١٠٨/٤.

وتفيد إحدى الروايات بازدياد أعداد الفاتحين في البصرة، وعجز خراج فتوحها عن إعطياتهم وذلك سنة (٢١هـ)، حيث كتب عمر بن سراقه المخزومي^(١) - وهو يومئذ على البصرة - إلى عمر بن الخطاب يذكر له أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم^(٢).

وورد ذكر قبائل البصرة على رايات خمس حين خروجها إلى صفين أيام علي ابن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، وهم: أهل العالية، وبكر بن وائل، وتميم، وعبد القيس، والأزد^(٣). كما جاء ذكر الأخماس في البصرة في عهد علي عند البلاذري والطبري^(٤).

وكانت الأخماس كما يلي:

١/ تميم في الجنوب الغربي من البصرة، إذ تمتد إلى نهر الأساورة جنوبًا حيث حلفاؤهم من الهنود، وإلى المربرد غربًا حيث جبانة بني مازن من تميم.

٢/ بكر بن وائل في الشمال والشمال الغربي، وقصر أوس قرب المربرد أحد معالمه.

٣/ عبد القيس في شرق البصرة، عند نهر معقل، ودار الرزق، واختلطت خططهم بخطط بكر حيث امتدوا إلى الزابوقة.

٤/ أهل العالية من قريش وقيس عيلان وغيرهما، ومنازلهم ممتدة إلى الجنوبي الشرقي من البصرة، وثقيف قرب المسجد.

(١) له ذكر في فتوح الأهواز، وتستر، والجزيرة، وتولى إمارة البصرة. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٨٦، ١٦٥، ١٣٨، ٨٦/٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٦١/٤؛ ابن الأثير: الكامل ٤١٢/٢؛ جمال جودة: العرب والأرض في العراق ١٦١.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٢/٢٩٥.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ٢/١٧٢، ١٧٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/١٤٢.

٥/ الأزدي في الجنوب الغربي من المدينة، قرب وادي العقيق، حيث إنهم وفدوا على البصرة متأخرين^(١).

وذكر بعضهم أن مقاتلة البصرة المسجلين في العطاء في خلافة علي بن أبي طالب (٦٠, ٠٠٠)^(٢).

واستمرت الأخماس في البصرة زمن زياد^(٣)، وكانت مقاتلة العرب في البصرة أيام زياد (٨٠, ٠٠٠)، وعيالاتهم (١٢٠, ٠٠٠)^(٤).

وهذه الأعداد الكبيرة في الكوفة والبصرة من المقاتلين، ومعهم أهليهم وأولادهم، ومن لم يسجل في العطاء، كل ذلك ينبي عن تجمع سكاني كبير في هذين المصرين زمن الراشدين ﷺ.

ولقد أقام الفاتحون في العراق مجتمعاً جديداً، حيث أسسوا حياة جديدة، فإن ما حصل في الكوفة والبصرة في عهد الراشدين ﷺ مثل صورة اجتماعية جديدة، وأسس لحياة مدنية جديدة عمادها العقيدة والدين، فالعرب الفاتحون قدموا العراق بقبائلهم المختلفة، حيث إن الجيوش والأمداد التي تبعث تباعاً كانت من أخلاط القبائل، وذلك «أن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقهاء»^(٥)، فبعثهم لميادين الجهاد، ولم يكن الاعتبار الأول المكانة القبليّة، ولم يكن ولاء تلك الجيوش والأمداد إلا للإسلام والإيمان، فاندمجوا في مجتمع واحد حيث جمعهم الدين والدعوة إليه والجهاد في سبيله.

(١) أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة، (د. ط.)، دار المعارف - مصر، (د. ت)، ص ٦٩.

(٢) صالح أحمد العلي: امتداد العرب ٢٦؛ التنظيمات الاجتماعية ٤٣.

(٣) عمر العقيلي: خلافة معاوية، ط: الأولى، (د. ن)، الرياض - ١٤٠٤ هـ، ص ٨٨٧٨.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٠ - ٣٤١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٤٣٤.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٨٦.

كما وقع التزاوج بين القبائل فقامت أوامر المصاهرة بينها، حيث قدمت بعض القبائل بنسائها، وأعداد كبيرة منهم بلا أزواج^(١) وكل هذا أسس لمجتمع جديد ضعف معه سلطان القبيلة؛ وظهرت مصطلحات اجتماعية جديدة تعود للمدينة، فيقال أهل الكوفة، وأهل البصرة^(٢).

ثانياً: العجم:

إلى جانب العرب توجد مكونات سكانية أخرى لمجتمع العراق بعد الفتح الإسلامي من العجم، منهم من سكن العراق قبل الفتح، ومنهم من سكنه بعد الفتح، من الفرس، والترك، والهنود، وغيرهم؛ من الدهاقين، والأساورة، والزط، والسيابجة، والديلم، وسواهم، وفيهم: الموالي، والرقيق، وأهل الذمة^(٣).

ولقد كانت أعداد العجم في العراق بعد الفتح كثيرة، ففي السواد وحده بلغ عدد أهل الذمة ممن خضعوا للمسلمين وأخذت منهم الجزية (٥٥٠, ٠٠٠) علج، وقد بلغت جزيتهم (١٠٠) مليون درهم^(٤)، وجاء عند أبي يوسف أنهم (٥٠٠, ٠٠٠)

(١) إذ لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع، وكان في النخع سبعمائة امرأة فارغة، وفي بجيلة ألف، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب، وهؤلاء سبعمائة، وكانت النخع تسمى أصهار المهاجرين، وبجيلة الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨١؛ انظر: ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٦٥/ ١٠٠.

(٢) محمد الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ٥٥-٥٨.

(٣) وسيرد التعريف بالموالي ص ٣٨٨.

(٤) حيث أخذ عثمان بن حنيف الجزية على رقابهم. البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٦، وقد تكررت الأحاديث في ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكها وهي في الأصل العنق، فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان؛ تسمية للشيء ببعضه، فإذا قال: أعتق رقبة، فكأنه قال أعتق عبداً أو أمة. ومنه حديث ابن سيرين «لنا رقاب الأرض» أي نفس الأرض، يعني ما كان من أرض الخراج فهو للمسلمين، ليس لأصحابه الذين كانوا فيه قبل الإسلام شيء؛ لأنها فتحت عنوة. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٤٩/٢.

علج^(١).

ويؤكد هذا أن عمر أراد أن يقسم أهل السواد بين المسلمين وأمر بهم أن يحصوا، فوجدوا الرجل المسلم يصيبه ثلاثة من الفلاحين - يعني العلوج -، فشاور أصحاب النبي ﷺ في ذلك فقال عليٌّ: دعهم يكونون مادة للمسلمين^(٢).

وقد يستدل بذلك على عدد المسلمين المراد قسمتهم عليهم آنذاك، فلو أخذنا بأنهم (٥٥٠) ألف، فسيكون عدد المسلمين، أكثر من (١٨٣, ٠٠٠) مسلم، ولو أخذنا بأنهم (٥٠٠) ألف، فعدد المسلمين أكثر من (١٦٦, ٠٠٠) مسلم، والأظهر أنهم أهل العراق والمدينة.

وكذا من وراء دجلة من العجم ممن خضع للمسلمين حيث إن أعدادهم كبيرة، فبعد جلولاء، أمر سعد بإحصاء من وراء المدائن، فوجدهم أكثر من (١٣٠, ٠٠٠)، «ووجد قسمتهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهلهم، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن أقر الفلاحين على حالهم، إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك فأدركته»^(٣). ونقف على أهم هذه المكونات السكانية من العجم في العراق بعد الفتح، وسيكون على النحو التالي:

الفرس: وهم ضمن مجتمع العراق قبل الفتح حيث يقيمون في السواد والمقاطعات، ودخلت جماعات منهم في الإسلام رغباً أو رهباً، ذلك أن العامة من

(١) أبو يوسف: الخراج ١٤١.

(٢) البيهقي: السنن الكبرى (١٨٣٧٠) ٢٢٦/٩، والمدد: هو ما يكثر به ويزاد، ومادة للمسلمين، أي يعينونهم ويكثرون جيوشهم، ويتقنون بزكاة أموالهم. وكل ما أعنت به قومًا في حرب أو غيره فهو مادة لهم. ابن الأثير: النهاية ٣٠٧/٤ - ٣٠٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٠/٤.

الفرس قد تكون تقبلت الإسلام ووجدت فيه حريتها وتخلصها من التسلط والإذلال على أيدي زعماء الفرس.

وأما الخاصة من أصحاب السلطان والنفوذ، ففيهم من كان دخوله في الإسلام رغبة في الإبقاء على مصالحه مثل بعض: «الدهاقين، ورؤساء المقاطعات، وأبناء البيوتات، فقد أنفوا أن تسلب منهم سيظرتهم التي يعيشون بها ولها، ولذا حبب إلى فقام منهم أن يستجيبوا للإسلام، وربما كان ذلك منهم إسهاماً في النظام الجديد الذي يقيمه المسلمون الغالبون ومشاركة فيه والإبقاء على ما كان من حظوظهم في الحكم والإدارة»^(١).

وذلك أن بلادهم خضعت لحكم المسلمين، فلم يكن لعموم الفرس وسائر العجم إلا الخضوع للمسلمين؛ سواء أكان ذلك بدفع الجزية أم الدخول في الإسلام، حيث لم يكن أمامهم إلا الموافقة مع الوضع الجديد على اختلاف فيما بينهم في ذلك بين أن يدينوا بالإسلام قناعة، أو يستروا وراءه ميولهم وعواطفهم^(٢).

وعلى ضوء ذلك فإنه يمكن تحديد موقف الفرس من الإسلام على النحو التالي:

١/ هناك من دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم وحملوه وعلموه وذاذوا عنه، وبرز منهم علماء خدموا علوم الإسلام.

٢/ وهناك من اعتنقوا الإسلام نتيجة قناعة كاملة، لكنهم لم ينجحوا أن يتخلوا عن عقيدتهم الفارسية، وخيالهم الفارسي، وتراثهم الماضي، وهؤلاء كانوا بيئة صالحة لنمو مبادئ الزندقة والحقد على الإسلام وأهله.

(١) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية ١١٦.

(٢) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية ١١٦.

٣/ وهناك المجوس الذين تظاهروا بالإسلام، ولكنهم احتفظوا بعقائدهم المجوسية، وهؤلاء صاروا يكيدون للإسلام والمسلمين، وفي مقدمة من ساهم في حركات الزندقة.

٤/ وهناك المجوس الذين لم يعتنقوا الإسلام وإنما بقوا على عقيدتهم المجوسية، وقد عاملهم المسلمون على أنهم أهل ذمة^(١).

ولذا كان للفرس أثر كبير في ظهور طوائف البدع بين المسلمين بعد ذلك، وبين هذا الأثر ابن حزم بقوله: «الأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا تعاضمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق...، فأوأ أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام»^(٢).

ولا يعني ذلك التعميم وغمط من أسلموا قناعة، وفي أبناء فارس من حسن إسلامهم وشاركوا في خدمة الإسلام والحضارة الإسلامية، وظهر منهم الرواة والعلماء والأئمة الأعلام.

(١) محمد الناصر: الحياة السياسية عند العرب، ط: الأولى، مكتبة السنة - القاهرة، ١٤١٢هـ، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (د. ط)، مكتبة الخانجي - القاهرة، (د. ت)، ج ٢، ص ٩١.

ومن الفرس الدهاقين، وهم أمراء المدن الكبار، وكان عدد منهم ضمن سكان العراق^(١)، ومنهم دهاقين الأنبار الذين سألوا سعد بن أبي وقاص أن يحفر لهم نهراً، فكتب سعد إلى عامله بذلك^(٢).

وقد أسلم عدد من الدهاقين بعد وقعة جلولاء أواخر سنة (١٦ هـ)، «فلم يعرض لهم عمر بن الخطاب ولم يخرج الأرض من أيديهم وأزال الجزية عن رقابهم»^(٣). ولما دَوّن عمر ديوان العطاء، كان للدهاقين نصيبهم في العطاء حيث سجلوا فيه، منهم الهرمزان، وجفينة العبادي «في ألف ألف»، ويقال: إنه فضل الهرمزان ففرض له ألفين^(٤).

الهنود: كانت جماعات من الهنود قبل الإسلام ضمن سكان العراق وسواحل الخليج، وبعضهم قدم إليه من الأهواز وفارس وخراسان بعد الفتوح، منهم الأساورة، والسيابجة، والزط.

والأساورة: قوة عسكرية ساسانية وزعيمها سياه الأسواري، وكان على مقدمة يزدجرد، فلما رأى ظهور الإسلام وعزّأهله؛ أرسل إلى أبي موسى الأشعري، أننا نحب الدخول معكم في دينكم، واشترط لنفسه وجماعته أموراً، فوافق أبو موسى على ذلك؛ فأسلموا وقاتلوا معه الفرس في حصار تستر سنة (١٧ هـ)، ثم نزلوا البصرة، وحالفوا بني تميم، وخطت لهم خططهم فنزلوا وحفروا نهرهم وهو يُعرف «بنهر الأساورة»،

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/٩٢، وقد سبق التعريف بهم في المبحث الثالث من التمهيد ص ٤٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦١، منهم: جميل بن بصيهرى دهقان الفلاليج والنهرين، وبسطام بن نرسی دهقان بابل وخطرنية، والرفيل دهقان العال، وفيروز دهقان نهر الملك، وكوثى وغيرهم من الدهاقين.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٤٠٠، «وفرض عمر لدهقان نهر الملك ولابن النخير خان، ولخالد وجميل ابني بصيهرى دهقان الفلاليج، ولبسطام بن نرسی دهقان بابل وخطرنية، وللرفيل دهقان العال».

ويقال: إن عبدالله بن عامر حفره، وجاء أن عددهم (٣٠٠) فيهم (٧٠) رجلاً من عظمائهم^(١).

وتفيد إحدى الروايات بنزول الأساورة للبصرة بعد غزو قزوين، ذلك «أن هؤلاء الأساورة كانوا مقيمين بإزاء الدَّيلم؛ فلما غشيهم المسلمون بقزوين أسلموا على مثل ما أسلم عليه أساورة البصرة وأتوا الكوفة فأقاموا بها»^(٢). وهو ما يعني أنها جماعة أخرى من الأساورة قدمت للبصرة.

السيابجة والزط: وهاتان قوتان عسكريتان ممن سكن العراق من العجم، وكانوا قبل الإسلام في الخط^(٣) والطفوف^(٤) يتبعون الكلاء، ويؤكد ذلك ما جاء في خبرهم والأساورة أنهم من سبي الأهواز وأن الفاتحين اقتسموهم، فكتب إليهم عمر: «أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فخلوا ما في أيديكم من السبي واجعلوا عليهم الخراج فرددنا السبي ولم نملكهم»^(٥). وقيل إنهم كانوا في جند الفرس ممن سبوه من أهل السند، وإنهم لما سمعوا بما كان من أمر الأساورة أسلموا وأتوا أبا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة، وأنهم انضموا إلى الأساورة فلما اجتمعت الأساورة والزط والسيابجة تنازعتهم بنو تميم فرغبوا فيهم؛ فصارت الأساورة في بني سعد والزط والسيابجة في

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٢، ٣٦٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٥.

(٣) الخط: وهو سيف البحرين وعمان، وذلك السيف كله يسمى الخط، ومن قرى الخط القطيف والعقير وقطر، وتنسب إليها الرماح الخطية، حيث كانت تجلب إليها الرماح القنا من الهند فتقوم فيه وتباع على العرب. ياقوت: معجم البلدان ٣٧٨/٢.

(٤) الطفوف: جمع طف، وهو ساحل البحر وجانب البر، وجاء في مقتل الحسين «أنه يقتل بالطف» سمي به لأنه طرف البر مما يلي الفرات. ابن الأثير: النهاية ١٢٩/٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٦.

بني حنظلة^(١).

الترك: وضمن سكان العراق بعد الفتح بعض الجماعات التركية من الديلم، وهم قوة عسكرية ساسانية من الترك ممن نزل العراق مع المسلمين، ذلك أنه كان مع رستم يوم القادسية (٤٠٠٠)، يُسمون جند شهان شاه فاستأمنوا، فأعطوا الذي سألوا^(٢)، وأنزلهم سعد حيث اختاروا، وكان لهم نقيب منهم، يقال له ديلم؛ فقبل لهم حمراء ديلم^(٣).

وتأتي رواية أخرى فيها مزيد تفصيل لأمرهم، ذلك أن الديلم كانوا (٤٠٠٠) أربعة آلاف شهدوا القادسية مع رستم، فلما قتل وانهزم المجوس اعتزلوا، وقالوا: ما نحن كهؤلاء، ولا لنا ملجأ وأثرنا عندهم غير جميل، والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم فنعرز بهم فاعتزلوا. فقال سعد: ما لهؤلاء، فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم فاخبروه بخبرهم وقالوا: ندخل في دينكم، فرجع إلى سعد فأخبره، فأمنهم فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد وشهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين^(٤).

وجماعة أخرى من الديلم، نزلت الكوفة، وذلك في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة؛ وأن البراء بن عازب غزا أهل حصن قزوين، وكان الديلم جيران لهم فلما رأوا

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في العطاء فأعطوا الذي سألوه، وحالفوا زهرة بن حوية السعدي من بني تميم وأنزلهم سعد بحيث اختاروا، وفرض لهم في ألف ألف. البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٥.

(٣) والعرب تسمى العجم الحمراء، ويقولون جثت من حمراء ديلم كقولهم جثت من جهينة. فتوح البلدان ٢٧٥.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٥.

ما حلّ بأهل قزوين طلبوا الصلح^(١)، فأجيبوا، وأسلموا، فنزلوا الكوفة^(٢).

وعاشت هذه الجماعات من العجم ضمن مكونات مجتمع العراق بعد الفتح وشاركوا الفاتحين في أعمال الفتح وفي مؤسسات الدولة والمجتمع، حيث كانت جماعة من السياجة موكلين ببيت مال البصرة، وعددهم (٤٠)، وقيل (٤٠٠)^(٣).

وكان ضمن مجتمع العراق بعد الفتح من العجم: الموالي، والرقيق^(٤)، كما كان منهم أهل الذمة.

وقد هاجر كثير من العجم إلى الكوفة والبصرة، ومنهم الموظفون والكتّاب الذين عملوا في الوظائف الماليّة والإداريّة بلغتهم الفارسية؛ مما أعانهم على احتكارها حتى زمن الحجاج الذي أجبرهم على استعمال اللغة العربية في المكاتبات الرسمية^(٥)، بل أغرى تزايد النشاط الاقتصادي وما يدرّه من أرباح كثيرًا من الأعاجم على الهجرة إلى الكوفة والبصرة والاستقرار فيهما لمزاولة الأعمال التي تُيسّر لهم الحياة وتوفر لهم الأرباح.

ومما ساعد على توسع هجرة الأعاجم إلى هذه الأمصار ما وجدوه من حرية في الهجرة والتنقل عند المسلمين، وبذلك تزايد عدد الأعاجم في هاتين المدينتين وبرزت

(١) فأنفقوا من الجزية وأظهروا الإسلام فقبل إنهم نزلوا على مثلما نزل عليه أساورة البصرة من الإسلام على أن يكونوا مع من شاءوا.

(٢) وحالفوا زهرة بن حوية فسموا حمراء الديلم. البلاذري: فتوح البلدان ٣١٣.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٥.

(٤) وسوف يرد الحديث عنهم ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٢٩٤؛ ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط: الثانية، سروش - طهران، ٢٠٠٠ م، ج ٢، ص ٣٨٨، وكان ذلك سنة ٧٨هـ.

نشاطاتهم في الصناعة، والتجارة، والجيش، والخدمة في الأعمال والبيوت، وتركزت أعمالهم في الأسواق، واتصل كثير منهم بالعرب عن طريق الأعمال والمصالح، واعتنق كثير منهم الإسلام وأقبلوا على تعلم العربية، ودراسة علوم الإسلام، والثقافة العربية.

وبرز عدد غير قليل منهم في ميدان الحياة الفكرية، وجنى كثير منهم الثروات، ودخل كثير من نساءهم بيوت العرب إماءً أو زوجات، فتوثقت الصلة بينهم وبين العرب، وأنجب أولادًا منهم وأصبحن أمهات أولاد، وقمن بتربية عدد من أبناء العرب، ونقلن في هذه التربية نصيبًا من الأفكار الأعجمية وتقاليدها^(١).

وفي الجانب الديني؛ كان الأصل في مجتمع العراق بعد الفتح هو الإسلام، إلا أنه بقيت إلى جانبه ديانات أخرى كانت سائدة لدى أهله؛ أو القادمين إليه من الرقيق والأسرى، أو المهاجرين، حيث وجد المجوس، والنصارى، والصابئة، من أهل الذمة، ومن أجريت عليهم أحكام أهل الذمة، مكفولة لهم حريتهم الدينية يمارسون عباداتهم وطقوسهم، إذ لا إكراه في الدين، بل حفظت لهم حقوقهم في ظل حماية الدولة الإسلامية لهم مقابل خضوعهم ودفعهم الجزية.

* * *

(١) انظر: صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ٨٧-٩٢.

المبحث الثاني

مكونات مجتمع الصحابة ؓ في العراق (الزوجات، الأولاد، الموالي)

كان استقرار الفاتحين والقادمين من جزيرة العرب إلى العراق بعد الفتوح في الكوفة والبصرة، وكذلك كان الصحابة ؓ، فسوادهم كان في هذين المصرين، إذ كانوا النخبة التي تقود هذا المجتمع الجديد، في حكمه وإدارته، وفي تعليمه ودعوته، وتوجيهه وتسديد مسيرته، والإشراف على شؤونه، وقامت بين الصحابة ؓ مع بعضهم من جهة، وبينهم وبين إخوانهم من أبناء القبائل العربية وغيرهم من جهة أخرى روابط وأواصر، من القربى والمصاهرة، والتعليم والمدارسة، والعمل وتبادل المنافع، والمشاركة في الأفراح والأتراح.

وحصل الفرح بأول مولود ولد في البصرة، وهو عبدالرحمن بن أبي بكر فنحروا جزوراً وهم بالخريبة، فأطعم أهل البصرة فكفتهم، وكانوا قدر ثلاثمائة^(١).

وأماً المصاهرات، فقد تزوج سعد بن أبي وقاص سلمى ابنة خصفة زوج المثنى، سنة (١٤هـ) قبل القادسية^(٢)، وسمره بن جنادة السوائي كان مع سعد بن أبي وقاص بالمدائن وتزوج أخت سعد ثم نزل الكوفة^(٣)، وأبو موسى الأشعري تزوج أم كلثوم

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٩٠، وذلك مع بداية نزول المسلمين فيها سنة (١٤هـ) مع عتبة بن غزوان.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٧٠.

(٣) ابن حجر: الإصابة ٣/ ١٤٩.

بنت الفضل بن عباس، ومات عنها في الكوفة^(١). وأنس بن مالك تزوج الفارعة بنت المثنى بن حارثة الشيباني^(٢). وموسى بن عبدالله الخطمي الأنصاري، تزوج أم موسى بنت حذيفة بن اليمان^(٣).

ويمكن أن نقف على أهم مكونات مجتمع الصحابة ﷺ في العراق (الزوجات - الأولاد - الموالي)، ونبدأ بأول هذه المكونات وهنَّ الزوجات.

الزوجات:

تعد الزوجات مكوناً مهماً من مكونات مجتمع الصحابة ﷺ في العراق، وذلك لما توفره الزوجة من سكن، وسعادة، واستقرار، للزوج، مع نعمة الأولاد وامتداد النسل، ولا تتوافر معلومات كافية عن زوجات الصحابة ﷺ جملة، بما فيهنَّ اللواتي سكنن العراق، حيث إن المصادر لا تتحدث بشكل شمولي عن المترجم له عادة، وإنما تركز على جوانب معينة، وليست الجوانب الاجتماعية منها - غالباً -، ومن ثمَّ فمن المؤلف أن لا يعرف اسم الزوجة، ولا عدد الزوجات، فضلاً عن غيرها من المعلومات، ما لم يكن هناك سبب يستدعي ذكر الزوجة، أو تكون من أهل الرواية للحديث، ويقال مثل ذلك عن أولاد المترجم لهم وهو أمر طبعي، لأننا لو نظرنا لمن يترجم لهم أصلاً لوجدنا أنهم الفئات الفاعلة في المجتمع دون غيرهم من عموم الناس.

ومع هذا فهناك ذكر لزوجات بعض المعددين والمكثرين من الزوجات وذكر أولادهم، مثل: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، لكنه قليل، وأحياناً نجد

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٦٩؛ ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير المعروف بتاريخ أبي خيثمة - السفر الثاني -، تحقيق: صلاح بن فتحى هلال، ط: الأولى، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، ١٤٢٧هـ، ج ٢، ص ٩٦٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٩٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٩٧.

ذكرًا للعدد فقط دون ذكر الأسماء، مثل المغيرة بن شعبة، وأبو بكر، وأنس بن مالك.

ونزل الصحابة ﷺ العراق بأزواجهم، وكذا غيرهم من الفاتحين، وبعضهم تزوج في العراق، -كقصة النخع وبجيلة في القادسية- حيث انتقلوا للعراق بثقلهم بعد فتوح خالد والمثنى وأبي عبيد، فقد ظنوا أن الأمر استقر للمسلمين فقدموا بنسائهم وأولادهم، حتى لم يكن من قبائل العرب في القادسية أكثر امرأة من النخع وبجيلة، حيث كان في النخع (٧٠٠) امرأة، وفي بجيلة (١٠٠٠) امرأة بلا زوج، فصاهر هؤلاء (١٠٠٠) من أحياء العرب، وهؤلاء (٧٠٠) حتى صاروا يسمون أصهار المهاجرين؛ أو أختان المهاجرين^(١)، وبلغ الأمر أن خطب ثلاثة من الفاتحين امرأة واحدة في وقت واحد^(٢).

ونظرًا لكثرة أعداد المسلمين الذين دخلوا العراق ونزلوه، حيث نزل الكوفة وحدها قريب من (٤٠,٠٠٠)^(٣) فقد احتاجوا للزواج من الكتابيات، ولذا «تزوج المهاجرون والأنصار في أهل السواد -يعني في أهل الكتابين منهم-»^(٤)، وقال جابر ابن عبدالله (ت ٧٨هـ): «شهدت القادسية مع سعد، فتزوجنا نساء أهل الكتاب، ونحن لا نجد كثير مسلمات، فلما قفلنا، فمنا من طلق، ومنا من أمسك»^(٥)، وعند البيهقي

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨١.

(٢) وهم: «بكير بن عبدالله الليثي، وعتبة بن فرقد السلمي، وسماك بن خرشة الأنصاري -وليس بأبي دجانة- قد خطبوا امرأة يوم القادسية، وكان مع الناس نساؤهم... وهي أروى ابنة عامر الهلالية -هلال النخع، وكانت أختها هنيذة تحت القعقاع بن عمرو التميمي، فقالت لأختها: استشيرى زوجك أيهم يراه لنا! ففعلت». الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨١.

(٣) كما تقدم.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨٨.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٣/ ٤٧٥.

قال: «تزوجناهن زمن الفتح بالكوفة مع سعد بن أبي وقاص، ونحن لا نكاد نجد المسلمات كثيرًا، فلما رجعنا طلقناهن»^(١).

ويؤكد ذلك ما جاء في قصة الفاروق مع حذيفة، حيث كان للفاروق موقف من زواج الصحابة في الكتابيات بعد أن كثرت المسلمات، ذلك أن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ) ممن تزوج بكتيبة، وقد «بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعدما ولاه المدائن وكثر المسلمات: إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني: أحلال أم حرام، وما أردت بذلك! فكتب إليه: لا بل حلال، ولكن في نساء الأعاجم خلافة^(٢)، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم، فقال: الآن، فطلقها»^(٣).

وجاء أنها امرأة من أهل الكتاب^(٤)، وورد أنها يهودية^(٥)، وأن ذلك بعد ما ولاه المدائن، وقيل: وهو بالكوفة^(٦)، ويسأله حذيفة عن المحذور، فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني: أحلال أم حرام، وما أردت بذلك!^(٧). والرواية تشير أن كتاب عمر بعد أن كثرت المسلمات في العراق، ويجب عمر عن تساؤل حذيفة: «لا بل حلال، ولكن في نساء الأعاجم خلافة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم»^(٨)، ورواية أخرى تذكر

(١) السنن الكبرى (١٣٩٨٠) ٧/٢٧٩؛ وانظر: عبد الرزاق: المصنف ٧/١٧٨.

(٢) الخلافة: أن تخلب المرأة قلب الرجل، بالطف القول وأخبله، وامرأة خلافة للفؤاد، وخلوب. والخلباء من النساء: الخدوع. وامرأة خالبة وخلوب وخلافة: خداعة. ابن منظور: لسان العرب ١/٣٦٤، مادة: خلب.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٨٨.

(٤) انظر: عبد الرزاق: المصنف ٧/١٧٨.

(٥) عبد الرزاق: المصنف ٦/٧٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٤٧٤.

(٦) عبد الرزاق: المصنف ٧/١٧٨.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٨٨.

(٨) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٨٨.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية للصحابة ﷺ في العراق

محدورًا آخر، «أن فارقها فإنك بأرض المجوس، وإنني أخشى أن يقول الجاهل: كافرة قد تزوج صاحب رسول الله ﷺ، ويجهل الرخصة التي كانت من الله فيتزوجوا نساء المجوس ففارقها»^(١)، وثالثة تقول: «ولكنني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن»^(٢)، فالروايات تذكر مجموعة من الأسباب لنهي عمر لحذيفة، وطلبه طلاقها.

ذلك أن عمر خشي من مشكلة اجتماعية قد تظهر، حين لا تجد المسلمات من يتزوجهن لزواج الرجال من الكتابيات اللاتي يتميزن بالجمال، بل ربما انشغلوا بهن عن زوجاتهم المسلمات، أو منعنهم من الزواج بالمسلمات وغير ذلك مما ورد من محاذير.

أما حذيفة فحين يستبين له مقصد عمر يسارع إلى تنفيذ طلبه، حرصًا منه على إغلاق باب الفتنة وحفاظًا على بنية المجتمع^(٣)، ولا يصح ما روي عن نكاح حذيفة لمجوسية^(٤).

كما نقل أن طلحة بن عبيد الله تزوج كتابية، «فعزم عليه عمر إلا ما طلقها»^(٥).

ومع الفتوح كثرت الزيجات من الصحابة ﷺ وغيرهم بالحرائر والإماء، لما أفاء الله عليهم في الفتوح، ومن المعددين المكثرين من الصحابة ﷺ ممن نزل العراق، علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)، الذي لم يتزوج إلا بعد وفاة فاطمة بنت رسول الله ﷺ (ت ١١هـ)، فقد تزوج بعدد كبير من الزوجات، منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها، ومات عن (٤) زوجات و(١٩) سرية^(٦).

(١) عبد الرزاق: المصنف ٧/١٧٨.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٤٧٤، ومومسات جمع مومس، وامرأة مومس ومومسة: فاجرة جهارًا. ابن منظور: لسان العرب ٦/٢٢٤، مادة: ميس.

(٣) إبراهيم العلي: حذيفة بن اليمان، ٦٨-٦٩.

(٤) البيهقي: السنن الكبرى (١٨٦٦٣) ٩/٣٢٣.

(٥) عبد الرزاق: المصنف ٦/٧٨، ٧/١٧٧.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/١٥٣-١٥٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٢٥-٢٧.

ومن المعددين المكثرين من الصحابة ﷺ، سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ)، حيث تزوج (١٢) زوجة^(١)، وسعد في حجة الوداع سنة (١١) لم يكن عنده إلا زوجة واحدة - فيما يظهر - وسوف يأتي مزيد بيان لذلك قريباً عند الحديث عن الأولاد.

ومن المكثرين من الزوجات المغيرة بن شعبة (ت ٥٠هـ) ويقال: إنه تزوج (٨٠) امرأة^(٢)، وهذا عن المكثرين. أما المعددون، فيظهر أنه الأصل حيث غلب ذلك عندهم ولم يقتصر هذا عليهم، بل ظهر في مواليتهم، مثل سيرين وغيره، ومن المعددين، أنس بن مالك (٣) نساء وأمة^(٣).

وإلى جانب هذا فإن من المؤلف أن تكون المرأة تزوجت من ثلاثة رجال أو يزيدون، ذلك أنها لا تبقى بعد طلاقها؛ أو وفاة زوجها بلا زوج، وزواج سعد بزوجة المثني شاهد على ذلك، وهذه الأعداد من الزوجات للمكثرين هي من هذا النوع غالباً، كما أنها تتزوج من الرجل الكبير والصغير، بحيث تتزوج من زوج بسن ابن زوجها الأول والعكس.

والنساء في ذلك الحين يتزوجن صغيرات، وكل هذا يوحى بالبساطة في الزواج، وأنه استجابة لحاجة فطرية واجتماعية عند الطرفين، بعيداً عن المفاهيم الغربية المعاصرة للزواج التي ضربت بكلكلها على مجتمعاتنا، فأصبح الزواج محاطاً بمجموعة من المفاهيم المنحرفة، وفي مقدمتها الحديث عن قدسية رابطة الزواج، ومحاربة التعدد، وعزوف المرأة عن الزواج بعد الزوج، والتأخر في الزواج، وغيرها مما تفرزه الحياة الغربية وتشربته مجتمعاتنا، ونتج عنها مشكلات اجتماعية كثيرة وخطيرة.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٣٧-١٣٨.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ٢٩٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٩١، ١٩٢، ٨/٤٧٨.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية للصحابة ﷺ في العراق

وعلى الرغم من أن بعض الصحابة ﷺ ممن نزل العراق أكثر من الزيجات مما أفاء الله عليهم من الفتوح، وفيهم المعددون، فإن فيهم من لم يكن كذلك، بل ربما بقي على زوجة واحدة.

ومن هؤلاء عبدالله بن مسعود، وزوجته زينب الثقفية، وقيل: إن زوجته ربيعة، وقيل: هو لقبها، وقيل: إنهما اثنتان، والذي يظهر أنها واحدة، كونه جاء عن كل منهما أنها ثقفية، وقصة نفقتها على زوجها وردت بأنها زينب، وبأنها ربيعة، مما يرجح أنها واحدة^(١)، وقد أسلمت وبايعت، ولها رواية عن النبي ﷺ^(٢)، وكان في يدها صنعة؛ فتبيع من صنعتها وتنفق على زوجها وأولاده، وسألت النبي ﷺ عن ذلك: أيكون صدقة لها؟^(٣).

وقد جاء أن الخليفة عثمان لقي ابن مسعود في الحج في منى وعرض عليه الزواج، وقال له: «هل لك يا أبا عبد الرحمن في أن نزوجك بكراً، تذكر ما كنت

(١) وهي: زينب بنت أبي معاوية الثقفية، وجاء عند ابن حجر: ربيعة بنت عبدالله بن معاوية الثقفية، ويقال اسمها رائطة، ويقال بل اسمها زينب، فرائطة لقب، وقيل هما اثنتان. الطبقات ٨/ ٢٩٠؛ الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١٤٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ٢٩٠.

(٣) عن زينب، امرأة عبدالله قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن، يا معشر النساء، ولو من حليكن» قالت: فرجعت إلى عبدالله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأتته فأسأله، فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم، قالت: فقال لي عبدالله: بل اثني أنت، قالت: فانطلقت، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله ﷺ قد ألقى عليه المهابة، قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له: اتت رسول الله ﷺ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما، على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن، قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟» فقال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟» قال: امرأة عبد الله، فقال له رسول الله ﷺ: «لها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة». أخرجه مسلم (١٠٠٠) ٢/ ٦٩٤؛ والبخاري (١٤٦٦) ٢/ ١٢١، وغيرهم.

تعهد؟...»^(١)، وهذا في وقت متأخر من حياة ابن مسعود، وتدلل الرواية على أنه لم يجبه إلى ذلك؛ مما يؤكد أنه لم يكن من المعددين.

وبعض نساء الصحابة ﷺ الذين نزلوا العراق لهن رواية، وترجم لهن ابن سعد، مثل: ريطة بنت عبدالله امرأة عبدالله بن مسعود وأم ولده، روت عن النبي ﷺ^(٢)، وزينب بنت نبيط بن جابر بن النجار امرأة أنس بن مالك^(٣)، ومنهن من روت عن زوجها مثل: أم عبدالله امرأة أبي موسى الأشعري، حيث روت عنه^(٤).

الأولاد:

الأولاد مكون آخر من مكونات مجتمع الصحابة ﷺ في العراق، فهم الامتداد في النسل، وأحب أن تؤكد هنا - حسب ما ذكرته قريباً في الزوجات - قلة المعلومات في هذه القضايا الاجتماعية، حيث لم يكن هناك سبب يستدعي ذكر الأولاد، أو يكون مقصوداً في ذاته، ومع هذا فقد جاء ذكر لبعض أولاد المكثرين من الولد.

ومنهم، علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ)، فقد جاءه كثير من الولد، حيث بلغوا (٣١) من بنين وبنات، والبنون (١٤) ابناً، والبنات (١٧) بنتاً^(٥)، وأكثرهم من غير فاطمة (ت ١١ هـ)؛ وبعد وفاتها.

ومنهم سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥ هـ)، وله كثير من الأولاد حيث بلغوا (٣٦) من بنين وبنات، والبنون (١٨) ابناً، والبنات كذلك (١٨) بنتاً^(٦)، ومن العجيب أن سعداً

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ٧/٣؛ ومسلم (١٤٠٠) ٢/١٠١٨، (١٤٠٠) ٢/١٠١٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/٢٩٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/٤٧٨.

(٤) ابن حجر: الإصابة ٤/١٨٢.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/١٥٣-١٥٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٢٥-٢٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٣٧-١٣٨.

الذي ترك هذه الذرية الكثيرة، هو صاحب حديث «الثلاث كثير»، قال سعد: «عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع، من شكوى أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغ بي ما ترى من الوجد، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلاثي مالي؟ قال: لا، قلت: فبشطره؟ قال: الثلاث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت، حتى ما تجعل في في امرأتك»^(١).

وكان هذا في السنة الحادية عشرة، وليس لسعد إلا بنت واحدة، وتوفي سنة (٥٥هـ)، وترك من الذرية (٣٦) ولدًا، فسبحان مغير الأحوال، ولك أن تنظر إلى الشارع وحكمته في الوصية.

ومنهم أنس بن مالك (ت ٩٣هـ)، فقد كان له كثير من الولد، ببركة دعاء الرسول ﷺ له، حيث قال: «اللهم أكثر ماله وولده» قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم^(٢).

ومنهم أبوبكرة، نفيح بن مسروق (ت ٥٢هـ)، مولى رسول الله ﷺ، فقد توفي عن (٤٠) ولدًا من بين ذكر و أنثى^(٣).

والزبير بن العوام، وله (١٩) ولد^(٤)، وعبدالله بن المغفل، وله (١٠) من الولد^(٥)،

(١) أخرجه البخاري (٦٣٧٣) / ٨ / ٨٠، (٥٦٦٨) / ٧ / ١٢٠، (٥٦٥٩) / ٧ / ١١٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٨) / ٤ / ١٩٢٩؛ وأصله في البخاري (٦٣٨٠) / ٨ / ٨١، وغيرهم؛ انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩ / ٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٨٩؛ ابن قتيبة: المعارف ٢٨٨.

(٤) ابن قتيبة: المعارف ٢٢١.

(٥) ابن قتيبة: المعارف ٢٩٧.

وأما عبدالله بن مسعود، فله (٣) أولاد^(١).

وقد كان للصحابة، الذين نزلوا العراق أولاد أسهموا في العلم والتحديث، والولاية والقضاء، ومنهم أهل عبادة ونسك، وقد وقفت على عدد من البنين والبنات من أولاد الصحابة، حيث وقفت على (٣٢) ممن ترجم لهم ابن سعد من أبناء الصحابة في الكوفيين والبصريين، فالكوفيون: عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، روى عن علي وعن أبيه^(٢). وأبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود، روى عن أبيه رواية كثيرة، وسمع من أبي موسى وسعيد بن زيد الأنصاري^(٣). وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وكان أبو بردة على بيت المال، وولي قضاء الكوفة بعد شريح، وروى عن أبيه^(٤). وموسى بن أبي موسى الأشعري، وقد روى موسى، عن أبيه. وأبو بكر بن أبي موسى الأشعري، وروى عن أبيه وغيره^(٥).

وعروة بن المغيرة بن شعبة، ويكنى أبا يعفور روى عن أبيه، وكان أميراً على الكوفة. والعمارة بن المغيرة بن شعبة، وقد روى عن أبيه^(٦). ويعفور بن المغيرة بن شعبة، وقد روى عن أبيه. وحزمة بن المغيرة بن شعبة، وقد روى عنه أبيه^(٧). وموسى بن عبدالله ابن يزيد بن زيد الخطمي الأنصاري^(٨). ومحمد بن سعد بن أبي وقاص^(٩). ومصعب

(١) ابن قتيبة: المعارف ٢٤٩.

(٢) وكان ثقة قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨١/٦.

(٣) وكان ثقة كثير الحديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢١٠/٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٦٨/٦.

(٥) وكان قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٦٩/٦.

(٦) عن الشعبي، أن عروة بن المغيرة بن شعبة كان أميراً على الكوفة وكان خير أهل ذلك البيت. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٦٩/٦.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٧٠/٦.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٧/٦.

(٩) وكان ثقة وله أحاديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٢١/٦.

ابن سعد بن أبي وقاص، وقد روى عن عليّ^(١). وسعد بن حذيفة بن اليمان، روى عن أبيه^(٢). ويزيد بن البراء بن عازب، روى عن أبيه. وسويد بن البراء بن عازب، روى عن أبيه وكان أميراً على عمان^(٣). وإبراهيم بن جرير بن عبدالله البجلي^(٤). وثابت بن عبيد الأنصاري، لقي زيد بن ثابت^(٥). وعمرو بن عتبة بن فرقد السلمي، روى عن عبدالله ابن مسعود، وكان من المجتهدين في العبادة^(٦).

والبصريون: النضر بن أنس بن مالك^(٧). وعبدالله بن أنس بن مالك. وموسى بن أنس بن مالك^(٨). ومالك بن أنس بن مالك^(٩). وعبدالله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، وقد روى عن أبيه، وعن عبدالله بن عمر^(١٠). وسليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي روى عن أبيه^(١١). وعبدالله بن أبي بكر^(١٢). وعبيدالله بن أبي بكر^(١٣). وعبدالرحمن ابن أبي بكر وهو أول مولود ولد بالبصرة^(١٤). وعبدالعزيز بن أبي بكر، ومسلم بن أبي

(١) وكان ثقة كثير الحديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٢٢ / ٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢١٥ / ٦.

(٣) وكان سويد كخير الأمراء. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٦ / ٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٧ / ٦.

(٥) وكان ثقة كثير الحديث ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٩٤ / ٦.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٠٦ / ٦.

(٧) وكان ثقة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩١ / ٧.

(٨) وكل منهما ثقة، قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٢ / ٧.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٢ / ٧.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٢١ / ٧.

(١١) قال وكيع: يقولون إن سليمان بن بريدة كان أصحابها حديثاً وأوثقها. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٢١ / ٧.

(١٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٩ / ٧.

(١٣) قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٠ / ٧.

(١٤) وكان ثقة، له أحاديث ورواية. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٠ / ٧.

بكرة، ورواد، ويزيد، وعتبة أبناء أبي بكرة^(١). والمنذر بن الجارود، تولى اصطخر^(٢).
ومن بنات الصحابة ﷺ الذين نزلوا العراق ممن كان لهم رواية، وترجم لهم ابن
سعد: عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وقد روت عن أبيها سعد، وعن عدة من أزواج
النبي ﷺ، وروى عن عائشة بنت سعد جماعة، منهم أيوب السخيتاني^(٣). وأم سلمة
بنت حذيفة بن اليمان، روت عن أبيها^(٤). وحفصة بنت أنس بن مالك^(٥). وهند بنت
معقل بن يسار، روت عن أبيها^(٦).

الموالي:

يمثل الموالي مكوناً من مكونات مجتمع الصحابة ﷺ في العراق، حيث قاموا
بأعمالهم وخدمتهم، وأخذوا عنهم الدين والعلم، وإذا أطلق لفظ الموالي شمل
الرقيق، وإن كان المولى غير الرقيق، ذلك أن الموالي قسمان: الأول: موالي عتاقة،
وهؤلاء كانوا في الأصل من الرقيق ثم أعتقوا وبعد عتقهم ظل ارتباطهم بالولاء لعشيرة
سيدهم، وحملوا اسم العشيرة هم وأولادهم من بعدهم.

والثاني: موالي ولاء، وهم من الأحرار، ممن نزلوا في غير بلادهم لسبب
من الأسباب فارتبطوا مع إحدى القبائل برباط الولاء فنسبوا إليها^(٧)، كما هي حال

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٩٠.

(٢) كان سيداً جواداً، ولاءه علي بن أبي طالب اصطخر، فلم يأت أحد إلا وصله. ابن سعد: الطبقات
الكبرى ٧ / ٨٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٦٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٧٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٨٠.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨ / ٨١.

(٧) انظر: عبدالله محمد السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط: =

الأساورة، والسيابجة، والزط، الذين نزلوا على تميم البصرة فصاروا مواليهم، وهذا القسم من الموالي لا يشمل الحديث هنا.

الرقيق: وهم أسرى الحروب من الكفار والمشركين وغالبهم من غير العرب من الفرس والروم وغيرهم، ومنهم من يكون مسلمًا ووالداه من الرقيق فحكمه حكم والده ويجوز استرقاق العرب^(١).

وعليه فالحديث هنا عن الأول: الموالي عتاقة، وعن الرقيق.

وقد وقعت أعداد كبيرة من السبي في أيدي المسلمين من خلال الفتوح والمعارك، منهم سبي عين التمر، حيث أتى خالد بن الوليد (ت ٢١هـ) عين التمر سنة (١٢هـ) وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبي، ووجد في كنيسة جماعة فسباهم؛ فكان من ذلك السبي سيرين، والد محمد ابن سيرين وإخوته موالي أنس بن مالك، ويسار، جد محمد ابن إسحاق صاحب السيرة، وهو مولى قيس بن مخرمة، ونصير، والد موسى بن نصير صاحب المغرب، وهو مولى لبني أمية^(٢).

ومن سبي ميسان سنة (١٤هـ) يسار، والد الحسن البصري، وسعيد بن يسار^(٣).

وكان سبي المدائن سنة (١٦هـ)، فقد أخذ المسلمون يوم المدائن جوارى من

= الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ، ص ٢٤١ - ٢٤٢؛ سعد الموسى: الحياة العلمية في

المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري، ط: الأولى، دار القاسم - الرياض، ١٤٢٨هـ، ص ٦٧.

(١) علي بن نفع العلياني: أهمية الجهاد، ط: الأولى، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٥هـ، ص ٣٧٥؛ سعد الموسى: الحياة العلمية في المدينة النبوية ٦٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٣٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٥٦/٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك

٥٩٦/٣.

جوارى كسرى جيء بهن من الآفاق، فكانت أم الشعبي إحداهن^(١).

ومن ذلك ما وقع في فتح سجستان سنة (٣٠هـ)^(٢)، ذلك أن المرزبان صالح والي خراسان الربيع بن زياد الحارثي (ت ٥٣هـ)^(٣)، على (١٠٠٠) وصيف مع كل وصيف جام من ذهب، وكانت ولاية الربيع ستين ونصفاً، وسبى في ولايته هذه (٤٠,٠٠٠) رأس، ولما حاصر والي سجستان سنة (٣٣هـ)^(٤)، عبدالرحمن بن سمرة (ت ٥٠هـ)^(٥)، مرزبان زرنج في قصره في يوم عيد لهم صالحه على (٢٠٠٠) وصيف، وصالح أهل بلاد الدوار على (٣٢,٠٠٠) أسير^(٦).

وكان للصحابة نصيبهم من الموالي من رقيق الفتوح، أو ممن ابتاعوهم، فكان منهم خدماً وإماءً، وكانوا معهم في بيوتهم يشاركونهم المسكن، والمطعم، والمشرب، ويقومون بأعمالهم وخدمتهم، وربما أخذوا عنهم العلم والرواية، بل اشتهر عدد منهم بذلك، فكانوا حملة علمهم بعدهم، ومن موالى الصحابة ﷺ في العراق:

عمير، أبو عمران بن عمير، مولى عبدالله بن مسعود عتاقة روى عنه^(٧)، ونفيع، مولى عبدالله وروى عنه^(٨).

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٩.

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ١٦٤.

(٣) ترجم له ابن حجر في القسم الأول. الإصابة ٣٨٠/٢، ونزل الكوفة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٥٩/٦.

(٤) خليفة بن خياط: التاريخ ١٨٠.

(٥) من الصحابة الذين نزلوا البصرة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٦٧/٧.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٣٨٢.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٠٩/٦.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٠٢/٦.

وقنبر، مولى علي بن أبي طالب، ومسلم، مولى عليّ وروى عنه^(١). وعطاء، مولى عمران بن حصين^(٢)، وفضالة، مولى عمران بن حصين^(٣).

وسيرين وبنوه، موالي أنس بن مالك، وله رواية^(٤)، محمد بن سيرين، مولى أنس ابن مالك، وكان ثقة مأموناً، عاليًا رفيعًا، فقيهاً إمامًا، كثير العلم، ورعاً^(٥)، عبدالعزيز ابن صهيب، مولى أنس بن مالك، وكان ثقة^(٦). وغيرهم كثير من الموالي، لكن هؤلاء موالي بعض الصحابة ﷺ في العراق.

وكان للرقيق وأبنائهم من الموالي إسهام بارز في الحياة العلمية في العراق، حيث اشتهر جماعة كبيرة منهم بالعلم، ففي الكوفة سعيد بن جبير، وعاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، والحكم بن عتيبة، وحماد بن أبي سليمان. وفي البصرة أبو العالية الرياحي، ومحمد بن سيرين، والحسن بن يسار البصري، ومسلم بن يسار.

كما شكل الموالي طبقة اجتماعية مهمة ضمن أهالي العراق، حيث أسهموا في الجوانب الاقتصادية، والعلمية، والإدارية، والاجتماعية، بشكل واضح وملاموس، فكان منهم التجار، والعلماء، والكتاب والقادة، والحرفيون، وغيرهم.

وأصبح بعد ذلك عدد كبير من المعتقّين من أهل التجارة أو العلم من أشرف العراق؛ حيث ذكر صاحب «المحبر» أن أشرف الكوفة منهم بلغوا (٢١) شريفًا،

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٣٧.

(٢) أبو داود: السنن ٢/١١٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٠.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٤٩٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١٩.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٩٣.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٤٥.

وأشراف البصرة بلغوا (٨) من الأشراف، وغالبهم من التجار^(١).

والأصل في الموالي أنهم من العجم، من الأنواع التي أشرنا إليها ضمن سكان العراق، من الفرس، والترك، والهنود، وغيرهم من العجم.

* * *

(١) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، أبو جعفر البغدادي (ت ٢٤٥هـ): المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، (د. ط)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (د. ت)، ص ٣٤٠-٣٤٧، ومما يدل على ذلك قصة فيروز حصين، وهو صاحب نهر فيروز بالبصرة، وموقفه مع الحجاج، وفيها يتبين حجم تجارته ومكانته في الإقليم، وذلك حين نادى منادي الحجاج: «من جاء برأس فيروز فله عشرة آلاف»، فنادى فيروز: «من جاءني برأس الحجاج فله مائة ألف»، فأهّمت الحجاج نفسه، ولم يأمن ثقافته. ابن حبيب: المحبر ٣٤٥؛ ابن قتيبة: المعارف ١/٣٣٧.

المبحث الثالث

مساكن الصحابة ﷺ في مدن وبلدات العراق

تقدم معنا أنّ الثقل السكاني في العراق كان في الكوفة والبصرة، وأنه يعبر عنها أحياناً بالعراقيين، ذلك أنّ نزول الصحابة ﷺ وسكناهم بشكل خاص كان فيهما، مع وجود من نزل المدائن منهم.

وعليه فإن مساكن الصحابة ﷺ تركزت في هذين المصرين، إلى جانب المدائن. وكان تمصير الكوفة والبصرة في سنة واحدة؛ وهي سنة (١٧هـ) - وإن كان الصحابة ﷺ قد نزلوا البصرة قبل ذلك - وكان الهدف من تمصيرهما أن تكونا دور هجرة، ومراكز ثابتة للمجاهدين في العراق.

نشأة الكوفة والبصرة وتخطيطها:

سمّيت الكوفة «الكوفة»؛ لأنّ سعداً لما ارتاد لهم موضع الكوفة، قال: تكوّفوا في هذا الموضع، بمعنى اجتمعوا. والتكّوف: التّجمّع^(١).

ولقد روعي في اختيار الكوفة، عوامل منها، سهولة التواصل مع مركز الخلافة، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً^(٢)، وذلك لتأكيد مراعاة سهولة التواصل بينهم وبين عاصمة الخلافة، وعامل آخر وهو صلاحية المناخ للعرب، حيث جاءت الإشارة

(١) البكري: معجم ما استعجم ٤/ ١١٤١-١١٤٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٠، ٢٧١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٩١.

إلى الإبل، وأنه لا يصلح للعرب إلا ما يصلح للإبل^(١)، ومن عوامل الاختيار البعد عن المدن القديمة والنزول في الأرياف، حيث جاء في كتاب الفاروق إلى سعد و«عليك بالريف»^(٢). وقد يكون ذلك لاعتبارات عدة سياسية، وعسكرية، واقتصادية.

وأما البصرة، فإنما سميت البصرة؛ لأنه كانت فيها حجارة سود^(٣). وقيل: حجارة صلاب، وإنما سميت بصرة لغلظها وشدتها^(٤). وقيل: لأن أرضها حجارة رخوة فيها بياض^(٥). وأن فيها موضع حجارة رخوة، وهو الموضع الذي يسمّى الحزير^(٦).

وفي اختيار البصرة يتم التأكيد أيضاً على سهولة التواصل بمركز الخلافة، فقد جاء في كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص، أن ابعث عتبة بن غزوان إلى أرض الهند - والبصرة تسمى يومئذ أرض الهند- فينزلها، ويتخذ بها للمسلمين قيرواناً، ولا يجعل بيني وبينهم بحراً^(٧).

ويأتي تأكيد ذلك حيث نهاهم الفاروق أن يكون بينه وبينهم دجلة، فقد استشار المسلمون عمر في منزل فكتب إليهم: إن بيني وبينكم دجلة، لا حاجة في شيء بيني وبينه دجلة أن تتخذوه مصراً^(٨). كما روعي في الاختيار، توافر أسباب العيش لهم، ولدوابهم، من الماء، والحطب، والمرعى، ذلك أنه لما نزل عتبة بن غزوان «الخريبة» كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه نزولها، وأنه لا بد للمسلمين من منزل، فكتب إليه أن

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٩١.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٩١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٤٣٠.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٤٣٠.

(٦) البكري: معجم ما استعجم ١/ ٢٥٤.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٧؛ البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١.

(٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٤٣٠.

اجمع أصحابك في موضع واحد، وليكن قريباً من الماء، والرعي، واكتب إلي بصفته، فكتب إليه إني وجدت أرضاً كثيرة القصب في طرف البر إلى الريف ودونها منافع ماء فيها قصباء، فلما قرأ الكتاب، قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب، والمراعي، والمحتطب، وكتب إليه أن أنزلها الناس، فأنزلهم إياها^(١). كما جاء في اختيارها تحديد وظيفتها، وهي الغزو، فقد جاء في كتاب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن غزوان أن أنزلها بالمسلمين، فيكونوا بها، وليغزوا عدوهم من قريب^(٢).

وعليه فقد روعي في اختيار موقعي الكوفة، والبصرة، البعد عن سكنى المدن القديمة، وسهولة صلتها بمركز الخلافة، وتوفر أسباب العيش لهم، ولدوابهم، من الماء، والحطب، والمرعى، وصلاحية المناخ للسكان، ووقوعهما على الطرق الرئيسة التي تربط الجزيرة العربية بالعراق، وقربهما من منازل القبائل، ومن ثم السيطرة من الناحية الاستراتيجية على العراق ومدخله؛ وهذا ما يفسر أهمية النواحي العسكرية في اختيار أماكن هذه الأمصار، حتى إن الروايات تصف هذه الأمصار ابتداءً بأنها كانت دور هجرة ومنازل جهاد^(٣).

وحين نزلت جيوش الفتح في الكوفة والبصرة، كان نزولهم في البداية بالخيام على هيئة معسكرات حربية، وكان عمر حريصاً على بقاء المسلمين الفاتحين في معسكراتهم بعيداً عن المدن حتى تبقى قوتهم، واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة أيضاً، فكتب إليهم: «إن العسكر أشد لحربكم وأذكر لكم، وما أحب أن أخالفكم»^(٤)، فابتنى أهل المصرين بالقصب.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٣٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/٤٣٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٧.

(٣) جمال جودة: العرب والأرض في العراق ١٥٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٢/٣٥٣.

ثم إن الحريق وقع في الكوفة، وفي البصرة، فبعث سعد بن أبي وقاص نفرًا منهم إلى عمر يستأذنه في البنيان باللبن، فقدموا عليه بخبر الحريق واستئذانه أيضًا، فقال: «افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة آيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلمكم الدولة»^(١).

والفاروق في الحالين البناء بالقصب وباللبن، غير مؤيد لذلك فهو يريد أن يحافظوا على قوتهم وطبيعتهم بعيدًا عن المدن والمدنية، إلا أنه يستجيب لحاجتهم ويدعوهم إلى عدم التماذي في ذلك، وأن لا يغفلوا عن هدفهم وغايتهم.

وكان الموكل بإنزال الناس في الكوفة، أبو هياج بن مالك الأسدي^(٢)، وفي البصرة، عاصم بن دلف أبو الجرباء التميمي^(٣)، وأمر سعد بأن يعمرّوا ويدعوا للطريق المنهج^(٤) وسع أربعين ذراعًا، وما بين ذلك عشرون ذراعًا، والأزقة سبعة أذرع، والقطائع ستون ذراعًا، وأول شيء خط فيهما وبني مسجدهما، وقام في وسطهما رجل شديد النزع، فرمى في كل جهة من الجهات بسهم للمسجد ودار الإمارة، وأمر أن يبنى ما وراء ذلك للقبائل حيث أسهم لها في المنازل، «وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقًا لثلا يقتحمه أحد بنيان، وبنوا لسعد دارًا بحياله، وهي قصر الكوفة اليوم، بناه روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة، وجعل الأسواق على شبه المساجد من سبق إلى مقعد

(١) ابن الأثير: الكامل ٢/٣٥٣-٣٥٤.

(٢) أبو هياج: عمرو بن مالك بن جنادة، من التابعين. خليفة بن خياط: الطبقات ٢٣٨؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٢٣؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٧١.

(٣) من التابعين. البلاذري: أنساب الأشراف ١٣/٥٩؛ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ): الاشتقاق، ط: الأولى، دار الجيل - بيروت، ١٤١١هـ، ص ٢٠٣.

(٤) الواسع، والمنهاج: الطريق الواضح. ابن منظور: لسان العرب ٢/٣٨٣، مادة: نهج.

فهو له، حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه»^(١).

إذاً فمساكن الصحابة ؓ في هذين المصرين مرت بثلاث مراحل، الخيام، ثم القصب، ثم بنوا الدور باللبن من الطين، وسنقف على البلدات الثلاث، التي سكنها الصحابة ؓ في العراق: الكوفة، والبصرة، والمدائن.

أولاً: الكوفة:

لقد جاء الثناء على أهل الكوفة - في تلك الفترة من الصحابة ؓ وأتباعهم -، على لسان عمر بن الخطاب، حيث قال: «بالكوفة وجوه الناس»، وكتب إلى أهل الكوفة: «إلى رأس أهل الإسلام»، و«إلى رأس العرب»، وذكر أهل الكوفة فقال: «رمح الله، وكنز الإيمان، وجمجمة العرب، يحرزون ثغورهم ويمدون الأمصار»^(٢).

ولما أراد بعض الصحابة ؓ الكوفة وشيعهم عمر، قال لهم: «إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم»^(٣).

وهذه الأقوال من عمر وأمثالها؛ المعني بها الصحابة ؓ والتابعون، من أهل القادسية وغيرهم من أهل الفتوح الذين أبلوا بلاءً حسنًا في فتوح العراق، وفارس، وخراسان، وغيرها، حيث كانت الكوفة منزلهم ومعسكرهم في تلك الفترة، ولا يصح في نظري تعميمها على أهل الكوفة بعد ذلك.

وعند تخطيط الكوفة جعلت أسباعًا على القبائل - كما مر معنا - وكانت منازل الصحابة ؓ من المهاجرين والأنصار قرب المسجد؛ حيث منازل كنانة وحلفائها،

(١) ابن الأثير: الكامل ٢/ ٣٥٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٥-٦؛ البلاذري: فتوح البلدان ٢٨٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٧.

وبقية القبائل توزعت على جهات البلدة، «وكان منزل عبدالله بن مسعود في هذيل في موضع الرمادة»^(١).

وظهرت مسميات لأماكن في الكوفة جاء ذكرها والنسبة إليها في المصادر، من أسواق، وساحات، ومعالم بارزة، وبعضها أشبه ما تكون أحياء وهي خطط القبائل، ومن ذلك:

الرحبة، جهاز سوج خنيس، (رحبة خنيس)^(٢)، أصحاب الخز، باب الأصفهاني، دار القصارين، الأنصار، كندة، ثقيف، أسلم، طيء، بجيلة، بني سواة، خزاعة، بني عجل^(٣)، والكناسة لبني أسد^(٤)، وسوق المراضع^(٥)، وقناطر حذيفة^(٦)، وجبّانة عرزم^(٧)، وجبّانة بشر^(٨).

وقد جاء ذكر بعض منازل الصحابة ﷺ في الكوفة، ومن ذلك:

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٧٣.

(٢) تنسب رحبة خنيس بالكوفة إلى خنيس بن سعد بن حبة، جد القاضي أبي يوسف، ويقال لها بالفارسية جهاز سوج وتفسيرها بالعربية رحبة مربعة تفترق منها أربعة طرق تنسب إلى خنيس. ابن عبد البر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، (د. ط) دار الكتب العلمية - بيروت، (د. ت)، ص ١٧٢، وقد ذكرها ابن سعد في ترجمة والده سعد بن بجير (بن حبة). الطبقات ٦/٥٢، كما ذكر شهر سوج كندة. الطبقات ٦/٣٣١، ٣٤٧، كما ذكر شهر سوج همدان. الطبقات ٦/٤٠٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٢-٤٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٩.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٧٠.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٧.

(٧) وعرزم كان يضرب فيها اللبن. البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٨.

(٨) بشر بن ربيعة الخثعمي، وهو القائل: تحن بباب القادسية ناقتي... وسعد بن وقاص عليّ أمير. البلاذري: فتوح البلدان ٢٥٨.

علي بن أبي طالب، ومنزله في الرحبة، واستشهد ودفن في الكوفة (ت ٤٠هـ) (١). وسعد بن أبي وقاص، كان واليًا على الكوفة لعمر وعثمان، وخطط الخطط لقبائل العرب فيها، وابتنى فيها دارًا بجانب المسجد، (ت ٥٥هـ) (٢). وعبدالله بن مسعود، وهو على بيت مالها، وداره بجانب المسجد (ت ٣٦هـ) (٣). وخباب بن الأرت، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا، في جهار سوج خنيس، وتوفي فيها سنة (٣٧هـ) (٤). وأبو مسعود البدرى الأنصاري نزل الكوفة وداره في سوق المراضع (٥). وأبو موسى الأشعري، نزل الكوفة بعد البصرة وابتنى بها دارًا إلى جانب المسجد، ووليها لعثمان، وتوفي فيها سنة (٤٤هـ) (٦). وسلمان الفارسي، نزل الكوفة، وتوفي في المدائن سنة (٣٥هـ) (٧). والبراء بن عازب، نزل الكوفة وابتنى بها دارًا (٨). وقرظة بن كعب الأنصاري، حيث ابتنى فيها دارًا في الأنصار، ومات بها في خلافة علي (٩). وزيد بن أرقم الأنصاري، حيث ابتنى بها دارًا في كنده، وتوفي سنة (٦٨هـ) (١٠). والحارث بن زياد الأنصاري، حيث ابتنى بها دارًا في الأنصار (١١). وعبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري، وابتنى بها

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢/٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢/٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧، ١٤/٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٤/٦.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٦/٦؛ خليفة: الطبقات ١٣٦، قيل البدرى أنه من ماء بدر. خليفة:

الطبقات ٩٦.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٦/٦؛ خليفة: الطبقات ١٣٣.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧/٦.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧/٦.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧/٦.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨/٦.

(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨/٦.

دارًا، وتوفي فيها في خلافة ابن الزبير حيث ولاه عليها^(١). والنعمان بن مقرن المزني، حيث نزلها وداره في باب الأصفهاني، وولي كسكر لعمر^(٢). والمغيرة بن شعبة، نزل الكوفة بعد البصرة، وداره فيها في ثقيف، وتولى الإمارة فيهما لعمر، ثم وليها لمعاوية، وتوفي فيها سنة (٥٠هـ)^(٣). وخالد بن عرفطة العذري، نزل الكوفة وابتنى فيها دارًا، وله بقية وعقب فيها^(٤). وعبدالله بن أبي أوفى الخزاعي، نزلها وابتنى فيها دارًا في أسلم، وهو آخر من مات من الصحابة ﷺ بالكوفة (ت ٨٦هـ)^(٥). وعدي بن حاتم الطائي (ت ٦٨هـ)، نزلها وابتنى فيها دارًا في طيء، وتوفي فيها^(٦). وجريز بن عبدالله البجلي (ت ٥١هـ)، نزلها وابتنى فيها دارًا في بجيلة^(٧). والأشعث بن قيس الكندي، نزلها وابتنى فيها دارًا في كندة، وتوفي فيها سنة (٤١هـ)^(٨). وعمرو بن حُرَيْث المخزومي، نزلها وابتنى فيها دارًا إلى جانب المسجد، وهي كبيرة مشهورة صار فيها أصحاب الخبز، ومات بها سنة (٨٥هـ)^(٩). وجابر بن سمرة السوائي نزلها وابتنى فيها دارًا في بني سواء، وتوفي فيها سنة (٧٣هـ)^(١٠). والوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، ولاه عثمان عليها فنزلها وابتنى فيها دارًا كبيرة إلى جانب المسجد، وهي دار

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨/٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨/٦؛ خليفة: الطبقات ١٧٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠؛ خليفة: الطبقات ١٣١.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢١.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢١.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٢.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٢.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٢.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٣.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٤.

القصارين^(١). وسليمان بن صرد الخزاعي (ت ٦٥هـ)، نزل الكوفة وابتنى فيها دارًا في خزاعة^(٢). وهانئ بن أوس الأسلمي، نزل الكوفة وابتنى فيها دارًا في أسلم^(٣). وسمرة ابن جندب، اشترى بالكوفة دورًا في بني أسد بالكناسة، فبناها فنزلها، ومات بها^(٤). وعقبة بن عمرو بن الخزرج، ابتنى دارًا بالكوفة في سوق المراضع^(٥). وفرات بن حيان العجلي، داره في بني عجل^(٦).

وتعددت المساجد في الكوفة، فمسجد الكوفة وهو جامعها بناه سعد بن أبي وقاص، ويظهر أنه أصبح في كل خطة مسجد، ومما جاء ذكره من المساجد فيها، مسجد سماك، ومسجد بني عنز، ومسجد بني جذيمة، وفيه حوانيت الصيارفة، ومسجد بني المقاصف، ومسجد بني بهدلة^(٧).

ثانيًا: البصرة:

والبصرة عند تخطيطها جُعلت أخماسًا على القبائل - كما مرّ معنا - وكانت منازل الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار قرب المسجد؛ حيث منازل أهل العالية من قريش وقيس وغيرهما، وبقية القبائل توزعت على جهات البلدة، والذي خط مسجد البصرة، هو محجن بن الأدرع الأسلمي^(٨).

وقد جاء أن عمر بن الخطاب رمى بالرجال إلى البصرة، فلما كثروا بنى رهط منهم

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٤-٢٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٤٩.

(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ١٧٠.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٤٠.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٨-٢٨٠.

(٨) وهو قديم الإسلام. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/ ٤٦٢.

فيها سبع دساكر من لبن، منها في الخريبة اثنتان، وفي الزابوقة واحدة، وفي بني تميم اثنتان، وفي الأزدا اثنتان^(٩).

وظهرت مسمّيات لأماكن في البصرة جاء ذكرها والنسبة إليها في المصادر ما بين مواقع قديمة، وأحياء تنسب للقبائل، مثل: الخريبة، والزابوقة، والطف، والمربد، وبني تميم، والأزد^(١٠)، ورحبة الدهناء^(١١).

وجاء ذكر بعض منازل الصحابة ﷺ في البصرة، ومن ذلك:

أن أول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث، ثم دار معقل بن يسار المزني^(١٢).
وعتبة بن غزوان المازني، الذي فتحها ومصرّ البصرة واختطها، وبني مسجد البصرة بقصب، لكنه لم يبن بها داراً^(١٣). وبريدة بن الحصيب الأسلمي (ت ٦٣هـ)، نزلها وابتنى فيها داراً^(١٤). وأبو برزة الأسلمي، نزلها وابتنى فيها داراً، وله بها بقية وعقب^(١٥). وعبدالله بن المغفل المزني، نزلها وابتنى بها داراً ومات بها^(١٦). ومعقل بن يسار المزني، صاحب نهر معقل، نزلها وابتنى بها داراً وتوفي بها^(١٧). وأنس بن مالك الأنصاري (ت ٩٣هـ) نزلها إلى أن مات بها وفيها قصره بالطف، وله بها عقب^(١٨).

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٥-٦.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٦.

(١١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٣٧.

(١٢) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٢.

(١٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٥-٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٣/ ٤٦٢.

(١٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٨.

(١٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٩.

(١٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٣-١٤.

(١٧) أمره عمر بن الخطاب بحفره، فحفره. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٤.

(١٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧-٢٦.

ومحجن بن الأدرع الأسلمي، وهو الذي اختط المسجد الجامع بالبصرة، وداره في سكة المربد^(١) وعثمان بن أبي العاص الثقفي، ولاء عمر البصرة وابتنى بها داراً، وهو صاحب شط عثمان فيها^(٢). وعبدالرحمن بن سمرة، وقصره بالبصرة^(٣). وسمرة بن جندب، نزل البصرة، فاخطط بها^(٤).

وبنى أبو موسى الأشعري المسجد ودار الأمانة بالبصرة^(٥). وأمر عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري أن يحتفر لأهل البصرة نهراً، فصار طول نهر الأبله أربعة فراسخ^(٦).

وفي البصرة، مسجد البصرة وهو جامعها، اختطه عتبة بن غزوان، وبناءه أبو موسى الأشعري^(٧)، وهناك ما يفيد كثرة المساجد في وقت مبكر من تاريخ البصرة - في خلافة عثمان^(٨) - حيث ورد: «وتجاوب المؤذنين»^(٩) وهو ما يعني تعدد المساجد فيها، وأنه أصبح في كل خطة مسجد، ومما جاء ذكره من المساجد فيها، مسجد عبدالرحمن

(١) خليفة: الطبقات ٣١٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٢/٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٨٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٩.

(٥) بلبين وطين وسقفها بالعشب وزاد في المسجد. البلاذري: فتوح البلدان ٣٣٨.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٧.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤١، ٢٤٢.

(٨) ابن سعد: الطبقات ٧/١٠٨.

(٩) «وكان عامر بن عبدالله بن عبد قيس يقول بعد ما أخرج من البصرة: ما آسى من العراق على شيء

إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين». الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٣٠٢؛ ابن قتيبة: عيون

الأخبار، (د. ط)، دار الكتاب العربي - بيروت، (د. ت)، ج ١، ص ٣٠٨.

ابن سمرة^(١)، ومسجد بني عبّاد نسب إلى بني عباد من تميم^(٢)، ومسجد عمرو بن أخطب، أبو زيد الأنصاري^(٣).

ثالثاً: المدائن:

حيث جاء أن سعد بن أبي وقاص لما نزل المدائن قسم دورها ومنازلها بين الناس، واتخذ مسجداً للأعياد، ونصب فيه منبراً، فكان يصلي فيه، وأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلوسهم وتكريت والموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة^(٤).

ثم إن سعداً حين تحول إلى الكوفة خيّر المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقام فيها تركه «فيها كالمسلحة فبقي أقوام من الأبناء^(٥)، وأكثرهم بنو عبس»^(٦).

ومن أبرز معالم المدائن قصر كسرى (القصر الأبيض) والذي اتخذ فيه سعد المسجد، و«أول مسجد جامع بني بالسواد مسجد المدائن، بناه سعد وأصحابه، ثم وسع بعد، وأحكم بناؤه وجرى ذلك على يدي حذيفة بن اليمان»^(٧).

ولم أقف على منازل الصحابة   في المدائن، حيث لا تتوافر معلومات كافية عنها ولا عن الصحابة   فيها، سوى ما يفيد أنّ الصحابة   نزلوها بعد فتحها حتى

(١) قدم بغلمان من سبي كابل فعملوا له مسجداً في قصره بالبصرة على بناء كابل. البلاذري: فتوح البلدان ٣٨٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٦.

(٣) روى عنه أنس بن سيرين. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٨/٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٠، ٢١؛ وانظر: البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٢.

(٥) والأبناء: أخلاط القبائل قوم نزاع من هنا وهنا، لا يعلم من هم، والواحد الفنو. ابن منظور: لسان العرب ١٥/١٦٥، مادة أبناء.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٣.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٢٨٤.

انتقلوا إلى الكوفة. ومن أمرائها حذيفة، وسلمان، ومن الصحابة ﷺ من وردّها في عهدهما، ومنهم من وردّها مع عليٍّ لَمَّا سار إلى معركة النهروان، وكذا لَمَّا سار إلى صفين، ومنهم من وردّها مع الحسن بن عليٍّ لَمَّا بُويع بالخلافة حيث نزلها وراسل معاوية بالصلح.

* * *

المبحث الرابع

صلة الصحابة بفئات المجتمع

لقد اهتدى الصحابة الكرام بسيرة حبيهم ونبهم ﷺ، أعظم الناس تواضعاً، فكان يخالط الفقير والمسكين، ويزور أصحابه ويسلم على صبيانهم ويعود مرضاهم، ولا يتميز عن أصحابه بمظهر.

ومن هنا عاش الصحابة في العراق في تواصل فيما بينهم، ومع جميع فئات المجتمع من العرب والعجم، والأشراف والموالي، يعلمونهم في المساجد والبيوت، ويخالطونهم ويباعونهم في الأسواق، ويجالسونهم ويحضرون مناسباتهم؛ وأفراحهم وأتراحهم، ولذلك أشركوهم في أعمالهم (الزراعية، والتجارية، والإدارية)، فكان منهم القضاة، والكتّاب، والتجار، والمزارعون.

وكان بين الصحابة في العراق تواصل وزيارات مثل ما وقع بين ابن مسعود، وحذيفة، وأبي مسعود البدري، وكذا بين سعد وسلمان، وغيرها من الزيارات، التي تجري فيها مداورات علمية وأخوية.

أما علاقة الصحابة بالمجتمع، فيمكن الوقوف عليها من خلال صلتهم بتلاميذهم، ومواليهم، وعامة الناس.

وحين يكون الحديث عن صلة الصحابة بتلاميذهم، فإنه مع جلوس الصحابة لهم في المساجد للتعليم، كانوا يستقبلونهم في بيوتهم كذلك^(١)، وكانوا يكثر من التردد عليهم، وخاصة المبرزين منهم من خاصة التلاميذ. وكان ابن

(١) وقد تقدم في الفصل الثاني.

مسعود (ت ٣٤هـ) يأتيه تلاميذه، قال مسروق الكوفي (ت ٦٣هـ): «كان عبدالله يقرأ بنا القرآن في المجلس، ثم يجلس بعده يحدث الناس»^(١)، وقال: «إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأوا، وفسر لهم»^(٢).

وتوحي بعض الروايات بكثرة من يحضر مجلس ابن مسعود، وأن فيهم عليّة القوم من التجار وكبار القوم، حيث إن زاذان أبا عمر، يقول: «دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخبز واليمينية قد سبقوني إلى المجلس، فقلت: يا عبدالله من أجل أني رجل أعمى أدنيت هؤلاء وأقصيتني، قال: ادن، فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس، فسمعتة يقول: ...»^(٣). ونلاحظ هنا تحمل الصحابي ما يأتيه من أحد تلاميذه، بل يستجيب لطلبه فيدنيه في المجلس وفيه من سبقه من أهل الشرف.

وشاهد آخر يدل على كثرتهم في مجلسه، فعن أبي العالية قال: «كانوا عند عبدالله ابن مسعود فوق بين رجلين ما يقع بين الناس، فوثب كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال بعضهم: ألا أقوم فأمرهما بالمعروف، وأنهاهما عن المنكر، فقال بعضهم عليك نفسك...»^(٤). فيقع الشجار بين رجلين في مجلسه، ويقع الخلاف بين بعض من في المجلس وبعض آخر في التعامل مع هذا الشجار، ثم يتدخل ابن مسعود ويبين لهم وجه الصواب في خلافهم، مما يدل على كثرتهم في مجلسه.

وتشير بعض الروايات أنهم يأتونه في بيته بعد صلاة الفجر، -كما يروي أبو وائل - ويستأذنون ويؤذن لهم فيترثون، ثم يدخلون، «فإذا هو جالس يسبح، فقال: ما منعكم

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ١٥٥.

(٢) القاسم بن سلام: فضائل القرآن ١٠٥، من رواية ابن أبي ليلى الأنصاري الكوفي (ت ٨٢هـ).

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ٢٠٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٧٨، وهو: زاذان الكندي الكوفي.

(٤) البيهقي: السنن الكبرى (٢٠١٩٤) ١٠/ ١٥٧، أبو العالية الرياحي البصري (ت ٩٣هـ).

أن تدخلوا وقد أذن لكم؟ فقلنا: لا، إلا أننا ظننا أن بعض أهل البيت نائم، قال: ظننتم بأل ابن أم عبد غفلة، قال: ثم أقبل يسبح»، وجاء فيها أنه بقي حتى طلعت الشمس^(١)، ويقول أبو عقرب: «أتيت ذات يوم فوافقتة فوق البيت فلم ينزل إلينا حتى طلعت الشمس...»^(٢).

وقد يكون دخول التلميذ عليه في وقت غير مخصص للدرس، والسلماني يقول: «هجمت على عبدالله بن مسعود ذات يوم وهو في دهليزه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: القائم بعدي في الجنة والذي يقوم بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة»^(٣). ويروي شقيق أن عبدالله بن مسعود حدثهم ثم أخذ بيد علقمة فدخل، فخرج إلينا علقمة فسألناه، فأخبرنا^(٤).

بل إن علقمة بن قيس النخعي يبيت عند شيخه ابن مسعود - وكان علقمة بلا زوج - وجاء عنه أنه بات عنده^(٥)، بل إن مبيته عند عبدالله كان معروفاً عند أتباع التابعين كما جاء عن إبراهيم النخعي: «وكان يبيت عند عبدالله»^(٦)، ولذا نقل صلواته بالليل، بل ربما صلى معه^(٧)، وكون علقمة من خاصة تلاميذه، فقد كان يمسك على عبدالله في المصحف في بيته^(٨).

(١) أخرجه مسلم: (٨٢٢) ١/ ٥٦٤، وهو: شقيق بن سلمة الكوفي، أبو وائل (ت ٨٢ هـ).
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٩٧؛ البخاري: التاريخ الكبير ٩/ ٦٢، وهو: أبو عقرب الأسدي الكوفي.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٦١، وهو: عبيدة السلماني الكوفي (ت ٧٢ هـ).

(٤) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٩٤، شقق بن سلمة، أبو وائل الكوفي.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ٣٢١.

(٦) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٣/ ١٧.

(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/ ٨٤، ١/ ٣٢٢؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٣/ ١٧.

(٨) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ١٣٧.

وتلاميذ عبدالله يُكثرون من غشيانه في بيته ويترددون عليه، قال علقمة: كنا عند عبدالله فأتي بشراب، فقال: «ناوله القوم»^(١)، وقال: «كنت عند عبدالله بن مسعود فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنه كان بيني وبين أهلي بعض ما يكون بين الناس...»^(٢)، وقال علقمة: كنا جلوساً عند عبدالله، ومعنا زيد بن حدير، فدخل علينا خباب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، كل هؤلاء يقرأ كما تقرأ؟ فقال: إن شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك، قال: أجل، فقال لي: اقرأ»^(٣).

وجاء على لسان الأسود بن يزيد، وعلقمة، قالوا: أتينا عبدالله بن مسعود في داره...»^(٤)، وقالوا: «دخلنا على عبدالله نصف النهار»^(٥)، و«أنهما كانا مع عبد الله في بيته»^(٦).

وعن الأسود قال: «استأذن علقمة، والأسود، على عبدالله، وقد كنا أطلنا القعود على بابه فخرجت الجارية فاستأذنت لهما فأذن لهما...»^(٧)، وقال: «دخلت أنا وعلقمة على عبدالله بن مسعود»^(٨).

ويبلغ من عمق الصلة بين التلميذ وشيخه أن يصحبه في زيارة أخيه حال مرضه، قال علقمة: «دخلت مع عبدالله على أخيه عتبة نعوده وهو مريض...»^(٩)، ويعودون

(١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٤/ ٣١٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٤/ ٨٧.

(٣) أحمد: المسند (٤٠٢٥) ٧/ ١٢٤ - ١٢٥.

(٤) أخرجه مسلم (٥٣٤) ١/ ٣٧٨.

(٥) النسائي: السنن (٧٩٩) ٢/ ٨٤، وصححه الألباني.

(٦) النسائي: السنن (١٠٢٩) ٢/ ١٨٣، وصححه الألباني.

(٧) أبو داود: السنن (٦١٣) ١/ ١٦٦، وصححه الألباني، الأسود بن يزيد الكوفي، وعلقمة بن قيس الكوفي.

(٨) النسائي: السنن (٧١٩) ٢/ ٤٩، وصححه الألباني.

(٩) البيهقي: السنن الكبرى (٣٦٧٣) ٢/ ٤٣٥.

شيخهم في مرضه ويحدثهم، فعن الحارث بن سويد الكوفي قال: «دخلت على عبدالله أعوده وهو مريض، فحدثنا بحدِيثين: حديثاً عن نفسه، وحديثاً عن رسول الله ﷺ...»^(١).

وعبدالرحمن بن يزيد يذكر أنه دخل مع عمه علقمة، وأخيه الأسود على ابن مسعود، وأنه حدثهم بما يرغبهم في الزواج، قال: «دخلت مع علقمة، والأسود على عبدالله، فقال عبدالله: كنا مع النبي ﷺ شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(٢)، ويشعر عبدالرحمن أنه يعنيه بهذا التوجيه، فقد جاء عنه - كما عند مسلم -: «وأنا شاب يومئذ، فذكر حديثاً رثيت أنه حدث به من أجلي».

ويدخل عليه الداخل فيدعوه إلى طعامه، «ودخل الأشعث بن قيس على عبدالله، وهو يتغدى فقال: يا أبا محمد ادن إلى الغداء»^(٣)، ويتناولون معه وجبة السحور، عن عامر بن مطر الشيباني، عن أبيه قال: «تسحرنا مع عبدالله ثم خرجنا فأقيمت الصلاة»^(٤). وكثيراً ما يكونون عنده، قال مسروق: «كنا عند عبدالله فقال: إن النبي ﷺ...»، الحديث^(٥)، وعن أبي عثمان النهدي قال: «كنا جلوساً مع عبدالله...»^(٦)، وقال

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٤) ٤/٢١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٦) ٣/٧؛ ونحوه عند مسلم (١٤٠٠) ٢/١٠١٩، عبدالرحمن بن يزيد الكوفي.

(٣) أخرجه مسلم (١١٢٧) ٢/٧٩٤، الأشعث بن قيس الكندي الكوفي.

(٤) عبد الرزاق: المصنف ٤/٢٣٤؛ الطبراني: المعجم الكبير (٩٥٧٧) ٩/٣١٤، وعامر روى عن عمر وعبد الله. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٢١.

(٥) أخرجه البخاري (١٠٠٧) ٢/٢٦، مسروق بن الأجدع الكوفي.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ١/١١٠.

طارق بن شهاب: «كنا عند عبدالله، جلوساً، فجاء رجل فقال:...»^(١). وقال مسروق: «كنا جلوساً عند عبدالله بن مسعود، وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن،...»^(٢)، وربما طال جلوسهم عنده فيضطجع، عن مسروق، قال: «كنا عند عبدالله جلوساً، وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن،...»^(٣).

ويصاحبونه في الخروج إلى المسجد، قال الأسود بن يزيد: «أقيمت الصلاة في المسجد، فجئنا نمشي مع عبدالله بن مسعود،...»^(٤)، وربما قُدم له طعام وهو في طريقه للمسجد فيشاركه تلاميذه الأكل منه، فقد جاء أن: «أن علقمة والأسود كانا مع عبدالله، وهو يريد المسجد، فتُلقي بجفنة من ثريد وهو في الرحبة، قال: فجلس وأكل منها هو وعلقمة والأسود،...»^(٥)، ويصحبه علقمة بن قيس في الذهاب إلى الجمعة، قال علقمة: «خرجت مع عبد الله إلى الجمعة فوجد ثلاثة وقد سبقوه، فقال: رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات، الأول والثاني والثالث، ثم قال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد»^(٦). وجاء عند بعضهم «ثم الرابع».

(١) أحمد: المسند (٣٨٧٠) / ٦ / ٤١٥، وحسن المحقق إسناده؛ الحاكم: المستدرک علی الصحیحین (٨٣٧٨)

٤٩ / ٤، طارق بن شهاب الأحسي الكوفي.

(٢) أحمد: المسند (٣٧٨١) / ٦ / ٣٢١.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٩٨) / ٤ / ٢١٥٥، وجاء فيها من طريق آخر: قال: تركت في المسجد رجلاً يفسر

القرآن برأيه. مسلم ٤ / ٢١٥٦.

(٤) أحمد: المسند (٣٦٦٤) / ٦ / ١٧٩.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١ / ٥٢.

(٦) ابن ماجه: السنن (١٠٩٤) / ١ / ٣٤٨؛ البزار: المسند = البحر الزخار ٤ / ٣٣١؛ الطبراني: المعجم

الكبير (١٠٠١٣) / ١٠ / ٧٨، وقد ضُعبف. انظر: البوصيري: مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه

١ / ١٣١؛ والألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

وابن مسعود يلوم نفسه على التأخر عن الجمعة وأنه قد سبق، ثم يعزّيها بأن الرابع ليس ببعيد، وهو هنا يمارس التعليم والتربية، التعليم للتلميذ بروايته للحديث في فضل التبكير للجمعة، والتربية لنفسه ولتلميذه على المنافسة في الأعمال الصالحة.

وقد تكون المجالسة مع أكثر من صحابي، قال أبو وائل: «كنت جالساً مع عبدالله وأبي موسى الأشعري، فقال له أبو موسى: ...»^(١)، وقال أبو وائل: «كنت مع عبدالله، وأبي موسى، فقالوا: قال النبي ﷺ: ...»^(٢).

وكذا حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، وتلاميذه من الكوفيين وبعضهم خرج إليه في المدائن وأقام معه فيها، وكانوا يصاحبونه، ويخرجون معه، وابن أبي ليلى، يقول: خرجنا مع حذيفة، وذكر أن النبي ﷺ قال: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ...»^(٣).

ويزيد التيمي الكوفي (ت ٩٢هـ)، قال: «خرجت مع حذيفة إلى المدائن في رمضان، فلما طلع الفجر...»^(٤)، والتيمي من خواص تلاميذه، حتى أنه استأذنه في الرجوع إلى أهله في الكوفة، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: «كنت مع حذيفة بالمدائن، قال: فاستأذنته في الرجوع إلى أهلي، فقال: لا آذن لك إلا على أن تعزم أن لا تفطر حتى تدخل، قال: وذلك في رمضان، قلت: وأنا أعزم على نفسي أن لا أفطر، ولا أقصر حتى آتي أهلي»^(٥)، وهذا يدل على أن حذيفة لا يرى ما بين الكوفة والمدائن سفرًا يترخص فيه، وتفيد رواية أخرى أنه شرط عليه أن لا يترخص حتى يعود إليه، وهو ما يدل على ملازمته له، قال يزيد التيمي: «وشرط عليّ أن لا أفطر ولا أصلي ركعتين

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧) / ١ / ٧٧؛ ومسلم (٣٦٨) / ١ / ٢٨٠.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٢) / ٩ / ٤٨؛ ومسلم (٢٦٧٢) / ٤ / ٢٠٥٦.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٣٣) / ٧ / ١١٣، ابن أبي ليلى الأنصاري الكوفي (ت ٨٢هـ).

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٢ / ٢٧٦.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٢ / ٢٨٣.

حتى أرجع إليه»^(١)، وقال يزيد التيمي: «كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة:...»^(٢)، وعن ثعلبة بن ضبيعة، قال: دخلنا على حذيفة فقال: «إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً»^(٣).

وقال أبو الطفيل، عامر بن وائلة: «دخلنا على حذيفة فقلنا: حدثنا بشيء سمعته من رسول الله ﷺ...»^(٤)، وقال أبو الطفيل: «انطلقت أنا وعمرو بن صليح حتى أتينا حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:...»^(٥)، وقال عبدالله بن عكيم: «كنا مع حذيفة بالمدائن، فاستسقى حذيفة، فجاءه دهقان بشراب...»^(٦)، وعن زيد بن وهب، قال: كنا عند حذيفة، فقال: «ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة...»^(٧)، وعامر بن مطر الشيباني يقول: كنت مع حذيفة فقال: «...، كيف أنت يا عامر بن مطر إذا أخذ الناس طريقاً والقرآن طريقاً، مع أيهما تكون؟ قلت: مع القرآن أحيا معه وأموت معه، قال: فأنت أنت إذا»^(٨).

وكانوا يغشونه في داره، وربما أتوه في وقت غير مناسب - بعد صلاة العشاء -

فيردهم^(٩).

(١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٥٢٧/٢.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٨) ٣/١٤١٤.

(٣) أبو داود: السنن (٤٦٦٤) ٤/٢١٦؛ البخاري: التاريخ الكبير ١/١١، وجاء في بقية الخبر ما يدل على أن المقصود بالذي لا تضره الفتن هو: محمد بن مسلمة رضي الله عنه، والراوي ثعلبة بن ضبيعة الكوفي.

(٤) البزار: مسند البزار = البحر الزخار (٢٧٩٧) ٧/٢٢٥.

(٥) أحمد: المسند (٢٣٣١٦) ٣٨/٣٤٢، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٦) أخرجه مسلم (٢٠٦٧) ٣/١٦٣٧، عبدالله بن عكيم الجهني الكوفي.

(٧) أخرجه البخاري (٤٦٥٨) ٦/٦٥، زيد بن وهب الجهني الكوفي.

(٨) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٨٥، ٦/١٥٥.

(٩) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٧٩، ثم قال: «إن عمر جذب لنا السم بعد صلاة العشاء»، أي ذمه وعابه.

وكل عائب جاد. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٤٣، من رواية أبي وائل شقيق

بن سلمة الكوفي (ت ٨٢هـ)، وإبراهيم التيمي الكوفي (ت ٩٢هـ)؛ وانظر قريباً منها: عبد الرزاق:

المصنف ١/٥٦٢.

وعن صلة بن زفر قال: «خرجت مع حذيفة، فمر بمسجد، فصلى معهم المغرب...»^(١)، وقال فائد بن بكير العبسي: «خرجت مع حذيفة إلى المسجد صلاة الفجر...»^(٢)، وقال صلة بن زفر: «سرت مع حذيفة حتى إذا كنا بالصحراء...»، وذلك وقت الفجر، وحاوره حذيفة بشأن خروج الفجر ليعلمه بوقته^(٣).

ويتناولون معه طعامه وسحوره، ويخرجون معه إلى المسجد للصلاة، قال زر بن حبيش: «تسحرت مع حذيفة، ثم خرجنا إلى الصلاة، فلما أتينا المسجد صلينا ركعتين، وأقيمت الصلاة وليس بينهما إلا هنيهة»^(٤)، ونحوه جاء عن صلة بن زفر: «تسحرت مع حذيفة، ثم خرجنا إلى المسجد...»^(٥).

وتكون المجالسة مع أكثر من صحابي، فعن أبي ثور الحداني، قال: «كنت قاعداً مع أبي مسعود وحذيفة فقال أبو مسعود: ...»^(٦).

وسلمان الفارسي (ت ٣٤هـ)، يصاحبه تلاميذه ويلازمونه ويأخذون عنه، عن أبي مسلم مولى زيد بن صوحان قال: «كنت مع سلمان، فرأى رجلاً ينزع خفيه للوضوء...»^(٧)، وقال أبو عثمان النهدي: «كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة، وأخذ منها غصناً يابساً فهزه...»^(٨)، وقال عبد الرحمن بن يزيد قال: «كنا مع سلمان

(١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٢/ ٤٢١، صلة بن زفر العبسي الكوفي (ت ٨٠هـ).

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ١٩١، فائد بن بكير العبسي الكوفي.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩/ ٣٣٥.

(٤) النسائي: السنن (٢١٥٣) ٤/ ١٤٢، وقال الألباني: صحيح الإسناد، زر بن حبيش الأسدي الكوفي.

(٥) النسائي: السنن (٢١٥٤) ٤/ ١٤٢، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٦) أحمد: المسند (٢٣٣٤٨) ٣٨/ ٣٧١؛ الحاكم: المستدرک علی الصحیحین (١٦٤١) ٤/ ٥٨٩.

(٧) ابن ماجه: السنن (٥٦٣) ١/ ١٨٦.

(٨) أحمد: المسند (٢٣٧٠٧) ٣٩/ ١١١؛ ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ١٦.

في حاجة، فذهب يقضي حاجته ثم رجع،...»^(١)، وقال جندب: «كنا مع سلمان ونحن جاءون من الحيرة فقال:...»^(٢)، وعن جندب الأزدي، قال: «خرجنا مع سلمان إلى الحيرة فالتفت إلى الكوفة فقال:...»^(٣)، وقال النعمان بن حميد: «دخلت على سلمان مع خالي عباد بن شرحبيل، فلما رآه صافحه سلمان»^(٤)، عن طارق بن شهاب قال: «دخلت على سلمان....»^(٥).

ويصحبونه لزيارة مريض من أصحابه، فعن سعيد بن وهب (ت ٨٦هـ)، قال: «انطلقت مع سلمان إلى صديق له يعود من كندة، فقال:...»^(٦).

ويزورونه في مرضه، قال سعيد بن سوقة: «دخلنا على سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه نعوده وهو مبطون،...»^(٧)، وقال علقمة بن قيس: أتينا سلمان الفارسي، وقال: «دخلنا على سلمان...»^(٨).

وطارق بن شهاب، بات عند سلمان ليقتدي به في عبادته، وينظر اجتهاده، قال: «فقام فصلى من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن فذكر ذلك له،...»، فحثه على الاقتصاد في العمل والمداومة عليه^(٩).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٩٨/١؛ البيهقي: السنن الكبرى (٤٢٢) ١/١٤٥.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٤٠٧/٦، جندب بن عبدالله الأزدي الكوفي.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٤٠٧/٦.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٢٤٦/٥.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١٤٩/٥.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٤٤١/٢؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢٠٦/١، سعيد بن وهب الهمداني الكوفي.

(٧) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢٠٧/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ٤٥٧/٢١.

(٨) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٣٤٠/١.

(٩) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٤٨-٤٩؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٩٠.

وعمار بن ياسر (ت ٣٧هـ)، يأتيه تلاميذه ويجلسون عنده، قال خلاس: «كنت جالسًا عند عمار بن ياسر فسأله رجل، فقال: يا أبا اليقظان، كيف تقول في الوتر؟ فقال عمار: أما أنا فأوتر قبل أن أنام...»^(١).

ويطعمون معه طعامه، قال صلة بن زفر: «كنا عند عمار بن ياسر فأتي بشاة مصليّة، فقال: كلوا...»^(٢).

وأنس بن مالك (ت ٩٣هـ)، يأتيه تلاميذه في منزله ويترددون عليه، يقول الرومي: كنا عند أنس بن مالك فقال له رجل: يا أبا حمزة إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم، فقال: «اللهم اغفر لنا وارحمنا، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(٣).

ويشهدون تلاميذهم على مكاتبتهم، عن ثابت البناني قال: «كنا عند أنس بن مالك فكتب كتابًا بين أهله، فقال: اشهدوا يا معشر القراء...»^(٤).

ويسقيهم أنس الماء بقدر النبي ﷺ ويتبركون به، قال حجاج بن حسان: «كنا عند أنس بن مالك، فدعا بإناء وفيه ثلاث ضباب حديد، وحلقة من حديد، فأخرج من غلاف أسود، وهو دون الربع وفوق نصف الربع، فأمر أنس بن مالك فجعل لنا فيه ماء، فأتينا به فشربنا وصببنا على رءوسنا ووجوهنا، وصلينا على النبي ﷺ»^(٥)، وهو

(١) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ١٦/٣، خلاس بن عمرو الهجري البصري، توفي في حدود المئة. الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣/٢٣٤.

(٢) الترمذي: السنن (٦٨٦) ٣/٦١، وقال الترمذي: حسن صحيح؛ عبد الرزاق: المصنف ٤/١٥٩، وهو: صلة بن زفر العبيسي الكوفي.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٧٧/٦، وهو: عبدالله بن عبدالرحمن الرومي (ت ١٣١هـ).

(٤) أحمد: المسند (١٢٤٠٢) ١٩/٣٩٣، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) أحمد: المسند (١٢٩٤٨) ٢٠/٢٧٧، وقال المحقق: إسناده قوي، وحسان بن حجاج القيسي البصري.

قدح النبي ﷺ، وقد جاء عن عاصم الأحول (ت ١٤٢ هـ)، أنه رأى قدح النبي ﷺ عند أنس^(١)، ورآه كذلك عند أنس حميداً أيضاً^(٢).

ويتفقد أنس تلاميذه ويسأل عنهم ويعلن عن حبه لهم، يقول حميد الطويل: فكنا نأتي أنساً، فيقول: أين ثابت؟ (البناني) إن ثابتاً دويبة أحبها^(٣).

وتوحي هذه الرواية بكثرة تردهم على أنس من جهة، وعلى كثرتهم، وعلى تفقد أنس لهم ومشاعره نحوهم، بل إنه يعلن حبه لهم، وليس هذا الحب خاصاً بثابت مع مكانته عنده، وإنما الحب يعمهم كما يقول ثابت البناني: «دخلنا على أنس، فقال: والله، لأنتم أحب إلي من عدتكم من ولد أنس إلا من كان على مثل ما أنتم عليه»^(٤).

وتأتي من طريق آخر مبينة سبب حبه لهم، بل يخصهم بالدعاء في وقت فاضل، قال مالك بن دينار: «أتينا أنس بن مالك صفو كل قبيلة أنا، وثابت البناني، ويزيد الرقاشي، وزياد النميري، وأشباها فنظر إلينا فقال: ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ، ثم قال: رءوسكم ولحاكم ثم قال: والله لأنتم أحب إلي من عدة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم وإني لأدعو لكم بالأسحار»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٨) / ٧ / ١١٣.

(٢) أحمد: المسند (١٢٤١١) / ١٩ / ٤٠٤، وقال المحقق: حديث صحيح؛ ابن سعد ١ / ٤٨٥، وحميد الأقرب أنه حميد الطويل البصري، أو أنه حميد بن هلال العدوي البصري، فكلاهما روى عن أنس، إلا أن العدوي خرج من البصرة.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٢٣٢، وحميد الطويل البصري (ت ١٤٢ هـ)، وثابت البناني البصري (ت ١٢٧ هـ).

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٢٣٢.

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢ / ٣٨١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٦٣، ومالك بن دينار البصري (ت ١٣١ هـ).

وتأتيه جماعة من قبيلة واحدة يستفتونه، قال عامر بن عبيدة: «خرجت مع نفر من باهلة حتى أتينا أنس بن مالك، فذكر الحديث، قال فيه: قلنا: فأخبرنا عن الخبز؟...»^(١).
 وخرج ناس من أهل البصرة لأنس بن مالك في منزله خارج البصرة وأخذوا معهم أحد تلاميذه ليسأله لهم، قال معبد بن هلال: «اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة...»^(٢).

وقال سفيان: «دخلنا على أنس بن مالك، فخرج علينا إلى مجلسه، فمر بنا فلم يسلم علينا حتى انتهى إلى مجلسه، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: السلام عليكم، فسألناه...»^(٣).
 ومما يدل على كثرة تردد القراء على أنس ما تحكيه هذه الرواية، من أن زياداً النميري، جاء مع القراء إلى أنس بن مالك، فقال له: اقرأ، فرفع صوته، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه الخرقه، وكان على وجهه خرقه سوداء، فقال: ما هذا؟ ما هكذا كانوا يفعلون، وكان إذا رأى شيئاً يكره كشف الخرقه عن وجهه^(٤).

وصاحبوهم في أسفارهم، وخاصة إلى مكة للحج وأدوا معهم المناسك، ونقلوا شيئاً من أعمالهم وأقوالهم، كما حصل لبعض أصحاب ابن مسعود معه، كعلقمة بن

(١) البيهقي: السنن الكبرى (٦٠٩٩) ٣/٣٨٦، عامر بن عبيدة الباهلي، قاضي البصرة.

(٢) أخرجه البخاري: (٧٥١٠) ٩/١٤٦، ومعبد بن هلال العنزي البصري، وقصر أنس بالطف بالبصرة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٩.

(٣) عبد الرزاق: المصنف ٦/٣٣٢، و«سفيان» لم أقف على ترجمته، والراوي عنه ابن عيينة.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/١١٩، و«زياد» هو ابن عبد الله. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/٣٩٠.

قيس النخعي (ت ٦٢ هـ)^(١)، وعبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي، الذي خرج حاجاً مع عبد الله، إلى مكة، وروى عمل عبد الله في الحج، حيث ذكر صلواته في مزدلفة المغرب والعشاء والفجر^(٢)، ورميه جمرة العقبة، فيذكر كيف رماها، ومكان رمية وعدد الحصى^(٣)، وذكر وقوفه بعرفة وعلى الناس عثمان^(٤)، وذكر أنه أفاض مع عبد الله، ولما انتهوا إلى الجمرة لقط له سبع حصيات^(٥).

وممن صحب ابن مسعود في الحج، مولاة عمير أبو عمران^(٦)، و ممن صحبه للحج، عبد الله بن سخبرة الأزدي الكوفي وذكر شيئاً من نسكه^(٧).

وعلقمة كان مع عبد الله في سفر، فذكر شيئاً من معاملته الحسنة لغير المسلمين^(٨)، وعمرو بن الحارث بن المصطلق صحبه في السفر وحكى مدة المسح على الخفين من عمله^(٩)، وكذا صحبه أبو وائل في سفر ونقل عنه مدة المسح^(١٠).

وعليه فقد تمت المصاحبة والملازمة والأخذ عنهم في الحضر والسفر، وخاصة المبرزين منهم، كأصحاب عبد الله، وتطول الصحبة بين التلميذ وشيخه من الصحابة

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ٣/٧؛ ومسلم (١٤٠٠) ٢/١٠١٨، (١٤٠٠) ٢/١٠١٩.

(٢) أخرجه البخاري (١٦٨٣) ٢/١٦٦.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٦) ٢/٩٤٢، (٩٤٣) ٢/٩٤٣؛ أحمد: المسند (٣٩٣٩) ٧/٥٤-٥٥، (٤١٥٠) ٧/٢١٧،

وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٢٦٠.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٣٨٧.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٣/٢٠٣.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٢٠٢؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠٩.

(٧) أحمد: المسند ٧/٧٢، وابن سخبرة يكنى أبا معمر. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٠٣.

(٨) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٢٥٩؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٦/١٢.

(٩) ابن أبي شيبة: المصنف ١/١٦٥؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ١/٢٠٧.

(١٠) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ١/٢٠٧.

الكرام ﷺ، حتى قال أبو عثمان النهدي: «صحبت سلمان اثنتي عشرة سنة»^(١).

وإذا كانت هذه صلة الصحابة ﷺ بتلاميذهم فإن صلّتهم بمواليهم لا تقل عن ذلك بل ربما فاقتها، حيث ظهر فيها التواصل بشكل مدهش وعجيب، فمع كونهم تتلمذوا عليهم وظهر منهم أئمة كبار نقلوا علمهم لمن بعدهم، فإنهم ساكنوهم في دورهم، وشاركوهم في طعامهم، وشرابهم، وتعمقت الصلة بهم حتى كانوا من أهلهم. ومما يوضح عمق الصلة بين الصحابة ﷺ ومواليهم، أن يأتي المولى بابنه الوليد إلى مولاه فيسميه باسمه ويكنيه بكنيته. يقول أنس بن سيرين: «لما ولدت انطلق بي إلى أنس بن مالك، فسماني باسمه، وكناني بكنيته»^(٢)، وأن يطلق الصحابي أم ولده ويزوجها مولاه، كما وقع من أنس مع سيرين^(٣).

بل كتب سيرين إلى أنس بن مالك يوماً: «أن سيرين طالع»^(٤)، -وعنده ثلاث نسوة-، فكتب إليه أنس بن مالك: «أن أقدم عليّ المدينة حتى أزوجك بنت أخي البراء بن مالك، فإنها عندي»^(٥).

وطلب أنس أن يغسله ويصلي عليه مولاه، وذلك أنه «لما مات أنس بن مالك أوصى أن يغسله محمد بن سيرين، ويصلي عليه، قال: وكان محمد محبوباً، فأتوا الأمير - وهو رجل من بني أسيد - فأذن له، فخرج، فغسله وكفنه، وصلى عليه في قصر أنس بالطف»^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٩٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠٧.

(٣) ذلك أن بعض أولاد سيرين من أم ولد لأنس بن مالك نزل له عنها، وزوجه إياها، وكان لأنس بن مالك منها ولدان، فتنازل عن أم ولده وزوجها مولاه! ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠٦.

(٤) الظلع: كالغمز. ظلع الرجل والدابة في مشيه يطلع ظلماً: عرج وغمز في مشيه. ابن منظور: لسان العرب ٨/ ٢٤٣، مادة: ظلع، وهو يكني عن حاجته لزوجة رابعة.

(٥) ووُلِد لسيرين (٢٣) ولداً من أمهات أولاد شتى. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٢٠-١٢١.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٥.

وقد برز منهم أئمة كبار، أمثال: أبو العالية الرياحي البصري التميمي مولاهم، ومسلم بن يسار البصري التيمي مولاهم، والحسن البصري مولى زيد بن ثابت، ومحمد بن سيرين البصري مولى أنس، وسعيد بن جبير الكوفي الوالبي مولاهم.

ومنهم من عمل في الكتابة للولاة، حيث كان الحسن البصري كاتبًا لوالي سجستان الربيع بن زياد الحارثي في خلافة عثمان^(١).

وأما صلتهم بعموم الناس، فقد اشتركوا معهم في العمل والمناسبات، وصاحبوهم وعلموهم ووجهوهم، وأشركوهم في سباق الخيل، كما صنع حذيفة بن اليمان حين سابق الناس على فرس له أشهب فسبقهم، ودخل عليه الناس داره وهو جالس عند فرسه على قدميه، يهتونه ويقولون: ليهنأك السبق^(٢).

وحضر الناس مجالسهم وأنسوهم ومازحوهم، قال زاذان الكندي الكوفي: «كنا عند عليّ رضي الله تعالى عنه ذات يوم فوافق الناس منه طيب نفس ومزاح، فقالوا: يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك...»^(٣). حيث سأله عن بعض الصحابة ﷺ فبين فضلهم.

كما حضر الناس أفراحهم في حضور زيجاتهم، فقد تزوج سلمان الفارسي امرأة من كندة فبنى بها في بيتها، فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت امرأته، فلما بلغ البيت قال: ارجعوا آجركم الله^(٤).

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٨٢.

(٢) وعلى الناس يومئذ سعد بن أبي وقاص. عبد الرزاق: المصنف ٥/٣٠٥.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٨٧.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٨٥.

وساعد الصحابي خادمه على أعماله، فقد دخل رجل على سلمان الفارسي وهو يعجن، فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل، أو قال: في صنعة، فكرهنا أن نجمع عليه عملين، أو قال: صنعتين^(١).

وبيت الرجل منهم عند الصحابي لينظر في عبادته، وذلك أن طارق بن شهاب، بات عند سلمان لينظر ما اجتهاده، قال: فقام يصلي من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن فذكر ذلك له،....^(٢).

والصحابه رضي الله عنهم يوجهون الناس ويعلمونهم ويحتسبون عليهم فيما يقعون فيه من مخالفات، فقد أنكر ابن مسعود على بعض المتعبدة الذين اعتزلوا الناس، ووجههم إلى مخالطة الناس، «خرج ناس إلى الثوية عن رأس فرسخ من الكوفة، أو فرسخين، فبنوا مسجدًا وقالوا نتعبد ولا نخالط الناس، فأتاهم عبدالله بن مسعود فقالوا: مرحبًا بأبي عبدالرحمن لقد كنا نحب أن تزورنا، فقال: أتيتكم زائرًا ولا أنزل حتى يهدم مسجد الخبال، أنتم أهدى من أصحاب محمد؟ إنكم لممسكون بذياب ضلالة، أرأيتم لو صنع الناس مثل الذي صنعتم، من كان يقيم الحدود؟ من كان يعمر المساجد؟ من كان يجاهد العدو؟ ارجعوا فخالطوا الناس، وتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلموا من أنتم أعلم منه»^(٣).

وابن مسعود هنا يحتسب عليهم ويبين خطورة العزلة وما يترتب عليها من تضييع الحقوق وترك الواجبات، ومن ذلك الانقطاع عن العلم بانقطاع صلتهم بكبار الصحابة رضي الله عنهم وأهل العلم، وما تورثه العزلة من كيد الشيطان وتلبسه، وما

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٠١.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ١٨٩.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ١٣/ ٣٢٦-٣٢٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٠٧، وهم: عمرو بن عتبة بن فرقد، ومعضد بن يزيد العجلي.

يقع في النفس من شعور بالفضل وهو ما يفضي إلى الغرور والتعالي على الخلق، وما قد ينجم عن ذلك من إصدارهم أحكاماً تجاههم بوصفهم منحرفين وضلالاً، وهذا لا يتنافى مع مشروعية العزلة في أحوال خاصة جاءت بها السنة، فالأصل مخالطة الناس ومعايشتهم؛ فالإسلام دين الجماعة حيث قامت على ذلك شعائره وأحكامه.

وذهب سلمان إلى منزل من بلغه عنه التكلف في العبادة، ليعلمه عملياً، فقد «كان زيد بن صوحان يقوم الليل، ويصوم النهار، وإذا كانت ليلة الجمعة أحيائها، فإن كان ليكرهها إذا جاءت مما كان يلقي فيها، فبلغ سلمان، ما كان يصنع، فأتاه فقال: أين زيد؟ قالت: امرأته ليس هاهنا، قال فإني أقسم عليك لما صنعت طعاماً، ولبست محاسن ثيابك، ثم بعثت إلى زيد، قال فجاء زيد، فقرب الطعام فقال سلمان: كل يا زيد، قال إني صائم قال كل يا زيد لا ينقص -أو تنقص دينك، إن شر السير الحقة^(١). إن لعينك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجتك عليك حقاً، كل يا زيد فأكل، وترك ما كان يصنع^(٢)».

ومن عمق صلة الصحابة ﷺ بالناس أنهم يزورهم حال مرضهم وما يمنعهم من ذلك إلا الإشفاق لحالهم، يقول مطرف: «قلت لعمران بن حصين: ما يمنعني عن عيادتك إلا ما أرى من حالك. قال: فلا تفعل، فإن أحبه إلى الله أحبه إلي^(٣)».

(١) سير الحقة: المتعب من السير، وقيل: أن تحمل الدابة على ما لا تطيقه، وهو إشارة إلى الرفق في العبادة. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٤١٢.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨/٤٤٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١؛ أحمد بن حنبل: الزهد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ ص ١٢٢.

ويأتيهم الناس في بيوتهم فيطعمون معهم، عن عقبه بن مسرة، قال: «كنا عند معقل بن يسار فدعا بطعام فأكلنا..»^(١).

ومن ذلك الصلة عن طريق المصاهرة بين الصحابة ﷺ وقبائل العرب الأخرى في العراق، أو الأعاجم - كما مر بنا-، وهو ما ساعد على الحد من تأثير العصبية العشائرية والقبلية، والحد من كل صيحة تتقدم على الدين والعصبية له في مجتمع المسلمين.

تلك نماذج تظهر مدى صلة الصحابة ﷺ بفئات المجتمع في العراق وتواصلهم معهم، وهذه الشواهد التاريخية توضح الدور الريادي للصحابة ﷺ في مجتمع العراق، من خلال الحكم والإدارة، والتعليم والمدارس، والتوجيه والدعوة، إلى جانب المصاهرة والمشاركة في المناسبات الاجتماعية.

* * *

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٨٥/٥.

المبحث الخامس

مدى تأثير الصحابة ﷺ بمجتمع العراق

إنَّ الصورة مختلفة جدًا بين مجتمع جزيرة العرب التي قدم منها الصحابة ﷺ، ومجتمع العراق وخاصة بعد الفتح.

وثمة فروق ظاهرة في الحياة الاجتماعية بينهما أفرزتها الأوضاع المختلفة، ويأتي في مقدمتها؛ تعدد الديانات والمذاهب، وتنوع البيئات والثقافات، ووفرة الموارد الطبيعية وخاصة الزراعيَّة، وعوائد الفتح.

ولا ننكر أن المدينة النبويَّة -على وجه الخصوص- كانت قد أفادت من عوائد الفتح، إلا أنه كان للفاتحين من الصحابة ﷺ وغيرهم في العراق الحظ الأكبر منها، لما خولَّهم الله فيه من الغنائم والسبي، ومن ثم العطاء.

إن المجتمع الجديد في العراق بما امتلكه من مقومات الأمن والاستقرار، وظهور مدن جديدة جاذبة للهجرات البشريَّة، جعل منه مجالاً للازدهار الاقتصادي من عوائد الفتح، ومما أفرزته هذه المجتمعات الجديدة من نشاطات اقتصادية في الزراعة والصناعة والتجارة، وقد أسهم ذلك كله في تحسن مستوى المعيشة لسكانها.

ولابد قبل الحديث عن مدى تأثير الصحابة ﷺ بمجتمع العراق أن نلقي الضوء على مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في المجتمع العراقي الجديد، وهو تعدد مصادر الدخل، ثم ما نتج عن ذلك من مظاهر تستدعي تحسن مستوى المعيشة، حتى نتعرف إلى أوضاع المجتمع الاقتصادي ومدى تأثير الصحابة ﷺ بها. على أن أهم مصادر الدخل في العراق تأتي على النحو التالي:

أولاً: إزهار الحياة الاقتصادية (زراعية، وصناعية، وتجارية).

فالزراعة وافرة حيث بلاد الرافدين تزخر بنهري: دجلة والفرات، فتتوفر المياه العذبة، والسهول الفيضية الخصبة، حتى عرفت باسم السواد لكثرة الأشجار والزراعة فيها، فهي غنية بالمحاصيل الزراعية المختلفة من التمور، والحبوب، والخضار، والفواكه، على تنوع في هذه المحاصيل.

وكذا الصناعة، فالعراق بلد الحضارات المتعاقبة، حيث يمتلك رصيذاً كبيراً من الصناعات اليدوية خشبية، ونسجية، وخزفية، ومعدنية، وغيرها.

وازدهرت التجارة فيه لتوافر المحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية حيث تم تبادل هذه المنتجات وتداولها بين أفراد المجتمع، إلى جانب وقوع العراق على طرق تجارية تربط القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، كما أنه يصل المحيط الهندي براً بالبحر المتوسط، وقد كان لذلك أثرٌ في التبادل التجاري من خلال طرق القوافل وخاصة طريق الحرير، حيث تم نقل الحرير، والتوابل، والعاج، والبخور، والسكر، والأحجار الكريمة وغيرها من الموارد^(١).

وثانياً: مع ازدهار الحياة الاقتصادية في العراق فثمة عامل آخر جدّ بعد الفتوح، وأسهم في ازدهار الحياة الاقتصادية وهو عوائد الفتوح من الغنائم والسبي، والخراج، والعطاء، والصوافي والقطائع، إلى جانب كفاءة الإدارة من قبل الصحابة ﷺ.

الغنائم: لقد فتح الله على المسلمين في فتوح العراق فانهالت عليهم الغنائم، وفي كل فتح يغنمون ما ليس بحسابانهم، وما ليس لهم به علم، ففي فتح المدائن قال حبيب ابن صهبان: «دخلنا المدائن، فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالاً مختمة بالرصاص،

(١) أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن ١٣١، ولم يفقد العراق أهمية موقعه إلا في العصر الحديث، مع ما يسمى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، ثم بعد شق قناة السويس.

فما حسبتها إلا طعامًا، فإذا هي آنية الذهب والفضة فقسمت بعد بين الناس وقال حبيب: وقد رأيت الرجل يطوف ويقول: من معه بيضاء بصفراء؟!^(١)، قال: فبلغ سهم الرجل منا ثلاثة عشر دابة، وأصابوا من الجامات الذهب والفضة، قال: فكان الرجل منا يعرض الصحيفة من الذهب يبدلها بصحفة من فضة يعجبه بياضها، فيقول: من يأخذ صفراء ببيضاء؟!^(٢).

وعتبة بن غزوان لما قتل المرزبان وأخذ قباؤه ومنطقته، وفيها الذهب والجوهر، بعث به إلى عمر بن الخطاب، فلما قدم سلب المرزبان المدينة سأل الناس الرسول عن حال الناس، فقال القادم: يا معشر المسلمين، عم تسألون؟ تركت والله الناس يهتالون الذهب والفضة فنشط الناس، وأقبل عمر يرسل الرجال إليه المائة والخمسين ونحو ذلك مددًا لعتبة إلى البصرة^(٣).

وكان المال المتحصل من وقعة جلولاء (٣٠) مليون دينار، وكان خمسه (٦) ملايين دينار، وكان الذي أصاب كل فارس يوم جلولاء مثل ما أصاب يوم المدائن، يعني (١٢٠٠٠) دينار لكل فارس، وقيل: أصاب كل فارس (٩٠٠٠) دينار، وتسع دواب^(٤).

وبعد فتح تستر بعث أبو موسى بالهرمزان إلى عمر بن الخطاب ومعه اثنا عشر أسيرًا من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب، وأسورة الذهب، فقدموا بهم المدينة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤ / ١٧؛ وانظر: خليفة: التاريخ ١٣٣.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨ / ٢٤٢، قال ذلك حبيب بن صهبان، أبو مالك الأسدي الكوفي وكان ممن شهد فتح المدائن.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٧.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢٢، لم يذكر ابن كثير نوع العملة هنا، ولم أجد لها عند غيره، لكنه ذكرها في غنائم المدائن بالدينار. ١٣ / ١٠، فقستها عليها، خاصة أنه هنا قارن بينها.

في زيهم ذلك، فجعل الناس يعجبون^(١).

بل بلغ من ذلك أنه أتى إلى بيت المال بالمدينة ذهب كثير وأنهم نثروه على النطع وطلب عمر من ابن عباس قسمته^(٢).

وفي فتح سجستان سنة (٣٠هـ) صالح والي خراسان الربيع بن زياد الحارثي (ت ٥٣هـ)، المرزبان على (١٠٠٠) وصيف مع كل وصيف جام من ذهب، وكانت ولاية الربيع ستين ونصفاً، وسبى في ولايته هذه (٤٠,٠٠٠) أسير^(٣).

ولمّا حاصر والي سجستان سنة (٣٣هـ) عبدالرحمن بن سمرة (ت ٥٠هـ) مرزبان زرنج في قصره في يوم عيد لهم صالحه على (٢٠٠٠) وصيف، وصالح أهل بلاد الدوار على (٣٢٠٠٠) أسير^(٤).

وبعد نهاوند وقع للمسلمين ذخيرة كسرى، جوهرًا كان أعده لنواب الزمان، وقومت بـ (٤) مليون^(٥)، حيث اجتمع التجار عند مسجد الكوفة، فابتاعها عمرو ابن حريث ثم خرج بها إلى أرض العجم فباعها بأضعاف قيمتها، فما زال أكثر أهل الكوفة مالاً^(٦)، وهذه الغنائم من أموال، وعروض، ورقيق، أسهمت بشكل كبير في ازدهار التجارة في العراق وأقاليم الدولة الإسلامية، وتوفر المال في أيدي الصحابة وغيرهم من الناس، فقد حصل ابن حريث في صفقة واحدة على الملايين.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨٩/٥.

(٢) قال ابن عباس: «دعاني عمر بن الخطاب فأتيته فإذا بين يديه نطع عليه الذهب مشور حثا...، قال: هلم فاقسم هذا بين قومك». ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٣٠٣، والنطع: بساط من الأديم.

الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٧٦٧.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٨٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٣٨٢.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٣٥.

(٦) ابن حبان: الثقات ٢/٢٣٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٢٢٧.

الخراج: حين فتح المسلمون السواد، استشار عمر الصحابة ﷺ، فيما يصنع بأرضه، فهناك من رأى أن تقسم الأرض على الفاتحين بحجة أنها فتحت عنوة، ومنهم من رأى أن تكون خراجية ليعم نفعها المسلمين وتبقى موردًا ثابتًا لهم، وهو الرأي الذي وجه به عمر قادة العراق، فلم تقسم على الفاتحين على الرغم من أنها فتحت عنوة، بل تركت في أيدي أهلها على أن يدفعوا خراجها، قال أبو يوسف: «والذي رأى عمر،... من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم؛ لأن هذا لو لم يكن موقفًا على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا حلت من المقاتلة والمرزقة»^(١).

ومعناه أن الدولة قامت بدور الوساطة، وابتكرت حلًا وسطًا يجعل من الفيء ملكًا مشاعًا للمجتمع الإسلامي، فيشمل قبل كل شيء كل الذين شاركوا في الفتوح، فصار نوعًا من الوقف تتصرف فيه الدولة لمصلحة الجميع^(٢).

وكانت مساحة السواد الخاضعة للخراج في عهد عمر تساوي (٣٦) مليون جريب^(٣)، وبلغ خراج العراق حوالي (١٠٠) مليون درهم سنويًا^(٤)، وخصص أكثر ذلك لأعطيات المجاهدين.

(١) أبو يوسف: الخراج ٣٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨٤-٥٨٥، ٦١٤-٦١٥؛ هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية ٨٥.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٤، والجريب قياس مساحة يساوي ١٥٩٢ مترًا مربعًا. هشام جعيط: الكوفة ٨٧.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٦؛ أبو يوسف: الخراج ١٢٥، ١٢٧؛ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية، (د. ط)، دار الحديث - القاهرة (د. ت)، ص ٢٦١؛ أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت ٤٥٨هـ): الأحكام السلطانية، ط: الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ، ص ١٨٥.

ومن آثار هذا الاختيار من عمر المحافظة على الزراعة في السواد، وحماية المجاهدين من الطمع والانشغال بالثراء وبقاؤهم في مجال الفتوح، وتقوم الدولة بكفالتهم بتوزيع الثروة بحيث يصلهم من العطاء السنوي ما يكفيهم، عدا ما يحصلون عليه من الغنائم^(١).

العطاء: كتب عمر بن الخطاب إلى حذيفة أن أعطِ الناس أعطياتهم وأرزاقهم، فكتب إليه: إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير، فكتب إليه: «أنه فيئهم الذي أفاءه الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر فاقسمه بينهم»^(٢).

وهذه ليست نظرة عمر وحده، بل هي نظرة الخلفاء الراشدين؛ والصحابة ﷺ الكرام المنبثقة من تعاليم الدين الإسلامي، وعلى ضوء هذه النظرة وضع عمر ديوان العطاء.

ذلك أنه لما كثرت الأموال عند عمر من الغنائم والخراج من فتوح العراق والشام دون ديوان العطاء سنة (١٥هـ)^(٣)، بعد أن استشار الصحابة ﷺ، ثم أمر جماعة من المسلمين بعمله، وقال لهم: اكتبوا الناس على منازلهم فبدأوا ببني هاشم، وأتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر إليه عمر، قال: «وددت والله أنه هكذا ولكن ابدؤا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى»^(٤).

(١) هشام جعيط: الكوفة ٨٧-٨٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٤٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦١٤/٣، في حين جاء في بعض الروايات أن ذلك في عام (٢٠هـ). البلاذري: فتوح البلدان ٤٣٣، والذي يظهر أن العطاء بدأ مع الفتوح، ولكن تنظيم الديوان وكتابة الناس فيه كان في سنة (٢٠هـ).

(٤) وجاءت بنو عدي إلى عمر فقالوا: أنت خليفة رسول الله ﷺ وخليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا، قال: يخ بنو عدي أردتم الأكل =

وكان ترتيب العطاء للصحابة على النحو التالي^(١):

أم المؤمنين عائشة (١٢٠٠٠) درهم، وزوجات النبي ﷺ (١٠,٠٠٠) درهم^(٢)،
والعباس (٥٠٠٠) درهم^(٣)، وأهل بدر (٥٠٠٠) درهم^(٤)، وما بين بدر والحديبية
(٤٠٠٠) درهم، وما بعد بدر إلى من ولي الأيام قبل القادسية (٣٠٠٠) درهم.

وأن عمر «عمّ بفريضته كل صريح وحليف ومولى شهد بدرًا فلم يفضل أحدًا على أحد»^(٥).
وعليه فالعطاء شامل لعموم المسلمين؛ من العرب وأحلافهم ومواليهم، ويمثل
دخلًا سنويًا جيدًا؛ إذ إن أدنى العطاء كان مائتي درهم، «وهو يطابق الحد الأدنى
لتكاليف المعيشة آنذاك»^(٦).

وعطاء الصحابة ﷺ وأهل الأيام قبل القادسية عاليًا، ومن يأتي بعدهم يمثلون عموم
الناس ومنهم أهل العراق فإن الحد الأعلى للعطاء يدعى شرف العطاء، وهو (٢٥٠٠)
درهم^(٧)، وشرف العطاء يدفع في الأصل لأهل الأيام والفتوح الأولى مجازات لهم

= على ظهري وأن أهب حسناتي لكم: لا والله حتى تأتيكم الدعوة، وأن يطبق عليكم الدفتر - يعني
ولو أن تكتبوا آخر الناس - إن لي صاحبين سلكا طريقًا فإن خالفتها خولف أبي، والله ما أدركنا
الفضل في الدنيا وما نرجو الثواب على عملنا إلا بمحمد فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب
فالأقرب، والله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل لهم أولى بمحمد منا يوم القيامة، فإن من
قصر به عمله لم يسرع به نسبه. البلاذري: فتوح البلدان ١/٤٣٢.

(١) انظر: البلاذري: فتوح البلدان ٤٣١-٤٣٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣/٦١٤-٦١٥.

(٢) انظر: البلاذري: فتوح البلدان ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٣٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٤٣٣.

(٤) انظر: البلاذري: فتوح البلدان ٤٣٧، ٤٣٨.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٤٣٨.

(٦) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ١٥١.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٦١٤؛ ابن دريد: الاشتقاق ٤٩٣؛ صالح العلي: التنظيمات

الاجتماعية ١٥١-١٥٢.

على إسهامهم في تلك الحروب، وكان الخلفاء أو الأمراء يضيفون لمن هم في شرف العطاء أسماء تحل محل المتوفين^(١).

أما عددهم في العراق في عهد عمر فيتجاوز (٦٠,٠٠٠) مقاتل، كما جاء عند الطبري: «وكان أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف، وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفاً، فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء في الألفين حتى ساواهم بهم، ألحق جميع من شهد الأهواز»^(٢). وهي تفيد أن عطاء أهل البلاء (٢٠٠٠) درهم، وهم أهل شرف العطاء.

أما أغلبية المقاتلة فإن عطاءها أصناف بين هذين الحدين الأدنى والأعلى^(٣).
والعطاء يدفع سنويًا في المحرم عند بدء السنة الهجرية، كما في عهد عمر بن الخطاب^(٤).

ويشمل العطاء كذلك غير المقاتلة من النساء، فكان عطاؤهن (٢٠٠) درهم^(٥).
أما الصبيان فعطاؤهم (١٠٠) درهم^(٦)، تدفع لهم عند الفطام، ولما أخذ بعض الناس يستعجلون فطام أطفالهم للعطاء؛ قرر الفاروق أن يفرض للمولود عطاء حال ولادته^(٧).

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٤/١٢٦-١٢٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٧٥.

(٣) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ١٥٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٣؛ صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ١٥٧.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٦١٥.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٦١٥.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٣٠١؛ البلاذري: فتوح البلدان ٤٤١، أنساب الأشراف ١٠/٣٥١.

وإذا كان هذا عطاء الوليد زمن الفاروق فإنه يزيد ذلك العطاء إذا ترعرع إلى (٢٠٠) درهم، فإذا بلغ زاده، كما فرض للقطاء عطاءً لهم ولمن يليهم، حيث فرض للقيط (١٠٠) درهم، «وفرض له رزقاً يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه ثم ينقله من سنة إلى سنة، وكان يوصي بهم خيراً ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال»^(١). وكان توزيع العطاء يجري على يد الأمراء إلى أمراء الأسباع إلى العرفاء فيدفعونه إلى أهله^(٢).

وإلى جانب العطاء، فهناك الرزق الذي فرضه عمر للمقاتلة وهو عبارة عن جريبين من الحنطة شهرياً للفرد الواحد؛ وقدّر ذلك على أساس مقدار حاجته للاستهلاك الشهري^(٣)، حيث دار الرزق في الكوفة^(٤)، والزابوقة وهي مدينة الرزق في البصرة^(٥). وما يأتي الناس من العطاء والرزق، إلى جانب ما يصيبونه من الغنائم في المعارك، هذا فضلاً عما تأخذه نساؤهم وأطفالهم من الأعطيات والأرزاق والكسوة^(٦)، كل هذا من أجل أن يتم توفير الحاجات الضرورية للإنسان وهو ما يدل على ارتفاع مستوى المعيشة، فضلاً عن محاكات العرب لأساليب معيشة أهل البلاد المفتوحة بما لديهم من نِعَم وخيرات، حتى لقد روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: ما دون أربعة آلاف درهم نفقة، وما فوقها كنز^(٧)، فجعل الحد الأدنى للنفقة (٤٠٠٠) درهم.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٤٣٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٤٤٢؛ أبو يوسف: الخراج ٥٨؛ العلي: التنظيمات الاجتماعية ١٦٧.

(٤) خليفة: التاريخ ٢٠٩.

(٥) خليفة: التاريخ ١٨١، ١٨٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٤٦٩.

(٦) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ١٨٤.

(٧) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٣٥٢؛ عبد الرزاق: المصنف ٤/١٠٩؛ صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية

وهذه صورة لالتزام الدولة الإسلامية في عصر الراشدين ﷺ بالحد الأدنى من الدخل للمقيمين في قواعد الفتح ومنها الكوفة والبصرة، ومعهم أهل المدينة، وهو ما يوفر الحياة الكريمة للفرد والأسرة حيث شمل العطاء رب الأسرة وأعضاءها حتى الرضع، كما شمل العجزة واللقطاء.

الصوافي والقطائع: وأصل الصوافي أن عمر كان أصفى كل «أرض من قُتل في الحرب، وأرض من هرب، وكل أرض كسرى، وكل أرض لأهل بيته، وكل مغيض ماء، وكل دير يزيد، وكل صافية اصطفاها كسرى»، حيث بلغت صوافي السواد في عهد عمر (٧) ملايين درهم سنويًا^(١).

و«كتبوا إلى عمر في الصوافي، فكتب إليهم: أن اعمدوا إلى الصوافي التي أصفاكموها الله، فوزعوها على من أفاءها الله عليه، أربعة أخماس للجند، وخمس في مواضعه إلي، وإن أحبوا أن ينزلوها فهو الذي لهم»^(٢). ووزعت على المجاهدين، فكل محارب اشترك في القتال فيما بين مرحلة الأيام والاستيلاء على المدائن، له استحقاق في الفيء (الصوافي بسواد الفرات)، وكان المقصود بالذات هو الجيش الذي حضر وقعة القادسية^(٣).

والصحابة ﷺ والفاتحون لما جعل عمر أمر الصوافي إليهم، ولَو الفلاحين ليقوموا بزاعتها، ثم يقتسمونها في كل عام، وكانوا لا يولونها إلا من أجمعوا عليه بالرضا^(٤).

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٨؛ أبو يوسف: الخراج ٦٩؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٨٣٧١) ٢٢٦/٩، و«الصوافي»: الأملاك والأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، واحدا صافية. ابن الأثير: النهاية ٤٠/٣.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣١/٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣١/٤، معنى «فيء» الواضح في هذا الصدد هو أراضي الصوافي. هشام جعيط: الكوفة ٨٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٢/٤.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية للصحابة ﷺ في العراق

والقطائع، وهي ما أقطعه الخلفاء لبعض الصحابة ﷺ والقادة، وهي على وجه النفل من خمس ما أفاء الله على المسلمين^(١)، وقد ورد ما يوضح أمر هذه القطائع، ذلك أنه «لما مضى أمر القادسية والمدائن دُفع ما جلا عنه أهله من أراضي تلك العيون إلى المسلمين فأقطعوه»^(٢).

وهي من الصوافي كون أهلها تركوها وجلوا عنها، إلا أن الصوافي قسمها الأمراء والقادة في العراق، في حين القطائع أقطعها الخلفاء، وبعض القطائع إنما كان من أراض غير مملوكة لأحد، فهي من الأرض الموات.

وقد أقطع عمر: طلحة، وجريير بن عبدالله، والربيل بن عمرو، وأمر عمر أن يقطع أبا موسى. وأقطع عثمان: الزبير، وخباب، وابن مسعود، وعمار بن ياسر^(٣)، حيث أقطع عبدالله بن مسعود أرضًا بالنهرين، وأقطع عمار بن ياسر أستينيا، وأقطع خباب ابن الأرت صعنبا، وأقطع سعدًا قرية هرمز^(٤)، وأقطع طلحة بن عبيدالله النشاستج^(٥)، وأقطع أسامة بن زيد أرضًا باعها، وأقطع عدي بن حاتم الطائي الروحاء، وأقطع خالد ابن عرفة أرضًا عند حمام أعين^(٦).

وجاء أن سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود يعطيان أرضهما مزارعة بالثلث والربع^(٧).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٨٩/٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٩٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٨٩/٣، والربيل بن عمرو الوالبي، له ذكر في الفتوح، وهو من شجعان القادسية. الطبري ٥٤٤/٣.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٨، وعنده «أسبينا» بدل «إستينيا»؛ أبو يوسف: الخراج ٧٤، وجاء أن «إستينيا» لخباب بن الأرت. البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/١٧٦.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/٢٨٦.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٨، ٢٦٩.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٩؛ أبو يوسف: الخراج ٧٤.

وأقطع عليّ: كردوس بن هانيء الكردوسية، وسويد بن غفلة الجعفي^(١).

وكتب عمر إلى والي البصرة، «أما بعد، فإن أبا عبدالله ذكر أنه زرع بالبصرة في إمارة ابن غزوان وافتلى^(٢) أولاد الخيل حين لم يفتلها أحد من أهل البصرة، وأنه نعم ما أرى فأعنه على زرعه وعلى خيله، فإني قد أذنت له أن يزرع، وآته أرضه التي زرع...»^(٣).

كفاءة الولاة: إن تحسن اقتصاد العراق ونشاط الحياة الاقتصادية فيه، من عوامله الكبرى كفاءة الولاة وحسن إدارتهم لولاياتهم، ومن هؤلاء من الصحابة ﷺ، سعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، وأبي موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وما صحب ولاياتهم من أمانة ونزاهة، فقد تولى الكوفة سعد بن أبي وقاص لعمر ولعثمان^(٤)، وتولاها لعمر، عمار بن ياسر^(٥)، والمغيرة بن شعبة^(٦)، وتولاها لعثمان، أبو موسى الأشعري^(٧)، والوليد بن عقبة^(٨)، وسعيد بن العاص^(٩)، وتولاها لعليّ، أبو مسعود الأنصاري^(١٠).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨٩.

(٢) فلا المهر عن أمه وافتلاه: أي فطمه، وقيل: فلاه: فطمه، وافتلاه: اتخذها، وفتلوت المهر إذا أنتجته، وفلاه: إذا رباه، وكذلك افتلاه، ومعناه أنه أول من أنتج الخيل واتخذها ورباها من المسلمين في البصرة. ابن منظور: لسان العرب ١٥/ ١٦١-١٦٢، مادة: فلا؛ الزبيدي: تاج العروس ٣٩/ ٢٤٩، مادة: فلو.

(٣) وأبو عبدالله قيل إنه نافع بن الحارث بن كلدة طبيب العرب، البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١-٣٤٢؛ وانظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٧٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٢.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٣٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٠.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٦.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٤.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٤.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٦.

وتولى البصرة لعمر، عتبة بن غزوان^(١)، وأبو موسى الأشعري^(٢)، وعثمان بن أبي العاص^(٣)، وتولاها لعلبي، عبدالله بن عباس^(٤).

أما المدائن فقد تولاها لعمر، سلمان الفارسي^(٥)، ثم حذيفة بن اليمان^(٦).

وتولى بعض الصحابة ﷺ القضاء في العراق، حيث تولى قضاء الكوفة لعمر، ابن مسعود^(٧)، وعروة بن أبي الجعد البارقبي^(٨).

وتولى قضاء البصرة لعمر، عمران بن الحصين^(٩).

كما تولى بعض الصحابة ﷺ بيت المال في العراق، حيث تولى بيت مال الكوفة لعمر، عبدالله بن مسعود مع القضاء^(١٠)، والسواد عثمان بن حنيف^(١١)، وقيل عثمان ابن حنيف الفرات وما سقى، وحذيفة دجلة وما سقى^(١٢) وتولى السواد، المغيرة بن شعبه^(١٣).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/١٠٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٤٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٩٩.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٣١٩، وكان اعتذر من الإمارة مرتين ووعده الفاروق في الثالثة - كما جاء عن سلمان - مما استدل به على أن الفاروق عذره. الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٥٤٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٨، ٧/٣١٧، وبقي فيها حتى مات. العجلي: الثقات ١١١، ابن حجر: الإصابة ٢/٣٩.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٥؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٣٠١٢) ٦/٥٧٥.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٣٤.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٠.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٨؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٣٠١٢) ٦/٥٧٥.

(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٨؛ خليفة: الطبقات ١٥٤.

(١٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٣٩.

(١٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٥.

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية والاجتماعية في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

ولئن كان للصحابة ﷺ أثر على مجتمع العراق في الجوانب الدينية، والسلوكية، والعلمية، والاجتماعية، فقد تأثروا بجوانب من الحياة الاجتماعية وعوائد الأطعمة واللباس والزينة، مما هو داخل في مجال الحل والإباحة من جهة الحكم الشرعي، فتحسنت أوضاعهم المعيشية، وتعرفوا إلى أنواع من الأطعمة لم تكن معروفة بجزيرة العرب.

الأطعمة: تعرّف الصحابة ﷺ في العراق إلى أنواع من الأطعمة لم تكن موجودة في جزيرة العرب، ومن جهة أخرى فإن الأطعمة المعروفة وغير المعروفة تتوفر بكميات كبيرة، -على خلاف ما عليه الحال في جزيرة العرب- حيث أرض السواد التي تغطيها مزارع النخيل، والحبوب، والقطن، والقصب، إلى جانب الثروة الحيوانية من الأبقار والأغنام.

ومن الأطعمة المتوفرة في العراق: الحنطة، والشعير، والماش، والكروم، والسمس، والقصب^(١)، والقطن^(٢)، والجبن^(٣)، وغيرها من الأطعمة مما سيرد معنا ذكره.

والجبن من الأطعمة الجديدة على الصحابة ﷺ، وجاءت نصوص كثيرة تدل على توفره، بل ورد جزء منها يحمل أسئلة عن جواز أكله^(٤)، وقد وجهت هذه الأسئلة لبعض

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٦.

(٣) ذلك أنه لما افتتح المسلمون المدائن أصابوا سلة، فقال سلمان: «افتحوها، فإن كان طعماً أكلناه، وإن كان مألأ دفعناه إلى هؤلاء قال: ففتحنها فإذا أرغفة حوارى، وإذا جبة وسكين قال: وكان أول ما رأته العرب الحوارى، فجعل سلمان يصف لهم كيف يعمل، ثم أخذ السكين وجعل يقطع، وقال: بسم الله، كلوا». ابن أبي شيبة: المصنف ١٣٠ / ٥، والحوارى، نوع من الخبز الجيد.

(٤) إما لأنهم يضعون فيه أنافيح الميتة، أو لأنه من صنع مجوس، فما كان كذلك فلا يجوز أكله، أما ما كان من صنع أهل الكتاب فيجوز أكله لحل ذبائحهم.

الصحابة رضي الله عنهم، منهم عمر^(١)، وابن مسعود^(٢)، وأم سلمة^(٣)، وابن عباس^(٤)، وقد وصل الجبن إلى الصحابة رضي الله عنهم في الحجاز وكان يعجبهم؛ فحين سئل عنه ابن عباس قال: «ما يأتينا من العراق أعجب إلينا من الجبن»^(٥)، ومثله نقل عن ابن عمر حين سئل عنه^(٦).

والجوز، متوفر في العراق، وكانوا يثرونه في الأعراس، قال عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري (ت ٦٨هـ)، في نثر الجوز: «إن وضعتموه أصبنا منه، وإن نثرتموه لم نصب منه»^(٧)، بل إن أم قيس قالت: «مررت على مسروق (ت ٦٣هـ) بالسلسلة ومعني ستون ثوراً تحمل الجبن والجوز»^(٨).

وقصب السكر متوفر بكثرة في أرض العراق حتى إن الصحابي أبا مسعود الأنصاري، كان «إذا نثر على الصبيان منع صبيانه، واشترى لهم»^(٩)، مما يدل على وفرته في الأسواق، ولذا قال أحدهم: «ما آسى من البصرة إلا على ثلاث: قصب السكر، وليل الخريز، وحديث ابن أبي بكرة»^(١٠). بل إن هناك ما يشير إلى وجود السكر

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٤٩؛ عبد الرزاق: المصنف ٤/٥٣٩، ٤/٥٣٨؛ البيهقي: السنن الكبرى ٩/٥٣٧، ٩/١٠، ١٠/١٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٣٠؛ البيهقي: السنن الكبرى ١١/١٠.

(٣) عبد الرزاق: المصنف ٤/٥٣٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٢٩؛ البيهقي: السنن الكبرى ١٠/١٠.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٢٩.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٣١.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٢٩؛ البيهقي: السنن الكبرى ١١/١٠.

(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ٤/٣٦٧، ويسمى الثَّار؛ وهو مختلف فيه بين الكراهة، والإباحة. انظر: ابن قدامة: المغني ٧/٢٨٧.

(٨) أم قيس جدة عمرو بن ميمون بن مهران روت عن مسروق. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/٤٩٦، والسلسلة في واسط وكان مسروق عليها من قبل زياد. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٨٣.

(٩) ابن أبي شيبة: المصنف ٤/٣٦٨.

(١٠) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٣٠٨، والخريز موضع بالبصرة، لم يروا هواء أعدل ولا نسيماً أرق ولا أطيب من ذلك الموقع. المحقق.

في المدينة زمن عمر^(١).

وكذلك اللوز، والفسق، والبندق، والعسل، فهي متوفرة في العراق^(٢).

واللحم متوفر في أرض العراق، ولذا فإن عمر لما قدم عليه وفد البصرة مع أبي موسى أذن لأمرء العراق بشاتين وجريبين من طعام كل يوم من بيت المال^(٣)، ورأى عبدالله بن مسعود مع رجل دراهم، فقال: أي شيء تصنع بهذه الدراهم؟ فقال: هذه يا أبا عبد الرحمن ثلاثون درهماً أريد أن أشتري بها سمناً لرمضان، فقال: تجعله في السكرجة فتأكله؟ قال: نعم، قال: «اذهب فادفعها إلى امرأتك، ومرها أن تشتري كل يوم بدرهم لحماً، فهو خير لك»^(٤).

وعرف الصحابة ﷺ الخبز المرقق في العراق، وجاء عن أنس، قال: «ما علمت النبي ﷺ أكل على سكرجة قط، ولا خبز له مرقق قط، ولا أكل على خوان قط، قيل لقتادة: فعلام كانوا يأكلون؟ قال: على السفر»^(٥).

فهذه ثلاثة أشياء مما وجدها أنس في العراق، وهي: سكرجة، وخوان، وخبز مرقق^(٦).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ٥٣.

(٢) أبو يوسف: الخراج ٦٧، ٨٣.

(٣) حيث قالوا لعمر: «إنا بأرض ذات ريف، وإن أميرنا يعشي، وإن طعامه يؤكل، فنكت في الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال: فنعم، فإني قد فرضت لكم كل يوم من بيت المال شاتين وجريبين، فإذا كان بالغداة فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين فكل أنت وأصحابك...، فإذا كان بالعشي فضع الشاة الغابرة على الجريب الغابر». ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٢٨٠.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ١٤٠، والسكرجة يأتي التعريف بها بعد الحاشية التالية.

(٥) أخرجه البخاري، رقم (٥٣٨٦) ٧/ ٧٠، (٥٤١٥) ٧/ ٧٥، والسائل الراوي عن قتادة هو يونس بن أبي الفرات.

(٦) والسكرجة، هي قصاع يوضع فيها المشهيات كالسلطة ونحوها، وخوان، طبق مرتفع يوضع عليه الطعام وهو ما يسمى الآن بالطاولة والمنضدة، ومرقق هو الخبز المصنوع من لباب الدقيق وأجوده وأخلصه، واللباب: طحين مرقق. من تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري ٧/ ٧٠؛ وانظر: الزبيدي: تاج العروس ٦/ ٤١-٤٢.

الزينة: لقد عني الصحابة ﷺ بالنظافة والزينة وهو مما جاءت به الشريعة، ونقل عن بعضهم في ذلك من الخضاب، ونظافة البدن، والملابس، والتطيب والتعطر، حيث نقل عن عليّ بن أبي طالب، والمغيرة بن شعبة، وأنس بن مالك الخضاب بالصفرة^(١)، وعن أنس الخضاب بالحمرة^(٢)، وعن سعد بن أبي وقاص الخضاب بالسواد^(٣).

وأما التطيب والتعطر والنظافة، فقد نقل عن بعضهم ومنهم ابن مسعود، فعن نفيع مولى عبدالله قال: «كان عبدالله من أطيب الناس ريحًا وأنقاه ثوبًا أبيض»^(٤)، وقال عبدالرحمن بن خنيس الأسدي: رأيت ابن مسعود نظيف الثوب طيب الريح^(٥).

وأنس «جعل في حنوطه صرة مسك»^(٦)، وعليّ أوصى أن يجعل في حنوطه مسك، وقال: «هو فضل حنوط النبي ﷺ»^(٧). ولما غزا سلمان بلنجر، أصاب في قسمه صرة من مسك^(٨).

ولا يعني ذلك أنّ الصحابة ﷺ في الجزيرة لم يعنوا بالطيب والمسك وأنواع الزينة، فإن المقصود أنهم تعرفوا إلى أنواع من أدوات التزين ووسائله، وتوافرت لهم بشكل كبير، وهكذا نلاحظ تأثر الصحابة ﷺ بجوانب من الحياة الاجتماعية والمعيشية لإقليم العراق مما يدخل في مجال الإباحة والحل.

* * *

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢١٨، ٦/٢٠، ٧/٢٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٤٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٩٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠٢؛ ابن أبي شيبة: الأدب ١٧٦.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٠٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٥؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٤٦٠.

(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٤٦١.

(٨) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٤٦١، ٦/٥٦٢.

الفصل الخامس: أثر الصحابة ﷺ في الحياة الاجتماعية في العراق

« المبحث الأول: أثر الصحابة ﷺ في نشر القيم الاجتماعية بين السكان.

« المبحث الثاني: أثر الصحابة ﷺ في الهدى والسلوك والعمل.

« المبحث الثالث: أثر الصحابة ﷺ في الأعمال الخيرية.

« المبحث الرابع: أثر الصحابة ﷺ في عوائد الألبسة والأطعمة والأشربة.

« المبحث الخامس: أثر الصحابة ﷺ في إزالة العوائد القبلية والأعجمية وترشيدها.

« المبحث السادس: أثر الصحابة ﷺ في حل المشكلات الأسرية والاجتماعية.

نظر الصحابة ﷺ للحياة على أنها الدنيا، في مقابل الآخرة، وأنهم متعبدون فيها لله، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك: ٢]، ومن ثم فقد أقاموا حياتهم كلها وفق شريعة الله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢] «أي: ما آتبه في حياتي، وما يجريه الله عليّ، وما يقدر عليّ في مماتي، الجميع ﷻ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ»^(١).

فقاموا بالفرائض والواجبات، وامتنعوا عن المحرمات والمنهيات، في كل شؤونهم، وسعوا لتزكية نفوسهم واستصلاحها، ليحصل لهم الفلاح الدنيوي والأخروي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ٩] فكانوا متنافسين في فعل الخيرات -على ما نالوه من شرف الصحبة-؛ ولذا فقد تركوا أعمالاً وآثاراً في جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة.

وكان في مقدمة الآثار التي تركها الصحابة ﷺ في العراق، نشر قيم اجتماعية جديدة بين السكان، وتعزيز قيم موجودة، حيث سادت هذه القيم وغلبت على حياة الناس، فانتشر الإسلام وتحرر البشر من عبودية غير الله، ذلك أن الدعوة إلى الله ونشر الإسلام كان الدافع الرئيس للجهاد والفتوح في الإسلام، فبعد الفتح الإسلامي للعراق انتشر الإسلام بين أهله في مختلف الديانات، حيث حملوا الدين ونافحوا عنه بالدعوة والجهاد، وبرز منهم أئمة وعلماء في مختلف الفنون، وتقلّصت الديانات القديمة فيه، «ولقد كان هناك أمرٌ يستحوذ على الإعجاب، ويكاد ينفرد به تاريخنا، وهو انتصار الإسلام على الأديان القديمة التي كانت سائدة في البلاد التي حررها المسلمون وفتحوها انتصاراً مذهلاً، لقد تبنت شعوب البلاد المفتوحة مبادئ هذا الدين الجديد، وخالطت بشاشته قلوبهم، وأقبلوا عليه بحماسة واندفاع، ودخلوا في

(١) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٨٢.

دين الله أفواجا»^(١).

ولم نسمع ولم نقرأ عن مطاردات دموية، ولا حروب إبادة، ولا حرب الأرض المحروقة، ولا مقابر جماعية، ولا تدمير أو إحراق لدور العبادة، من قبل الفاتحين المسلمين، كما فعل النصارى بمسلمي الأندلس، أو في الحروب الصليبية، أو في استعمارهم لبلاد المسلمين، أو في حروبهم المعاصرة في أفغانستان، والصومال، والبوسنة والهرسك، والشيشان، والعراق، وغيرها، أو ما فعله ويفعله اليهود بفلسطين!! بل كان التسامح والعفو في عهد الصحابة ﷺ ومن بعدهم سجية المسلمين في فتوحهم، ومواقف صلاح الدين، والفتح بعد انتصاراتهم مشهورة، وهو ما يبرز رحمة المسلمين وعفوهم وتسامحهم، وعظمتهم، حتى قيل:

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحلّتم قتل الأسارى وطالما

غدونا عن الأسرى نعفّ ونصفح

فحسبكم هذا التفات بيننا

وكلّ إناء بالذي فيه ينضح^(٢)

بل إنَّ من دخل الإسلام من العجم من أهل البلاد المفتوحة - ومنها العراق - في عصر الراشدين ﷺ، وجد في دولة الإسلام صدرًا رحبًا واستعدادًا فذاً لمساواته

(١) محمد بن لطفی الصباغ: الحياة الاجتماعية في ضوء السنة ١٨٦.

(٢) الأبيات لسعد بن الصفي التميمي، الملقب: الحيص بيص (ت ٥٧٤هـ). ياقوت الحموي: معجم

الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي

- بيروت، ١٤١٤هـ ج ٣، ص ١٣٥٥.

بالمسلمين^(١)، ومن بقي على دينه وجد الأمن على نفسه وأهله وماله، كما وجد العدل، وحرية التدين وحرية العمل. لقد فتح المسلمون صدورهم لغير المسلمين، وأتاحوا للعناصر المتميزة منهم احتلال مواقعهم الاجتماعية والوظيفية في إطار مبدأ تكافؤ الفرص لم تعرفه أمة من الأمم عبر تاريخ البشرية كلها، وقد أسهموا في تولي المناصب الإدارية حيث كانت بعض الوظائف الكتابية والإدارية من نصيبهم، وأتيح لهم ممارسة النشاط الاقتصادي والمالي بحرية تكاد تكون مطلقة، فنموا ثرواتهم حتى إن بعض الأنشطة المالية والاقتصادية كادت أن تكون من اختصاص أهل الكتاب^(٢).

إنه «ليس ثمة تجربة في تاريخ البشرية، قديماً وحديثاً، احترم فيها فكر المخالفين، وصينت عقائدهم، وحميت حقوقهم، بل كانوا -على العكس تماماً- هدفاً للاستعباد والهوان والضياع، بل التصفية والإفناء، وستظل التجربة الإسلامية كما كانت المنار الهادي للمدللجين في ظلمات التاريخ»^(٣).

ذلك أن النظام الاجتماعي في الإسلام «يقوم على الطهارة، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وتحقيق العدالة، ومحو البؤس والحرمان، ونشر العلم والمعرفة والصحة، واستئصال شأفة المرض والفقر والجهل والظلم»^(٤).

ولذا فقد غلب على المجتمع الإسلامي في عصر الراشدين ﷺ؛ ومنه مجتمع العراق، الأمن والاستقرار، والعدل والإحسان، والأخوة الإسلامية، وانتشر فيه العلم، والبر، والازدهار، والرخاء.

(١) عماد الدين خليل: في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ط: الأولى، دار الفرقان - الأردن، ١٩٩٨م، ص ٢٢٧.

(٢) عماد الدين خليل: في التأصيل الإسلامي للتاريخ ٢٤٥.

(٣) عماد الدين خليل: في التأصيل الإسلامي للتاريخ ٢٥٠.

(٤) محمد بن لطف الصباغ: الحياة الاجتماعية في ضوء السنة ٨.

ولم يكن للمشكلات الاجتماعية وجود كبير، حتى غدت الحاجة إلى القضاء قليلة، قال الشعبي الكوفي: بُعث سلمان بن ربيعة على القضاء فمكثت أربعين يوماً أعدها يوماً يوماً، ما يردني إلى أهلي إلا الظهيرة وما تقدم إليه فيه اثنان^(١).

وظهر أثر الصحابة ﷺ في هديهم وسلوكهم وعملهم فكانوا قدوات في التعبد والنسك والزهد، حيث أخذ تلاميذهم من التابعين ذلك عنهم، حتى لقد غلب عليهم التعلق بالعبادة والتسك والزهد مع العلم والإمامة في الدين. وقد اشتهرت الكوفة والبصرة بذلك.

ومن خلال استعراض سريع لكتب الرجال والتراجم لهذا العصر فإن الحديث عن كثرة العبادة، وطول الصلاة، وكثرة الصيام، والإعراض عما في أيدي الناس، والرضا بالقليل من الدنيا، والاقتصاد في المطعم والمشرب، والخوف من الله، والورع والبعد عن الشبهات، هذا وأمثاله كان واضحاً في أدبيات هذا العصر عموماً وفي الكوفة والبصرة خصوصاً، حتى اشتهر منهم كبار النساك والزهاد في هذا العصر.

وسوف نتعرف إلى أثر الصحابة ﷺ في الحياة الاجتماعية في العراق من خلال مباحث هذا الفصل مبتدئين بالمبحث الأول: أثر الصحابة ﷺ في نشر القيم الاجتماعية بين السكان.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٣١؛ وكيع: أخبار القضاة ٢/١٨٦.

المبحث الأول

أثر الصحابة ﷺ في نشر القيم الاجتماعية بين السكان

القيم، مفردتها قيمة، بالكسر، وتأتي على معانٍ، ومنها: قَوْمُهُ: عدلته، فهو مستقيم^(١). فهي بمعنى الاستقامة والاعتدال، يقول -تعالى-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩]، بمعنى أن القرآن يهدي للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل^(٢)، فهي الأكثر استقامة، وهي المعتدلة المستقيمة.

ومصطلح «القيم» يدخل في كثير من المجالات، وقد تنوعت المعاني الاصطلاحية له بحسب المجال الذي يدرسه، وبحسب النظرة إليه.

والقيم الإسلامية هي القيم المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف الذي يعدّ «الحسن» ما وافق شرع الله واستوجب الثواب في الآخرة، ويعدّ «القبیح» ما خالف شرع الله وترتب عليه العقاب في الآخرة، وتشمل القيم الإسلامية جميع مناشط الحياة، وجميع مناحي التفكير والاعتقاد، وجميع العلاقات التي تربط المسلم بخالقه وبغيره من البشر، بل بالكون جميعاً، ومجال علاقة الفرد المسلم بغيره من البشر^(٣)،

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ١/١١٥٢؛ الزبيدي: تاج العروس ٣٣/٣١٢، مادة: قيمة.

(٢) الطبري: التفسير = جامع البيان ١٧/٣٩٢.

(٣) واخترت هذا التعريف لوضوحه بعيداً عن التعريفات ذات الصبغة الفلسفية. فؤاد علي العاجز. - «القيم وطرق تعلمها وتعليمها». - دراسة مقدمة إلى مؤتمر كلية التربية والفنون تحت عنوان: «القيم والتربية في عالم متغير» والمنعقد في جامعة اليرموك في الفترة من ٢٧-٢٩/٧/١٩٩٩م إربد، الأردن، ص ٢-٣، عبر الرابط التالي: <http://cutt.us/YQNbl>

وانظر مثلاً: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، ط: الرابعة، دار الوسيلة، جدة، (د. ت)، ص ١/٧٧؛ إبراهيم بن=

هو ما يمثل القيم الاجتماعية، وهو داخل في شعب الإيمان بالمصطلح الشرعي، إذ إنَّ شعب الإيمان تستوعب الحياة الاجتماعية بعامه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

وقد جاءت هذه الشعب في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم المختلفة، واجتهد في جمعها أئمة الإسلام، ومنهم البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، في كتابه الجامع لشعب الإيمان، وجاءت بعض الكتابات في الآداب وتهذيب النفوس، ومنها كتاب الآداب للبيهقي، وأمثاله من الكتب والمصنفات التي تعنى بهذا الجانب.

والنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسمى في الجاهلية «الأمين» -لما لمسه الناس فيه حينئذ من صدق في التعامل، وبعد عن الغش بصوره كافة - جاءت رسالته تكرّس هذا الأمر، لتجعل رسالة تبليغ الدين، وتمثله، بتفاصيلها كافة (أمانة).. وتلك الأمانة يتطلب حملها جهودًا كبيرة؛ فهي لا تتكى على الجهد البدني، الذي تعقبه الراحة فتمحو منه أثر التعب، ولكنه التعب العقلي والنفسي، الذي يتطلب التنبه الدائم، والحذر المستمر من الخروج عن سبيل الحق، في التعامل مع الخلق، فإن كل ما يناله الإنسان من حقوق الآخرين سيبقى في ذمته؛ فإن أداه في دنياه سقط من ذمته، وإلا أخذ بجريته يوم القيامة؛ ولذا ضرب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أروع الأمثال لصحابته الكرام رضي الله عنهم، وهو في

=صالح الدسياني: مفهوم القيم، بحث تكميلي للماجستير (غير منشور) قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٣١ هـ، ص ١٦-٢٠، ٥٢، ويعد مصطلح القيم من المصطلحات الحديثة الوافدة التي نشأت في الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تطور استخدامه لديهم على معانٍ متعددة. إبراهيم الدسياني: مفهوم القيم ١٥، وليس له ذكر في المصادر الإسلامية القديمة وإنما تم تداوله في الأدبيات المعاصرة.

(١) أخرجه مسلم (٣٥) ٦٣/١؛ وهو عند أبي داود، والترمذي، والنسائي، بضع وسبعون.

لحظات حاسمة، وبين يدي حرب مع عدو متربص، وكان يمارس دوره بوصفه قائدًا يرتب صفوف جنده، ومع ذلك حين يقول له أحدهم: أوجعتني، يا رسول الله فأقذني، لا يتردد لحظة أن يطلب منه أن يقتاد منه.

إن الصحابة ﷺ الذي تخرجوا في تلك المدرسة لم تكن عقيدتهم أفكارًا يحملونها في صدورهم، ويحفظون نصوصها في عقولهم، وإنما كانوا يكتبونها بحروف سلوكهم في حياتهم اليومية؛ ولذا أصبحوا يتمثلون تلك المبادئ بصورة عفوية، وهو ما جعلها تشكل سلوك الناس في تلك البيئات التي استوطنوها؛ فسكان تلك البيئات إما مسلمون يعرفون لصحابة رسول الله ﷺ، مكانتهم، ومن ثم يتخذونهم قدوة، وإما من العرب القادمين من الصحراء من أبناء القبائل حدثاء الإسلام، أو من من الأمم الأخرى، الذي أسلموا حديثاً، أو بقوا على دينهم يرقبون هؤلاء الفاتحين الجدد، ويتمثلون سلوكهم، فأدهشهم أن يكون أولئك الصحابة ﷺ، وفيهم الأمراء عليهم، يمثل سلوكهم، وأسلوب تواصلهم، مستوى من الرقي لم يعهده أولئك من قبل.

وحين نتأمل ذلك السلوك الذي ترك آثاراً عميقة، في نفوس الناس، في تلك البلاد، نجده يحمل سمات وقيماً، تمثل نموذجاً رائعاً، لا يملك أي أحد أمامها إلا الإعجاب والاندعاش ومحاولة الاقتداء.

ومن تلك السمات والقيم: الرحمة والشفقة والحرص على هداية الخلق، تحرير الإنسان والمحافظة على كرامته، العدل، النزاهة والأمانة، الشورى، الوفاء، نشر العلم، العمل، البر والإحسان، الشجاعة، وستقف مع هذه السمات والقيم بما يتناسب مع الكتاب.

الرحمة والشفقة والحرص على هداية الخلق:

من أسماء الله تبارك وتعالى، الرحمن، الرحيم، وهما اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، ورحمته سبقت غضبه، والنبي ﷺ نبي الرحمة، ودينه دين الرحمة، والله جل وعز وصف نبيه ورسالته بذلك فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧] فبعثته ورسالته رحمة للخلق، فالرحمة والشفقة والحرص على هداية الخلق وإنقاذهم من الضلال، من القيم الضرورية في الحياة الإنسانية، وهي واحدة من أهم السمات والقيم الاجتماعيّة التي قام الصحابة ﷺ بإشاعتها بين الناس، قال ابن مسعود: «أرحم من في الأرض، يرحمك من في السماء»^(١).

وظهرت هذه الرحمة في ساحات الوغى وجلاد الأعداء - فضلاً عن السلم - فلا بطر ولا استعلاء ولا تسلط ولا طغيان، جاء في كتاب أبي بكر الصديق إلى خالد بن الوليد: أن سر إلى العراق حتى تدخلها، ثم قال: وتألف أهل فارس، ومن كان في ملكهم من الأمم^(٢).

وفي حصار (بهرسير) - إحدى مدن المدائن - دعا سلمان الفارسي (ت ٣٥هـ) الفرس فيها فقال: «إنما كنت رجلاً منكم فهداني الله، فإن أنتم أسلمتم كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم تركتكم على دينكم وأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم نابذتكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين»^(٣).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ٢١٤، موقوفاً عليه، وقد جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ عند الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرک (٧٦٣١) ٤/ ٢٧٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٤٣.

(٣) أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ٢٣٥-٢٣٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٤، وفيه: وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٦.

ومن الرحمة بالناس أن المحاربين حين يقبلون الجزية، ثم يدخلون في الإسلام يقبل منهم وتوضع عنهم الجزية، وكان شعار الصحابة ﷺ هداة لا جباة، وكان من آثار ذلك أن بعض الأشراف من أهل أصبهان، لمّا فتحت دخلوا في الطاعة على أن يؤدوا الجزية، ثم إنهم أنفوا من الجزية فأسلموا^(١).

وأرسل سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥٥هـ) رُسله في القادسية إلى رستم لدعوته والتفاوض معه، ويلحظ اتفاقهم في دعوته على الفكرة والمضمون، وتأكيد أنه إن أسلم تركوا له أرضه، كما في مقولة ربعي بن عامر^(٢)، وحذيفة بن محصن^(٣)، والمغيرة ابن شعبة (ت ٥٥٠هـ)^(٤)، ثم بعث سعدُ بقيّة الوفد: إن أميرنا يقول لك: «إني أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك، العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه، ونرجع إلى أرضنا، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض، إلا أن داركم لكم، وأمركم فيكم^(٥)».

كل هذه المحاورات رغبة في إسلامهم وهدايتهم، فإن لم يكن فالجزية، وإلا فالقتال، ليس هناك بَطْر ولا تَسَلُّط، وإنما رحمة وعدل، ورغبة في هداية الخلق.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٠٦.

(٢) حيث قال: «واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء، فنقبل، ونكفّ عنك، أو المنابذة في اليوم الرابع». الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٠.

(٣) حيث خيرهم بين ثلاث: «الإسلام ونصرف عنكم، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة». الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢١.

(٤) حيث قال: «نحن نخيرك بين إحدى ثلاث خلال: إلى الإسلام ولكم فيه ما لنا وعليكم فيه ما علينا، ليس فيه تفاضل بيننا، أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون،... وإلا السيف إن أبيت، والإسلام أحب إلينا منهما». الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٥.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٥-٥٢٦.

وجباية المال ليست الهدف الأساس من تشريع الجزية، وإنما الهدف تحقيق خضوع أهل الذمة إلى حكم المسلمين، والعيش بين ظهرانهم ليطلعوا على محاسن الإسلام وعدل المسلمين، فتكون هذه المحاسن بمنزلة الأدلة المقنعة لهم على الإقلاع عن الكفر والدخول في الإسلام، والذي يؤيد ذلك أن الجزية تسقط عن من وجبت عليه بمجرد دخوله في الإسلام، مع الالتزام بحمايته والذود عنه، والفاتحون لا يقدمون على فرض الجزية على الأفراد إلا بعد تخييرهم بين الإسلام والجزية، وهم يفضلون دخول أهل البلاد المفتوحة في الإسلام وإعفاءهم من الجزية على البقاء في الكفر ودفع الجزية؛ لأنهم هداة لا جباة^(١)، وقد مرت بنا شواهد تاريخية كثيرة - في ثنايا الكتاب - تؤكد ذلك، ولعل من أقربها محاورات رسل سعد في القادسية مع الفرس.

ولئن كانت الشواهد السابقة في حال الجهاد والغزو، فثمة شواهد أخرى جماعية وفردية في حال السلم تدل على رحمة الناس والحرص على هدايتهم، فأبو موسى الأشعري (ت ٤٤هـ)، يواسي الناس بنفسه، حين بلغه أن أناساً يمنعهم من الجمعة أن لا ثياب لهم، فلبس عباءة ثم خرج فصلى بالناس^(٢).

وسمع ابن مسعود (ت ٣٢هـ)، صوت غناء فدخل على صاحب الصوت فوجد شاباً حسن الصوت فدعاه إلى ترك ذلك وشجعه على استبداله بالقرآن، فتاب الشاب وفرح ابن مسعود بتوبته وبكى معه وأطعمه، وصار من تلاميذه. قال زاذان أبو عمرو الكندي مولاهم (ت ٨٢هـ): كنت غلاماً حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور^(٣)، فكنت مع صاحب لي، وعندنا نبيذ، وأنا أغنيهم، فمر ابن مسعود، فدخل، فضرب

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ١٥/١٥٩ - ١٦٠.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٢٥٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/١١٢ - ١١٣.

(٣) الطنبور: الطنبور فارسي معرب، من أدوات الطرب. ابن منظور: لسان العرب ٤/٥٠٤، مادة: طنبر.

الباطية^(١)، بددها، وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن، كنت أنت أنت. ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود. فألقي في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل عليّ، فاعتنقني، وبكى، وقال: مرحبًا بمن أحبه الله، اجلس. ثم دخل، وأخرج لي تمرًا. وكان من شأنه بعد أن قال زبيد اليامي الكوفي: رأيت زاذان يصلي كأنه جذع^(٢).

ودرج التابعون تلاميذ أولئك الصحابة ﷺ على هذا الهدى، من رحمة الناس والحرص على هدايتهم، ومن ذلك أن صلة بن أشيم العدوي البصري (ت ٦٢هـ)، كان هو وأصحابه فمر بهم فتى يجرد ذيله، فهم أصحاب صلة أن يأخذه بألستهم أخذًا شديدًا، فقال صلة: دعوه أكفكم أمره، فقال له: يا ابن أخ، لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك. قال: نعم، ونعمة عين. قال: فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: كان هذا أمثل مما أردتم، لو شتمتموه وآذيتموه شتمكم^(٣).

وزبيد بن الحارث اليامي الكوفي (ت ١٢٢هـ)، يهدي للصبيان الجوز إذا صلوا، قال زياد بن حدير الأسدي^(٤): كان زبيد - مؤذن مسجده -، فكان يقول للصبيان: تعالوا، فصلوا، أهب لكم جوزًا. فكانوا يصلون، ثم يحيطون به. فقلت له في ذلك، فقال: وما علي أن أشتري لهم جوزًا بخمسة دراهم، ويتعودون الصلاة^(٥).

(١) الباطية: الناجود، وهي إناء النبيذ. محقق السير.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٨١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٣٥.

(٤) إمام مسجد الجماعة بالكوفة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦ / ١٣٠.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٩٧.

هذه بعض الشواهد التاريخية على أثر الصحابة ﷺ في إشاعة قيمة الرحمة بالخلق والحرص على هدايتهم، وإنقاذهم من الضلال، في أحوال مختلفة من الحرب والسلم، في مجتمع العراق، ولاشك أن غير العراق من الأقاليم قد أشاع فيه الصحابة ﷺ القيمة نفسها، واستمرت هذه القيمة الاجتماعية لدى تلاميذهم من التابعين.

تحرير الإنسان والمحافظة على كرامته:

إن من القيم الضرورية في حياة الإنسان تحريره وحفظ كرامته، والهدف الأعلى والأسمى التي شرعت الحرية في الإسلام من أجله، هو تحقيق العبودية لله على أكمل وجه، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] ومن ثم تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، فالمسلم يجب أن يكون سالماً من كل أنواع الرق والخضوع والاستعباد، ظاهراً وباطناً، فكما أن خضوع الإنسان لأخيه الإنسان واستعباده له يعد نقصاً في حريته؛ ومن ثم في عبوديته لله، كذلك فإن خضوع قلب الإنسان لشيء من أمور الدنيا واستعباده له يعد نقصاً في حريته، ومن ثم عبوديته لله، حيث جاءت النصوص الشرعية ناهية المسلم عن العبودية للهوى، والشهوة، والمال، والسلعة، فالمسلم مأمور بالحرية الحسية، والقلبية، والعقلية؛ فيحرر عقله من الخرافات والأساطير، وهذا يدل على شمول حرية الإنسان في الإسلام^(١)، «والرق والعبودية في الحقيقة هو رِق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده»^(٢)، وإن كانت الوظيفة الأولى للمسلم تحقيق العبودية لله في هذه الأرض، فإن له وظائف أخرى كعمارة الأرض، والاستخلاف فيها، وغيرها، إلا أنها تابعة لتلك

(١) سلطان بن عبد الرحمن العميري: فضاءات الحرية، (د.ط)، المركز العربي للدراسات الإنسانية،

القاهرة، (د.ت)، ص ٦٨-٧٢.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٠/١٨١.

الوظيفة ومندرجة تحتها، وقد أطلقت الشريعة حرية الإنسان في كل شيء ما لم تكن متعارضة مع الأهداف التي وجد من أجلها، فحرية مطلقة ما لم يكن ضرر على دين الإنسان وعلاقته بربه، أو ضرر على حياة الإنسان وعلاقته بأخيه الإنسان أو بالكون^(١).

ومن ثم فإن من القيم الاجتماعية التي ساهم الصحابة ﷺ بتأسيسها في مجتمع العراق في عصر الراشدين ﷺ تحرير الإنسان من العبودية لغير الله حسيّة كانت أو معنويّة، من عبودية أخيه الإنسان، أو عبودية القلب والعقل، وذلك بنشرهم الإسلام الذي حرر الإنسان، من خلال الفتوح والدعوة، «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»^(٢)، وكانت المفاوضات والمحاورات بين الفاتحين وخصومهم قبل المعارك لدعوتهم ومن ثم تخييرهم بين الإسلام، والعجزة، والحرب، ولم تكن الحرب الخيار الأول للفاتحين ولكنها الأخير، ودخل عدد كبير من أهل العراق في الإسلام طواعيّة دون إكراه، إذ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، [سورة البقرة: ٢٥٦] ومن هنا أتاحت الصحابة ﷺ لأهل البلاد الحرّية الدينيّة^(٣)، فمن قبل الإسلام صار واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وتحقق لهم التحرر من سلطة رجال الدين، والتحرر من الخرافات الموجودة في عموم الأديان السائدة، ومن تعدد الآلهة كما عند النصارى والمجوس، فاعتنق كثير منهم الإسلام وأقبلوا على تعلم العربيّة، ودراسة علوم الإسلام وبرز عدد كبير منهم في العلم؛ فصاروا من علماء التابعين.

(١) سلطان العميري: فضاءات الحرّية ٦٨-٦٩.

(٢) من مقولة ربي بن عامر لرستم. ابن كثير: البداية والنهاية ٩/٦٢١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٢٠/٣.

(٣) يخلط البعض بين عدم الإكراه على الدين لغير المسلمين، والردّة عن الدين، وهما مسألتان مختلفتان، فالإسلام يضمن الحرّية الدينيّة لغير المسلم، لكنه يعاقب من بدّل دينه وتنكّر له بعد أن دخله.

ومن لم يقبل الإسلام اكتفي منه بدفع الجزية مقابل حماية الدولة الإسلاميّة له والمحافظة على حقوقه، ومنها الحرّيّة في ممارسة شعائر دينه، دون الإساءة لشعائر المسلمين، وتحقق لمن لم يكن من المجوس التحرر من اضطهاد الفرس له على الدين، وعاش أهل الذمة ضمن المجتمع الإسلامي في العراق، وبرزت نشاطاتهم في الصناعة، والتجارة، وتركزت أعمالهم في الأسواق، واتصل كثير منهم بالمسلمين عن طريق الأعمال والمصالح.

كما حافظ الصحابة ﷺ على حرية الإنسان الذاتية، ففي الإسلام الأصل في الإنسان الحرّيّة والسلامة من الرق والعبودية، وهذا لجميع الأجناس والألوان والأعراق، وإن وجد الرق فهو عارض، وجاء الإسلام فضيق أسبابه وحفظ للرق حقه وإنسانيّته، ورفعته إلى مستوى الأخوة الكريمة، كما وسع أسباب التخلص من الرق بأنواع العتق (بالتطوع، والكفارات، والزكاة، والمكاتبه)^(١).

كما حصل لأهل العراق التحرر من الطبقيّة الفارسيّة التي كانت تحكمهم، وقد شكل كل من الموالي، والرقيق، تحت حكم الراشدين ﷺ، طبقة اجتماعيّة مهمة ضمن أهالي العراق، حيث أسهموا في الجوانب الاقتصاديّة، والعلميّة، والإداريّة، والاجتماعيّة، بشكل واضح وملموس، فكان منهم التجار، والعلماء، والكتاب والقادة، والحرفيون، وغيرهم.

وإلى جانب ذلك فقد حافظ الإسلام على الحرّيّة الشخصيّة للإنسان فجرم الاعتداء عليه في حياته، وأمنه، وماله، وكرامته، «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟»^(٢).

(١) سلطان العميري: فضاءات الحرّيّة ١٦٨-١٨٠.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١) ٢ / ١٧٦؛ ومسلم (١٦٧٩) ٣ / ١٣٠٦.

وإن كان من المستقر في عصر الراشدين ﷺ حفظ الحقوق وتكريم الإنسان، إلا أن التجاوز قد يحصل، وحين وقع التعدي على شيء من ذلك من قبل أحد الولاة، عمل الخليفة على التأكد من صحة ذلك، والعدل في القصاص، ثم كان العفو والصفح منهياً لهذا التجاوز في هذا المجتمع الكريم، فعن جرير بن عبد الله: «أن رجلاً كان ذا صوت ونكاية على العدو مع أبي موسى فغنموا مغنماً فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يوفه، فأبى أن يأخذه إلا جميعاً، فضربه عشرين سوطاً وحلق رأسه، فجمع شعره وذهب به إلى عمر رضي الله عنه - قال جرير: وأنا أقرب الناس منه، وقد قال حماد: وأنا أقرب القوم منه - فأخرج شعراً من جيبه فضرب به صدر عمر رضي الله عنه، قال: ما لك؟ فذكر قصته قال: فكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى: سلام عليك، أما بعد، فإن فلان ابن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس جلست له في ملأ من الناس فاقصص منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلاء فاقعد له في خلاء فليقتصص منك، قال له الناس: اعف عنه، قال: لا والله، لا أدعه لأحد من الناس فلما دفع إليه الكتاب قعد للقصاص رفع رأسه إلى السماء قال: قد عفوت عنه لله»^(١)، والرجل كأنه أراد أن يعلم الناس حقهم في دفع الظلم عن أنفسهم

(١) البيهقي: السنن الكبرى (١٦٠٢٧) ٨/٨٩-٩٠؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٦؛ ابن شيبة، عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري، (ت ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة: تحقيق، فهميم محمد شلتوت، (د.ط.)، (د.ن.) - جلد، ١٣٩٩هـ، ج ٣ ص ٨٠٨-٨٠٩؛ ابن حزم: المحلى بالآثار: (د.ط.)، دار الفكر - بيروت، (د.ت.)، ج ٨، ص ٤٣٩-٤٤٠؛ المتقي الهندي: كنز العمال، وإن كان يشكل على القصة أن أبا موسى يغلب عليه الرفق لا الشدة، إلا أن وقوع الخطأ منه وارد، خاصة أن أقل أحوال الخبر أن سنده حسن، وقد يرقى إلى الصحيح إلى ابن أبي شيبة، وابن شيبة؛ فعبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ثقة. العجلي: الثقات ٢٧٦، وعفان بن مسلم الصفار البصري، ثبت. العجلي: الثقات ٣٣٦، وحماد بن سلمة، ثقة. ابن حجر: تقريب التهذيب ١٧٨، وعطاء بن السائب، قال يعقوب بن سفيان هو ثقة حجة، وما روى عنه سفيان، وشعبة، وحماد بن سلمة، سماع هؤلاء سماع قديم وكان عطاء تغير =

فخرج من العراق إلى المدينة ورفع شكواه للخليفة، وهو واثق أن حقه محفوظ وإلا لما غامر، وقد جاء في رواية أن الرجل قال لعمر معللاً فعل أبي موسى: «يرى أنه لا يقتصص منه، فقال عمر: لأن يكون الناس كلهم على مثل صرامة هذا أحب من جميع ما أتى علي»^(١)، وعمر يؤكد على هذا الحق ويبيدي إعجابه بموقف هذا الرجل على ملاءمة من الناس حتى يحفظ للإنسان حقه وكرامته.

كما حافظ الإسلام على الحرية الشخصية للإنسان فيما لا يقع منه الضرر على نفسه أو غيره^(٢).

العدل:

العدل قيمة مهمة في التشريع الإسلامي، حيث يقوم عليها التكليف الإلهي للإنسان، وارتبطت به جميع التشريعات والأنظمة الإسلامية، ذلك أن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

والقسط العدل، والعدل: إعطاء كل ذي حق حقه، سواء اقتضى ذلك أن يتساوى

=بآخره. تهذيب التهذيب ٧/٢٠٧، صدوق اختلط من الخامسة. تقريب التهذيب ٣٩١، والراوي عنه حماد، وأبوزرعة بن عمرو بن جرير، روى عن جده جرير، ثقة من الثالثة. تقريب التهذيب ٦٤١، وجرير بن عبد الله البجلي الصحابي، وهم رجال إسناد ابن شبة سوى عفان، وعمر بن شبة البصري صدوق من كبار الحادية عشرة. تقريب التهذيب ٤١٣، ورواه ابن شبة عن عمرو بن عاصم بن عبيد الله، أبو عثمان البصري الحافظ، ذكره ابن حبان في الثقات. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/٥٨، ورواه عمرو، عن حماد بن سلمة، وإسناد البيهقي، هو إسناد ابن أبي شيبه أيضاً، لكن بزيادة ثلاثة رجال بينه وبين عفان.

(١) ابن أبي شيبه: المصنف ٦/٧.

(٢) سلطان العميري: فضاءات الحرية ٢٢١-٢٣٤.

مع غيره أو لا^(١).

والعدل قيمة ضرورية للحياة الإنسانية والاجتماعية، وهي من القيم الاجتماعية التي قام الصحابة ﷺ بإشاعتها بين الناس، وفي مخاطبة ربعي بن عامر لرستم قوله: «الله ابتعثنا لنخرج العباد...، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»^(٢)، وقد حض الفاروق ولاته على تحقيق العدل، حيث كتب إلى عتبة بن غزوان: «أن أعزب الناس عن الظلم، واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم، فأوفوا بعهد الله، وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصرًا»^(٣).

كما كتب إلى أبي موسى: «أما بعد، إن أسعد الرعاة من سعدت به رعيتيه، وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيتيه، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة، نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حتفتها في سمنها، وعليك السلام»^(٤).

ومن صور العدل، أخذ القود والقصاص من الوالي حين يتجاوز، وتقدم معنا -في القيمة السابقة- قصة الرجل مع أبي موسى وذهابه إلى الفاروق في المدينة ليرفع مظلمته إليه، ومقولة الرجل لعمر معللاً فعل أبي موسى: «يرى أنه لا يقتصر منه، فقال عمر: لأن يكون الناس كلهم على مثل صرامة هذا أحب من جميع ما أتى علي»^(٥)، وأن الفاروق أنصفه من أبي موسى وطلب من أبي موسى أن يمكنه من نفسه ليقصص منه.

(١) سلطان العميري: فضاءات الحرية ٧٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٢٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٧٨.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٩٤.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٦.

بل إن الفاروق وحفاظاً على الأنفس، قرر أنه لا يقضي في الدم إلا الخليفة، فقد كتب عمر إلى أمراء الأجناد: «أن لا تقتل نفس دوني»^(١).

ومن صور العدل ما كان من معاملة المسلمين لأهل الذمة في العراق، في مصالحات كثير من القادة لهم، ومن ذلك أنه عند دخول المسلمين أرض العراق صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة، وكتب لهم كتاباً يعد وثيقة تاريخية من أعظم وثائق التاريخ، وفيه تصوير بارع لسماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من أهل الذمة^(٢)، حيث صالحهم خالد على الجزية والأمان^(٣)، وضمن لهم هذا الكتاب إلى جانب

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٤٥٣؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٥/٧٦.

(٢) محمد الصادق عرجون: الموسوعة في سماحة الإسلام، ط: الثانية، الدار السعودية - جدة، ١٤٠٤ هـ ج ١، ص ٤٢٨.

(٣) كتاب خالد لأهل الحيرة: «هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة، أن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أمرني أن أسير بعد منصرفي من أهل البصرة إلى أهل العراق من العرب والعجم بأن أدعوهم إلى الله جل ثناؤه، وإلى رسوله عليه السلام وأبشرهم بالجنة وأنذرهم من النار؛ فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وإن انتهيت إلى الحيرة فخرج إلي إياس بن قبيصة الطائي في أناس من أهل الحيرة من رؤسائهم، وإني دعوتهم إلى الله وإلى رسوله ﷺ فأبوا أن يجيبوا فعرضت عليهم الجزية أو الحرب فقالوا: لا حاجة لنا بحربك؛ ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب في إعطاء الجزية، وإني نظرت في عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل، ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة ألف رجل فأخرجتهم من العدة؛ فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف؛ فصالحوني على ستين ألفاً، وشرطت عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل: أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرين على مسلم من العرب ولا من العجم، ولا يدلوهم على عورات المسلمين، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذ ما أخذته على نبي من عهد أو ميثاق أو ذمة؛ فإن هم خالفوا فلا ذمة لهم ولا أمان، وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه إلى المسلمين؛ فلهم ما للمعاهد وعلينا المنع لهم؛ فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم؛ لهم بذلك عهد الله وميثاقه أشد ما أخذ على نبي من عهد أو ميثاق، وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا؛ فإن غلبوا فهم في سعة يسعهم ما وسع أهل الذمة. ولا يحل فيما أمروا به أن يخالفوا وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله. ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام؛ فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام؛ فليس على =

الأمان: الرحمة والسماحة، والتكريم والعدالة، فالجزية على القادرين على أدائها المتتبعين بآثارها، فلا تكون على الضعفاء الزمنى^(١) من الرجال، ومشروطة بحماية دافعيها والدفاع عنهم^(٢).

وتمتع أهل الذمة بالعدالة في ظل دولة الراشدين ﷺ، ولتحقيق العدل استشار الفاروق الصحابة ﷺ في معاملة المجوس، وشهد عبدالرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر^(٣).

وخوفاً من وقوع الظلم يتحرى الفاروق، فقد خشى أن تكون أرض الخراج فرض عليها أكثر مما يجب، فسأل من قاموا بمسح الأرض وتحديد الخراج عليها أن لا يكونوا أجحفوا في ذلك، قال عمرو بن ميمون الأودي: «سمعت عمر قبل قتله بأربع، وهو واقف على راحلته على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف، فقال: انظرا ما قبلكما ألا تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. فقال حذيفة: حملنا الأرض أمراً هي له مطيقة، وقد تركت لهم مثل الذي أخذت منهم، وقال عثمان بن حنيف: حملت الأرض أمراً هي له مطيقة، وقد تركت لهم فضلاً يسيراً، فقال: انظرا ما قبلكما ألا تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، فإن الله سلمني لأدعن أرامل أهل العراق، وهن لا يحتجن

=المسلمين النفقة على عيالهم. وأيا عبد من عبيدهم أسلم أقيم في أسواق المسلمين فيبيع بأعلى ما يقدر عليهم في غير الوكس ولا تعجيل ودفع ثمنه إلى صاحبه، ولهم كل ما لبسوا من الزي إلا زي الحرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم. وأيا رجل منهم وجد عليه شيء من زي الحرب سئل عن لبسه ذلك فإن جاء منه بمخرج؛ وإلا عوقب بقدر ما عليه من زي الحرب. وشرطت عليهم جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤديه إلى بيت مال المسلمين عما لهم منهم؛ فإن طلبوا عوناً من المسلمين أعينوا به ومثونة العون من بيت مال المسلمين». أبو يوسف: الخراج ١٥٧-١٥٨.

(١) والزمانة: العاهة؛ والجمع زمنون، وزمنى. ابن منظور: لسان العرب ١٣/١٩٩، مادة: الزمانة.

(٢) محمد الصادق عرجون: الموسوعة في ساحة الإسلام ١/٤٤٤.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى، (١٧١٢٢) ٨/٤٣٢.

إلى أحد بعدي»^(١)، وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إن أهل أرض كذا وكذا يطيقون من الخراج أكثر مما عليهم، فقال: ليس إليهم سبيل، إنما صولحوا صلحاً^(٢).

ومن صور العدل، أن علياً خاصم خصمه النصراني عند القاضي وحكم للنصراني، قال الشعبي: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني، فأقبل به إلى شريح يخاصمه. ثم قال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب. فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، هل من بينة؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح، ما لي بينة. ففضى بها شريح للنصراني. قال: فأخذها النصراني، ومشى خطى ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق. فقال: أما إذ أسلمت فهي لك. وحمله على فرس. قال الشعبي: فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج مع علي يوم النهروان^(٣).

وجاء جعدة بن هبيرة إلى عليّ فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على

(١) عبد الرزاق: المصنف ١٠٣/٦؛ وانظر: البخاري، (٣٧٠٠) ١٥/٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٣٧/٣؛ أبو يوسف: الخراج ٤٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف ١٠/١٤٤.

(٢) عبد الرزاق: المصنف ١٠١/٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠٧-١٠٨؛ البيهقي: السنن الكبرى (٢٠٤٦٥) ١٠/٢٣٠؛ وهي عند أبي نعيم: حلية الأولياء ٤/١٤١، وجاء فيها أنه يهودي.

هذا! قال: فلهزه عليٌّ؛ وقال: إن هذا شيء لو كان لي فعلت، ولكن إنما ذا شيء لله^(١).

الأمانة والنزاهة:

الأمانة والنزاهة سمة من سمات الصحابة ﷺ، حيث تخلقوا بها، ومارسوها في تعاملاتهم، فأخذها تلاميذهم عنهم، وللفاروق في ذلك مواقف مشهورة وبارزة، ومن ذلك أنه حين خصّه بعض قادة الفتوح بشيء أعجبهم من الغنائم ويصعب قسمه وقد استوهبه من أصحابه فوهبوه لعمر، وهي من الذهب ونفائس الأموال، ولمّا وصل لعمر رفض ذلك وزجر الرسول وطالبه بسرعة اللحاق بالجيش وقسمته فيهم، وقد تكرر ذلك من أكثر من قائد وفي أكثر من حادثة، فمن ذلك: أنه بعد نهاوند وقع للمسلمين ذخيرة كسرى، جوهرًا كان أعده لنواب الزمان، فنظروا في ذلك، فأجمع رأي المسلمين على رفعه إلى عمر، فجعلوه له، فأخروه حتى فرغوا فبعث به حذيفة مع ما يرفع من الأخماس مع السائب بن الأقرع، فلما قدم على عمر «بذيتك السفطين، وأخبره خبرهما وخبر الناس، فقال: يا ابن مليكة، والله ما دروا هذا، ولا أنت معهم! فالنجاء النجاء، عودك على بدئك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه»، فرجع بها إلى حذيفة فقومهما وباعهما بأربعة ملايين^(٢).

وسارية بن زنيم الدثلي^(٣)، لمّا هزم الأكراد «أصاب في المغانم سفظًا فيه جوهر، فاستوهبه المسلمين لعمر، فوهبوه له، فبعث به مع رجل، وبخبر الفتح حتى جاء عمر، ثم أخبره بقصة السفظ من الجوهر، فنظر إليه ثم صاح به، ثم قال: لا ولا كرامة حتى

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠٨؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٤٨٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٣٣-١٣٥.

(٣) ذكره ابن حجر في القسم الأول، وقال ابن عساكر: له صحبة، وله ذكر في الفتوح، وهو الذي ناداه عمر: يا سارية الجبل. الإصابة ٣/٤.

تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم فطرده^(١).

وسلمة بن قيس الأشجعي^(٢)، لما هزم الأكراد وفي الغنائم «رأى سلمة بن قيس شيئاً من حلية، فقال: إن هذا لا يبلغ فيكم شيئاً، فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين، فإن له برداً ومؤونة؟ قالوا: نعم، قد طابت أنفسنا قال: فجعل تلك الحلية في سفط، ثم بعث برجل من قومه، فقال: اركب بها»، إلى عمر، ولما نزل على عمر أخبره بخبر المعركة وخبر السفط، يقول: «فاستخرجت سفطي، فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر، وثب ثم جعل يده في خاصرته، ثم قال: لا أشبع الله إذا بطن عمر! قال: فظن النساء أنني أريد أن أغتاله، فجنن إلى الستر، فقال: كف ما جننت به، يا يرفأ، جأ عنقه قال: فأنا أصلح سفطي وهو يجأ عنقي!»، ثم قال له عمر: «أما والله لئن تفرق المسلمون في مشاتهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة. قال: فارتحلت حتى أتيت سلمة، فقلت: ما بارك الله لي فيما اختصاصتني به، أقسم هذا في الناس قبل أن تصيبي وإياك فاقرة، فقسمه فيهم، والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم، وهو خير من عشرين ألفاً^(٣).

والقصة لم تنته بعد فالرجل اشترك مع عمر في غدائه، ووصف غداء أمير المؤمنين، فقال: «فأكلت قليلاً، وطعامي الذي معي أطيب منه»^(٤)، وكذا شرابه، «فشربت قليلاً، سويتي الذي معي أطيب منه»^(٥). هذا والرجل في حال سفر.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٧٨ - ١٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ١٧٤.

(٢) من الصحابة، ونزل الكوفة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٣٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٨٧ - ١٨٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ٤٢٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٨٨.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٨٨.

فما هو غداء عمر؟ إنه «خبز وزيت وملح جريش»^(١)، كما في القصة الأولى، وهو «خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق»^(٢)، كما في القصة الثانية، ومن العجب أنه حين جاءه وقبل أن يدخل للغداء كان عمر يغدي الناس ويقول: «يا يرفأ، زد هؤلاء لحماً، زد هؤلاء خبزاً، زد هؤلاء مرفقة»^(٣)، فيقدم اللحم والمرق للناس، ويأكل الزيت بالملح!

هل هي النزاهة؟ أم العدل؟ أم الزهد؟ أم كل ذلك؟ نعم إنه كل ذلك! فهل تستطيع أمة من الأمم أن تتحدث عن نزاهة كهذه النزاهة؟ أو عدل كهذا العدل؟ أو زهد كهذا الزهد؟ إنه الإسلام حين يحكم النفوس، إنه الإسلام حين يُطَبَّق ويُعمل به، يصنع في نفوس الناس ما يشبه الخيال وما هو بخيال، وإنما هو حال أناس عاشوا القيم والتزموا المبادئ.

والخامة واحدة، والصور تتعدد، فالفاروق مع مكانته إلا أنه ليس وحده، فلقد كان أبو الحسن علي بن أبي طالب في خلافته كذلك، فعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق^(٤) وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت تفعل بنفسك هذا؟! فقال: إني والله لا أرزأ^(٥) من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي. أو قال: من المدينة^(٦).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٧٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٨٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٨٧.

(٤) وهو: قصر النعمان بن أمراء القيس في الحيرة. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١/٣٦٥.

(٥) أي لا أخذ شيئاً. يقال رزأه أرزؤه. وأصله النقص. ابن الأثير: النهاية ٢/٢١٨.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠٤؛ وانظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٨٢؛ ابن عساکر: تاريخ

مدينة دمشق ٤٢/٤٧٧.

وبلغت الحاجة بعلي بن أبي طالب يوماً، وهو يومئذ في الكوفة خليفة، إلى بيع سيفه، فعن أبي رجاء، قال: «رأيت علي بن أبي طالب خرج بسيف يبيعه فقال: من يشتري مني هذا؟ لو كان عندي ثمن إزار لم أبعه، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك وأنسك إلى العطاء»^(١).

وقال عبدالرحمن بن أبي بكرة: «ما رزأ علي من بيت مالنا حتى فارقنا إلا جبة محشوة وخميصة درابجرديّة»^(٢)، ولا تعارض، فقد يكون بعد ذلك أخذ شيئاً من حقه من بيت المال لما احتاج إلى ذلك، ويبقى أنه شيء يسير.

وحتى وهو يشتري من السوق يتحرى النزاهة بصورة عجيبة، فقد أتى علي دار فرات وهي سوق الكرابيس بالكوفة، فأتى على شيخ فقال: يا شيخ، أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم. فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً، ثم آخر، فلما عرفه لم يشتري منه شيئاً^(٣)، يخشى أن يعطيه بسعر أقل مما عرفه، وهذا من نزاهته وورعه، فهو يريد أن يشتري بماله لا بدينه.

وأمر البصرة أبو موسى الأشعري، قدم البصرة على جمل أوزق، وعليه خرج لما عزّل^(٤) وما معه إلا ستمئة (٦٠٠) درهم، عطاء عياله^(٥).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٨٣-٨٤؛ وانظر: ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ١٠٢؛ أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة ١/ ٥٤٩؛ أبو بكر بن الخلال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد (ت ٣١١هـ): السنة، تحقيق عطية الزهراني، ط: الأولى، دار الراية - الرياض، ١٤١٠هـ، ج ٢، ص ٣٥١.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٤٤٣؛ ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة الخراساني (ت ٢٥١هـ): الأموال، تحقيق شاكِر ذيب فياض، ط: الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض، ١٤٠٦هـ، ج ٢، ص ٦٠٧، والجبّة، والخميصة أكسية، ودراجرديّة، نسبة إلى درابجر، كورة بفارس. ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٤٤٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٠٦-١٠٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٩؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٢/ ٦٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ١١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩١.

وأمر المدائن سلمان الفارسي، وعطاؤه خمسة آلاف، وكان على ثلاثين ألفاً من الناس، يخطب في عباءة، يفرش نصفها، ويلبس نصفها، وكان إذا خرج عطائه أمضاه، ويأكل من سفيف يديه^(١).

والفاروق يكتب إلى ولاته يحثهم على الأمانة، والنزاهة، والعدل، فقد كتب إلى أمير البصرة أبي موسى الأشعري: «لا تبيعن، ولا تبتاعن، ولا تشارن، ولا تضارن، ولا ترتش في الحكم، ولا تحكم بين اثنين وأنت غضبان»^(٢)، فيحث ولاته على عدم مضايقة التجار ومنافستهم في تجاراتهم، كما يحثهم على العدل في أحكامهم.

ولئن كانت الأمانة والنزاهة من رجالات الدولة من كبار الصحابة ؓ، فإنها ليست مقصورة على الكبار ولا على المشاهير من الصحابة الكرام ؓ، بل تكاد تكون عامة فيهم ومن معهم من الفاتحين، وإذا كنا ابتدأنا بالخليفة الفاروق فلنختم بعموم الصحابة ؓ ومن معهم من الفاتحين من التابعين، حتى ندرك أثر الصحابة ؓ في تلاميذهم، ففي القادسية قال سعد: «والله إن الجيش لذو أمانة»^(٣)، وقال جابر بن عبد الله: «والله الذي لا إله إلا هو، ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية، أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمر وبن معد يكرب، وقيس بن المكشوح»^(٤).

وقد أثنى الخليفة عمر على الفاتحين وأبدى إعجابه بأمانتهم، ففي فتح المدائن حصل المسلمون على غنائم كثيرة بعثوا خمسها إلى المدينة، فلما رآها عمر بن

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/٨٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٥٤٧.

(٢) عبد الرزاق: المصنف ٨/٢٩٩؛ المتقي الهندي: كنز العمال ٥/٧٦٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/١٩.

الخطاب قال: «إن قومًا أدوا هذا لأمناء. فقال له عليّ: إنك قد عفتت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت»^(١).

و«لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض»^(٢)، أقبل رجل بحقّ معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعد له ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبدقيس^(٣)، وهو رجل من التابعين. وقد أورد الطبري مواقف عدة مشابهة لهذا الموقف في فتح المدائن^(٤)، وفي أخبار الفتوح أمثالها.

وبلغ الخوف من تضييع الأمانة لدى بعضهم من استئثار قرابته بولايته إلى افتعال موقف يبيّن فيه موقفه، فقد استعمل هَرَم بن حيان على ولاية، فظن أن قومه سيأتونه، فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومه، فسلموا عليه من بعيد، فقال: مرحبًا بقومي، ادنوا. فقالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حالت النار بيننا وبينك. قال: فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في جهنم، قال: فرجعوا^(٥)، هذه شواهد تاريخية تبين أثر الصحابة ﷺ في إشاعة الأمانة والنزاهة سلوكًا وخلقًا.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٢٠؛ ابن الأثير: الكامل ٢/ ٣٤٤.

(٢) الأقباض: جمع قبض، والقبض، بالتحريك، بمعنى المقبوض وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم. ومنه الحديث: كان سلمان على قبض من قبض المهاجرين. ابن منظور: لسان العرب ٧/ ٢١٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٩، وهو مشهور بزهده وتقدم ذكره.

(٤) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٧ - ١٩.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٣٣.

الشورى:

الشورى من القيم الاجتماعية التي قام الصحابة ﷺ بإشاعتها بين الناس، وذلك بمشاوره الناس وسماع ما لديهم من رأي، وخاصة القادة وأصحاب الرأي، وقع هذا في أعمال الفتوح، وبناء المدن، وإدارة البلدان، وغيرها، ابتداءً من الخليفة، ومروراً بالولاة، والقادة، والمعلمين والمربين، وغيرهم، وتقدم معنا كثير من الشواهد التاريخية في ذلك، ومنها استشارة الفاروق في تعيين قائد لجيوش القادسية فكان سعد بن أبي وقاص، واستشارته لتعيين قائد لجيوش نهاوند، فكان النعمان بن مقرن، واستشارته في التعامل مع المجوس فكانت الجزية، ومن ذلك استشارة سعد بن أبي وقاص لقادته قبيل القادسية في شأن التفاوض مع رستم فكان أن بعثهم أفراداً، واستشارتهم في عبور دجلة إلى المدائن وكان يقذف بالزبد فخاضوه، واستشارتهم في اختيار موقع لنزول الجيش غير المدائن فكانت الكوفة، وفي تخطيطها (مسجدها وخططها)، وكذا البصرة من قبل عتبة بن غزوان، وغيرها كثير، بل إنه مع كل غزوة وفتح، وكل حادثة وحدث جرت العديد من الاستشارات، حتى إنَّ الفاروق كان يوصي الأمراء بمشاوره من عرف عنه الرأي والنظر، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد: «فأدن الأحنف بن قيس، وشاوره، وسمع منه»، مما يوحى بتجذر الشورى لدى الصحابة ﷺ، فهو لا يدعوه للأخذ بالشورى، فذلك مفروغ منه؛ وإنما يلفت نظره إلى شخصية تمتلك الرأي والرؤية ليستفيد من قدراتها ويوظفها في مصلحة الأمة^(١).

الوفاء:

الوفاء من القيم الاجتماعية التي قام الصحابة ﷺ بإشاعتها بين الناس، والشواهد التاريخية لذلك كثيرة وخاصة في أعمال الفتوح، في الصلح، والأمان، وغير ذلك،

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٤ / ٧.

ومن ذلك الوفاء بالأمان لمن أعطيه من الأعداء، وفي فتح سوق الأهواز بقيادة أبي موسى الأشعري، جاء رجلان بأسير، وأبو موسى يضرب أعناق الأسرى حتى انتهى الأمر إلى الرجل فقال أحدهما: «إن هذا قد جعل له الأمان فقال أبو موسى: وكيف جعل له الأمان، قال: أنه كان يسعى ذاهبًا في الأرض فقلت له: مترس فقام فقال أبو موسى: وما مترس؟ قال: لا تخف قال: هذا أمان خليا سبيله فخليا سبيل الرجل»^(١)، بل إن الفاروق بعث كتابًا إلى الجند وفيه كلمات تفيد الأمان، ويطالبهم فيها بالالتزام بدلائتها، قال أبو وائل: «أتانا كتاب عمر ونحن بخانقين: إذا قال الرجل للرجل: لا تدخل فقد آمنه، وإذا قال: لا تخف فقد آمنه، وإذا قال: مطرس فقد آمنه قال: الله يعلم الألسنة»^(٢)، وكتب الفاروق إلى أهل الكوفة أنه «ذكر لي أن مطرس بلسان الفارسية الأمانة، فإن قلتموها لمن لا يفقه لسانكم فهو آمن»^(٣)، بل إنَّ الفاروق كتب إلى أمراء الأجناد: أيما «رجل من المسلمين أشار إلى رجل من العدو: لئن نزلت لأقتلنك فنزل، وهو يرى أنه أمان فقد آمنه»^(٤). وقصة عمر مع الهرمزان شاهد على ذلك -وتقدمت معنا- حيث تركه، وأسلم الهرمزان وفرض له^(٥).

نشر العلم:

يعد نشر العلم من القيم الاجتماعية، حيث قام الصحابة ﷺ بإشاعة العلم ونشره بين الناس في العراق، حتى أصبحت الكوفة والبصرة مراكز علم وإشعاع تخرّج فيهما مئات العلماء في العلوم المختلفة، ومن سائر طبقات المجتمع وفتاته، وقد كان

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥١١/٦.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥١١/٦.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٥١١/٦.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٥١١/٦.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٥١١/٦.

الفصلان الثاني والثالث من هذه الرسالة شاهدين على ذلك في كل فقرة من فقراتهما، مما لا مزيد عليه هنا.

العمل:

العمل قيمة من أهم القيم الاجتماعية التي قام الصحابة ﷺ بتعزيزها وإشاعتها بين الناس، بوصفه مجالاً للتكسب وطلب الرزق والمعاش، وقد رغب فيه الشرع وحث عليه، وقام الصحابة ﷺ بأعمال كثيرة، ومنها العمل في ولايات الدولة؛ من الإمارة، والقضاء، والحسبة، وسواها، وكذا الأعمال الأخرى، ويأتي في مقدمتها التجارة، وبعضهم عمل ببعض المهن، فسلمان يأكل من سفيف يده، وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم، فإذا خرج عطاؤه أمضاه^(١)، يعني في الصدقة، وسلمان وهو يعمل الخوص، يقول: أشترى خوصاً بدرهم، فأعمله، فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهماً فيه، وأنفق درهماً على عيالي، وأتصدق بدرهم، ولو أن عمر نهاني عنه ما انتهيت^(٢)، - وإنما ذكر الفاروق لأن سلمان أمير المدائن-، وحتى ما يأتيه من عمل يده يتصدق بقسم منه، بل إنه يعمل بيده، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً أو سمكاً، ثم يدعو المجذومين، فيأكلون معه^(٣).

وزايل العمل كثيرٌ من أئمة التابعين من الفقهاء والمحدثين، من العمل في ولايات الدولة كالقضاء ونحوه، كما عمل عدد كبير منهم في التجارة بين المدن، أو داخل المدن، وبعضهم في الزراعة، وفي بعض المهن الأخرى، وبحسب إحدى الدراسات فقد عمل في التجارة من الفقهاء في القرن الثاني الهجري في العراق، ما يزيد على

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٨٧؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٦٣٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٤٧/١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٨٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٤٧/١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٤٧/١.

ستين في المئة (٦٠٪) من العاملين منهم بالمهن غير ولايات الدولة، والبقية منهم عملوا في الزراعة، والصياغة، والحياكة، وأمثالها، وقد يكون السبب في توجههم للتجارة، أنها من المهن الشريفة التي حث عليها الشرع ورغب فيها، مع ما تدره من أرباح، وما يتوافر فيها من وقت للعلم والتعليم، خلافاً لغيرها، كالزراعة التي تأخذ جهداً ووقتاً^(١).

وممن عمل في التجارة، أبو الضحى، مسلم بن صبح الكوفي (ت ١٠١هـ)، حيث كان عطاراً^(٢)، ومحمد بن سيرين البصري (ت ١١٠هـ)، وكان بزازاً^(٣)، وعثمان البتي البصري (ت ١٤٣هـ)، وكان يبيع البتوت^(٤)، وإسماعيل بن أبي خالد البجلي الكوفي (ت ١٤٦هـ)، وكان طحاناً^(٥).

البر والإحسان:

من القيم الاجتماعيّة التي قام الصحابة ﷺ في العراق بإشاعتها بين الناس، البر والإحسان لعموم الناس، على أساس أنّ ذلك من المعروف الذي يثاب عليه الإنسان - فضلاً عن ما يخص الوالدين والأقربين - قال ابن مسعود: «كل معروف صدقة»^(٦)، ونقل ذلك عن حذيفة^(٧)، وكان سلمان إذا أصاب الشيء اشترى به لحماً، ثم دعا

(١) محمد بن عبدالله التميمي: مهن الفقهاء في صدر الإسلام، ط: الأولى، دار طيبة - الرياض، ١٤٢٦هـ، ص ٨٩-٩٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧/٥٧١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٠٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/١٤٨، البتوت: الأكسية الغليظة.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/١٧٧.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٢٢١.

(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٢٢٠.

المحدثين، فأكلوه معه^(١)، ودخل رجل على سلمان وهو يعجن، فقال: أين الخادم؟ قال: بعثناها لحاجة، فكرهنا أن نجمع عليها عملين^(٢).

وأخذ التابعون بهذا الهدى، من البر والإحسان حتى بلغ الأمر بأحدهم أن يتصدق بما يحب، ذلك أن أم الأسود، سرية الربيع بن خثيم قالت: كان الربيع يعجبه السكر يأكله، فإذا جاء السائل ناو له فقلت: ما يصنع بالسكر؟ الخبز خير له. فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [سورة الإنسان: ٨]^(٣).

وقال الربيع بن خثيم لأهله: اصنعوا لنا خبيصاً، - وكان لا يكاد يتشهى عليهم شيئاً-، فصنعوه، وأرسل إلى جار له مصاب؛ كان به خَبَلٌ فجعل يلقمه ولعابه يسيل فلما خرج قال أهله: تكلفنا وصنعنا ثم أطعمت هذا ما يدري هذا ما أكل، فقال الربيع: ولكن الله يدري^(٤).

وزيد اليامي الكوفي (ت ١٢٢هـ)، كان إذا كانت ليلة مطيرة، طاف على عجائز الحي، ويقول: ألكم في السوق حاجة؟^(٥).

والبر والإحسان من القيم الاجتماعية التي عمل الصحابة ﷺ على إشاعتها في المجتمع، ومجالاتها متعددة فتشمل عموم الأعمال الخيرية، من الإنفاق والصدقة، وتحرير الرقيق، والأوقاف (بناء المساجد، وشق الأنهار والترع، وحفر الآبار والعيون)، والضيافة، وسيرد معنا الحديث بشيء من التفصيل عن هذه المجالات^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٨٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٤٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٩٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٨٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٨٨-١٨٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٩٧.

(٦) في المبحث الثالث من هذا الفصل «أثر الصحابة ﷺ في الأعمال الخيرية».

الشجاعة:

الشجاعة من القيم الاجتماعية التي قام الصحابة ﷺ بتعزيزها وإشاعتها بين الناس، وتقدم معنا في الفصل الأول شواهد تاريخية كثيرة تُبرز شجاعة قادة الصحابة ﷺ في الفتوح، أمثال: خالد، والمثنى، وسعد، والمغيرة بن شعبة، والقعقاع بن عمرو، وعاصم بن عمرو، وطلحة الأسدي، وعمرو بن معد يكرب، وجريير بن عبدالله البجلي، وضرار بن الخطاب، ونظرًا لشجاعة البراء بن مالك، فقد كتب الفاروق إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم^(١).

قال أنس بن مالك: دخلت على البراء بن مالك (ت ١٧هـ) وهو يتغنى، ويرنم^(٢) قوسه، فقلت: إلى متى هذا؟ فقال: يا أنس، أتراني أموت على فراشي موتًا؟ والله لقد قتلت بضعة وتسعين سوى من شاركت فيه، يعني من المشركين^(٣).

وأبو عبدالله الثقفي، اقتنى بالبصرة خيلاً في سبيل الله، وكان أبو عبدالله أول من ارتبط فرسًا بالبصرة واتخذها^(٤).

وقيل لمجاشع بن مسعود: ألا تختط؟ قال: ليس بهذا أمرنا ولا لهذا بعثنا، أمرنا أن نقاتل أهل الحرب ثم يكونوا لنا قوة^(٥).

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٥٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/ ٢٠٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩٦/١.

(٢) الترمذ: التطريب والتغني، وكل ما استلذ صوته وسمع منه رنمة حسنة فله ترنيم. ابن منظور: لسان العرب ١٢/ ٢٥٤-٢٥٧، مادة: رنم.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧؛ عبد الرزاق: المصنف ٥/ ٢٣٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٧٠.

(٥) أبو الشيخ الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ١/ ٢٦٧.

ومن بعد الصحابة ﷺ سار تلاميذهم من التابعين على هذا النهج من الشجاعة، فأسهموا في الفتوح، وكان منهم مشاهير القادة، ومنهم الأحنف بن قيس، ومن شجاعته، أنه كان على سرية، فسمع صوتاً في جوف الليل، فانطلق وهو يقول:

إن على كل رئيس حقاً

أن تخضب القناة أو تندقا^(١)

إنَّ هذه القيم التي أشاعها الصحابة ﷺ في العراق، من الرحمة والشفقة، والبر والإحسان، والعدل، والنزاهة والأمانة، والوفاء، وغيرها، أسهمت في إضفاء السعادة على المجتمع، كما أسهمت هذه القيم في صفاء الحياة الاجتماعية إلى حد كبير، ورغبت غير المسلمين في الإسلام.

* * *

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٩٥.

المبحث الثاني

أثر الصحابة ﷺ في الهدى والسلوك والعمل

لقد ترك الصحابة ﷺ أثرًا كبيرًا في هديهم، وسلوكهم، وعملهم، فكانوا قدوات صالحة، حيث اقتفى سيرتهم، وتمثل عملهم كثير من تلاميذهم ومواليهم، فكانوا يشاكلونهم وينافسونهم تلك الأعمال والخصال، فظهر منهم أئمة كبار في الهدى، والسلوك، والعمل، فصاروا مدارس في ذلك؛ -كما كانوا مدارس في العلم-، وأفاد منهم تلاميذهم بعد ذلك والأجيال من بعدهم، ومن أهم تلك الأعمال ما يلي: الهدى والسمت، الأتباع، المراقبة، إخفاء العمل، التواضع، الزهد، التعبد والنسك، وسنقف معها بما يتناسب مع الكتاب.

الهدى والسمت:

النبي ﷺ هو المثل الأعلى لأصحابه، فهم يقتدون به في هديهم وسمتهم، وسلوكهم وعملهم، وممن شهر بذلك: عبدالله بن مسعود، فهو أشبه الناس هديًا وسمتًا ودلاً برسول الله ﷺ، يقول عبدالرحمن بن يزيد الكوفي: «قلنا لحذيفة: أخبرنا برجل قريب السمت والدل برسول الله ﷺ، حتى نلزمه. قال: ما أعلم أحدًا أقرب سمًا ولا هديًا ولا دلاً من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد. ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفة»^(١).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٨٤؛ وانظر: البخاري (٣٧٦٢) ٥/ ٢٨؛ الترمذي (٣٨٠٧) ٥/ ٦٧٣، وعبدالرحمن هو أبو الأسود الكوفي، توفي في حدود التسعين، ونقل نحوه عن أبي وائل عن حذيفة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ١٥٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٤٧٠، أبو وائل شقيق بن سلمة الكوفي (ت ٨٢ هـ).

ولذا قال علقمة بن قيس: «كان عبدالله يشبهه بالنبي   في هديه ودله وسمته». وكان علقمة يشبهه بعبدالله^(١)، فلقد كان علقمة يشبهه بشيخه عبدالله بن مسعود، قال أبو معمر: دخلنا على عمرو بن شرحبيل فقال: انطلقوا بنا إلى أشبه الناس هدياً وسمتاً بعبدالله فدخلنا على علقمة^(٢)، وكان إبراهيم النخعي يشبهه بشيخه علقمة، حتى قيل: «إذا رأيت علقمة، فلا يضرك أن لا ترى عبدالله، أشبه الناس به سمّتاً وهدياً. وإذا رأيت إبراهيم النخعي، فلا يضرك أن لا ترى علقمة، أشبه الناس به سمّتاً وهدياً»^(٣).

وقال البتي: «كان يقال: ما رأينا رجلاً قط أشبه هدياً بعلقمة من النخعي، ولا رأينا رجلاً أشبه هدياً بابن مسعود من علقمة، ولا كان رجل أشبه هدياً برسول الله   من ابن مسعود»^(٤).

بل امتد هذا الأثر والتأثير في الهدي والسلوك في تسلسل عجيب بين التلاميذ، ووصل إلى ثمانية من الأئمة بعد النبي   من تلاميذ ابن مسعود، وقد لا يكون توافر لغيره مثل ذلك، حيث امتد الأثر من ابن مسعود (ت ٣٤ هـ) إلى أبي داود (ت ٢٧٥ هـ)، فقد قيل: و«كان ابن مسعود يشبهه بالنبي  ، في هديه ودله وسمته، وكان علقمة يشبهه، وكان إبراهيم يشبهه علقمة، وكان منصور يشبهه إبراهيم، وكان سفيان يشبهه منصوراً، وكان وكيع يشبهه سفيان، وكان أحمد يشبهه وكيعاً، وكان أبو داود يشبهه أحمد بن حنبل»^(٥).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/١٥٤، ٦/٨٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٨٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/٥٥، وعلقمة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي، كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلماهم، وكان يشبهه بابن مسعود. ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٦١١-٦١٢.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٢٩٤.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١٤/٦١٨، وعلقمة وإبراهيم النخعيان، ومنصور بن المعتمر، وسفيان الثوري، ووكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي.

وجاء في رواية أخرى أنه امتد إلى تسعة، حيث اتفقت مع الرواية السابقة إلى السابع منهم وهو أحمد بن حنبل، واختلفت في الثامن حيث ذكرت أنه أبو زرعة الرازي، وزادت عبدالرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) تاسعاً^(١).

وهذه السلسلة تمثل قمة التأثير والتأثير والقدوة والاقتراد، وقد سبق لنا الوقوف على نوع آخر من التأثير بالصحابة ﷺ وهو المتمثل بالمنهجية العلمية الفقهية، حيث اشتهر أهل الكوفة بالاجتهاد أخذاً عن شيخهم ابن مسعود وامتد ذلك إلى محمد بن الحسن الشيباني، لكن التأثير هنا أشمل فهو يتعلق بالهدي والسمت والعمل.

وثمة شواهد أخرى لهذا التأثير وإن لم يحفظ لها ذلك الامتداد، حيث «كان ابن مسعود يشبه سمته سمته النبي ﷺ، في الإخبات، وكان الربيع يشبهه بسمت ابن مسعود»^(٢).

وكان عبدالله بن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: «وبشر المخبتين»^(٣).

وإذا كان هناك من شبهه بابن مسعود، فهناك من شبهه بعلي بن أبي طالب، فكان يقال: «من جالس أبا إسحاق، فقد جالس علياً»^(٤).

وتجاوز التأثير بالصحابة ﷺ من أن يشبه الرجل بواحد منهم إلى أن يشبه بمجموعهم فكانه منهم، فهذا الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، يشبه بالصحابة ﷺ في هديه، فقد قيل: «ما رأيت رجلاً قط لم يصحب النبي ﷺ، أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ، من هذا الشيخ»، يعني الحسن^(٥).

- (١) الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٥٦٧/٢، وابن أبي حاتم هو: صاحب الجرح والتعديل.
- (٢) إسماعيل الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي (ت ٥٣٥هـ): سير السلف الصالحين، تحقيق: كرم بن حلمي، (د. ط)، دار الراية - الرياض، (د. ت)، ص ٤٦٧.
- (٣) ابن المبارك، عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المزوزي (ت ١٨١هـ): الزهد والرفائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د. ط)، دار الكتب العلمية - بيروت، (د. ت)، ص ٥٧.
- (٤) وهو: أبو إسحاق السبيعي. الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٩٨/٥.
- (٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٦٢/٧، نقل ذلك عن أبي بردة، وأبي إسحاق الهمداني.

بل كان الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ)، يُجل الحسن حتى قال عبدالله بن عامر الشعبي لأبيه: «يا أبة، إني أراك تفعل بهذا الشيخ فعلاً لم أرك تفعله بأحد قط فقال: يا بني أدركت سبعين من أصحاب النبي ﷺ، فلم أر أحداً قط أشبه بهم من هذا الشيخ»^(١). ولعمري ذاك الفوز وذاك الاقتداء، وأن تصدر هذه الشهادة من الشعبي على جلاله قدره وعلو كعبه، فهو إمام من أئمة الدنيا، وهو من أقران الحسن، فتلك مزية أخرى لهذه الشهادة لتأكيد ما نحن بصدده من أثر الصحابة ﷺ في الهدي والسلوك والعمل، كما أنها مزية للحسن نفسه.

ويمتد التأثير والتأثير من أن يكون بين الصحابة ﷺ والتابعين، ليكون بين التابعين أنفسهم، وسبق لنا شواهد من ذلك، ومنها أنهم كانوا يرون أن سليمان التيمي أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي^(٢).

والتسك يعرف بالعمل لا بالقول، قال الحسن البصري: «كان الفتى إذا نسك لم نعرفه بمنطقه، وإنما نعرفه بعمله، وذلك العلم النافع»^(٣).

ومن أثر الصحابة ﷺ في هديهم محبة تلاميذهم من التابعين للنبي ﷺ، التي هي من مقتضيات الإيمان، قال ابن سيرين لعبيدة السلماني: «إن عندنا من شعر رسول الله ﷺ شيئاً من قبل أنس بن مالك. فقال: لأن يكون عندي منه شعرة، أحب إلي من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض»^(٤).

قال الذهبي معلقاً: «هذا القول من عبادة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس. ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبي ﷺ،

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٦٢/٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩٨/٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧٧/٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٥/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٢/٤.

بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شقفة^(١) من إناء شرب فيه. فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده، أكنت تعده مبذراً أو سفيهاً؟ كلا. فابذل مالك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده والسلام عليه عند حجرته في بلده، والتذ بالنظر إلى أحده وأحبه، فقد كان نبيك ﷺ، يحبه، وتملاً بالحلول في روضته ومقعده، فلن تكون مؤمناً حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم. وقبّل حجراً مكرماً نزل من الجنة، وضع فمك لاثماً مكاناً قبله سيد البشر بيقين، فهناك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول ﷺ، إلى الحجر ثم قبل محجنه، لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل، ونحن ندرى بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله.

وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها، ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ^(٢).

هذه هي المحبة الحقيقية للنبي الحبيب ﷺ، محبة أتباعه العاملين بستته، جعلنا الله منهم، ورزقنا شفاعته وسقانا من حوضه ﷺ.

الأتباع:

لقد كان للصحابة ﷺ شأن عجيب في أتباع سنة النبي ﷺ، والتأسي به، وقد دعوا إلى ذلك في سلوكهم، وفي أقوالهم، وقد تقدم معنا شأن ابن مسعود في الهدى

(١) شَقْفَة: شريحة، قطعة مكسورة، والجمع: شَقَفَات وشَقَف. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، ط: الأولى، عالم الكتب، (د.م)، ١٤٢٩هـ، ج ٢، ص ١٢٢١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢-٤٣.

والسمت، وأمّا أنس بن مالك، فصلاته تشبه صلاة رسول الله ﷺ كما قال أبو هريرة: «ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم»، يعني أنس بن مالك^(١)، ويمثل السنة في وضع السترة في الصلاة، قال يحيى بن أبي كثير: «رأيت أنس بن مالك دخل المسجد الحرام، فركز شيئاً، أو هياً شيئاً يصلي عليه»^(٢).

وحين يحرم ينشغل بذكر الله، وقد أحرم أنس بن مالك من ذات عرق، قال: فما سمعناه متكلمًا إلا بذكر الله حتى حل، قال: فقال له: يا ابن أخي: «هكذا الإحرام»^(٣). وحدث مالك بن نمير الخزاعي - من أهل البصرة - أن أباه حدثه أنه: «رأى رسول الله ﷺ، في الصلاة واضعاً ذراعه اليمنى على فخذه اليمنى، رافعاً إصبعه السبابة وهو يدعو، قد حناها شيئاً»^(٤).

ودعا حذيفة بن اليمان للاتباع، وحذر من الابتداع فقال: «يا معشر القراء، اسلكوا الطريق، فلتن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً»^(٥).

وجاء ذلك عن ابن مسعود حيث قال: «عليكم بالطريق فالزموه، فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً»^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠-٢١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٦٢.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ١٣٩، ٧/ ٤٥١؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٨٠؛ وأخرج البخاري نحوه: (٧٢٨٢) ٩/ ٩٣، وحذيفة بن اليمان المحدث عن الفتن له حدسٌ عجيب، وهو هنا يحذر القراء من الابتداع، وكان أن شارك جماعة منهم بعد ذلك مع الخوارج.

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ٣٨١؛ الطبراني: المعجم الكبير (٨٦٣٣) ٩/ ١٢٦.

وأخذ التابعون بهذا الهدي، فعن عبدالله بن مسلم، عن أبيه قال: «إني لأصلي في نعلي، وخلعهما أهون علي، ما أبتغي بذلك إلا السنة»^(١)، ومر مسلم بن يسار بمسجد، فأذن المؤذن، فرجع، فقال له المؤذن: ما ردك؟ قال: أنت رددتني^(٢).

المراقبة:

ومن هدي الصحابة رضي الله عنهم مراقبة الله - جل جلاله -، حيث أقصَّ مضاجعهم مخافة الجليل، وكان ذلك حاضرًا معهم في أعمالهم، دافعًا لهم على الأمانة وأداء الحقوق، وإتقان العمل، ومن ذلك أنه «لما أتى عمر بكنوز كسرى، قال له عبدالله بن الأرقم الزهري: ألا تجعلها في بيت المال حتى تقسمها؟ قال: لا يظلمها سقف حتى أمضيها، فأمر بها، فوضعت في صرح المسجد، فباتوا يحرسونها، فلما أصبح أمر بها فكشف عنها، فرأى فيها من الحمراء والبيضاء ما يكاد يتلأأ منه البصر،... ثم أعطى الناس»^(٣).

وسلمان بكى في مرض أصابه، أن يكون ضيِّع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمتع بالدنيا، وهو إمام الزهد، دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعبده، قال: فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبدالله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عنك راض، وتلقى أصحابك، وترد عليه الحوض، قال سلمان: والله ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عهد إلينا عهدًا، فقال: «لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب»، وحولي هذه الأسود، قال: وإنما حوله جفنة أو مطهرة أو إجانة، قال: فقال له سعد: يا أبا عبدالله اعهد إلينا بعهد نأخذه بعدك، فقال: يا سعد

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٨٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٨٧ - ١٨٨.

(٣) معمر بن راشد: الجامع ١١ / ٩٩ - ١٠٠.

اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمتك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت^(١)، وسعد أمير الكوفة، ولذا قال له سلمان وعند حكمتك إذا حكمت، وقد ترك العراق سنة (١٧هـ)، ووفاة سلمان سنة (٣٥هـ) فلم يمت سلمان في هذا المرض، ومما يؤكد ذلك الرواية التالية التي جاء فيها ذكر ابن مسعود مع سعد بن أبي وقاص، وقد توفي ابن مسعود قبل سلمان، حيث كانت وفاته سنة (٣٢هـ).

فعن سعيد بن المسيب، أن عبدالله بن مسعود، وسعد بن مالك دخلا على سلمان يعودانه، فبكى، فقالا له: ما يبكيك يا أبا عبدالله؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ، لم يحفظه منا أحد قال: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»^(٢).

وإذا كانت مراقبة الله صفة ملازمة للصحابة ﷺ، فقد انعكس أثرها في سلوكهم، وتعاملهم مع الآخرين، فقد أورثوا تلك الصفة الرائعة من عايشهم وعاش بعدهم من تلاميذهم من التابعين، ومن شواهد مراقبة الله لديهم، أن الأحنف بن قيس البصري (ت ٧١هـ)، كان يحاسب نفسه، فيضع المصباح قريباً منه، ويضع إصبعه على المصباح، ثم يقول: حس، ثم يقول: يا أحنف، ما حملك على أن صنعت كذا يوم كذا^(٣).

وذكروا عند معاوية شيئاً، فتكلموا، والأحنف ساكت، فقال معاوية: تكلم يا أبا بحر. فقال: «أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت»^(٤).

وجاء رجل إلى ابن سيرين البصري (ت ١١٠هـ)، فذكر له شيئاً من القدر، فقال ابن سيرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٩٠، ٩١؛ معمر بن راشد: الجامع ١١/ ٣١٣؛ أحمد بن حنبل: الزهد ١٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٥٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٩١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٩٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٩٥.

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغِيِّ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ [سورة النحل: ٩٠] قال: ووضع إصبعي يديه في أذنيه، وقال: إما أن تخرج عني، وإما أن أخرج عنك قال: فخرج الرجل، فقال ابن سيرين: إن قلبي ليس بيدي، وإني خفت أن ينفث في قلبي شيئاً، فلا أقدر على أن أخرجه منه، فكان أحب إلي أن لا أسمع كلامه^(١).

وقال مورق العجلي البصري (ت ١٠٨هـ): «ما وجدت للمؤمن في الدنيا مثلاً إلا كمثل رجل على خشبة في البحر وهو يقول: يا رب، يا رب، لعل الله أن ينجيه»^(٢).

وبعث زيادُ الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان، ففتح الله عليهم، وأصابوا أموالاً عظيمة، فكتب إليه زياد: أما بعد: فإن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فكتب إليه: «سلام عليك، أما بعد: فإنك كتبت إلي تذكر كتاب أمير المؤمنين، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله، لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد، فاتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، والسلام عليك، ثم قال للناس: اغدوا على فيئكم، فاقسموه»^(٣).

إخفاء العمل:

ومن هدي الصحابة ﷺ إخفاء العمل الصالح طلباً للإخلاص، قال ابن مسعود: «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية»^(٤). وأخذ بذلك تلاميذهم، فقد «كان أيوب السخيتاني يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٩٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢١٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨-٢٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ٢٠١.

(٤) عبد الرزاق: المصنف ٣/ ٤٧؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٢/ ٧٢؛ البيهقي: السنن الكبرى (٤٣٢٠)

الصباح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة»^(١). وقال الحسن البصري: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدر على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم عز وجل، ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ نَضْرَعًا وَخَفِيَةً﴾ [سورة الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله تعالى ذكر عبدًا صالحًا ورضي قوله، فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [سورة مريم: ٣]»^(٢).

وكان منصور بن المعتمر، يصلي من الليل ويبكي، فإذا كان الصباح، كحل عينيه، ودهن رأسه، وبرق شفثيه، وخرج إلى الناس^(٣).

التواضع:

لقد كان التواضع من هدي الصحابة الكرام ﷺ، ومن ذلك أن عليًا اشترى تمرًا بدرهم، فحمله في ملحفته، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ألا نحمله عنك. فقال: أبو العيال أحق بحمله^(٤).

وقال زاذان أبو عمرو: كان عليٌّ يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة، يرشد الضال ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ يُجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [سورة القصص: ٨٣]. ثم يقول:

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ٨/٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٧/٦.

(٢) ابن المبارك: الزهد والرقائق ١/٤٥-٤٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٦.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠٨؛ ابن أبي الدنيا: التواضع والخمول ١٣٦.

نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس.
وركب عليٌّ حماراً ودلى رجله إلى موضع واحد، ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا^(١).
ويظهر أن الركوب بهذه الطريقة ينبي عندهم عن التواضع، وقد نقل ذلك عن
حذيفة حين قدم المدائن أميراً وتلقاه الناس، وكان على حمار.
وعمار أمير الكوفة، اشترى قنطاراً بدرهم وحمله على ظهره، وهو أمير الكوفة^(٢).
وأما سلمان أمير المدائن، فكان يخطب في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها^(٣).
وقال هريم بن سفيان البجلي الكوفي: رأيت سلمان الفارسي على حمار عري،
وعليه قميص سنبلاني قصير ضيق الأسفل، وكان رجلاً طويل الساقين كثير الشعر،
وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريباً من ركبته، قال: ورأيت الصبيان يحضرون خلفه،
فقلت: ألا تنحون عن الأمير؟ فقال: دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم^(٤).
وعن ثابت البناني قال: كان سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام
من بني تميم الله، معه حمل تبن، وعلى سلمان أندورود^(٥) وعباءة، فقال لسلمان: تعال
احمل. وهو لا يعرف سلمان، فحمل سلمان، فرآه الناس، فعرفوه، فقالوا: هذا الأمير،
قال: لم أعرفك، فقال له سلمان: لا، حتى أبلغ منزلك^(٦).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ١٠٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣ / ٢٥٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ٤٢٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤ / ٨٧؛ أحمد: الزهد ١٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ٥٤٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤ / ٨٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١ / ٥٤٦.

(٥) قيل هي نوع من السراويل مشمر فوق التبان يغطي الركبة. واللفظة أعجمية. ابن الأثير: النهاية
١ / ٧٤.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤ / ٨٨.

وعن عبيدة السلماني: «أن سلمان مر بحجر المدائن غازيًا، وهو أمير الجيش، وهو ردف رجل من كندة على بغل»^(١).

وسار تلاميذ الصحابة ﷺ من التابعين على هذا النهج من التواضع، ومن ذلك «أن الأحنف بن قيس استعمل على خراسان، فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة، قال: فلم يوقظ أحدًا من غلمانة، ولا جنده، وانطلق يطلب الماء. قال: فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دمًا، فوجد الثلج فكسره، واغتسل فقام، فوجد على ثيابه نعلين محذوتين جديدتين قال: فلبسهما، فلما أصبح أخبر أصحابه، فقالوا: والله ما علمنا بك»^(٢).

الزهد:

غلب الزهد على حياة الصحابة ﷺ مع امتلاكهم الثروة، وهذا هو الزهد الحقيقي، لا زهد الفقراء، حيث غلب عليهم أخذ أنفسهم بالعزيمة والتخفف من المتاع، والخوف من فتنة الدنيا، وكانوا يتواصون بذلك، وحفظت لهم مواقف عظيمة في ذلك، يتقدمهم خليفته الفاروق الذي يطعم الناس الطيب من الطعام ويأكل الخشن منه، حتى أشفق عليه من حوله، وقد جاء: «أن حفصة، وابن مطيع، وعبد الله بن عمر كلموا عمر بن الخطاب، فقالوا: لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق. قال: أكلكم على هذا الرأي؟. قالوا: نعم. قال: قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح، ولكن تركت صاحبني على جادة فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل. قال: وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمنا ولا سمينا حتى أحيانا الناس»^(٣).

(١) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٢١/٤٢٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٥٤٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٩٤-٩٥.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى ٩/٧٣.

وحين خصه بعض قادة الفتوح بشيء أعجبهم من الغنائم ويصعب قسمه وقد استوهبه من أصحابه فوهبوه لعمر، وهي من الذهب ونفائس الأموال، ولما وصل لعمر رفض ذلك وزجر الرسول وطالبه بسرعة اللحاق بالجيش وقسمته فيهم، وقد تكرر ذلك في أكثر من قائد وفي أكثر من حادثة، وقد تقدم شيء منها معنا ضمن الحديث عن الأمانة والنزاهة في المبحث السابق.

وقد غلب الزهد على خطاب الصحابة ﷺ وسلوكهم، فهم منصرفون عن الدنيا على الرغم من امتلاكهم لها، قال ابن مسعود: «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»^(١). وقد نقل عن عمر أيضًا^(٢). وقال ابن مسعود: «خير الغنى غنى النفس»^(٣).

وكان ابن مسعود يأخذ نفسه بهذا النهج ويحمل تلاميذه عليه؛ فيقول: «من أراد الآخرة أضرب بالدنيا ومن أراد الدنيا أضرب بالآخرة، يا قوم فأضربوا بالفاني للباقي»^(٤).

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مضرب المثل في الزهد، وقيل: إن الزهاد تذكروا عند عمر بن عبد العزيز، فقال قائلون: فلان. وقال قائلون: فلان. فقال عمر بن عبد العزيز: أزهّد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب^(٥). ومن أقواله فيه: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد أتت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا»^(٦).

وقال عليّ: الحرث حرثان؛ فحرث الدنيا: المال والبنون، وحرث الآخرة:

(١) معمر بن راشد: الجامع ١١/١٥٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/١٠٦؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٣٨.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٩٩.

(٣) معمر بن راشد: الجامع ١١/١٥٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٧/١٠٦؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٣٨.

(٤) ابن شيبة: المصنف ٧/١٠٣؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٣٨.

(٥) ابن عساکر تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٤٨٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠٩.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١١١؛ وانظر: ابن المبارك: الزهد والرقائق ١/٨٦.

الباقيات الصالحات، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام^(١).

وقد أخذ عليُّ نفسه بهذا النهج من الزهد، فعن أبي رجاء قال: «رأيت علي بن أبي طالب خرج بسيف يبيعه فقال: من يشتري مني هذا؟ لو كان عندي ثمن إزار لم أبعه، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك وأنسئك إلى العطاء»^(٢)، قال عمرو بن بعجة: «رأيت عليًّا بالمدائن أتى ببغلة دهقان فلما وضع يده على قربوس السرج زلت فقال: ما هذا؟ قالوا: ديباج فأبى أن يركبها»^(٣).

وعن الحسن بن جرموز، عن أبيه قال: رأيت عليًّا وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان؛ إزار إلى نصف الساق، ورداء مشمر قريب منه^(٤). ووصف رجل لباس عليٍّ في الكوفة فقال: مشيت خلفه وهو بين يدي مؤتزر بإزار مرتد برداء ومعه الدرّة، كأنه أعرابي بدوي^(٥).

وأمر البصرة عتبة بن غزوان، في أول خطبة له في البصرة يحدث جنده ويحذرهم من الافتتان بالدنيا؛ ولمّا تستقر أقدامهم في العراق، فيقول: «ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البشام، وشوك القتاد حتى قرحت أشداقنا، ولقد التقطت بردة يومئذ، فشقتها بيني وبين سعد بن أبي وقاص، ولقد رأيتنا بعد ذلك وما منا- أيها الرهط السبعة- إلا أمير على مصر من الأمصار...، وأعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وفي أنفس الناس صغيرًا»^(٦).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١١٥/١١.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٨٣-٨٤؛ وانظر: ابن شيبّة: المصنف ٧/١٠٢؛ أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة ١/٥٤٩؛ أبو بكر بن الخلال: السنة ٢/٣٥١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/٢٤٤.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠٥؛ وانظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٢.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/١٠٦-١٠٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٦-٧.

وأمر المدائن سلمان الفارسي زاهد في الدنيا راغب في الآخرة، وسبق معنا شيء من أخباره، ومما يذكر في ذلك قصة بكائه في مرض أصابه، وحين سأله سعد بن أبي وقاص عن ذلك، جاء من قوله: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عهد إلينا عهداً، فقال: «لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب»، فكان يخشى أن يكون استمتع بالدنيا^(١)، وكان يتكسب بعمل يده، فيعمل الخوص، وينفق على عياله، ويتصدق^(٢).

وعلى هذا النهج درج تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم في العراق، واشتهر بالزهد أئمة كبار التابعين منهم، وعند النظر في الكتابات الأولى عن الزهد أقف على رسالة: «زهد الثمانية من التابعين» لعلامة بن مرثد الكوفي (ت ١٢٠هـ) وقد تحدث فيها عن ثمانية من التابعين انتهى إليهم الزهد؛ وهؤلاء الثمانية: أحدهم شامي، والبقية عراقيون؛ أربعة كوفيون وثلاثة بصريون^(٣)، وسيرد ذكرهم في الفقرة التالية -التعب والنسك-، وانتشر الزهد عند العراقيين، وصارت الكتب المؤلفة في الزهد عراقية المبدأ والمشرب وظهرت كتب «الزهد» لوكيع، وهناد، وابن المبارك، وهي عراقية^(٤).

وكانت لهم في ذلك أحوال وأقوال، ومن أقوالهم فيه: ما جاء عن الحسن البصري أنه قال: قال صفوان بن محرز: «إذا أكلت رغيفاً أشد به صلبى، وشربت كوزاً من ماء، فعلى الدنيا وأهلها العفاء»^(٥)، وقال الحسن: «أهينوا هذه الدنيا، فوالله لأهناً ما تكون

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٩٠، ٩١؛ معمر بن راشد: الجامع ١١/ ٣١٣؛ أحمد بن حنبل: الزهد ١٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٥٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ٨٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٤٧.

(٣) علقمة بن مرثد (ت ١٢٠هـ): زهد الثمانية من التابعين، تحقيق عبدالرحمن الفيرواني، ط: الثانية، مكتبة الدار - المدينة النبوية، ١٤٠٨هـ.

(٤) محمد الخضير: تفسير التابعين ١/ ٥٦٧؛ أحمد إسماعيل البسيط، الحسن البصري مفسراً، ط: الأولى، دار الفرقان - عمان الأردن، ١٤٠٥هـ، ص ١٤، ٤٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٧/ ١٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٦.

إذا أهتموها»^(١)، وقال بكار بن محمد: صحبت ابن عون دهرًا من الدهر حتى مات، وما رأيت بيد ابن عون دينارًا ولا درهما قط، ولا رأيت يزن شيئًا قط^(٢).

التعب والنسك:

من هدي الصحابة الكرام ﷺ التعب والنسك، وكان لهم أحوال مشهورة في ذلك، وابن مسعود أحد نساك الصحابة ﷺ، كان إذا هدأت العيون قام، فسمعت له دويًا كدوي النحل حتى يصبح^(٣)، قال مجاهد: «كان عبدالله إذا صلى كأنه ثوب ملقى»^(٤).

وكان تلميذه علقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ)، يبيت عنده وربما صلى معه من الليل، فعن علقمة، قال: «صليت مع عبد الله ليلة كلها، فكان يرفع صوته يقرأ قراءة يسمع أهل المسجد يرتل ولا يرجع، حتى إذا كان قبل أن يطلع الفجر بمقدار ما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها أوتر»^(٥)، وكان الصحابة ﷺ يحافظون على صلاة الليل، وتلاميذهم يقتدون بهم في ذلك، بل ربما تقصد أحدهم المبيت عند الصحابي ليقبدي به في عبادته، وينظر اجتهاده، ومنهم طارق بن شهاب الذي بات عند سلمان، قال: «فقام فصلى من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن فذكر ذلك له، فقال سلمان: حافظوا على هذه الصلوات الخمس فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب

(١) ابن سعد: الطبقات ٧/١٦٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٦٣-٢٦٤.

(٣) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٢/٢٦٥؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٢/١٢٥؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/٢٩١.

(٤) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٢/٢٦٥؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٢/١٢٥، عن الأعمش.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٢/٨٤، ١/٣٢٢؛ عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٣/١٧.

المقتلة...»، ثم قال له سلمان: «فإياك والحققة^(١) وعليك بالقصد والدوام^(٢)، فيحثه على الاقتصاد في العمل والمداومة عليه.

وحين ترجم أبو نعيم في الحلية للنسك، ابتدأهم بذكر بعض الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم علي بن أبي طالب^(٣)، وسعد بن أبي وقاص^(٤)، وسعيد بن زيد^(٥)، وابن مسعود^(٦)، وغيرهم من نساك الصحابة رضي الله عنهم في الكوفة، وكذا أمير البصرة عتبة بن عزوان أحد نساك الصحابة رضي الله عنهم^(٧)، وأبو موسى الأشعري معلم أهلها القرآن^(٨)، وعبدالله بن عباس^(٩)، وأمثالهم من نساك الصحابة رضي الله عنهم في البصرة، وحذيفة بن اليمان^(١٠)، وسلمان الفارسي^(١١)، من نساك الصحابة رضي الله عنهم في الكوفة والمدائن، وعن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وأمثالهم أخذ أهل العراق النسك والزهد، فقد أخذ عنهم تلاميذهم ذلك، حتى لقد غلب على جيل التابعين التعلق بالعبادة والتنسك والزهد مع العلم والإمامة في الدين، وقد اشتهرت الكوفة والبصرة بذلك، حتى اشتهر منهم كبار النساك والزهاد في هذا

(١) الحققة: هو المتعب من السير، وقيل هو أن تحمل الدابة على ما لا تطيقه، وهو إشارة إلى الرفق في العبادة. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤١٢/١.

(٢) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٤٨-٤٩؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٩٠.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٦١.

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٩٢.

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٩٥.

(٦) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٢٤.

(٧) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٧١.

(٨) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٢٥٦.

(٩) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٣١٤.

(١٠) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٢٧٠.

(١١) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/١٨٥.

العصر، أمثال: عامر بن عبدالله العنبري (عامر بن عبد قيس) البصري^(١)، ومسروق بن عبدالرحمن بن الأجدع الكوفي^(٢)، وعلقمة بن قيس النخعي الكوفي^(٣)، والأسود بن يزيد النخعي الكوفي^(٤)، والربيع بن خثيم الكوفي^(٥)، وهرم بن حيان العبدي البصري^(٦)، والحسن البصري^(٧)، ومطرف بن عبدالله بن الشخير البصري^(٨)، وصفوان بن محرز المازني البصري^(٩)، وأبو العالية الرياحي (رفيع بن مهران) البصري^(١٠)، وبكر بن عبدالله المزني البصري^(١١)، ومورق العجلي البصري^(١٢)، وصلة بن أشيم العدوي البصري^(١٣)، وغيرهم.

ولقد كانوا في سلوكهم وأعمالهم يمثلون صورة حيّة للتربية بالقدوة ودعوة صامته إلى تهذيب النفس وإصلاحها وحسبها على طاعة الله، كما حُفظت لهم كثيرٌ من الأقوال والعبارات في تهذيب النفس وإصلاحها، وتعد قواعد مهمة في السلوك والتربية وتمثل إسهاماً متقدماً في هذا الميدان.

- (١) علقمة بن مرثد: زهد الثمانية من التابعين ٣٩؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٩٤ / ٢.
- (٢) علقمة بن مرثد: زهد الثمانية من التابعين ٦١؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ٧٩ / ٢.
- (٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ٩٨ / ٢.
- (٤) علقمة بن مرثد: زهد الثمانية من التابعين ٥٦؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠٢ / ٢.
- (٥) علقمة بن مرثد: زهد الثمانية من التابعين ٤٣؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠٥ / ٢.
- (٦) علقمة بن مرثد: زهد الثمانية من التابعين ٧٩؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١١٩ / ٢.
- (٧) علقمة بن مرثد: زهد الثمانية من التابعين ٦٤؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١٣١ / ٢.
- (٨) أبو نعيم: حلية الأولياء ١٩٨ / ٢.
- (٩) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢١٣ / ٢.
- (١٠) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢١٧ / ٢.
- (١١) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢٢٤ / ٢.
- (١٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢٣٤ / ٢.
- (١٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ١٣٧ / ٢.

فعن الحسن أن عامر بن عبد قيس قال: والله لئن استطعت لأجعلن الهمَّ همًّا واحدًا، قال الحسن: ففعل والله^(١)، وجاء عن أحدهم قال: صحبت عامرًا في غزاة، فنزلنا بحضرة غيضة^(٢)، فجمع متاعه، وطول لفرسه، وطرح له، ثم دخل الغيضة، فقلت: لأنظرن ما يصنع الليلة قال: فاتتهى إلى رابية، فجعل يصلي حتى إذا كان في وجه الصبح أقبل في الدعاء^(٣).

والأحنف بن قيس (ت ٦٧هـ)، كانت عامة صلاته بالليل^(٤)، وقال بكر المزني: «من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه، فليتنظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه»^(٥)، ويخشعون في صلاتهم فلا يشعرون بما حولهم، فمسلم بن يسار (ت ١٠١هـ)، كان قائمًا يصلي في بيته، فوقع إلى جنبه حريق، فما شعر به حتى طفئت النار^(٦)، وقال عبدالله بن مسلم بن يسار: «أن أباه كان إذا دخل المنزل لم يسمع لهم ضجة، فإذا قام يصلي ضجوا وضحكوا»^(٧)، وذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في الصلاة، فقال: «وما يدريكم أين قلبي؟»^(٨)، وقال ابن عون: «رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد، لا يتروح، على رجل مرة، وعلى رجل مرة، ولا يحرك له ثوبًا»^(٩)، وعن أبي قلابة قال: سألت مسلم بن يسار عن الخشوع في الصلاة، فقال: «تضع بصرك حيث تسجد»^(١٠).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٠٦/٧.

(٢) غيضة: وهي الشجر الملتف. ابن الأثير: النهاية ٤٠٢/٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٠٥/٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٥/٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٢٤/٥.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٦/٧.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٦/٧.

(٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٦/٧.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٦/٧.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٨٦/٧.

وعاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧هـ) إذا صلى، ينتصب كأنه عود، ويكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابداً، خيراً، يصلي أبداً، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجداً، قال: مل بنا، فإن حاجتنا لا تفوت. ثم يدخل، فيصلّي^(١).

وإذا كانت عامة الشواهد والأمثلة التي أوردتها تعتمد التوجيه غير المباشر؛ وهو أبلغ في التأثير، وأدعى للاقتداء، فثمة شواهد كثيرة تعتمد تأكيد التوجيه المباشر، وقصدية (التوجيه)، فهذا أبو إسحاق السبيعي (ت ١٢٧هـ)، يقول: «يا معشر الشباب، اغتتموا- يعني: قوتكم وشبابكم- كلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية، وإنني لأقرأ البقرة في ركعة، وقال أبو إسحاق: «ذهبت الصلاة مني وضعفت، وإنني لأصلي، فما أقرأ وأنا قائم إلا بالبقرة وآل عمران»، وعن العلاء بن سالم العبدي، قال: «ضعف أبو إسحاق قبل موته بستين، فما كان يقدر أن يقوم حتى يقام، فإذا استتم قائماً، قرأ وهو قائم ألف آية»^(٢).

ولذا قال عنه مغيرة: «كنت إذا رأيت أبا إسحاق، ذكرت به الضرب الأول»^(٣).

وهذا يؤكد أن ثمة قدوة (ملموسة) من الصحابة الكرام ﷺ، هي التي جعلتهم يتعمدون الوصول للمماثلة.

ولهذا كان يُظنُّ بأحدهم أنه خشبة من طول القيام، فقد «قالت بنت لجار منصور ابن المعتمر: يا أبة، أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية، ذاك منصور، كان يقوم الليل»^(٤)، وقيل: «لو رأيت منصور بن المعتمر، وريبع بن أبي راشد،

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٧.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٠٣.

وعاصم بن أبي النجود في الصلاة، قد وضعوا لحاهم على صدورهم، عرفت أنهم من أبرار الصلاة»^(١).

وقال أبو الأحوص: «إن كان الرجل ليطرق الفسطاط، فيجد لهم دويًا كدوي النحل، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون»^(٢).

أما الصيام، فكانوا يحافظون على صيام النفل ويكثرون منه، قيل للأحنف بن قيس: إنك شيخ كبير، وإن الصيام يضعفك فقال: «إني أعده لسفر طويل»^(٣)، وابن سيرين كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا^(٤)، وكذا ابن عون يصوم يومًا ويفطر يومًا حتى مات^(٥).

وقال أبو إسحاق السبيعي: «يا معشر الشباب، اغتتموا -يعني: قوتكم وشبابكم- كلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم: الأشهر الحرم، وثلاثة أيام من كل شهر، والاثنين، والخميس»^(٦).

وكذا قراءة القرآن، فقد كان أنسهم وحبورهم مع قراءة القرآن وتلاوته، والأحنف ابن قيس «كان قل ما خلا إلا دعا بالمصحف»، وقال يونس: «وكان النظر في المصاحف خلقًا من الأولين»^(٧).

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء ٥/٤٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٤.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/١٥٥.

(٣) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق ٢٤/٣٢٣؛ انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٩٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٠٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٦٣-٢٦٤.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٧؛ البيهقي: شعب الإيوان ٩/٢٤٣؛ الحاكم: المستدرک علی الصحیحین ٢/٥٧٤.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٩٥.

وعن إبراهيم النخعي، أنه كان يقرأ القرآن في كل سبع ليال، وكان الأسود بن يزيد يختم القرآن في ست ليال، وكان علقمة بن قيس يختمه في خمس ليال^(١)، والحسن يقرأ القرآن، فيبكي حتى يتحدر الدمع على لحيته^(٢).

وكذا الدعاء، فهو عبادة لله وسلاح للمؤمن، قال ثابت البناني: شكنا قيم لأنس بن مالك في أرضه العطش، قال: فصلى أنس، ودعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه، حتى ملأت صهريجه، فأرسل غلامه فقال: «انظر أين بلغت هذه. فنظر، فإذا هي لم تعد أرضه»^(٣).

وكان الأحنف بن قيس يقول: «اللهم إن تغفر لي فأنت أهل ذاك، وإن تعذبني فأنا أهل ذاك»^(٤).

وقال مورق: «ما امتلأت غضبًا قط، ولقد سألت الله حاجة منذ عشرين سنة، أو نيف وعشرين سنة، فما شفيعني فيها، وما سئمت من الدعاء»^(٥)، وقال غيلان بن جرير: حبس الحجاج مورقًا العجلي في السجن، فلقيني مطرف، فقال: ما صنعتم في صاحبكم؟ قلت: محبوس قال: تعال حتى ندعو، قال: «فدعا مطرف، وأمنًا على دعائه، فلما كان العشي خرج الحجاج، فجلس وأذن للناس، فدخلوا عليه، فدخل أبو مورق فيمن دخل، فدعا الحجاج حرسيًا، فقال: اذهب بذلك الشيخ إلى السجن، فادفع إليه ابنه»^(٦).

(١) القاسم بن سلام: فضائل القرآن ١٧٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٧٥ / ٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢١ / ٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٦ / ٧.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢١٤ / ٧.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢١٦ / ٧.

إنَّ هذا الهدي والسلوك، والفضائل والمحامد التي أشاعها الصحابة الكرام ؓ في مجتمع العراق، وجد صداها في أرض كانت تفتقر إلى كثير من ذلك نظرًا للموبقات السابقة والردائل التي شاعت بين القوم قبل الإسلام.

وقد تركت هذه السلوكات الكريمة للصحابة ؓ أثرها في نفوس السكان وبينت مزايا هذا الدين من خلال مسلكيات حملته.

* * *

المبحث الثالث

أثر الصحابة ﷺ في الأعمال الخيرية

عُرف الصحابة ﷺ بأنهم سباقون إلى أعمال الخير والقربات، استجابة لتوجيهات القرآن الكريم، وطلباً للأجر والثوبة، والنجاح والفلاح، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحج: ٧٧]، وقال تعالى داعياً عباده إلى المسابقة في الخيرات: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَيْتَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، وقال تعالى مثنياً على عباده ذاكراً صفاتهم وختمها بأنهم المسارعون في الخيرات والسابقون فيها: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦١].

وتأسيًا برسولهم الكريم ﷺ الذي كان كذلك قبل الرسالة وتنزل الوحي، حين جاءه جبريل أول مرة فخرج من الغار يرجف فؤاده ودخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة: أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت لخديجة: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»^(١). وكان الرسول ﷺ متخوفاً مما جاءه فطمأنته خديجة بما يمتلك من صفات وما له من فضائل بأن الله لن يخزيه، وما ذكرته

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٣) ٦/١٧٣؛ ومسلم (٢٥٢) ١/١٤١.

خديجة عن الرسول ﷺ هي أعمال خيرية كان يقوم بها قبل تنزل الوحي عليه، فما تراه بعد الوحي صانع بأبي هو وأمي ﷺ.

فقد كان سباقاً في وجوه البر والإحسان، إذا فالصحابه ﷺ يقتدون بحبيبهم ﷺ، ابتغاء رضوان الله وجنته، ومسارعة في عمل الخيرات، من الوقف في وجوه البر، والإنفاق والصدقة، وتحرير الرقيق، والضيافة، وغيرها.

ومما ساعد على شيوع العمل الخيري في الإسلام، وتنافس الصحابة ﷺ فيه البيئة السياسية التي تستشعر هذه القيم الإسلامية، وتؤمن بها، وتعمل على ترسيخها ونشرها، فتنافس فيها المتنافسون من الصحابة ﷺ والتابعين، من الفاتحين وأبناء البلاد المفتوحة، حتى وجد من المعتقين من يعتق الرقيق.

الوقف:

والوقف هو الحبس^(١) وقد قال عمر للنبي ﷺ: إن المائة سهم التي لي بخير لم أصب مالا قط أعجب إليّ منها، قد أردت أن أتصدق بها، فقال النبي ﷺ: «احبس أصلها، وسبل ثمرتها»^(٢).

وقد عُرف الوقف في حياة النبي ﷺ، فقد قال النبي ﷺ: «وأما خالد: فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أذراعه وأعتده في سبيل الله»^(٣).

(١) والحبس، بالضم: ما وقف. ابن منظور: لسان العرب ٦/٤٤، والوقف في الاصطلاح: تحبیس الأصل، وتسبیل الثمرة. وفي الحديث: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها». ابن قدامة: المغني ٣/٦.

(٢) النسائي: السنن (٣٦٠٣) ٦/٢٣٢، وصححه الألباني؛ ابن ماجه: السنن (٢٣٩٧) ٢/٨٠١، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٨) ٢/١٢٢، الأعتد: جمع عتاد وهو ما أعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب. ابن الجوزي: غريب الحديث ٢/٦٦.

وعليُّ بن أبي طالب على الرغم من زهده وأنه لم يدخر مالا، فإنَّ له أوقافاً في حياته، وحاصل دخلها السنوي أربعة آلاف دينار، وورد أنها أربعون ألف دينار^(١).

وكثر الأوقاف في عصر الراشدين ﷺ، في بناء المساجد، والأسواق، والدور، والجهاد في سبيل الله وتجهيز الجيوش، وشق الأنهار والترع، وحفر الآبار والعيون.

أ/ بناء المساجد:

في مقدمة الأعمال الخيرية الوقفية التي قام بها الصحابة ﷺ والتابعون بناء المساجد، وزيادتها أو إعادة بنائها، فقد تعددت المساجد في الكوفة، حيث أصبح في كل خطة أو قبيلة مسجد، ومما جاء ذكره من المساجد، مسجد الكوفة وهو جامعها حيث بناه سعد بن أبي وقاص، ومسجد سماك، ينسب إلى سماك بن مخزومة الأسدي^(٢)، ومسجد بني عنز، ومسجد بني جذيمة؛ وفيه حوانيت الصيارفة، ومسجد بني المقاصف، ومسجد بني بهدلة، بأسماء القبائل^(٣).

وجاء أن المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم^(٤).

كما تعددت المساجد في البصرة في كل خطة وقبيلة ومما جاء ذكره من المساجد فيها، مسجد البصرة وهو جامعها، اختطه عتبة بن غزوان، وبناه أبو موسى الأشعري^(٥)،

(١) ابن الأثير: أسد الغابة ٣/ ٥٩٩.

(٢) ذكره ابن حجر في القسم الأول، وقال ابن عبد البر: له صحبة، وقال ابن معين: من الصحابة. الإصابة ١٤٧/٣.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٨-٢٨٠.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٢٨٠.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ٢٤١، ٢٤٢.

وهناك ما يفيد كثرة المساجد في وقت مبكر من تاريخها - في خلافة عثمان^(١) - حيث ورد: «وتجاوب المؤذنين»^(٢)، في البصرة، مما يعني تعدد المساجد فيها، ومنها، مسجد عبدالرحمن بن سمرة^(٣)، ومسجد بني عبّاد من تميم^(٤)، ومسجد عمرو بن أخطب، أبو زيد الأنصاري^(٥).

وعن مراحل بناء مسجد البصرة، فقد ورد أنّ محجر بن الأدرع اختط مسجد البصرة فكان يصلي فيه غير مبني، فبناه عتبة بالقصب، ثم بناه أبو موسى الأشعري بلبن وطين وسقفه بالعشب، وزاد فيه^(٦). ومسجد عاصم^(٧)، ومسجد الحامرة^(٨)، ومسجد بني قشير^(٩).

وكذا المدائن، مسجد المدائن، و«أول مسجد جامع بني بالسواد، مسجد المدائن بناه سعد وأصحابه، ثم وسع بعد وأحكم بناؤه وجرى ذلك على يدي حذيفة بن اليمان»^(١٠).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٠٨.

(٢) «وكان عامر بن عبدالله بن قيس يقول بعد ما أخرج من البصرة: ما آسى من العراق على شيء إلا ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين». الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٣٠٢؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار ٤٢٦/١.

(٣) قدم بغلمان من سبي كابل فعملوا له مسجدًا في قصره بالبصرة على بناء كابل. البلاذري: فتوح البلدان ٣٨٤.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٦.

(٥) روى عنه أنس بن سيرين. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٨.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٣٣٨، ٣٤١.

(٧) نسب إلى عاصم أحد بني ربيعة بن كلاب. البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٣.

(٨) نسب إلى قوم قدموا اليمامة عجم من عمان ثم صاروا منها إلى البصرة على حمير فأقاموا بحضرة هذا المسجد. البلاذري: فتوح البلدان ٣٦١.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٥٠.

(١٠) البلاذري: فتوح البلدان ٢٨٤.

ومسجد الأنبار، وقد جاء أن أول مسجد جامع بني بالسواد مسجد المدائن، ثم بني مسجد الكوفة، ثم مسجد الأنبار^(١).

وإلى جانب المساجد تكون الأسواق، حيث اتخذ عبدالله بن عامر (ت ٥٩هـ)، السوق للناس بالبصرة، فقد اشترى دوراً فهدمها، وجعلها سوقاً^(٢).

ب/ في الجهاد في سبيل الله:

وذلك بحبس الأموال والدواب والعتاد في سبيل الله، نشرًا للدين، ونصرة للملة، قال النبي ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»^(٣). وقد حبس كثير من المسلمين أموالهم في سبيل الله، حيث أسهمت الخلافة، والخلفاء، والصحابة ﷺ، والتابعون، وكان أبو بكر الصديق يشتري من بيت المال الإبل والخيل وال سلاح فيحمل الناس عليها في سبيل الله^(٤)، وعمر بن الخطاب حمى النقيع لخيال المسلمين، وحمى الربذة، والشرف لإبل الصدقة، وكان يحمل على ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) بعير كل سنة في سبيل الله، وعلى ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) فرس^(٥)، وبلغ عدد الإبل في حمى ضرية في عهد عثمان أربعين ألفاً (٤٠,٠٠٠)، وهي للصدقة ولحمل المجاهدين إلى مواقع الغزو، وكلها موقوفة للجهاد في سبيل الله^(٦)، وجعل الفاروق في كل مصرٍ خيولاً من فضول أموال

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٨٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/٤٧؛ البلاذري: فتوح البلدان ٣٦١.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٥٣) ٤/٢٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٢١٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٣٠٦.

(٦) السمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي (ت ٩١١هـ): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،

ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ، ج ٣، ص ٢٢٥.

المسلمين عدة للجهاد فكان بالكوفة منها أربعة آلاف (٤٠٠٠) فرس^(١)، وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة، وبالْبصرة نحو منها، وقيمه عليها جزء بن معاوية^(٢)، وأوقف الفاروق خيلاً في سبيل الله، ووسمها في أفخاذها^(٣)، وكان عمر يقطع أراضي خاصة لبعض المسلمين لإفلاء الخيل وتكاثرها ورعايتها، ومنهم نافع وهو أبو عبدالله، أول من افتلى الخيل بالبصرة^(٤)، وأوصى عبدالرحمن ابن عوف بخمسين ألف (٥٠,٠٠٠) دينار في سبيل الله، فكان الرجل يعطى منها ألف (١٠٠٠) دينار، وأوصى بألف (١٠٠٠) فرس في سبيل الله^(٥).

ج/ شق الأنهار والترع:

من الوقف والتجسس إجراء المياه لسقيا الناس، والدواب، والزروع، حيث أسهمت الخلافة، والخلفاء، كما أسهم الصحابة ﷺ، والتابعون في ذلك، من خلال شق الأنهار، والترع، والقنوات، ومن ذلك: أن دهاقين الأنبار سألوا سعد بن أبي وقاص أن يحفر لهم نهراً، فكتب إلى سعد بن عمرو بن حرام يأمره بحفره لهم، فجمع الرجال لذلك فحفروه حتى انتهوا إلى جبل لم يمكنه شقه فتركوه^(٦).

وأمر عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري أن يحتفر لأهل البصرة نهراً ليصل نهر

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥١/٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٢/٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٣٠٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢١١؛ نورة الحارثي: الأوقاف النسوية في العهدين النبوي والراشدي، (د. ط)، جامعة القصيم، كرسي السيرة النبوية، بريدة، ١٤٣٣هـ، ص ٢١١.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٧٠؛ البلاذري: فتوح البلدان ٣٤١-٣٤٢، أي: أنتجها ورباها.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٩٠.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٢٦٩.

الأبلة إليهم، فزاده أربعة فراسخ^(١).

ومعقل بن يسار، ولاه عمر إمرة البصرة، فحفر بها النهر المنسوب إليه، نهر
معقل^(٢).

وحفر الأساورة نهرًا عرف بنهر الأساورة، ويقال: إن عبدالله بن عامر حفره^(٣)،
وهو عبدالله بن عامر بن كريز (ت ٥٩هـ)، والي البصرة زمن عثمان حفر عددًا من
الأنهار وأجرى كثيرًا من الترع، منها: نهر أم عبدالله، وتولاه غيلان بن خرشة الضبي^(٤)،
ونهر ابن عمير، بالبصرة، منسوب إلى أخيه لأمه؛ عبدالله بن عمير الليثي^(٥)، ونهر قديم
اشترته أم عبدالله بن عامر فتصدقت به مغيضًا لأهل البصرة^(٦)، ونهر نافذ، كان عبدالله
ابن عامر حفر نهرًا تولاه نافذ مولاه فغلب عليه^(٧).

وشق الأنهار عمل شاق وكلفته المادية كبيرة، «ونهرى الأبلة ومعقل كلفا الدولة
كثيرًا إذ أن طول كل منهما كان يبلغ حوالي أربعة فراسخ، غير أن المصادر لا تذكر
مقدار ما صرف على حفرهما بالضبط، ويمكننا أن نأخذ فكرة تقريبية عن تكاليف حفر
القنوات إذا علمنا أن نهر ابن عمر كلف ثلاثمائة ألف درهم وهو أصغر من الأبلة

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١١/٣٦٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦٢، ٣٦٤، والأساورة: قوة عسكرية ساسانية وزعيمها سياه الأسواري،
وهم من الهنود. سبق الحديث عنهم ص ٣٧٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٣٥٠؛ ياقوت: معجم البلدان ٥/٣١٥، وأم دجاجة بنت أساء بن الصلت
السلمية.

(٥) وكان عبدالله بن عامر أقطعه ثمانية آلاف جريب فحفر عليها هذا النهر. البلاذري: فتوح البلدان
٣٥٠.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان ٣٦١.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان ٣٥٠؛ ياقوت: معجم البلدان ٥/٣٢٤.

ومعقل»^(١).

د/ حفر الآبار والعيون:

يعدُّ شق الأنهار والترع لتوفير المياه هو الغالب في العراق حيث تتوافر الأنهار، وقد تم حفر الآبار وإجراء العيون في بعض المواقع والطرق، وخاصة طرق الحج، ومنها حُفْرُ أبي موسى، حفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة، وهي ركايا بين ماوية والمنجشائية، بعيدة الأرشية، يستقى منها بالسانية، وماؤها عذب، وركايا الحفر مستوية، وهي اليوم حفر الباطن شمال السعودية^(٢)، والنباج، استنبط ماءه عبدالله بن عامر، فشقق فيه عيوناً وغرس نخلاً، والنباج اليوم هو الأسياح في القصيم في نجد^(٣).

وعبدالله بن عامر، هو أول من اتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليها العين، وسقى الناس الماء، فذلك جار إلى اليوم، كما يقول ابن سعد^(٤).

(١) العلي: التنظيمات الاجتماعية ١٧٠.

(٢) ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٧٥، الحفر: موضع بالبصرة. وهو حفر أبي موسى، بين فلج وفليج، وهو على خمس مراحل من البصرة. البكري: معجم ما استعجم ٢/ ٤٥٧، وقال أبو موسى الأشعري: دلوني على موضع أقطع به هذه الفلاة. قالوا هوبجة تبت الأوطى، بين فلج وفليج. فحفر الحفر، وهو حفر أبي موسى، على خمس ليال من البصرة. البكري: معجم ما استعجم ٤/ ١٣٥٦؛ محمد شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة ١٠٢.

(٣) وولده به وساكنه رهطه بنو كريب ومن انضم إليهم من العرب، ومن وراء النجاج رمال أقوار صغار يمتد ويسرة على الطريق والمحجة فيها أحياناً لمن يصعد إلى مكة رمل وقيعان منها قاع بولان والقصيم. ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٢٥٦، والنباج على طريق البصرة يقال له نجاج بني عامر وهو بحذاء فيد، من البصرة على عشر مراحل. ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٢٥٥؛ واتخذ النجاج، وغرس فيها، فهي تدعى، نجاج ابن عامر. ابن قتيبة: المعارف ١/ ٣٢١، والنباج هي: الأسياح ومركزها عين بن فهيد وتبعد (٥٥) كيلاً إلى الشمال الشرقي من بريدة.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٧.

الإنفاق والصدقة:

من الأعمال الخيرية، الإنفاق في سبيل الله والصدقة، والله يقول: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

ومن المنفقين من الصحابة ﷺ طلحة بن عبيدالله، الذي قال عنه قبيصة بن جابر: «ما رأيت أحداً أعطى لجزيل مال من غير مسألة من طلحة بن عبيدالله»^(١).

وكان طلحة يغل بالعراق أربع مائة ألف، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار، أو أقل، أو أكثر، وبالأعراض له غلات، وكان لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه، وقضى دينه، ولقد كان يرسل إلى عائشة إذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف، ولقد قضى عن صبيحة التيمي ثلاثين ألف درهم^(٢)، وقضى عن عبيد الله بن معمر، وعبدالله بن عامر ابن كريز ثمانين ألف درهم^(٣)، واجتمع عند طلحة مال فقسم في يوم أربع مائة ألف، في أهل بيته وقربته، وكانت غلته كل يوم ألف درهم، وكان يسمى طلحة الفياض^(٤)، وقتل طلحة وفي يد خازنه ألف ألف درهم، ومائتا ألف درهم، وقومت أصوله وعقاره ثلاثين ألف درهم^(٥).

والزبير بن العوام، كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فلا يدخل بيته من خراجهم شيئاً^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٢٢١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٢٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٢ - ٣٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٣.

(٤) الحاكم: المستدرک (٥٦١٥) ٣/ ٤٢٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٢٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩ - ٤٠.

(٦) البيهقي: السنن الكبرى، (١٥٧٨٧) ٨/ ١٥؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ٥٦.

ولئن كان هذا الإنفاق ممن قدم العراق من تجار الصحابة ﷺ، فهو نموذج لغيرهم من الصحابة الكرام.

وقد سار التابعون على هذا النهج في الإنفاق والصدقة، وكان مورك العجلي يدخل على بعض إخوانه، فيضع عندهم الدراهم، فيقول: أمسكوها حتى أعود إليكم، فإذا خرج قال: أنتم منها في حل^(١)، قال جميل بن مرة: كان مورك يجيء إلى أهلنا بالبصرة بالبصرة، فيقول: «أمسكوا لنا هذه عنكم، فإذا احتجتم إليها فأنفقوها، فيكون آخر عهده بها»^(٢)، وكان يتجر، فيصيب المال، فلا تأتي عليه جمعة وعنده منه شيء، وكان يلقي الأخ له، فيعطيه أربع مائة، خمس مائة، ثلاثمائة، فيقول: ضعها لنا عندك حتى نحتاج إليها قال: ثم يلقاه بعد ذلك، فيقول: شأنك بها، ويقول الآخر: لا حاجة لنا فيها، فيقول: أما والله ما نحن بأخذها أبداً، شأنك بها^(٣).

وكانت دار عبدالله بن خازم السلمي لعمته دجاجة أم عبدالله بن عامر فأقطعته إياها^(٤).

وأوصى أبو العالية الرياحي بماله فقال: «ما تركت من ذهب، أو فضة، أو مال فثلثه في سبيل الله، وثلثه في أهل النبي ﷺ، وثلثه في فقراء المسلمين، وأعطوا حق امرأتي»^(٥).
والحسن البصري، أخذ عطاءه، فجعل يقسمه، فذكر أهله حاجة، فقال لهم: دونكم بقية العطاء، أما إنه لا خير فيه إلا أن يصنع به هذا^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢١٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢١٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢١٥-٢١٦.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ٣٤٦.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٢.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧١.

وحامد بن أبي سليمان، كان صاحب مال، وكان يفطر كل يوم في رمضان خمسين إنساناً، فإذا كان ليلة الفطر، كساهم ثوباً ثوباً. وعن الصلت بن بسطام، عن أبيه، قال: «كان حماد بن أبي سليمان يزورني، فيقيم عندي سائر نهاره، فإذا أراد أن ينصرف، قال: انظر الذي تحت الوسادة، فمرهم ينتفعون به فأجد الدراهم الكثيرة»^(١).

عتق الرقيق:

سيرد معنا الحديث عن تحرير الرقيق، وأن الإسلام شجع على إعتاق الرقيق على أنه قربة لله من وجه، وبالكفارات من وجه آخر، لكن الحديث هنا كونه من الأعمال الخيرية التي تنافس فيها الصحابة ﷺ والتابعون، فقد أوصى عمر بن الخطاب، «أنه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حر من مال الله»^(٢)، ويحصل التقرب إلى الله بذلك في إعتاق ذوات الأثمان العالية من الجوارى، فقد كان عامر العنبري في جيش، فأصابوا جارية من عظماء العدو؛ قال: فوصفت لعامر، فقال لأصحابه: هبوا لي، فإني رجل من الرجال ففعلوا، وفرحوا بذلك، فجاءوا بها، فقال: اذهبي، فأنت حرة لوجه الله قالوا: يا عامر، والله لو شئت أن يعتق بها كذا وكذا لأعتقت قال: أنا أحاسب ربي^(٣).

وتشارك النساء في الإعتاق وتنافس الرجال بذلك، ولا تكتفي بالعتق بل تجعله لله فتنازل عن ولاءه، فتعتقه سائبة^(٤)، قال أبو العالية: اشترتني امرأة، فأرادت أن تعتقني، فقال لها بنو عمها: تعتقينه، فيذهب إلى الكوفة، فينقطع، قال: فأنت بي مكاناً

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٣٤٢؛ البلاذري: أنساب الأشراف ١٠/ ٤٢١؛ وانظر: عبد الرزاق: المصنف ٨/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٠-١١١.

(٤) ومتى قال الرجل لعبدته: أعتقتك سائبة، أو أعتقتك ولا ولاء لي عليك. لم يكن له عليه ولاء. فإن مات، وخلف مالا، ولم يدع وارثاً، اشترى بهاله رقاب، فأعتقوا. ابن قدامة: المغني ٦/ ٤١٣.

في المسجد لو شئت أقمتك عليه، فقالت: أنت سائبة. قال: فأوصى أبو العالية بماله كله^(١).

والمرأة تعتق، والمعتنق يتصدق بماله كله! بل المعتق يعتق، وسائبة! فقد أعتق أبو العالية غلاماً له، فكتب: هذا ما أعتق رجل من المسلمين، أعتق غلاماً شاباً سائبة لوجه الله، ليس لأحد عليه سبيل إلا السبيل المعروف^(٢).

ويعتق الرجل منهم الجماعة من الرقيق أصابهم في الغزو، قال عبد خير: كنت رفيقاً للربيع بن خثيم في غزاة فذكرها قال: فرجع معه رقيق ودواب، فمكثت أياماً ثم أتيت فلم أحس من ذلك الرقيق ولا من تلك الدواب شيئاً، فاستأذنت فلم يجبني أحد ثم دخلت قال: فقلت أين رقيقك ودوابك؟ فلم يجبني فأعدت عليه فقال: ﴿لَنْ نَأْأُوَّ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٢]^(٣).

الضيافة:

من البر وعمل الخير الكرم والضيافة، وذلك للمسافر وابن السبيل، قال النبي ﷺ: «الضيافة ثلاثة أيام»^(٤)، وقال: «حق الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد على ذلك فهو صدقة»^(٥)، وكان مما شرطه الفاتحون في مصالحة أهل السواد الضيافة يوماً وليلة للمسافرين والقادمين^(٦).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٩١.

(٤) أخرجه مسلم (٤٨) ٣/ ١٣٥٣، ك، القطة، باب الضيافة.

(٥) البيهقي: السنن الكبرى (١٨٦٩١) ٩/ ٣٣١؛ ابن أبي شيبه: المصنف ٦/ ٥١٩.

(٦) القاسم بن سلام: الأموال ١٩٢.

ووضعت دور الضيافة في الكوفة والبصرة للقادمين للبلد وأصحاب الحوائج، وكانت دار عبدالملك بن عمير للضيافان في الكوفة، فقد أمر عمر أن يتخذ لمن يرد من الآفاق دارًا فكانوا ينزلونها^(١)، وجاء ذكر دار الضيافة بالكوفة، زمن عثمان^(٢)، وقد تعددت دور الضيافة في الكوفة زمن عثمان، فقد بلغ عثمان أن أبا سمال الأسدي في نفر من أهل الكوفة، ينادي مناد لهم إذا قدم الميار^(٣): من كان هاهنا من كلب أو بني فلان ليس لقومهم بها منزل فمنزله على أبي سمال، فاتخذ موضع دار عقيل دار الضيافان ودار ابن هبار، وكان الأضياف ينزلون دار عبدالله بن مسعود في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد^(٤).

ودار للضيافة بالبصرة، فقد «كتب عثمان بن عفان، إلى عبدالله بن عامر أن اتخذ دارًا ينزلها من قدم البصرة من أهل المدينة وينزلها من قدم من مواليها، فاتخذ القصر الذي يقال له قصر ابن عفان، وقصر رملة وجعل بينهما فضاء كان لدوابهم وإبلهم»^(٥).

العطاء على تعلم القرآن:

من أعمال الخير التشجيع على حفظ القرآن وتعلمه، ووضع العطاء له، وهو ينم عن إدراكهم لأثر الحوافز في التعليم، فقد روى سعد بن إبراهيم: «أن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله، أن أعط الناس على تعلم القرآن، فكتب إليه: إنك كتبت إلي: أن أعط الناس على تعلم القرآن، فتعلمه من ليست له فيه رغبة إلا رغبة الجعل، فكتب

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٢٧٣.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٥/١٨٥.

(٣) والميار: جالب الميرة، ويقال للرفقة التي تنهض من البادية إلى القرى لتمتار. الزبيدي: تاج العروس ١٤/١٦٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٧٣.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ٤/٣٥٥.

إليه: أن أعط الناس على المروءة والصحابة»^(١).

ويرى بعضهم أن الكتاب موجه لسعد بن أبي وقاص في الكوفة، وأن قول الفاروق: «أعط الناس على المروءة والصحبة»، لا يعني أنه تراجع عن رأيه في عطاء من يحفظ القرآن، وإنما أمره أن يعطي أهل البلاء والصحبة ولو قصر بهم حفظهم للقرآن، ويوضح ذلك ما جاء أن عمرو بن معدي كرب الزبيدي أتى إلى سعد يريد عطاءً، فسأله سعد كم تحفظ من القرآن؟ فاعتذر بأنه شغل عن تعلم القرآن بالجهاد، فقال سعد: لا شيء لك،^(٢) فرد عمر «أن أعط الناس...»، وأنه وإن كان الأولي لمن أراد حفظ القرآن أن لا يأخذ عليه شيئاً، إلا أنه حين لا يكون لهؤلاء الحفظة ما يعينهم على الاستمرار في تعلم القرآن، أو حينما يوجد من تفرغوا من كل عمل لتعلم كتاب الله وحفظه فيعانون ويشجعون على ذلك بالجوائز من العطاء، وخاصة في مجتمع حديث النشأة والتكوين؛ وحديث عهد بالإسلام كمجتمع الكوفة في ولاية سعد^(٣).

* * *

(١) القاسم بن سلام: الأموال ٣٣٣؛ أبو بكر المحولي، محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام (ت ٣٠٩هـ): المروءة، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط: الأولى، دار ابن حزم - بيروت، ١٤٢٠هـ ص ٦٧، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، (ت ١٢٧هـ)، ثقة، ولم يلق أحداً من الصحابة، ومدار هذا الخبر عليه، وقد وقفت عند إسناد الخبر لسبيين: ١/ تعلقه بمسألة شرعية، ٢/ لأن سعد بن إبراهيم انفرد به حيث لم يروه غيره فيما وقفت عليه، ولم أقف عليه في غير هذين الكتابين.

(٢) لم أقف عليه في شيء من المصادر.

(٣) غالب عبد الكافي القرشي: أولويات الفاروق السياسية، ط: الأولى، المكتب الإسلامي - بيروت،

١٤٠٣هـ ص ١١٧-١١٨.

المبحث الرابع

أثر الصحابة ﷺ في عوائد الألبسة والأطعمة والأشربة

إنَّ من المعلوم من الدين بالضرورة أنَّ الأصل في الأشياء الحل إلا ما جاء الدليل بحرمة، ومنها الألبسة، والأطعمة، والأشربة، فمباح للمسلم الانتفاع بها، بل إنَّ منها ما هو مندوب، ومنها ما هو واجب، في أحكام تفصيلية جاءت بها الشريعة، ولقد كان الصحابة ﷺ ملتزمين في تلك الأحكام، وواقفين عند ضوابطها، وثمة أمور حرمتها الشريعة ومنها: لبس الحرير، والديباج للرجال، والأكل والشرب بآنية الذهب والفضة، حيث جاء ذلك في عدد من الأحاديث الصحيحة، ومنها، حديث حذيفة قال النبي ﷺ: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسوا الحرير والديباج، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»^(١).

ومما حرّمته الشريعة الإسراف والخيلاء، قال الله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ حُدُوءًا زِينَتُهُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١].

وقال النبي ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٢)، وأخرجه البخاري تعليقا، وأورد قول ابن عباس: «كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف، أو مخيلة»^(٣)، فالمسلم في أكله منهبي عن الإسراف وفي لبسه منهبي عن الخيلاء، حيث يورث العجب وهو الكبير، و«هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٣) ٧/١١٣.

(٢) الحاكم: المستدرک (٧١٨٨) ٤/١٥٠، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأصله عند النسائي: السنن (٢٥٥٩) ٥/٧٩.

(٣) أخرجه البخاري، في أول كتاب اللباس ٧/١٤٠-١٤١.

والجسد في الدنيا والآخرة فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد، ويضر بالمعيشة فيؤدي إلى الإلتلاف، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال، والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدينا حيث تكسب المقت من الناس»^(١).

كما حرم الإسلام التشبه بالكفار بما هو من خصائصهم في اللباس وغيره، وحرم تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، فيما هو من خصائص كل منهم، مما هو مشهور ومعلوم من الدين.

ودعا الإسلام المسلمين إلى الخشونة والبعد عن التمتع إذ هو من شأن العجم، ولذا فإن مما كتب به الفاروق إلى أبي موسى: «وعليكم باللبسة المعدية، وإياكم، وهدي العجم، فإن شر الهدي، هدي العجم»^(٢).

وكم لهذا النهي عن مشابهة الكافرين من أثر في نسج رداء العزة، ورسم لوحة الاستقلالية عند المسلم، كون الهدي الظاهر يورث الاتباع في الباطن!

الألبسة:

من أحكام اللباس تحريم الإسبال للرجال، ووجوب الحجاب والستر للمرأة، في أحكام تفصيلية، للمرأة في الصلاة، والمرأة مع النساء، والمرأة مع محارمها، والمرأة مع الأجانب، حيث جاء فيها ضوابط الحجاب الشرعي، والتي ذكرها أهل العلم في كتبهم. ويحل للنساء في اللباس والزينة ما لا يحل للرجال، فالحريم محرم على الرجال، وحلال على النساء، قال سعيد بن جبير: «قدم حذيفة بن اليمان من سفر، وقد كسي

(١) ابن حجر: فتح الباري ١٠/٢٥٣.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧٠، ٦/٤٦١، والمعدية أي اللبسة الخشنة، نسبة إلى معد بن عدنان.

ولده الحرير فنزع منه ما كان على ذكور ولده، وترك منه ما كان على بناته»^(١)، وابن مسعود، أتاه ابن له، وعليه قميص من حرير، والغلام معجب بقميصه، فلما دنا من عبدالله خرقة، ثم قال: «اذهب إلى أمك فقل لها فلتلبسك قميصًا غير هذا»^(٢).

وكذا الذهب محرم على الرجال ومباح للنساء، وقد سئل ابن مسعود عن الحرير، والذهب للنساء، فقال: «إنما هن لعبكم فزينوهن بما شئتم»^(٣)، وحفصة بنت أنس بن مالك تقول: «كان أبي يحلينا الذهب ويكسوننا الحرير»^(٤).

ومن المحرم في اللباس ما فيه مدعاة للكبر والعجب والبَطْر، وهذا لا يتعارض مع التجميل ولبس الجيد والحسن من اللباس، فعن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»^(٥).

ولذا كان بعض الصحابة ﷺ يحذرون ما فيه مدعاة للكبر والخيلاء، فقد «ابتاع عليّ قميصًا سنبلانيًا بأربعة دراهم فدعا الخياط فمد كم القميص، وأمره أن يقطع ما بين خلف أصابعه»^(٦).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٥٢/٥.

(٢) معمر بن راشد: الجامع ٧٠/١١، ابن أبي شيبة: المصنف ١٥٢/٥.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ١٦٣/٥.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤٨٠/٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف ١٦٩/٥.

(٥) أخرجه مسلم (٩١) ٩٣/١.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ١٦٩/٥، وسنبلاني وهو الطويل السابغ وقال الأزهري الأقرب عندي أن تكون منسوبة إلى موضع. ابن الجوزي: غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥ هـ، ج ١، ص ٥٠١.

وجاء «أنَّ عمر بن الخطاب دعا شفرة ليقطع كم قميص عتبة بن فرقد من أطراف أصابعه، وكان عليه قميص سنبلاني، وقال: أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين، إني أستحي أن تقطعه عند الناس، فتركه»^(١).

وكان الصحابة ﷺ في العراق يلبسون أنواعًا مختلفة من الملابس، وأكثر ما وقفت عليه منها، لأنس بن مالك، وقد يكون ذلك بسبب تأخر وفاته، ومن هذه الملابس: القمص^(٢)، والأردية^(٣)، والأزر^(٤)، والجُباب^(٥)، والقلائس^(٦)، والبرانس^(٧)، والعمائم^(٨)، والسابرية^(٩)، والمطارف^(١٠)، والمقطعة^(١١)، والثياب^(١٢)،

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٦٩.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٦٩، ١٦٩، ١٧٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٦.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣، ٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٦.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣، ٢٣.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٤، والقلنسوة تلبس في الرأس. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٥٦٧.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/١٨١، والبرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به، من دراعة أو جبة أو ممطر أو غيره. وقال الجوهري: هو قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام، وهو من البرس - بكسر الباء - القطن. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٢٢.

(٨) انظر: ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧٥، ١٨٠، ٢٦٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٨، ١٨، ٢٣، ٢٣، ٢٣، ٢٣، ٢٤، ٢٤.

(٩) كل رقيق عندهم سابري. والأصل فيه الدروع السابرية، والعمائم السابرية، منسوبة إلى سابور. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٣٣٤.

(١٠) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٠، ١٠، ١٦، ٢٣، ٢٣، ٢٣، ٢٤، والمطارف هي أردية خز مربعة لها أعلام. القاسم بن سلام: غريب الحديث ١/٢٢٧.

(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣، والمقطعات هي الثياب القصار، وقيل كل ثوب يقطع من قميص وغيره، ومن الثياب ما لا يقطع كالأزر والأردية. ابن الجوزي: غريب الحديث ٢/٢٥٣.

(١٢) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٣، ٢٣، ٢٤؛ معمر بن راشد: الجامع ١١/٧٥.

والمقطعة^(١)، والثياب^(٢)، والسراويل^(٣)، والطيلسان^(٤)، والقباء^(٥)، والملحفة^(٦).

وهذه الملابس من المواد المتوافرة، مثل: الخبز^(٧)، والكتان، والقطن، والفرو^(٨)، وهي ذات ألون مختلفة، من الأسود^(٩)، والأحمر^(١٠).

ولبس بعضهم الصوف على سبيل الزهد، فأنكر ذلك عليهم أئمة التابعين منطلقين من أن الإسلام يدعو إلى التجميل وإظهار نعمة الله على عبده، ومن ذلك، أن أبا العالية الرياحي قال: «زارني عبد الكريم أبو أمية وعليه ثياب صوف، فقلت له: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تراوروا تجملوا»^(١١).

والحسن البصري، لما ذكر عنده الذين يلبسون الصوف، قال: «ما لهم تفاقدوا -ثلاثاً- أكنوا الكبر في قلوبهم، وأظهروا التواضع في لباسهم، والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه»^(١٢)، وهذا الإمام من أطباء القلوب فهو يلمح هنا إلى معنى دقيق من أمراض القلوب، فليس التواضع أو العجب مربوطين بنوع اللباس فحسب، بل إن المعوّل عليه بشكل أكبر أحوال القلوب.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٩٧/٧.

(٢) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١٥، ١٦١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١٤؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧١.

(٤) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٦٠، ١٦١؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧٤، ١٧٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٥.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧١.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧٥.

(٧) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٩٧، ٩٧، ٩٧، ١٢٦.

(٨) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧٥.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٦٠، ١٦١.

(١٠) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٧٥.

(١١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١٥.

(١٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٦٩، وتفاقدوا: فقد بعضهم بعضاً. الزبيدي: تاج العروس ٨/٥٠٣.

ومما يدخل في الألبسة ويتعلق بها، التزين بأنواع الزينة، من المركوب، والنظافة، والطيب، والخضاب، والتختم، وربط الأسنان.

فمن المركوب، ركب البراذين، حيث تعد مراكب فارهة^(١)، وممن ركب البراذين من الصحابة ﷺ، حذيفة^(٢)، والنعمان بن مقرن^(٣)، ومن التابعين، علقمة^(٤)، وعبدالرحمن بن الأسود^(٥)، وكانوا يلبسون الثياب الحسنة ومنها البرانس^(٦).

ووصف حماد بن زيد، أيوب السخيتاني فقال: «له شعر وافر، وشارب وافر، وقميص جيد هروي، يشم الأرض، وقلنسوة متركة جيدة، وطيلسان كردي جيد، ورداء عدني - يعني: ليس عليه شيء من سيما النساك ولا التصنع -»^(٧)، وحماد بن سليمان، له ثروة وحشمة وتجمل^(٨).

وكانوا يعتنون بالنظافة والاعتسال، وربما اغتسل بعضهم كل يوم^(٩)، كما يعتنون بنظافة الملابس والتطيب، ومنهم ابن مسعود^(١٠)، وكذا نظافة المنازل وكنسها، «كان

(١) قال خالد بن صفوان: «الإبل للبعد، والبغال للثقل، والبراذين للجمال والدعة، والحمير للحوائج، والخيول للكثرة والقر». أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ): الإمتاع والمؤانسة، ط: الأولى، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٤هـ، ص ٣٢٢.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ٥٢٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ١٣١.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٨٨؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ٥٢٧.

(٥) كنت إذا رأيت عبدالرحمن بن الأسود قلت: إنه دهقان من دهاقين العرب في لبوسه وتعطره ومركبه. قال: ورأيته راكباً على بردون. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٨٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٧٩.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣١.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٠٠.

(١٠) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٠٢؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ٣٠٤، الأدب ١٧٦.

عبدالله يأمر بداره فتكنس حتى لو التمسست فيها تبنه أو قصبه ما قدرت عليهما»^(١)، وكان الربيع بن خثيم «يأمر بالدار أن تنظف كل يوم»^(٢).

بل إنَّ أبا موسى الأشعري لما قدم البصرة ذكر أنَّ من مهام ولايته العناية بنظافة طرقهم، فقال: «إن أمير المؤمنين بعثني إليكم لأعلمكم سننكم وأنظف لكم طرقكم»^(٣). ومن الزينة تغيير الشيب بالخضاب، وكان استعمال الخضاب مألوفاً، فالرجال يخضبون رؤوسهم ولحاهم، بالحناء والكتم والورس والزعفران والوسمة أو السواد^(٤). وذلك بالحمرة (الحناء)، أو بالصفرة (الزعفران أو الورس)، أو بالسواد (الكتم أو الوسمة).

فمن الصحابة ﷺ من يخضب اللحية بالحمرة (الحناء)^(٥)، ومن الصحابة ﷺ من يخضب اللحية بالصفرة، (الزعفران أو الورس)^(٦)، ومن الصحابة ﷺ من يخضب رأسه ولحيته بالصفرة، (الزعفران أو الورس)^(٧).

ومن التابعين من يخضب اللحية بالصفرة، (الزعفران أو الورس)^(٨)، ومنهم من يخضب اللحية بالحمرة، (الحناء)^(٩)، ومنهم من يخضب رأسه ولحيته بالحناء

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ٢٦٤؛ الأدب ٢٨٩.

(٢) ابن أبي شيبة: الأدب ٢٨٩.

(٣) ابن أبي شيبة: الأدب ٢٨٩.

(٤) العلي: التنظيحات الاجتماعية ١٩٨-١٩٩.

(٥) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٤، ٢٤؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ١٨٣.

(٦) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٤، ٢٤؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ١٨٥، ١٨٥، ١٨٥.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٦١.

(٨) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٣٩، ١٤٦، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ١٦٠؛ ابن أبي شيبة: المصنف

٥/ ١٨٥.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٠٤.

والكتم^(١). ومنهم من يخضب اللحية بالسواد (الوسمة)^(٢)، وقد جاء أن سعد بن أبي وقاص يخضب بالسواد^(٣)، وسئل ابن الحنفية عن الخضاب بالوسمة؟ فقال: «هي خضابنا أهل البيت»^(٤). ونقل عن بعضهم كراهية الخضاب بالسواد، فقد سئل الشعبي عن الخضاب بالوسمة، فكرهه^(٥)، وسئل سعيد بن جبير عن الخضاب بالوسمة فكرهه، فقال: «يكسو الله العبد في وجهه النور، ثم يطفئه بالسواد؟»^(٦).

ومن الزينة التختم والنقش على الخواتم، فعن أبي الكنود الأزدي الكوفي، أنه لبس خاتمًا أصابه في إحدى المعارك فراه عليه ابن مسعود، فقال: إن رسول الله: «نهانا عن خاتم الذهب»^(٧)، وجاء عن الفاروق أنه قال: «لا تنقشوا، ولا تكتبوا في خواتمكم بالعريّة»^(٨)، وعن أنس بن مالك قال: «نهى عمر بن الخطاب أن يكتب في الخواتم شيء من العريّة»^(٩). ونقل عن عدد من الصحابة ﷺ في العراق أنهم اتخذوا الخاتم منهم، علي بن أبي طالب^(١٠)، وابن مسعود^(١١)، وأبو موسى الأشعري^(١٢)، وعمران بن حصين^(١٣)، وأنس بن مالك^(١٤).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٤٤-١٤٥.

(٢) انظر: ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٨٣، ١٨٣، ١٨٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/٩٧.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٨٤.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٨٤.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٨٤.

(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٩٣، وأبو الكنود مختلف في اسمه. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٧٧.

(٨) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٩٢.

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٨.

(١٠) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٩٢.

(١١) معمر بن راشد: الجامع ١٠/٣٩٥.

(١٢) معمر بن راشد: الجامع ١٠/٣٩٤؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٩٠.

(١٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/١٩١.

(١٤) معمر بن راشد: الجامع ١٠/٣٩٤.

وإذا كان الفاروق نهى أن يكتب على الخواتم بالعربية، فقد جاء عن بعض الصحابة ﷺ أن على خواتمهم نقوش، منها ما تضمن بعض العبارات العربية، فعلياً، نقش خاتمه: «الله الملك»^(١)، وأنس بن مالك، نقش خاتمه: «محمد رسول الله»^(٢).

ومن النقوش على الخواتم ما تضمن صوراً لأشجار، فابن مسعود، نقش خاتمه صورة شجرة^(٣)، أو صور حيوانات، فأبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك نقل أن نقش خاتمهما كركي له رأسان^(٤)، كما نقل أن نقش خاتم أنس بن مالك، ذئب أو ثعلب، ونقل أنه «كان نقش خاتم أنس أسد رابض»^(٥).

ونقل عن بعض التابعين أنهم اتخذوا الخواتم، ومنهم مسروق،^(٦) والحسن البصري^(٧)، وطاووس^(٨).

وعليها نقوش، منها ما يتضمن بعض العبارات، فمسروق، كان نقش خاتمه «بسم

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥ / ١٩٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٢٢-٢٣.

(٣) معمر بن راشد: الجامع ١٠ / ٣٩٥.

(٤) معمر بن راشد: الجامع ١٠ / ٣٩٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٨، جاء عند ابن رجب، أن نقش صور الحيوان على الخاتم لا يجوز، للنصوص الثابتة المستفيضة في التحريم، «لكن هل يجرم لبسه أم يكره، فيه وجهان أحدهما أنه محرم، والثاني أنه مكروه وليس بمحرم، ومأخذ هذا الخلاف: أن اللبس هل هو مختص بالافتراش والانتكاء، أو بالستر والنصب والتعليق؟ فإن افتراش ما فيه صور حيوان والانتكاء عليه جائز، على المذهب المعروف، وتعليقه واللبس متردد بينهما، فمن لم يجرمه قال: اللبس نوع امتهان وابتدال، ويعضد ذلك حديث أبي طلحة، وسهل بن سعد عن النبي ﷺ: قال: (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، إلا رقماً في ثوب)، أخرجاه في الصحيحين، ومن حَرَمه جعله في الملابس تعظيم له فهو كمنصبه بخلاف افتراشه». ابن رجب الحنبلي، أحكام الخواتم وما يتعلق بها، تصحيح وتعليق عبد الله القاضي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥ هـ، ص ٧٧-٧٨، وهو عند البخاري (٣٢٢٦) ٤ / ١١٤.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ٥ / ١٩١.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ١٥٩.

(٨) معمر بن راشد: الجامع ١٠ / ٣٩٤.

الله الرحمن الرحيم»^(١). وطاووس، كان نقش خاتمه «لا إله إلا الله».^(٢) وغالب خواتمهم من الفضة^(٣).

ومحاولة تزيين الجُدر في البيوت ظهر مبكراً في البصرة ففي زمن عمر، نجّدت امرأة يقال لها: خضراء بيتها، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد، فإنه بلغني أن الخضراء نجدت بيتها، فإذا جاءك كتابي هذا فاهتكه، هتكه الله، قال: فذهب الأشعري بنفر معه حتى دخلوا البيت، فقاموا في نواحيه، فقال: ليهتك كل امرئ منكم ما يليه رحمكم الله»، قال: فهتكوا، ثم خرجوا^(٤).

وعمر هنا قد يكون رأى في ذلك ركوناً إلى الدنيا، ومؤشراً على الترف، وتبذيراً للمال، وهو الحريص على التزام رعيته بتعاليم الدين.

الأطعمة:

مع النهي عن الإسراف في الأطعمة - كما تقدم - هناك ضوابط شرعية في الأطعمة، ومن ذلك ما جاء في الذبائح، فلا تحل ذبائح الوثنيين، ولا المجوس.

ولتوافر الجبن في العراق، فقد وردت الأسئلة عن جواز أكل الجبن؛ ووجهت لبعض الصحابة ﷺ، منهم عمر^(٥)، وعلي^(٦)، وابن مسعود^(٧)، وأم سلمة^(٨).

-
- (١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٩١/٥.
 (٢) معمر بن راشد: الجامع ٣٩٤/١٠.
 (٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٥٩/٧، ١٦٠.
 (٤) معمر بن راشد: الجامع ٣١/١١.
 (٥) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٤٩/٦؛ مصنف عبد الرزاق ٥٣٩/٤، ٥٣٨/٤؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٩٣٩٠) ٥٣٧/٩، (١٩٦٨٦) ٩/١٠.
 (٦) البيهقي: السنن الكبرى (١٩٦٨٧) ١٠/١٠.
 (٧) مصنف ابن أبي شيبة ١٣٠/٥؛ البيهقي: السنن الكبرى ١١/١٠.
 (٨) مصنف عبد الرزاق ٥٣٨/٤؛ مصنف ابن أبي شيبة ١٢٩/٥؛ البيهقي: السنن الكبرى ١٠/١٠.

قال ابن مسعود: «لا تأكلوا من الجبن إلا ما صنع المسلمون، وأهل الكتاب»^(١)، ولمّا افتتح المسلمون المدائن، أصابوا سلة فقال: سلمان «افتحوها، فإن كان طعاماً أكلناه، وإن كان مالاً دفعناه إلى هؤلاء قال: ففتحنها فإذا أرغفة حواري، وإذا جبنة وسكين قال: وكان أول ما رأت العرب الحواري، فجعل سلمان يصف لهم كيف يعمل، ثم أخذ السكين وجعل يقطع، وقال: بسم الله، كلوا»^(٢).

وجاء عن بعض تابعي العراق أنه «لمّا قدم المسلمون أصابوا من أطعمة المجوس من جبنهم وخبزهم»^(٣).

وعامر بن عبدالله بن عبد قيس بعث إليه أمير البصرة، بأمر أمير المؤمنين عثمان - لما بلغه عنه-، «... وما لك لا تأكل الجبن؟ قال: إنا بأرض بها مجوس، فما شهد شاهد من المسلمين أنه ليس فيه ميتة أكلته»^(٤).

فما كان من صنع أهل الكتاب فيحل أكله لحل ذبائهم، وما كان من صنع المجوس، أو وضع فيه أنافيح الميتة، فلا يحل أكله، وقيل: سم الله وكل.

ووجه الصحابة ﷺ أفراد المجتمع إلى حسن تدبير معاشهم، فقد رأى عبدالله ابن مسعود مع رجل دراهم، فقال: أي شيء تصنع بهذه الدراهم؟ فقال: هذه يا أبا عبد الرحمن ثلاثون درهماً أريد أن أشتري بها سمناً لرمضان، فقال: تجعله في السكرجة فتأكله؟ قال: نعم، قال: «اذهب فادفعها إلى امرأتك، ومرها أن تشتري كل يوم بدرهم لحماً، فهو خير لك»^(٥).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ١٣٠.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ١٣٠.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ١٣٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١٠٧-١٠٨.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/ ١٤٠، والسكرجة تقدم التعريف بها، انظر: ص ٤٤٠.

وكره بعضهم النثار^(١) في الأطعمة، حيث كانوا ينثرون الجوز في الأعراس، وقال عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري (ت ٦٨هـ)، في نثر الجوز: «إن وضعتموه أصبنا منه، وإن نثرتموه لم نصب منه»^(٢).

وأبو مسعود الأنصاري (ت ٤٠هـ)، كره نهاب السكر على الصبيان^(٣)، بل إنه كان «إذا نثر على الصبيان منع صبيانه، واشترى لهم»^(٤).

ومن العوائد الحسنة التي تركها الصحابة ﷺ في العراق، إطعام الطعام، للمحتاجين والغرباء المسافرين، وللصائمين، بل الإطعام مما يحبه من الأطعمة، حيث تقدم معنا صور من ذلك في القيم الاجتماعية، من هذا الفصل، من البر والإحسان، والضيافة، وغيرها.

الأشربة:

الأصل في الأشربة الحل إلا ما جاء النص بتحريمه، كالخمر، فهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع^(٥).

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [سورة المائدة: ٩٠] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتم مِّنْهُونَ﴾ [سورة المائدة: ٩١].

(١) وذلك في الأعراس حيث كانوا ينثرون السكر والجوز على الناس، كما في عنوان الباب.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٤/٣٦٧.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٤/٣٦٨، وقد تقدم أن النثار مختلف فيه بين الكراهة، والإباحة. انظر: ابن قدامة: المغني ٧/٢٨٧.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٤/٣٦٨.

(٥) ابن قدامة: المغني ٩/١٥٨.

وقال النبي ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام»^(١)، وقال النبي ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»^(٢).

والنيذ مباح ما لم يغل، أو تأتي عليه ثلاثة أيام، وكذا العصير مباح ما لم يغل^(٣).
وآنية الشرب مباحة إلا أواني الذهب والفضة، فيحرم الشرب بها، وقد مرت بنا قصة حذيفة حين استسقى في المدائن، وذكر الحديث في تحريم الشرب بها^(٤).

ونقل عن عدد من تابعي العراق، زاذان، وميسرة، وسعيد بن جبير، أنهم: «لا يشربون في آنية الذهب والفضة، ولا يدهنون في مدهن الذهب والفضة»^(٥).

ونقل عن بعض الصحابة ﷺ والتابعين كراهة الشرب في الأنية المفضضة، فعن ابن عمر: «أنه كان لا يشرب من قدح فيه حلقة فضة، ولا ضبة فضة»^(٦)، ونقل عن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين: «أنهما كرها أن يضرب، القدح بذهب أو فضة»^(٧).

كما نقل عن بعض الصحابة ﷺ والتابعين الشرب في الأنية المفضضة، فعن قتادة، أن عمران بن حصين، وأنس بن مالك: «كانا يشربان في الإناء المفضض»^(٨)، وقد كان

(١) أخرجه البخاري (٢٤٢) ١/٥٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) ٣/١٥٨٧.

(٣) والنيذ: ماء يلقى فيه تمر أو زبيب أو نحوهما؛ ليحلو به الماء، وتذهب ملوحته. ابن قدامة: المعنى ١٧٠/٩.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠٣/٥.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠٤/٥.

(٦) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠٤/٥، والمفضضة، هي الأنية يوضع فيها شريط من الفضة لإصلاحها، أو تزيينها.

(٧) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠٥/٥.

(٨) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠٤/٥.

زاذان، وميسرة، وسعيد بن جبير: «يشربون من الأنية المفضضة»^(١).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ١٠٤/٥، وعمن رخص في ضبة الفضة سعيد بن جبير، وميسرة، وزاذان، وطاوس، والشافعي، وأبو ثور، وابن المنذر، وأصحاب الرأي، وإسحاق، وكره الشرب في الإناء المفضض علي بن الحسين، وعطاء، وسالم، والمطلب بن عبدالله بن حنطب ونهت عاتشة أن يضرب الأنية، أو يلقها بالفضة، ونحو ذلك قول الحسن، وابن سيرين ولعل هؤلاء كرهوا ما قصد به الزينة، أو كان كثيرًا، أو يستعمل، فيكون قولهم وقول الأولين واحدًا، ولا يكون في المسألة خلاف. ابن قدامة: المغني ١٧٥/٩.

المبحث الخامس

أثر الصحابة ﷺ في إزالة العوائد القبلية والأجمية وترشيدها

جاء الإسلام بمحاربة التمييز بين الناس على أسس ضيقة فحارب العصبية على اختلاف دوافعها، سواء أكان ذلك في العرق، أم في اللون، أم في اللغة، أم في الوطن، أم في غيرها، وقرر وحدة الأصل الإنساني؛ وأن التمايز إنما يكون بتقوى الله، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] وأكد الأخوة الإيمانية، وأنها مقدمة على غيرها من الروابط والأواصر، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعاش المسلمون هذه المعاني عصر الرسالة، وعصر الراشدين ﷺ؛ وظهرت صور عظيمة للأخوة الإسلامية، في مجتمع المدينة وجزيرة العرب، وفي مجتمعات الأمصار الإسلامية ومنها العراق، ومن ذلك أنه بمجرد دخول الكافر في الإسلام يصبح واحداً من المسلمين له ما لهم من حقوق ومنها حق الأخوة الإسلامية، وعليه ما عليهم من واجبات.

كما نهى رسول الله ﷺ عن العصبية فقال: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١).

ووجدت بعض المخالفات في عصر الراشدين ﷺ حيث وقف لها الصحابة الكرام ﷺ، فحذروا منها، وعالجوها، ومن ذلك ما كان في العراق، ومجتمع العراق - وإن كان الإسلام هو الغالب عليه-، فإنه لا تزال فيه بقايا قوميّات وديانات مختلفة،

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٧) ٥٠ / ٩.

كما أنه يوجد لدى بعض المسلمين أنفسهم بعض الانحرافات، إذ لا يزال لدى بعضهم من العوائد الاجتماعية المنحرفة من رواسب الجاهلية، عند العرب والعجم، من الفخر والمفاخرة، والحمية والعصبية، وعوائد تتعلق بالمصائب والوفاة، والسحر، ونكاح المحارم، والزممة، وغير ذلك، مما سنقف على شيء منه.

ولقد كانت القيادة الإسلامية واعية من وقت مبكر في فتوح العراق لمثل هذه المخالفات، حيث حذر الفاروق عمر قادة الجيوش مما يثير الأحقاد وينشئ الضغائن بالحديث بأحاديث الجاهلية وتذكر الصراعات القديمة وحمية الجاهلية، وأن عليهم ربط الناس بدينهم وتذكيرهم بربهم، فقد كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية: «أن جنب الناس أحاديث الجاهلية فإنها تذكر الأحقاد وتنشئ الضغائن، وعظهم بآيات الله ما نشطوا للاستماع»^(١).

وحذر الفاروق من العصبية القبليّة، والنخوة بالقبيلة، وأن عليهم التمسك بدينهم والرجوع إليه، حيث كتب إلى أبي موسى: «...، وإنه ستداعى القبائل؛ وذلك نخوة من الشيطان، فإن كان ذلك فالسيف السيف، القتل القتل، يقولون: يا أهل الإسلام، يا أهل الإسلام»^(٢)، وكتب إلى أمراء الأجناد: «إذا تداعت القبائل فاضربوهم بالسيف حتى يصيروا إلى دعوة الإسلام»^(٣).

وحذر الفاروق من التفاخر بالأنساب، وأنكر على من فعل ذلك وعاقبه: فقد بلغه أن رجلاً فاخر بقبيلته وانتخى بها بقوله: يا آل بني تميم، فحرّم عمر بني تميم العطاء سنة، ثم أعطاهم في رأس السنة عطاءين، وذلك تأديباً لهذا الرجل الذي أراد إثارة

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ١٠/٣٢٧.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٥٥؛ وانظر: البيهقي: السنن الكبرى (٢٠٤٦١) ١٠/٢٢٩.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٥٦؛ المتقي الهندي: كنز العمال ٥/٧٧٨.

العصبية والحمية الجاهلية^(١).

وكتب الفاروق إلى أبي موسى: أما بعد، فإنه بلغني أنه دعي في جندك بدعوى الجاهلية، وأنه قيل: يا آل ضبة، إن ضبة لم تجز خيراً قط، ولم تدفع سوءاً قط، فإذا جاءك كتابي هذا، فأنزل بهم عقوبة في أشعارهم وأبشارهم، لعلهم يعرفون إن لم يفقهوا^(٢).

وقد يكون التنازع بسبب الغنائم، مؤدياً لإثارة النعرات والعصبيات، فقد «سارت الروم إلى حبيب بن مسلمة وهو بأرمينية، فكتب إلى معاوية يستمده، فكتب معاوية إلى عثمان رضي الله عنه بذلك، فكتب عثمان رضي الله عنه إلى أمير العراق يأمره أن يمد حبيباً، فأمده بأهل العراق وأمر عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي، فساروا يريدون غياث حبيب، فلم يبلغوهم حتى لقي هو وأصحابه العدو، ففتح الله لهم. فلما قدم سلمان وأصحابه على حبيب سألوهم أن يشركوهم في الغنيمة وقالوا: قد أمددناكم، وقال أهل الشام: لم تشهدوا القتال، ليس لكم معنا شيء وأبى حبيب أن يشركهم، وحوى وأصحابه على غنيمتهم، فتنازع أهل الشام وأهل العراق في ذلك حتى كاد يكون بينهم في ذلك كون، فقال بعض أهل العراق: إن تقتلوا سلمان تقتل حبيبيكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل.

قال أبو بكر الغساني: فسمعت أنها أول عداوة وقعت بين أهل الشام وأهل العراق^(٣).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/٤٦٣؛ عبد الرزاق: الأمالي في آثار الصحابة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، (د. ط.)، مكتبة القرآن - القاهرة، (د. ت)، ص ٧٨، وهو صحيح من طريق عبد الرزاق. عبدالسلام آل عيسى: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب، ١٠٠٢/٢.

(٢) عبد الرزاق: الأمالي ٧٧.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى (١٢٧٢٩) ٦/٥٤٥؛ الحاكم: المستدرک (٥٤٧٢) ٣/٣٨٩؛ وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/٢٤٤، وأحوى: إذا ملك بعد منازعة. الزبيدي: تاج العروس ٣٧/٥٠٠، مادة: حوو.

ونهى عمر عن رطانة الأعاجم، كما نهى عن الدخول على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم، ليتعد المسلمون عن شعائرهم وعباداتهم، حيث قال: «إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم»^(١).

والنياحة على الميت من أمر الجاهليّة، ولذا جاء النهي عنها في الشريعة، وأوصى عمران بن حصين عند موته بأن لا يتبع بنياحة، ولا نار، وأن لا يسار بجنازته على طريقة اليهود والنصارى، فقال: «إذا مت فخرجتم بي، فأسرعوا المشي، ولا تهودوا بي كما تهود اليهود والنصارى، ولا تتبعوني نارًا، ولا صوتًا، قال: وكان أوصى لأمهات أولاد له بوصايا، فقال: أيتما امرأة منهن صرخت علي فلا وصية لها»^(٢)، وعبدالله بن المغفل، أوصى أن «لا تتبعوني بنار»^(٣).

ومن العوائد الأعجميّة: السحر، ونكاح المحارم، والزمزمة عند الأكل^(٤)، وهي من العوائد الفارسيّة، قال بجاله: «كنت كاتبًا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس إذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة، فقتلنا في يوم ثلاثة سواحر، وفرقنا بين كل رجل من المجوس وحرime في كتاب الله، وصنع طعامًا كثيرًا فدعاهم فعرض السيف على فخذة، فأكلوا ولم يزمزموا»^(٥). والتفريق بين كل ذي محرم من المجوس، ممن تزوجوا من المحارم وأشهروا ذلك.

(١) عبد الرزاق: المصنف ١/٤١١؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٢٩٩؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٨٨٦١) ٣٩٢/٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٤.

(٤) والزمزمة: أصوات يخرجونها من خياشيمهم عند الأكل. الزبيدي: تاج العروس ٣٢٨/٣٢، مادة: زم م.

(٥) أبو داود: السنن (٣٠٤٣) ٣/١٦٨؛ البيهقي: السنن الكبرى (١٧١٢٢) ٨/٤٣٢؛ وأصله في البخاري (٣١٥٦) ٤/٩٦.

وقد يكون الفاروق أمر بذلك حتى يعاملهم معاملة أهل الكتاب، حيث كتب عمر إلى أبي موسى «أن اعرضوا، على من قبلكم من المجوس أن يدعوا نكاح أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم ويأكلوا جميعاً يلحقوا بأهل الكتاب واقتلوا كل ساحر وكاهن»^(١).

ومن العوائد الأعجمية: الطبقيّة حيث كانت مقبلة وشديدة عند الفرس، وقضى المسلمون الفاتحون على كثير من آثارها، حيث حلت المساواة والأخوة الإسلاميّة، وكان من آثار الطبقيّة الفارسيّة احتكار ملوك الفرس لأنواع من المآكل والثمار لا تصل إلى غيرهم، فبعد وقعة السقاطية بكسكر وحين جمعت الغنائم، رأى أبو عبيد من الأطعمة شيئاً عظيماً، فبعث فيمن يليه من العرب فأخذوا ما شاؤوا، «وأخذت خزائن نرسي، فلم يكونوا بشيء مما خُزّن أفرح منهم بالنرسيان، لأنه كان يحميه ويمالته عليه ملوكهم، فافتسموه فجعلوا يطعمونه الفلاحين، وبعثوا بخمسه إلى عمر وكتبوا إليه: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها، وأحببنا أن تروها، ولتذكروا إنعام الله وإفضاله»^(٢).

والنرسيان، نوع جيد من التمر لم يتذوقه الفلاحون الفرس إلا على أيدي المسلمين؛ حين أطعموهم منه في هذه الحادثة.

* * *

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٦/ ٤٣٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٥١.

المبحث السادس

أثر الصحابة ﷺ في حل المشكلات الأسرية والاجتماعية

يلحظ أن الأصل في المجتمع المسلم قلة المشكلات الأسرية والاجتماعية؛ بفضل الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، فكيف بمجتمع الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ﷺ، ذلك أن الدين الإسلامي قد كفل حفظ الحقوق لأعضاء المجتمع من الأقربين والأبعدين كل بحسبه، والتزام المسلم بدينه يجعله لا يتجاوز هذه الحقوق فلا يتعدى على حقوق الآخرين، بل دعا الإسلام إلى العفو والصفح؛ ليسود التسامح بين أفراد المجتمع مما يدفع للعفو عن كثير من الحقوق، ومن ثم تقلص المشكلات الأسرية والاجتماعية، ومن خلال نظرة عُجلى في مجتمعات المسلمين التي حكمت بشريعة الله عبر التاريخ يتأكد ذلك، ونظرة أخرى في أحوال القضاء والقضاة في هذه المجتمعات تؤكد ذلك أيضاً، بوصف أن القضاء مجال حل المنازعات والخصومات والمشكلات الأسرية والاجتماعية، وظهر ذلك جلياً في عصر الرسالة وعصر الراشدين ﷺ، وقد ظهرت شواهد تاريخية في العراق تؤكد ذلك، فقد كُلف بقضاء الكوفة في عهد الفاروق، سلمان بن ربيعة الباهلي^(١)، ويصور لنا الشعبي الكوفي (ت ١٠٣هـ)، حال المجتمع فيقول: «بُعِثَ سلمان بن ربيعة على القضاء فمكث أربعين يوماً أعدها يوماً يوماً، ما يردني إلى أهلي إلا الظهيرة وما تقدم إليه فيه اثنان»^(٢)، ويؤكد هذا الحكم ابن عتيبة الكوفي (ت ١١٥هـ)، حيث قال: «كان أول من قضى بالكوفة هاهنا سلمان ابن ربيعة الباهلي، جلس أربعين يوماً لا يأتيه خصم»^(٣).

(١) ويقال له سلمان الخيل، له صحبة، ترجم له ابن حجر في القسم الأول. الإصابة ٣/ ١١٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ١٣١؛ وكيع: أخبار القضاة ٢/ ١٨٦.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ١٨.

ويفهم من هذا أنّ هذه مدة ولايته، حيث تولى شريح بن الحارث الكندي القاضي (ت ٧٩هـ)، قضاء الكوفة لعمر سنة اثنين وعشرين (٢٢هـ)^(١)، ولم يزل بعد ذلك قاضياً حتى استعفى من القضاء زمن الحجاج في فتنة ابن الزبير، فقد ظل قاضياً بقية عصر الراشدين ﷺ. وصدر عصر الأمويين ما يقارب خمسين عاماً، وهو ما يوحى بقلة المشكلات^(٢)، هذا على الرغم من التنوع السكاني الكبير في مجتمع العراق في عصر الراشدين ﷺ.

وقد برزت بعض المشكلات الأسرية في المدينة النبوية، لبعض الأسر التي تركها أزواجها بسبب الفتوح؛ حيث استقر بعضهم في البلاد المفتوحة، وتركوا أسرهم في المدينة فأصبحت النساء معلقات؛ بلا أزواج ولا نفقة، فطلب الفاروق من الأمراء أن يطالبوهم بالرجوع إلى نسائهم، فإما أن يرجعوا إلى نسائهم، وإما أن يبعثوا إليهن بالنفقة، وإما أن يطلقوا ويبعثوا بنفقة ما مضى^(٣).

والمرأة قد تعطي زوجها أو وليها المال عن قناعة ورضى أحياناً، وعن خوف أحياناً، وحماية لحقها جاء التوجيه من الفاروق أنها إذا أرادت أن ترجع في ذلك فلها الرجوع، فإذا طلبت إرجاع مالها فإن القضاء يدعمها ويقف معها، حيث كتب عمر بن الخطاب «أن النساء، يعطين رغبة ورهبة، فأیما امرأة أعطت زوجها فشاءت أن ترجع رجعت»^(٤).

وثمة حالة أسرية وقعت في الكوفة وتقدم صاحبها إلى ابن مسعود، «فقد جاء رجل إلى ابن مسعود وقال: كان بيني وبين امرأتي بعض ما يكون بين الناس فقالت:

(١) خليفة: التاريخ ١٥٥.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ٤٣٣؛ وانظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٣١/٦.

(٣) عبد الرزاق: المصنف ٩٣/٧، ٩٤؛ ابن أبي شيبة: المصنف ١٦٩/٤.

(٤) عبد الرزاق: المصنف ١١٥/٩؛ ابن أبي شيبة: المصنف ٣٣١/٤.

لو أن الذي بيدك من أمري بيدي لعلمت كيف أصنع، قال: فقلت: إن الذي بيدي من أمرك بيدك، قالت: فإني قد طلقتك ثلاثاً قال عبدالله: أراها واحدة وأنت أحق بها، وسألني أمير المؤمنين عمر، فأسأله عن ذلك قال: فلقيه فسأله فقص عليه القصة، فقال عمر: فعل الله بالرجال يعمدون إلى ما جعل الله بأيديهم فيجعلونه بأيدي النساء بفيها التراب بفيها التراب، فما قلت، قال: قلت: أراها واحدة وهو أحق بها، قال: وأنا أرى ذلك ولو قلت غير ذلك لرأيت أنك لم تصب»^(١).

وهنا نرى حرص ابن مسعود على موافقة الحق في حكومته، فبعد اجتهاده في الحكم يعلن للسائل أنه سوف يلقي الخليفة - ولعله في موسم الحج - ويستشيريه في مشكلته، وتتم الاستشارة وينزعج الخليفة من وقوع مثل ذلك من الرجال، ويصادق على حكم ابن مسعود ويؤيده.

أما المشكلات الاجتماعية، ففي مجتمع يحوي تنوعاً سكانياً، ودينياً، وثقافياً، وهو حديث النشأة والتكوين، فإنه مهياً لظهور العديد من المشكلات الاجتماعية بسبب مثل هذه العوامل، وعلى الرغم من ذلك فلم تظهر مشكلات اجتماعية بحجم تلك العوامل، وذلك بسبب غلبة الإسلام على المجتمع، وتحكيم شريعة الله فيه على عباده، ومن ثم كانت المشكلات قليلة مقارنة بتوافر دواعيها.

ومع الفتح ظهرت الحاجة للزواج بالكتاتيات من قبل الفاتحين، وكان للفاروق موقف منها بعد ذلك، فقد طلب من حذيفة مفارقة زوجته الكتابية، وذلك بعد أن كثر المسلمات في العراق، وبيّن له المحذور من ذلك، «ولكن في نساء الأعاجم خلافة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نساتكم»^(٢)، ومحذور آخر، «أن فارقتها فإنك بأرض

(١) البيهقي: السنن الكبرى (١٥٠٣٨) ٧/ ٥٦٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٨٨.

المجوس، وإني أخشى أن يقول الجاهل: كافرة قد تزوج صاحب رسول الله ﷺ، ويجهل الرخصة التي كانت من الله فيتزوجوا نساء المجوس ففارقها»^(١)، وثالث: «ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن»^(٢)، فالروايات تذكر مجموعة من المحاذير والأسباب لنهي الفاروق لحذيفة، وطلبه طلاقها.

ذلك أن عمر خشي من مشكلة اجتماعية تظهر، حين لا تجد المسلمات من يتزوجهن لزواج الرجال من الكتابيات اللاتي يخلبن قلوب الرجال ويخدعنهم -غالبًا-، بل ربما انشغلوا بهن عن زوجاتهم المسلمات، أو منعنهم من الزواج بالمسلمات وغير ذلك مما ورد من محاذير.

أما حذيفة فحين يستبين له مقصد عمر يسارع إلى تنفيذ طلبه، حرصًا منه على إغلاق باب الفتنة وحفاظًا على بنية المجتمع^(٣).

ومن المشكلات التي ظهرت في ذلك العصر شهادة الزور، «حيث قدم على عمر ابن الخطاب رجل من قبل العراق، فقال: جئتك لأمر ما له رأس ولا ذنب، قال عمر: وما هو؟، قال: شهادات الزور ظهرت بأرضنا، قال: وقد كان ذلك؟، قال: نعم، فقال عمر بن الخطاب: «لا والله، لا يؤسر رجل في الإسلام بغير العدول». قال أبو عبيد: لا يؤسر: يعني: لا يحبس^(٤).

ويقرر الخليفة إعلان الحذر، وتأكيد عدالة الشهود حتى لا يحبس رجل بغير حق، ورجل تشمل المسلم وغيره.

(١) عبد الرزاق: المصنف ١٧٨/٧.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٤٧٤/٣.

(٣) إبراهيم العلي: حذيفة بن اليمان ٦٨-٦٩.

(٤) البيهقي: السنن الكبرى (٢٠٦٣١) ١٠/٢٨٠.

وفي خطوة عملية، لا صلة لها مباشرة بهذه الحادثة، قرر الفاروق عقوبة رادعة لشهادة الزور، حتى يرعوي ضعاف الإيمان والنفوس عن هذا العمل المشين الذي تضيع معه الحقوق، فقد «كتب عمر بن الخطاب في شاهد الزور، يضرب أربعين سوطاً، ويسخّم وجهه، ويحلق رأسه، ويطاف به، ويطال حبسه»^(١).

وفي أمر ذي صلة بالجوانب الاجتماعية، وهو وجود الرقيق ضمن الأسرة وضمن تكوين المجتمع، وللرقيق مشكلاته، والرّق وجد قبل الإسلام حيث عانت البشرية من التسلط والطبقية، وكانت الفرس من أشد الأمم في ذلك، حيث كان الرجل يمتلك المئات من الرقيق ويسخرهم في أعماله، مع احتقارهم وامتهانهم، والإسلام وإن أقرّ الرّق إلا أنه سلك طرقاً كثيرة لمحاصرته وتخفيفه؛ من خلال تضييق مجاله ابتداءً بأن جعل سببه الكفر، وبالتشجيع على إعتاق الرقيق قربة لله من وجهه، وبالكفارات من وجه آخر، وهو هنا ليس مجرد عمل مندوب يؤجر عليه فاعله فحسب؛ لكنه إلى جانب هذا يؤدي واجباً عليه، بكفارات اليمين، أو القتل، أو النذور، حيث تحرر كثير من الرقيق على أيدي الصحابة ﷺ والتابعين، كما أنّ من وسائل تحرير الرقيق «المكاتب» بحيث يحررهم مواليتهم مقابل أن يقوموا لهم ببعض الأعمال؛ أو يدفعوا لهم مبلغاً متفقاً عليه من المال فيكونوا مكاتبين^(٢)، ولذا ظهرت في مجتمع العراق فئة المكاتبين وكان منهم أشراف في الكوفة، والبصرة، عرف بعضهم بالعلم، وبعضهم بالتجارة.

وقد عامل الصحابة ﷺ العبيد الذين يفرون من أسيادهم المحاربين على أنهم أحرار، وكذا من قُتل أسيادهم في الفتوح، أو هربوا، كل ذلك جعل كثيراً من عبيدهم

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٥/٥٣٢؛ عبد الرزاق: المصنف ٨/٣٢٦، يسخّم وجهه: أي يسود. ابن

الجوزي: غريب الحديث ١/٤٦٩.

(٢) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ٧٤-٧٦.

من غير أسياد فعملوا على أنهم أحرار^(١).

وعليه فإن عددًا كبيرًا من الرقيق في العراق تحرروا في عصر الراشدين ﷺ، حيث أسهم الصحابة ﷺ في حل مشكلة كثير منهم.

وإلى جانب هذا فإن الدين الإسلامي قوى معنويات الرقيق الذين يعتنقونه لما وعدهم من المساواة في الآخرة، وحمايتهم من سوء معاملة أسيادهم من غير المسلمين، فضلًا عن المسلمين.

ومن رعايتهم للرقيق والرفق به، ما كتبه الفاروق: «لا تفرقوا بين الأخوين»^(٢)، كما كتب عمر: «ألا تفرقوا بين السبايا وأولادهن»^(٣).

ثم إن العراق (الكوفة والبصرة) أصبح من أهم مراكز الحياة الاقتصادية، واحتاج إلى عدد كبير من الرقيق في التجارة والزراعة والصناعة والخدمة، وهو ما جعل أوضاعهم تتحسن وأحوالهم تستقر^(٤).

ومن الرقيق من برزوا في العلم أو التجارة، أما العلم فقد ظهر فيهم عدد كبير من أهل العلم في العراق، وكان منهم المبرزون من المشاهير.

وأما التجارة فقد أصبح عدد منهم وكلاء عن أسيادهم فيها، فأصبحوا مآذونين، بمعنى أنهم منحوا حق ممارسة المهن والأعمال التي يريدونها، وأصبحت لهم حرية في ميادين الأعمال في الصناعة والتجارة، وبرز منهم تجار كبار^(٥).

(١) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ٦٥.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ٥٢٦/٤.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ٥٢٧/٤.

(٤) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ٦٥-٦٦.

(٥) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ٧١.

ورقيق الخمس^(١)، ورقيق الإمارة^(٢) الذي تمتلكه الدولة، وهو نصيبها من أسرى الفتح وتستفيد منهم الإمارة في حاجاتها العسكرية والإدارية، وهي مسؤولة عنهم، وكانت تبيعهم، وتعتقهم؛ حتى إن الفاروق أوصى عند موته «أن يعتق من كان يصلي السجدين من رقيق الإمارة، وإن أحب الوالي بعدي أن يخدموه سنتين فذلك له»^(٣).

والمعتقون أصبحوا أعضاء مستقلين في عشيرة مواليهم، وتمتعوا بحرية كبيرة؛ إذ تمتعوا بالحقوق نفسها التي يتمتع بها مواليهم، في التجارة والزراعة والصناعة وسائر المهن، وكذا في الشراكة، والزواج، بل بإمكان المعتق أن يشتري الأرقاء فيصبحوا له موالي، مع بقاء ولائه وأولاده غير البالغين لمولاه حيث يحمل اسم عشيرته (مولاهم) إشارة إلى أن رابطة العشيرة رابطة اجتماعية؛ فهي رابطة الولاء لا رابطة الدم.

ويرث المُعتق مولاه حين لا يكون له وارث^(٤)، وبين الموالي ومواليهم التزامات في النصر والحرب، والعون والمساعدة والجوار، والموالي أعضاء مستقلون في العشيرة التي ينتمون إليها ومرتبون بها اجتماعياً وإدارياً^(٥).

(١) انظر: أبوداود: السنن (٣٥١١) ٣/٢٨٥؛ ابن ماجه: السنن (٢٥٩٠) ٢/٨٦٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/٣٧١.

(٢) انظر: البخاري (٦٩٤٩) ٩/٢١؛ ابن ماجه: السنن (٢١٨٦) ٢/٧٣٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٣٥٩؛ صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ٧١-٧٢.

(٤) محمد خير المقتي: علم الفرائض والمواريث في الشريعة الإسلامية والقانون السوري ٤٨، (د. ط)، (د. ن)، (د. م)، (د. ت)، حيث ذكر من المستحقين للتركة صنفان من الولاء ١/ مولى الموالاة، ٢/ مولى العتاقة، والأول مختلف فيه، ذلك أن الولاء سبب من أسباب الإرث ولا يرث به إلا المُعتق وعصبته المتعصبون بأنفسهم على قول الجمهور، لكن زاد بعضهم - عند عدم وجود الأسباب الثلاثة للإرث، أسباباً أخرى منها: الموالاة، والمعاقدة. ابن عثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ): تسهيل الفرائض، (د. ط)، دار ابن الجوزي، (د. م)، ١٤٢٧هـ، ص ٢٤.

(٥) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية ٧٧-٧٩.

وهذه الأمور أسهمت في تحرير كثير من الرقيق، وخففت الأمر على من بقي في الرّق، وكل ذلك أسهم في حل مشكلات كثير منهم، فعاشوا فاعلين في مجتمع الصحابة الكرام ؓ.

وثمة مشكلات يمكن القول: إنها ذات طابع سياسي واجتماعي، ثم ظهرت كحدث سياسي مس مسيرة الخلافة الراشدة..، ألا وهي ما عرف بأحداث الفتنة في نهاية عهد عثمان، وامتدادها في عهد عليّ، وظهورها في الكوفة، والبصرة، في ظل وجود الصحابة ؓ، ولاشك أن لها خلفياتها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة.

وقد حاول الصحابة ؓ معالجة النزوع إلى التمرد والاختلاف..، لكن تطور الأمر على النحو الذي تحدثت عنه الأدبيات المعنيّة بهذا الجانب^(١).

وعلى الرغم مما تركه الصحابة ؓ من آثار حسنة وطيبة في الحياة الاجتماعيّة في العراق، فإنّ هناك عوامل أخرى اشتركت في التأثير على الحياة الاجتماعيّة فيه، وخاصة في آخر عصر الراشدين ؓ، وذلك بعد توقف الفتوح، ونشوء حالة الاستقرار وما تبعه من بسطة الدنيا ورغد العيش، حيث قلّت التربية، وتقلّص وجود الصحابة ؓ، وبرزت القيادات القبليّة والعشائريّة، وظهرت المجموعات الهامشيّة وأصبحت تعمل على شكل دوائر مغلقة، وعظم نفوذها، وانتشر أثرها، في وقت شغلت فيه النخبة من الصحابة ؓ بالخلافة، مما نتج عنه وقوع تحولات سياسيّة، واجتماعيّة في مجتمع العراق، لكن يبقى تأثير الصحابة ؓ، في عموم الناس ملموساً، وكان لتلاميذهم إسهام في نقل هديهم وسلوكهم.

(١) انظر: محمد بن يحيى المالكى: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان، سليمان العودة: ابن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، خالد الغيث: استشهاد عثمان ووقعة الجمل، محمد الصبحي: فتنة مقتل عثمان بن عفان.

الفصل الخامس

أثر الصحابة ؓ في الحياة الاجتماعية في العراق

إنَّ ما وقع من أحداث لا يقدر في صفاء المجتمع الراشدي، ولا في أثر الصحابة ؓ وعطائهم العلمي والاجتماعي، ولا يقلل من الإنجازات الكبرى التي تحققت في هذا العصر، سياسيَّة، وعلميَّة، واجتماعيَّة، واقتصاديَّة، فأقامت دولة مترامية الأطراف، وبنت حضارة سامقة، حررت الإنسان، ونشرت العلم، والازدهار، والرخاء الاقتصادي.

وبعد، فعليَّ أن أؤكد أنَّ من حكمة الله البالغة، -وهو الحكيم الخبير- أنه كما اختار للرسالة الخاتمة النبي المصطفى والرسول المجتبي محمدًا ﷺ، فأرسله للناس كافة، شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اختار -جلَّ شأنه- لحمل هذه الرسالة، وحسن تلقيها ووعيتها باستيعاب تفيض به العقول والقلوب والمشاعر، بصدق لهجة وإخلاص في المواطن، ثم نقلها إلى الأمة غُصَّة طرية تزخر بالحياة، نقلاً علمياً أميناً بالرواية والدراية والتمرس.

ولقد اختار الله -تعالى- لذلك الأمر الجلل جيلاً متميزاً فريداً، هو جيل الصحابة الكرام -عليهم الرحمة والرضوان-، الذين آمنوا بالرسول ﷺ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وأحبه أكثر من حبه أنفسهم، وكانوا بإيمانهم وجهادهم، واستنارة بصائرهم، وصدق العزيمة وعلو الهمة، الصورة الناطقة بحقيقة أنَّ الإسلام منهج رباني يبني الحياة، ويأخذ بالناس لو عملوا به واستمسكوا بأحكامه إلى ما فيه سعادة الدنيا، والفوز بالنعيم المقيم يوم الدين^(١).

والاقتداء بالصحابة الكرام ؓ يستنهض الهمم لإحكام الصلة بكتاب الله تلاوة وتدبراً آناء الليل وأطراف النهار، والعناية بالسنة المطهرة علماً وعملاً، وحسن تأسُّ بالنبي ﷺ، وأن يكون ذلك قائداً للإكثار من الطاعات وفعل القربات، ولزوم النهج المبارك الذي سلكه النبي ﷺ، في بيانه للأمة وربى عليه أصحابه ؓ.

(١) محمد أديب الصالح: الربانيون قدوة وعمل ١٢٣.

«وما أعظم ما يقوم به المؤمنون على التربية وإعداد الأجيال من تهيئة القنوات الخيرة بين هذه القيم الربانية وبين الأجيال المسلمة -ذكورها وإناثها- وهي أمانة ثقيلة في الأعناق، وحاجتها -وقد كثر الوافد الرديء من الأفكار والمصطلحات- متجددة إلى الانتفاع بعطاء الرعيل الأول من هؤلاء الربانيين على طريق الثقافة والتكوين، كفاء ما يغزوها من فكر الريبة والغواية، والتدليس في المصطلحات وضوابط الصعود والهبوط في حياة الأمة! والتشكيك في منابع قوتها، وما به كانت خير أمة أخرجت للناس، وحرصاً على الوقوف بعزة إيمانية لا تنقصها منهجية المعرفة في مواجهة التحديات!!»^(١).

وأنة لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها^(٢).

* * *

(١) محمد أديب الصالح: الربانيون قدوة وعمل ١٣٠-١٣١.

(٢) قال مالك: كان وهب بن كيسان يقعد إلينا، ثم لا يقوم أبداً حتى يقول لنا: إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، قلت له -الراوي-: يريد ماذا؟ قال يريد التقى. الجوهري: مسند الموطأ ٥٨٤؛ ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٠/٢٣، ونقل قريب من هذا القول عن مالك. ابن عبد الهادي: الصارم المنكي في الرد على السبكي ٥٩.

الخاتمة

الحمد لله العظيم المنّ جزيلاً العطاء على نعمه وما منّ به من إتمام هذا الكتاب، وإخراجها بهذه الصورة، فله الحمد حتى يرضى، وأسأله قبول هذا العمل فهو المؤمل والمرتجى.

وبعد؛ فقد وقفت في هذا الكتاب على نتائج كثيرة، ويطيب لي تقديم أبرزها في هذه الخاتمة، من خلال النقاط التالية:

- (١) كثرة عدد الصحابة ﷺ الذين دخلوا العراق ممن اشتركوا في الفتوح وكانوا بالألوف.
- (٢) كثرة عدد الصحابة ﷺ الذين نزلوا العراق وأنهم يزيدون على ألف (١٠٠٠) صحابي.
- (٣) أن الغالبية العظمى من الصحابة ﷺ الذين نزلوا العراق كانوا في الكوفة والبصرة.
- (٤) أنه قد نزل الكوفة سبعون (٧٠) صحابياً بدرياً، وثلاثمئة (٣٠٠) من أصحاب الشجرة، وأكثر من ثلاثمئة (٣٠٠) من مُسلمة الفتح، مع من نزلها من غيرهم، بحيث يصح أن نقول: إنهم قريب من ألف (١٠٠٠) صحابي، وقد ترجم ابن سعد لمئة وخمسين (١٥٠) من الصحابة ﷺ فيها.
- (٥) وأما البصرة فلم أقف على عدد الصحابة ﷺ الذين نزلوها، إلا أن ابن سعد ترجم لمئة وخمسين (١٥٠) صحابياً فيها، وهو ما يوحي أنه نزلها أضعاف ذلك.
- (٦) أن ابن سعد ترجم لأكثر من ثلاثمئة (٣٠٠) صحابي في الكوفيين والبصريين، إلا أنه لم يترجم لبعض المشاهير من الصحابة ﷺ مثل: ابن عباس، وقد نزل البصرة، وكذا طلحة، والزبير.

- (٧) تضمن من ترجم لهم ابن سعد من طبقات الصحابة ﷺ في العراق ما يلي: البديون ثمانية (٨)، من شهد منهم أحدًا أربعة (٤)، من شهد منهم الخندق ثلاثة (٣)، أصحاب الشجرة ستة (٦).
- (٨) بلغ عدد من مات في الكوفة - عند ابن سعد - مئة وأربعة وثلاثين (١٣٤) صحابياً، أما البصرة فعدد من صرح بموتهم فيها تسعة (٩) من الصحابة ﷺ، في حين أنه لم يذكر مكان وفاة مئة وتسعة وعشرين (١٢٩) ممن ترجم لهم.
- (٩) أشهر الصحابة ﷺ بالتفسير عشرة، وأشهرهم أربعة، واثان منهم نزلوا العراق، والثالث ابن عباس، وقد نزل العراق لكنه مكى.
- (١٠) أشهر الصحابة ﷺ في حفظ السنة ممن روى مئة حديث فأكثر بلغوا ثمانية وثلاثين (٣٨) صحابياً، - حسب ما أورده بقي بن مخلد في مقدمته -، ومنهم ستة عشر (١٦) صحابياً ممن نزلوا العراق.
- (١١) أن الصحابة ﷺ تركوا عددًا كبيرًا من التلاميذ في العراق، ففي الطبقات الثلاث الأول عند ابن سعد بلغ عدد الكوفيين خمسمئة وستة وثلاثين (٥٣٦)، وبلغ عدد البصريين مئتين وثمانية عشر (٢١٨)، فيكون عددهم في العراق سبعمئة وأربعة وخمسين (٧٥٤)، في حين بلغ عددهم في الحجاز خمسمئة وواحدًا وأربعين (٥٤١).
- (١٢) وفي الطبقات الأربع الأول عند خليفة بلغ عدد الكوفيين من تلاميذ الصحابة ﷺ مئتين وأربعة وأربعين (٢٤٤)، وبلغ عدد البصريين مئتين وسبعين (٢٧٠)، فيكون عددهم في العراق خمسمئة وأربعة عشر (٥١٤)، في حين بلغ عددهم في الحجاز أربعمئة وخمسين (٤٥٠).

- (١٣) ترك ابن مسعود في الكوفة مدرسة فقهية عرفت بالاجتهاد والقياس، تعد نواة الفقه الحنفي.
- (١٤) بلغ عدد قراء التابعين في الطبقات الأولى عند الذهبي في كتاب «طبقات القراء» من العراقيين ثلاثة وثلاثين (٣٣) قارئاً، ومن الحجازيين ستة عشر (١٦) قارئاً.
- (١٥) أشهر المفسرين من التابعين ثلاثة عشر (١٣)، منهم ثمانية (٨) عراقيين.
- (١٦) أشهر مدارس التفسير في عهد التابعين أربع، حجازيتان وعراقيتان.
- (١٧) بلغ عدد فقهاء التابعين عند النسائي في «تسمية فقهاء الأمصار» في العراق اثنين وعشرين (٢٢)، وفي الحجاز ثمانية وعشرين (٢٨)، وعند ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» في العراق مئتين وثمانية (٢٠٨)، وفي الحجاز مئتين وتسعة عشر (٢١٩)، وعند ابن حزم في «الإحكام» في العراق ثمانية وثمانين (٨٨)، وفي الحجاز سبعة وستين (٦٧)، وعند الشيرازي في «طبقات الفقهاء»، في العراق ثمانية وثلاثين (٣٨)، وفي الحجاز ثلاثين (٣٠).
- (١٨) يتكون مجتمع العراق في عصر الراشدين ﷺ من العرب، والفرس، والترك، والهنود.
- (١٩) أسهم أولاد الصحابة ﷺ الذين نزلوا العراق في العلم والتحديث، حيث وقفت على اثنين وثلاثين (٣٢) ممن ترجم لهم ابن سعد من أبناء الصحابة ﷺ في الكوفيين والبصريين، وأربع (٤) من البنات ممن روين عن آبائهن.
- (٢٠) أن الصحابة ﷺ وإن شاركوا الناس بالاستمتاع بالطيبات وتملك الثروة، فإن ذلك لم يغير من حياتهم كثيراً بل استخدموا هذه الثروة في طاعة الله بإنفاقها على

عباد الله، وغلب عليهم الزهد مع امتلاك الثروة، حيث أخذوا أنفسهم بالعزيمة والتخفف من المتاع، والخوف من فتنة الدنيا.

(٢١) أنّه وإن عرف كبار الصحابة ؓ بالأمانة والنزاهة، فإن ذلك ليس مقصوراً على الكبار ولا المشاهير من الصحابة الكرام ؓ، بل تكاد تكونُ سمة عامة فيهم ومن معهم من الفاتحين، حتى قال سعد في القادسية: «والله إن الجيش لذو أمانة»، وقال عمر: «إن قومًا أدوا هذا لأمناء».

ولئن كانت هذه أهم النتائج التي وقفت عليها في هذا الكتاب؛ فإنه قد كشف عما يلي:

- قلة البحوث والدراسات الحديثة في تاريخ الصحابة ؓ.
- ندرة الدراسات عن أثر الصحابة ؓ في أي جانب من جوانب الحياة المختلفة، وفي عموم الأمصار الإسلامية.

وهذه بعض التوصيات التي أضعها بين يدي الباحثين:

- (١) أهميّة دراسة تاريخ الصحابة ؓ، والوقوف على طبقاتهم، والتعرف إلى جوانب حياتهم، وإبراز جهودهم، ودراسة آثارهم في جوانب الحياة المختلفة، في سائر الأمصار الإسلامية.
- (٢) أهميّة الوقوف على جهود الصحابة ؓ العلميّة، وأساليبهم العلميّة والتربويّة.
- (٣) أهميّة الوقوف على العلاقات والمصاهرات بين الصحابة ؓ أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم، وخاصة بني هاشم.
- (٤) أهميّة الوقوف على صلة الصحابة ؓ بالناس وتعاملهم مع فئات المجتمع.

(٥) الإفادة من تجربة الصحابة رضي الله عنهم، في نشر الفقه في الدين وإصلاح المجتمع وإدارته، في معالجة أوضاع المجتمعات الإسلامية وإصلاحها، حيث قدمت لنا تلك التجربة منهجًا حكيمًا يلتزم شرع الله ويراعي أحوال الناس، فيأخذهم إلى الشرع بالحكمة والتدرج.

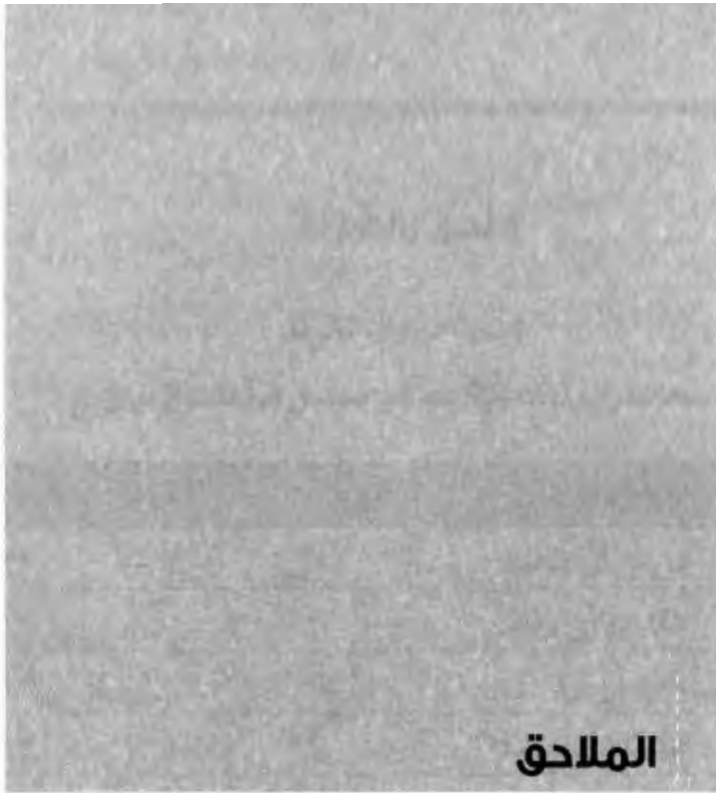
(٦) تقديم الدراسات والبحوث في هذه الموضوعات، والكتابة فيها، وإبرازها في وسائل الإعلام وقنواته.

(٧) إيجاد مراكز علمية لدراسة تاريخ الصحابة رضي الله عنهم وهديم، خاصة في البلاد المستهدفة بنشر العقائد البدعية.

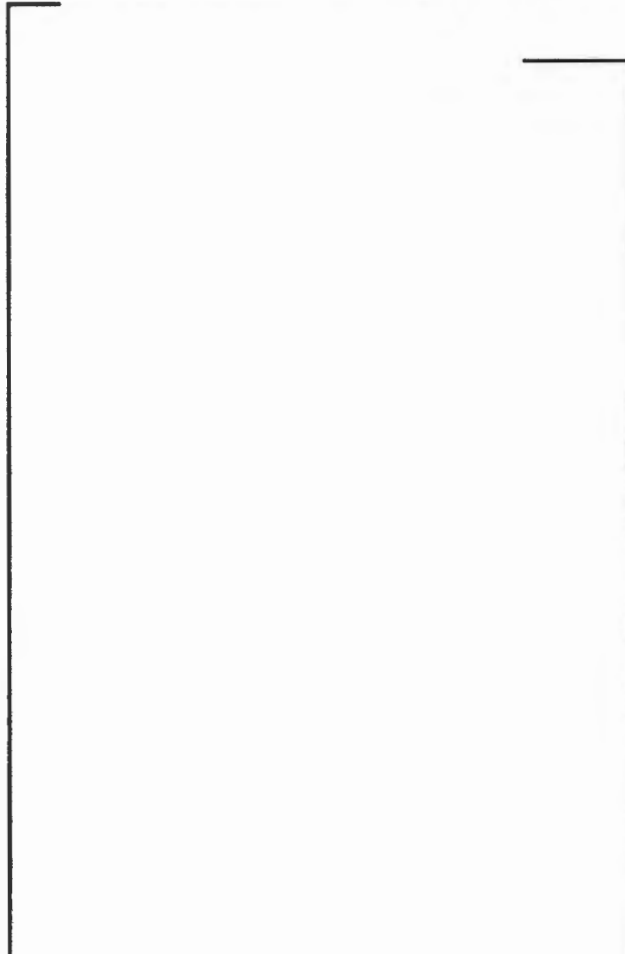
هذه بعض التوصيات، وتلك بعض النتائج التي خرجت بها في هذا الكتاب، فما كان من صواب فمن الله وتوفيقه وتسديده فله الحمد، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وأسأل الله العفو والمغفرة.

وختاماً أهدي أفضل الصلاة وأزكى السلام على صاحب السيرة الزكية والطريقة المهدية حبيبي وقدوتي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه الطيبين رضي الله عنهم أجمعين.

* * *



الملاحق



ملحق رقم (١)

تسمية من نزل الكوفة

من أصحاب رسول الله ﷺ عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٦

م	الاسم	الصفحة
١.	علي بن أبي طالب	١٢
٢.	سعد بن أبي وقاص	١٢
٣.	سعيد بن زيد	١٣
٤.	عبدالله بن مسعود	١٣
٥.	عمّار بن ياسر	١٤
٦.	خبّاب بن الأرت	١٤
٧.	سهل بن حنيف	١٥
٨.	حذيفة بن اليمان	١٥
٩.	أبو قتادة بن ربعي	١٥
١٠.	أبو مسعود الأنصاري	١٦
١١.	أبو موسى الأشعري	١٦
١٢.	سليمان الفارسي	١٦
١٣.	البراء بن عازب	١٧
١٤.	عبيد بن عازب	١٧
١٥.	قرظة بن كعب	١٧
١٦.	زيد بن أرقم	١٨
١٧.	الحارث بن زياد	١٨

١٨	عبدالله بن يزيد	. ١٨
١٨	النعمان بن عمرو	. ١٩
١٩	معقل بن مقرن	. ٢٠
١٩	سنان بن مقرن	. ٢١
١٩	سويد بن مقرن	. ٢٢
١٩	عبدالرحمن بن مقرن	. ٢٣
١٩	عقيل بن مقرن	. ٢٤
٢٠	عبدالرحمن بن عقيل	. ٢٥
٢٠	المغيرة بن شعبة	. ٢٦
٢١	خالد بن عرفطة	. ٢٧
٢١	عبدالله بن أبي أوفى	. ٢٨
٢٢	عدي بن حاتم	. ٢٩
٢٢	جرير بن عبدالله	. ٣٠
٢٢	الأشعث بن قيس	. ٣١
٢٣	سعيد بن حريث	. ٣٢
٢٣	عمرو بن حريث	. ٣٣
٢٤	سمرة بن جنادة	. ٣٤
٢٤	جابر بن سمرة	. ٣٥
٢٤	حذيفة بن أسيد	. ٣٦
٢٤	الوليد بن عقبة	. ٣٧
٢٥	عمرو بن الحمق	. ٣٨
٢٥	سليمان بن صرد	. ٣٩
٢٦	هانئ بن أوس	. ٤٠

٢٦	حارثة بن وهب	.٤١
٢٦	وائل بن حجر	.٤٢
٢٧	صفوان بن عسال	.٤٣
٢٧	أسامة بن شريك	.٤٤
٢٨	مالك بن عوف	.٤٥
٢٨	عامر بن شهر	.٤٦
٢٩	نبيط بن شريط	.٤٧
٣٠	سلمة بن يزيد	.٤٨
٣٠	عرفجة بن شريج	.٤٩
٣١	صخر بن العيلة	.٥٠
٣١	عروة بن مضرّس	.٥١
٣٢	الهرب بن يزيد	.٥٢
٣٢	زاهر: أبو مجزأة بن زاهر الأسلمي	.٥٣
٣٢	نافع بن عتبة	.٥٤
٣٣	ليبد بن ربيعة	.٥٥
٣٣	حبة بن خالد	.٥٦
٣٣	سواء بن خالد	.٥٧
٣٣	سلمة بن قيس	.٥٨
٣٣	ثعلبة بن الحكم	.٥٩
٣٤	عروة بن أبي الجعد	.٦٠
٣٤	سمرة بن جندب	.٦١
٣٥	جندب بن عبد الله	.٦٢
٣٥	مخنف بن سليم	.٦٣

٣٥	الحارث بن حسان	.٦٤
٣٦	جابر بن أبي طارق	.٦٥
٣٦	أبو حازم عوف بن عبدالحارث	.٦٦
٣٦	قطبة بن مالك	.٦٧
٣٦	معن بن يزيد	.٦٨
٣٧	طارق بن الأشيم البجلي	.٦٩
٣٧	أبو مريم السلوي	.٧٠
٣٧	حبشي بن جنادة	.٧١
٣٨	دكين بن سعيد	.٧٢
٣٨	برمة بن معاوية	.٧٣
٣٨	خريم بن الأخرم	.٧٤
٣٩	ضرار بن الأزور	.٧٥
٤٠	فرات بن حيّان	.٧٦
٤٠	يعلى بن مرّة	.٧٧
٤٠	عمارة بن روية	.٧٨
٤١	عبدالرحمن بن أبي عقيل	.٧٩
٤١	عتبة بن فرقد	.٨٠
٤٢	عبيد بن خالد	.٨١
٤٢	طارق بن عبدالله	.٨٢
٤٣	ابن أبي الشيخ المحاربي	.٨٣
٤٣	عبيدة بن خالد	.٨٤
٤٤	سالم بن عبيد	.٨٥

٤٤	نوفل الأشجعي	.٨٦
٤٤	سلمة بن نعيم	.٨٧
٤٥	شكل بن حميد	.٨٨
٤٥	الأسود بن ثعلبة	.٨٩
٤٥	رشيد بن مالك	.٩٠
٤٦	الفجيع بن عبدالله	.٩١
٤٦	عتاب بن شمير	.٩٢
٤٦	ذو الجوشن الضبابي	.٩٣
٤٨	غالب بن أبجر	.٩٤
٤٨	أبو هلال بن عامر المزني	.٩٥
٤٩	الأغرّ المزني	.٩٦
٤٩	هانئ بن يزيد	.٩٧
٤٩	أبو سبرة: يزيد بن مالك	.٩٨
٥٠	المسور بن يزيد	.٩٩
٥٠	بشير بن الحصّاصية	.١٠٠
٥١	نمير أبو مالك	.١٠١
٥١	أبو رمثة التيمي	.١٠٢
٥١	أبو أمية الفزاري	.١٠٣
٥١	خزيمة بن ثابت	.١٠٤
٥٢	مجمّع بن جارية	.١٠٥
٥٢	ثابت بن وداعة	.١٠٦
٥٢	سعد بن بجير	.١٠٧

٥٢	قيس بن سعد	. ١٠٨
٥٣	النعمان بن بشير	. ١٠٩
٥٤	أبو ليلى: بلال بن بليلى بن عمرو بن عوف	. ١١٠
٥٤	عمرو بن بليلى	. ١١١
٥٤	شيبان أبو يحيى الأنصاري	. ١١٢
٥٥	قيس بن أبي غرزة الأنصاري	. ١١٣
٥٥	حنظلة بن الربيع	. ١١٤
٥٥	رياح بن الربيع	. ١١٥
٥٥	معقل بن سنان	. ١١٦
٥٥	عدي بن عميرة	. ١١٧
٥٥	مرداس بن مالك	. ١١٨
٥٦	عبدالرحمن بن حسنة الجهني	. ١١٩
٥٦	عبدالله أبو المغيرة	. ١٢٠
٥٦	أبو شهم	. ١٢١
٥٧	أبو الخطاب	. ١٢٢
٥٧	حريز أو أبو حريز	. ١٢٣
٥٧	الرسيم	. ١٢٤
٥٨	ابن سيلان	. ١٢٥
٥٨	أبو طيبة صاحب منحة رسول الله	. ١٢٦
٥٨	أبو سلمى راعي رسول الله	. ١٢٧
٥٩	رجل من بني ثعلب وهو جدّ حرب بن هلال	. ١٢٨
٥٩	جدّ طلحة بن مصرف	. ١٢٩

٥٩	أبو مرحب	. ١٣٠
٦٠	قيس بن الحارث	. ١٣١
٦٠	الفلتان بن عاصم	. ١٣٢
٦٠	عمرو بن الأحوص	. ١٣٣
٦١	نقادة الأسدي	. ١٣٤
٦١	المستورد بن شداد	. ١٣٥
٦١	محمد بن صفوان	. ١٣٦
٦٢	محمد بن صيفي	. ١٣٧
٦٢	وهب بن خنبش	. ١٣٨
٦٢	مالك بن عبدالله	. ١٣٩
٦٢	أبو كاهل الأحمسي	. ١٤٠
٦٣	عمرو بن خارجة	. ١٤١
٦٣	الصنابح بن الأعسر	. ١٤٢
٦٣	مالك بن عمير	. ١٤٣
٦٣	عمير ذو مران	. ١٤٤
٦٣	أبو جحيفة السوائي	. ١٤٥
٦٤	طارق بن زياد	. ١٤٦
٦٤	أبو الطفيل: عامر بن وائلة الكناني	. ١٤٧
٦٥	الجخدمة	. ١٤٨
٦٥	يزيد بن نعامه	. ١٤٩
٦٥	أبو خلاد	. ١٥٠

ملحق رقم (٢)

تسمية من نزل البصرة

من أصحاب رسول الله ﷺ عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٧

م	الاسم	الصفحة
١.	عتبة بن غزوان	٥
٢.	بريدة بن الحصيب	٨
٣.	أبو برزة الأسلمي	٩
٤.	عمران بن الحصين بن عبيد	٩
٥.	محجن بن الأدرع الأسلمي	١٢
٦.	أمية بن مخشي الخزاعي	١٢
٧.	عبدالله بن المغفل بن عبد نهم	١٣
٨.	معقل بن يسار	١٤
٩.	الحارث بن نوفل بن الحارث	١٤
١٠.	عبدالرحمن بن سمرة	١٥
١١.	أبو بكر (نُفيع بن مسروق)	١٥
١٢.	البراء بن مالك بن النضر	١٦
١٣.	أنس بن مالك بن النضر	١٧
١٤.	هشام بن عامر بن أمية	٢٦
١٥.	ثابت بن زيد بن قيس	٢٧
١٦.	بشير بن أبي زيد	٢٧
١٧.	عمرو بن أخطب الأنصاري	٢٨

٢٨	الحكم بن عمرو بن مجدّع	. ١٨
٢٩	رافع بن عمرو الغفاري	. ١٩
٣٠	مجاهش بن مسعود	. ٢٠
٣٠	مجالد بن مسعود السلمي	. ٢١
٣١	عائذ بن عمرو المزني	. ٢٢
٣٢	عبدالله المزني	. ٢٣
٣٢	قرة بن إياس بن هلال بن رباب	. ٢٤
٣٢	أخو قرة بن إياس	. ٢٥
٣٣	حمل بن مالك بن النابغة الهذلي	. ٢٦
٣٣	العباس بن مرداس بن أبي عامر	. ٢٧
٣٣	جاهمة بن العباس بن مرداس	. ٢٨
٣٤	عبدالله بن الشخير بن عوف	. ٢٩
٣٥	معاوية بن حيدة بن معاوية	. ٣٠
٣٥	مالك بن حيدة	. ٣١
٣٥	قبيصة بن المخارق	. ٣٢
٣٦	عياض بن حماد بن محمد بن سفيان	. ٣٣
٣٦	قيس بن عاصم بن سنان بن خالد	. ٣٤
٣٧	الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس	. ٣٥
٣٧	الأقرع بن حابس بن عقال	. ٣٦
٣٨	عمرو بن الأهثم بن سمي بن سنان	. ٣٧
٣٨	صعصعة بن ناجية بن عقال	. ٣٨
٣٩	صعصعة بن معاوية عمّ الفرزدق	. ٣٩

أثر الصحابة في الحياة العلمية والاجتماعية
في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

٣٩	النمر بن تولب بن أقيش	.٤٠
٤٠	عثمان بن أبي العاص	.٤١
٤١	الحكم بن أبي العاص الثقفي	.٤٢
٤١	حفص بن أبي العاص الشاعر	.٤٣
٤١	مالك بن عمرو العقيلي	.٤٤
٤١	الأسود بن سريع بن حميري	.٤٥
٤٢	التلب بن زيد بن عبدالله بن عمرو	.٤٦
٤٣	قتادة بن ملحان السدوسي	.٤٧
٤٣	سليم بن جابر الهجيمي	.٤٨
٤٤	مالك بن الحريوث الليثي	.٤٩
٤٤	أسامة بن عمير الهذلي	.٥٠
٤٥	عرفجة بن أسعد العطاردي	.٥١
٤٥	أنس بن مالك	.٥٢
٤٦	كهمس الهلالي	.٥٣
٤٦	ماعز البكائي	.٥٤
٤٦	قرة بن دعموص النميري	.٥٥
٤٧	الخشخاش بن الحارث العنبري	.٥٦
٤٧	أحمر بن جزء السدوسي	.٥٧
٤٨	سواده بن ربيع الجرمي	.٥٨
٤٨	علاثة بن شجار السليطي	.٥٩
٤٨	عقبة بن مالك الليثي	.٦٠
٤٩	خزيمة بن جزء الأسدي	.٦١

٤٩	سمرة بن جندب بن هلال	.٦٢
٥٠	حرملة العنبري	.٦٣
٥٠	نبيشة الهذلي (نبيشة الخير)	.٦٤
٥١	طلحة بن عبدالله النضري	.٦٥
٥١	العداء بن خالد بن هوذة	.٦٦
٥٣	أعشى بني مازن من بني تميم	.٦٧
٥٤	أبو مريم السلوي	.٦٨
٥٤	عباد بن شرحبيل اليشكري	.٦٩
٥٥	بشير بن الخصاصية	.٧٠
٥٦	قيصة بن وقاص	.٧١
٥٦	جارية بن قدامة السعدي	.٧٢
٥٧	سعد بن الأطول بن عبدالله	.٧٣
٥٨	حريث بن حسان الشيباني	.٧٤
٥٨	حرملة بن عبدالله الكعبي	.٧٥
٥٨	عبدالله بن سبرة	.٧٦
٥٨	عبدالله بن سرجس	.٧٧
٥٩	عبدالله بن أبي الحسماء	.٧٨
٥٩	عبدالله بن أبي الجذعاء العبدي	.٧٩
٦٠	ميسرة الفجر أبو بُديل	.٨٠
٦٠	طلق بن خُشّاف القيسي	.٨١
٦٠	أبو صفية	.٨٢
٦١	أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ	.٨٣

أثر الصحابة في الحياة العلمية والاجتماعية
في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

٦٢	نمير الخزاعي	٨٤
٦٢	قتادة بن الأعور بن ساعدة	٨٥
٦٢	قتادة بن أوفى بن مواله	٨٦
٦٢	قيس بن الحارث بن يزيد	٨٧
٦٣	المتَّع بن الحصين بن يزيد	٨٨
٦٤	الحارث بن عمرو السهمي	٨٩
٦٤	عبدالرحمن بن خنبش	٩٠
٦٥	سهل بن صخر بن واقد	٩١
٦٥	عصمة بن أبي عوف	٩٢
٦٥	أبو عبيد (طباخ رسول الله)	٩٣
٦٥	ميمون بن سبأذ الأسلع	٩٤
٦٦	زيد مولى رسول الله ﷺ	٩٥
٦٦	أبو سود	٩٦
٦٦	أبو حية التميمي	٩٧
٦٧	الحارث بن أقيش	٩٨
٦٧	عمرو بن تغلب النمري	٩٩
٦٧	عبدالله بن الأسود السدوسي	١٠٠
٦٧	أسير صاحب رسول الله ﷺ	١٠١
٦٨	عروة بن سمرة العنبري	١٠٢
٦٨	أبو رفاعه العدوي واسمه تميم	١٠٣
٧٠	نافع بن الحارث بن كلدة بن عمرو	١٠٤
٧١	أبي بن مالك	١٠٥

٧١	حذيم بن حنيفة التميمي	.١٠٦
٧٣	عمارة بن أحمر المازني	.١٠٧
٧٣	أسمر بن مضر س	.١٠٨
٧٤	عمرو بن عمير	.١٠٩
٧٤	عكراش بن ذؤيب بن حرقوص	.١١٠
٧٥	برز وهو أبو أبي رجاء العطاردي	.١١١
٧٥	قطبة بن قتادة السدوسي	.١١٢
٧٦	الحكم بن الحارث السلمي	.١١٣
٧٦	العباس السلمي	.١١٤
٧٧	الفاكه بن سعد	.١١٥
٧٧	بشير بن زيد الضبعي	.١١٦
٧٧	علقمة بن الحويرث الغفاري	.١١٧
٧٧	عبدالله بن معرض الباهلي	.١١٨
٧٨	عبدالرحمن بن خباب السلمي	.١١٩
٧٨	عاصم أبو نصر بن عاصم الليثي	.١٢٠
٧٨	أصرم من بني شقرة	.١٢١
٧٩	جرموز الهجيمي	.١٢٢
٧٩	سويد بن هبيرة	.١٢٣
٧٩	فضالة الليثي	.١٢٤
٨٠	سليمان بن عامر الضبي	.١٢٥
٨٠	أبو عزة الهذلي	.١٢٦
٨٠	أهبان بن صيفي الغفاري	.١٢٧

٨٠	مضرس بن أسمر	١٢٨
٨٠	زهير بن عمرو	١٢٩
٨١	سلمة بن المحبق	١٣٠
٨١	خداش	١٣١
٨١	أبو سلمة	١٣٢
٨١	عم عبدالرحمن بن سلمة الخزاعي	١٣٣
٨٢	قيس بن الأسلع الأنصاري	١٣٤
٨٢	حابس التميمي	١٣٥
٨٢	أبو بهيشة	١٣٦
٨٢	عبادة بن قرص العبسي	١٣٧
٨٣	أبو مجيبة الباهلية أو عمها	١٣٨
٨٣	خال أبي السوار العدوي	١٣٩
٨٤	عم حسناء بنت معاوية الصريمية	١٤٠
٨٤	عم أبي حرة الرقاشي	١٤١
٨٥	أبو أبي العشاء الدارمي	١٤٢
٨٥	أشج عبدالقيس	١٤٣
٨٦	الجارود: بشر بن عمرو	١٤٤
٨٧	صحار بن عباس العبدي	١٤٥
٨٧	أبو خيرة الصباحي	١٤٦
٨٨	أبان المحاربي	١٤٧
٨٨	الزارع بن الوازع العبدي	١٤٨
٨٨	جابر بن عبدالله العبدي	١٤٩
٨٩	سلمة الجرهمي	١٥٠

ملحق رقم (٣)

مشاهير تلاميذ الصحابة ﷺ في الكوفة عند ابن سعد في الطبقات، ج ٦.

م	الاسم	الصفحة
١.	سويد بن غفلة	٦٨
٢.	الأسود بن يزيد	٧٠
٣.	مسروق بن الأجدع	٧٦
٤.	علقمة بن قيس	٨٦
٥.	عبيدة بن قيس	٩٣
٦.	أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي	٩٦
٧.	زرّ بن حبيش	١٠٤
٨.	عمرو بن شرحبيل	١٠٦
٩.	عبد الرحمن بن أبي ليلى	١٠٩
١٠.	عبد الله بن عكيم	١١٣
١١.	زيد بن صوحان	١٢٣
١٢.	شريح القاضي	١٣١
١٣.	الربيع بن حراش	١٥٠
١٤.	الحارث الأعور بن عبد الله	١٦٨
١٥.	سعيد بن وهب الهمداني	١٧٠
١٦.	عمرو بن سلمة الهمداني	١٧١
١٧.	أبو عبد الرحمن السلمي	١٧٢

١٨٢	الربيع بن خيثم	. ١٨
١٩٣	أبو العبيدين معاوية بن سبرة	. ١٩
٢١٠	أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود	. ٢٠
٢١١	عبيد بن نضيلة الخزاعي	. ٢١
٢١٧	حجر بن عدي	. ٢٢
٢٢١	صعصعة بن صوحان	. ٢٣
٢٤٦	عامر بن شراحيل	. ٢٤
٢٥٦	سعيد بن جبير	. ٢٥
٢٦٨	أبو بردة بن أبي موسى	. ٢٦
٢٧٠	إبراهيم النخعي	. ٢٧
٢٨٥	إبراهيم التيمي	. ٢٨
٢٨٦	خيثمة بن عبد الرحمن	. ٢٩
٢٨٩	عبد الرحمن بن الأسود	. ٣٠
٢٩١	سالم بن أبي الجعد	. ٣١
٢٩٩	يحيى بن وثاب	. ٣٢
٣٠٠	الضحّاك بن مزاحم	. ٣٣
٣٠٣	القاسم بن عبد الرحمن	. ٣٤
٣٠٨	طلحة بن مصرف	. ٣٥
٣٠٩	زبيد بن الحارث	. ٣٦
٣١٣	أبو إسحاق السبيعي	. ٣٧
٣٢٠	حبيب بن أبي ثابت	. ٣٨
٣٢٠	عاصم بن أبي النجود	. ٣٩

٣٢١	أبو حصين عثمان الجُشمي	.٤٠
٣٣١	الحكم بن عتيبة	.٤١
٣٣٢	حمّاد بن أبي سليمان	.٤٢

ملحق رقم (٤)

مشاهير تلاميذ الصحابة ؓ في البصرة عند ابن سعد في الطبقات، ج ٧.

م	الاسم	الصفحة
١	أبو مريم الحنفي	٩١
٢	كعب بن سور	٩١
٣	الأحنف بن قيس	٩٣
٤	أبو عثمان النهدي	٩٧
٥	أبو الأسود الدؤلي	٩٩
٦	عبد الله بن الحارث	١٠٠
٧	عامر بن عبد الله بن عبد القيس	١٠٣
٨	أبو العالية الرياحي	١١٢
٩	أبو أمية مولى عمر بن الخطاب	١١٧
١٠	سيرين مولى أنس بن مالك	١١٩
١١	غنيم بن قيس الكعبي	١٢٣
١٢	أبو كنانة القرشي	١٣١
١٣	هرم بن حيان العبدي	١٣١
١٤	صلة بن أشيم العدوي	١٣٤
١٥	أبو رجاء العطاردي	١٣٨

١٤٠	دغفل بن حنظلة السدوسي	١٦
١٤١	إياس بن قتادة بن أوفى	١٧
١٤١	مطرّف بن عبد الله بن الشخير	١٨
١٤٧	صفوان بن محرز المازني	١٩
١٥٠	زرارة بن أوفى الحرشي	٢٠
١٥١	أبو السوار العدوي	٢١
١٥٥	يزيد بن عبد الله بن الشخير	٢٢
١٥٦	الحسن بن أبي الحسن البصري	٢٣
١٧٨	سعيد بن أبي الحسن	٢٤
١٧٩	جابر بن زيد الأزدي	٢٥
١٨٣	أبو قلابة الجرمي	٢٦
١٨٦	مسلم بن يسار	٢٧
١٩١	النضر بن أنس بن مالك	٢٨
١٩٣	محمد بن سيرين	٢٩
٢٠٦	يحيى بن سيرين	٣٠
٢٠٧	أنس بن سيرين	٣١
٢٠٨	أبو نضرة المنذر بن مالك	٣٢
٢٠٩	بكر بن عبد الله المزني	٣٣
٢١٣	مورّق بن المشمرج العجلي	٣٤

أثر الصحابة في الحياة العلمية والاجتماعية
في العراق في عصر الخلفاء الراشدين

٢١٦	أبو مجلز لاحق السدوسي	٣٥
٢٢٢	أبو الجلد الجوني	٣٦
٢٢٣	أبو الجوزاء الربيعي	٣٧
٢٢٨	عبد الرحمن بن جوشن الغطفاني	٣٨
٢٢٩	قتادة بن دعامة السدوسي	٣٩
٢٣٢	ثابت بن أسلم البناني	٤٠
٢٣٤	إياس بن معاوية بن قره	٤١
٢٣٥	عاصم الجحدري	٤٢
٢٤٠	توبة العنبري	٤٣
٢٤١	محمد بن واسع بن جابر	٤٤
٢٤٣	مالك بن دينار	٤٥

جبهات القتال في العراق في عهد الفاروق

خارطة رقم (٣)



سامي بن عبد الله المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ٩٤.

المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ).
 - أسد الغابة، (د.ط)، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ.
 - الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط: الثانية، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٧هـ.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ).
 - جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط: الأولى، مكتبة الحلواني، (د. م)، ١٣٨٩هـ.
 - النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، (د. ط)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.
- أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).
 - الزهد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ.
 - فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ.
 - مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، (د. م)، ١٤٢١هـ.
- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري (ت ١٨٨هـ): السير، تحقيق: فاروق حمادة، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٧م.

- إسماعيل الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي (ت ٥٣٥هـ): سير السلف الصالحين، تحقيق: كرم بن حلمي، (د. ط)، دار الراجعية للنشر والتوزيع - الرياض، (د. ت).
- بحشل، أسلم بن سهل بن أسلم الواسطي (ت ٢٩٢هـ): تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، ط: الأولى، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٦هـ.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ).
 - الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: الثالثة، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٠٩هـ.
 - التاريخ الكبير، (د. ط)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، (د. ت).
 - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: الأولى، دار طوق النجاة، (د. م)، ١٤٢٢هـ.
- البزار، أحمد بن عمرو العتكي (ت ٢٩٢هـ): مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط: الأولى، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (د. ت).
- ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ): شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: الثانية، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٣هـ.
- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط: الأولى، دار الجليل - بيروت، ١٤١٢هـ.

- البغوي، محيي السنة، الحسين بن مسعود الشافعي، (ت ٥١٦هـ): شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، ط: الثانية، المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- البغوي، عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزبان (ت ٣١٧هـ): معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين الجكني، ط: الأولى، دار البيان - الكويت، ١٤٢١هـ.
- بقي بن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦هـ): مقدمة مسنده، تحقيق: أكرم العمري، ط: الأولى، (د. ن)، (د. م)، ١٤٠٤هـ.
- أبو بكر بن الخَلَّال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد (ت ٣١١هـ): السنة، تحقيق: عطية الزهراني، ط: الأولى، دار الراية - الرياض، ١٤١٠هـ.
- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط: الثالثة، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ).
- جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، ورياض زركلي، ط: الأولى، دار الفكر- بيروت، ١٤١٧هـ.
- فتوح البلدان، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ١٩٨٨م.
- البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت ٨٤٠هـ): إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، ط: الأولى، دار الوطن للنشر- الرياض، ١٤٢٠هـ.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخراساني (ت ٤٥٨هـ).
- دلائل النبوة، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، ط: الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٤هـ.
- شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية - الهند، ١٤٢٣هـ.
- المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (د. ط)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، (د. ت).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٩٥هـ.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني (ت ٧٢٨هـ).
- اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، (د. ت).
- مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية - السعودية، ١٤١٦هـ.
- مقدمة في أصول التفسير، (د. ط)، مكتبة الحياة - لبنان، ١٤٠٩هـ..

- الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي (ت ١٦١هـ): تفسير سفيان الثوري، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣هـ.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت ٣٧٠هـ): أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٥هـ.
- ابن جماعة الكناني، محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني (ت ٧٣٣هـ): المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط: الثانية، دار الفكر - دمشق، ١٤٠٦هـ.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ).
 - صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، (د. ط)، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢١هـ.
 - غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ.
 - كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (د. ط)، دار الوطن - الرياض، (د. ت).
 - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عطا - مصطفى عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢هـ.
- الجوهري، عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الجوهري المالكي (ت ٣٨١هـ): مسند الموطأ، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، وطه بن علي بوسريح، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ): الجرح والتعديل، ط: الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند، ١٢٧١هـ.
- الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).
- المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ.
- معرفة علوم الحديث، تحقیق: السيد معظم حسين، ط: الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (ت ٣٥٤هـ).
- الثقات، ط: الأولى، دار المعارف العثمانية - الهند، ١٣٩٨هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقیق: شعيب الأرنؤوط، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤هـ.
- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقیق: مرزوق علي إبراهيم، ط: الأولى، دار الوفاء للطباعة - مصر، ١٤١١هـ.
- ابن حبيب، عبدالملك بن حبيب القرطبي (ت ٢٣٨هـ): طبقات الفقهاء من لدن الصحابة ومن بعدهم من العلماء، تحقیق: رضوان الحصري، ط: الأولى، مركز ابن القطان - المغرب، ١٤٣٣هـ.
- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، أبو جعفر البغدادي (ت ٢٤٥هـ): المحبر، تحقیق: إيلزة ليختن شتير، (د. ط)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (د. ت).
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.
- تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط: الأولى، دار الرشيد - سوريا، ١٤٠٦هـ.
- تهذيب التهذيب، ط: الأولى، دار المعارف النظامية - الهند، ١٣٢٦هـ.
- فتح الباري، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ط: الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبدالله الرحيلي، ط: الأولى، مطبعة سفير - الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ).
- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د. ط)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، (د. ت).
- أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، الرسالة الثالثة ضمن جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، ط: الأولى، دار المعارف، (د. م)، (د. ت).
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، (د. ط)، مكتبة الخانجي - القاهرة، (د. ت).

- المحلى بالآثار، (د.ط)، دار الفكر - بيروت، (د.ت).
- الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، (ت ٦٢٦هـ).
- معجم الأدباء، (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤١٤هـ.
- معجم البلدان، ط: الثانية، دار صادر - بيروت، ١٩٩٥م.
- أبو حنيفة الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط: الأولى، دار إحياء الكتب العربي - القاهرة، ١٩٦٠م.
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ): الإمتاع والمؤانسة، ط: الأولى، المكتبة العنصرية - بيروت، ١٤٢٤هـ.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ).
- تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ.
- تقييد العلم، (د.ط)، دار إحياء السنة النبوية - بيروت، (د.ت).
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، (د.ط)، مكتبة المعارف - الرياض، (د.ت).
- الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط: الثانية، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤٢١هـ.
- الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، (د.ط)، المكتبة العلمية - المدينة النبوية، (د.ت).

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ).
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط: الثانية، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٨هـ.
- المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٦م.
- خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني (ت ٢٤٠هـ).
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، ط: الثانية، دار القلم - بيروت، ١٣٩٧هـ.
- كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم العمري، ط: الثانية، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢هـ.
- الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد القزويني (ت ٤٤٦هـ): الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ..
- ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ): التاريخ الكبير المعروف بتاريخ أبي خيثمة، تحقيق: صلاح بن فتحى هلال، ط: الأولى، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، ١٤٢٧هـ.
- ابن خير الإشبيلي، محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ): فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، ط: الأولى، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤١٩هـ.
- الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ).

- سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة- لبنان، ١٤٢٤هـ.
- المؤلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبد القادر، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٦هـ.
- الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي التميمي (ت ٢٥٥هـ):
مسند الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: الأولى، دار المغني للنشر - السعودية، ١٤١٢هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ): سنن أبي داود،
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط)، المكتبة العصرية - صيدا -
لبنان، (د. ت).
- أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ): مسند أبي
داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، ط: الأولى، دار هجر -
مصر، ١٤١٩هـ.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ): الاشتقاق، ط: الأولى،
دار الجيل - بيروت، ١٤١١هـ.
- ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد القرشي (ت ٢٨١هـ).
- التواضع والحمول، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط: الأولى، دار
الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٩هـ.
- الورع، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، ط: الأولى، الدار السلفية - الكويت،
١٤٠٨هـ.

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، ط: الثانية، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٣هـ.
- تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٩هـ.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: جماعة من المحققين، ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- طبقات القراء = معرفة القراء، تحقيق: أحمد جان، ط: الثانية، مركز الملك فيصل - الرياض، ١٤١٧هـ.
- ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ).
- أحكام الخواتيم وما يتعلق بها، تصحيح وتعليق عبد الله القاضي، ط: الأولى، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- شرح علل الترمذي، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، ط: الأولى، مكتبة المنار - الأردن، ١٤٠٧هـ.
- ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة الخرساني (ت ٢٥١هـ): الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، ط: الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض، ١٤٠٦هـ.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ): فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي، ط: الأولى، مكتبة السنة - مصر، ١٤٢٤هـ.

- السرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي (ت ٣٠٢ هـ): الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الله القناص، ط: الأولى، مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤٢٢ هـ.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، البغدادي (ت ٢٣٠ هـ).
 - الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، ط: الأولى، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨ م.
 - الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، ط: الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١ هـ.
- سعدي الهاشمي، أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، ط: الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة النبوية، ١٤٠٢ هـ.
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢ هـ): الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي وغيره، ط: الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٣٨٢ هـ.
- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسن الشافعي (ت ٩١١ هـ): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩ هـ.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).
 - الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. م)، ١٣٩٤ هـ.
 - تدريب الراوي، تحقيق: عبدالوهاب بن عبداللطيف، ط: الثانية، دار إحياء السنة النبوية - بيروت، ١٣٩٩ هـ.

- ابن شبة، عمر بن شبة بن عبدة النميري البصري، (ت ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة: تحقيق، فهيم محمد شلتوت، (د.ط)، (د.ن) - جدة، ١٣٩٩هـ.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ): الملل والنحل، (د.ط)، مؤسسة الحلبي، (د.م)، (د.ت).
- ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم العبسي (ت ٢٣٥هـ).
 - الأدب، تحقيق: محمد رضا القهوجي، ط: الأولى، دار البشائر الإسلامية - لبنان، ١٤٢٠هـ.
 - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ..
- أبو الشيخ الأصبهاني، عبدالله بن محمد بن جعفر (ت ٣٦٩هـ): طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق: عبدالغفور البلوشي، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٢هـ.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي الشيرازي، أبو إسحاق (ت ٤٧٦هـ): طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط: الأولى، دار الرائد العربي - لبنان، ١٩٧٠م.
- الصفدي، خليل بن أيك بن عبدالله (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، (د.ط)، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن (ت ٦٤٢هـ): مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، (د.ط)، دار الفكر - سوريا، ١٤٠٦هـ.

- أبو طاهر المخلص، محمد بن عبد الرحمن البغدادي المخلص (ت ٣٩٣هـ):
المخلصيات، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ط: الأولى، وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية لدولة قطر، ١٤٢٩هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ).
- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، و عبدالمحسن الحسيني، (د.
ط)، دار الحرمين - القاهرة، (د. ت).
- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ط: الثانية، مكتبة ابن تيمية - مصر،
(د. ت).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الأملي الطبري (ت ٣١٠هـ).
- تاريخ الرسل والملوك، ط: الثانية، دار التراث - بيروت، ١٣٨٧هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: الأولى،
مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: الأولى،
دار الجليل - بيروت، ١٤١٢هـ.
- الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط: الأولى، دار الكتاب
العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي
الله عنهم، (د. ط)، دار الكتب العلمية - بيروت، (د. ت).

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، (د.ط)، وزارة الأوقاف - المغرب، ١٣٨٧هـ.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط: الأولى، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤١٤هـ.
- عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت ٢١١هـ).
- الأمالي في آثار الصحابة، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، (د.ط)، مكتبة القرآن - القاهرة، (د.ت).
- تفسير عبد الرزاق، تحقيق: محمود محمد عبده، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ.
- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: الثانية، المجلس العلمي - الهند، ١٤٠٣هـ.
- ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (ت ٧٤٤): الصارم المنكي في الرد على السبكي، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري البياني، ط: الأولى، مؤسسة الريان - بيروت، ١٤٢٤هـ.
- العجلي، أحمد بن عبدالله العجلي الكوفي (ت ٢٦١هـ): تاريخ الثقات، ط: الأولى، دار الباز، ١٤٠٥هـ.
- العراقي، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (ت ٨٠٦هـ): شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين فحل، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٣هـ.

- ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين الحنفي (ت ٧٩٢هـ): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط: الأولى، الشؤون الإسلامية والأوقاف-الرياض، ١٤١٨هـ.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر العمروي وآخرون، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- علقمة بن مرثد (ت ١٢٠هـ): زهد الثمانية من التابعين، تحقيق: عبدالرحمن الفريوائي، ط: الثانية، مكتبة الدار - المدينة النبوية، ١٤٠٨هـ.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط: الأولى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ.
- العيني، محمود بن أحمد بن موسي الغيتاي الحنفي (ت ٨٥٥هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، (د. ت).
- الفراء، يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ): معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، ط: الأولى، دار المصرية للتأليف والترجمة - (د. م)، (د. ت).
- الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت ٢٧٧هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم العمري، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠١هـ.

- ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ): البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط: الأولى، عالم الكتب - بيروت، ١٤١٦هـ.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط: الثامنة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢٦هـ.
- القاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ).
- الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (د. ط)، دار الفكر - بيروت، (د. ت).
- غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط: الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد- الدكن، ١٣٨٤هـ.
- فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، وآخرون، ط: الأولى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤١٥هـ.
- ابن قانع، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي (ت ٣٥١هـ): معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصري، ط: الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ١٤١٨هـ.
- قتادة، قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي البصري (ت ١١٧هـ): الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة، (د. م)، ١٤١٨هـ.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

- عيون الأخبار، (د. ط)، دار الكتاب العربي - بيروت، (د. ت).
- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط: السادسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩٢ م.
- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي (ت ٦٢٠هـ): (د. ط)، المغني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، (د. ط)، مكتبة المعارف - الرياض، (د. ت).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ).
- البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله التركي، ط: الأولى، دار هجر، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ط: الأولى، مؤسسة الريان، بيروت - ١٤١٦هـ.
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري (ت ٤١٨هـ): شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد حمدان، ط: الثامنة، دار طيبة - السعودية، ١٤٢٣هـ.
- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، دار إحياء الكتب العربية، (د. م)، (د. ت).

- مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ): موطأ الإمام مالك،
تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي - بيروت،
١٤٠٦هـ.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ):
الأحكام السلطانية، (د. ط)، دار الحديث - القاهرة (د. ت).
- ابن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي
(ت ١٨١هـ): الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (د. ت)، دار
الكتب العلمية - بيروت، (د. ت).
- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي (ت ٩٧٥هـ):
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، ط:
الخامسة، مؤسسة الرسالة، (د. م)، ١٤٠١هـ.
- ابن المديني، علي بن عبدالله السعدي، المدني، البصري (ت ٢٣٤هـ): العلل،
تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط: الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت،
١٩٨٠م.
- المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي
(ت ٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد، ط: الأولى،
مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٣٠٨هـ.
- ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ): تجارب الأمم وتعاقب
الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط: الثانية، سروش - طهران، ٢٠٠٠م.
- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط) دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ت).
- المفردات والوحدان، تحقيق: عبدالغفار البنداري، ط: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ.
- معمر بن راشد، معمر بن راشد الأزدي مولاهم، البصري (ت ١٥٣هـ): الجامع (ملحق بمصنف عبد الرزاق)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: الثانية، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد الحنبلي (ت ٧٦٣هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، (د. ط)، عالم الكتب، (د. م)، (د. ت).
- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري المقدسي (ت ٣٨٠هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط: الثالثة، مكتبة مدبولي - القاهرة، ١٤١١هـ.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ): لسان العرب، ط: الأولى، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ.
- ابن ناصر الدين، محمد بن عبدالله بن محمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢هـ): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٩٣م.
- النّحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ): الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبدالسلام محمد، ط: الأولى، مكتبة الفلاح - الكويت، ١٤٠٨هـ.

- النديم، محمد بن إسحاق بن محمد النديم، الوراق المعتزلي الشيعي (ت ٣٧٨هـ):
الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط: الثانية، دار المعرفة - لبنان، ١٤١٧هـ.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ).
- تسمية فقهاء الأمصار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط: الأولى، دار الوعي
- حلب، ١٣٦٩هـ.
- السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة
- بيروت، ١٤٢١هـ.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): حلية
الأولياء وطبقات الأصفياء، (د. ط) السعادة - القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- النويري، أحمد بن عبدالوهاب بن محمد البكري النويري (ت ٧٣٣هـ): نهاية
الأرب في فنون الأدب، ط: الأولى، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة،
١٤٢٣هـ.
- ابن هشام، عبدالملك بن هشام الحميري، (ت ٢١٨هـ): السيرة النبوية، تحقيق:
مصطفى السقا وآخرون، ط: الثانية، مكتبة مصطفى الباي الحلبي - مصر،
١٣٧٥هـ.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ): مجمع الزوائد ومنبع
الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، (د. ط)، مكتبة القدسي - القاهرة،
١٤١٤هـ.
- وكيع بن الجراح، محمد بن خلف بن حيان البغدادي (ت ٣٠٦هـ): أخبار
القضاة، تحقيق: عبد العزيز المراغي، ط: الأولى، المكتبة التجارية الكبرى -
مصر، ١٣٦٦هـ.

- يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني (ت ٢٠٠هـ): التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، تحقيق: هند شلبي، (د. ط)، الشركة التونسية للتوزيع، (د. م)، ١٩٧٩ م.
- أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت ٤٥٨هـ): الأحكام السلطانية، ط: الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ.
- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ): مسند أبي يعلى تحقيق: حسين سليم أسد، ط: الأولى، دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٤هـ.
- ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد بن أبي يعلى (ت ٥٢٦هـ): طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، (د. ط)، دار المعرفة - بيروت، ١٤٣١هـ.
- اليعموري، يوسف بن أحمد بن محمود اليعموري (ت ٦٧٣هـ): نور القبس من المقتبس، تحقيق: رودلف زهايم، (د. ط)، دار فرانتس شتايز بشينبادن، (د. م)، ١٣٨٤هـ.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت ١٨٢هـ): الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، (د. ط)، المكتبة الأزهرية للتراث، (د. م)، (د. ت).

المراجع:

- إبراهيم محمد العلي: حذيفة بن اليمان أمين سر رسول الله ﷺ، ط: الأولى، دار القلم - دمشق، ١٤١٧هـ.
- أحمد إسماعيل البسيط، الحسن البصري مفسراً، ط: الأولى، دار الفرقان - عمان الأردن، ١٤٠٥هـ.

- أحمد عادل كمال:
 - القادسية، ط: الأولى، دار النفائس - بيروت، ١٣٩٣هـ.
 - الطريق إلى المدائن، ط: الأولى، دار النفائس - بيروت، ١٣٩٢هـ.
- أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة، (د. ط)، دار المعارف - مصر، (د. ت).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، ط: الأولى، عالم الكتب، (د. م)، ١٤٢٩هـ.
- إسماعيل البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (ت ١٣٩٩هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي - لبنان.
- أكرم ضياء العمري:
 - بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ط: الرابعة، (د. ن) - بيروت، ١٤٠٥هـ.
 - عصر الخلافة الراشدة، ط: الأولى، مكتبة العبيكان - الرياض، ١٤١٦هـ.
 - موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ط: الثانية، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٥هـ.
- أبو بكر المحولي، محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام (ت ٣٠٩هـ): المروءة، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط: الأولى، دار ابن حزم - بيروت، ١٤٢٠هـ.
- جمال محمد جودة، العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، (د. ط)، (د. ن)، (د. م)، ١٩٧٧م.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د. ط)، مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١م.
- أبو الحسن الندوي، علي بن عبدالحكي بن فخر الدين الحسيني الندوي (ت ١٤٢٠هـ): ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط السادسة، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٨٥هـ.
- سعد الموسى، الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري، ط: الأولى، دار القاسم - الرياض، ١٤٢٨هـ.
- سلطان بن عبد الرحمن العميري: فضاءات الحرية، (د. ط)، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، (د. ت).
- شكري فيصل:
- حركة الفتح الإسلامي، ط: السادسة، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٢م.
- المجتمعات الإسلامية، ط: الخامسة، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨١م.
- صالح أحمد الشامي، السيرة النبوية، ط: الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٣هـ.
- صالح أحمد العلي:
- امتداد العرب، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ.
- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ط: الثانية، دار الطليعة - بيروت، ١٩٦٩م.
- عاتق بن غيث البلادي (ت ١٤٣١هـ): معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط: الأولى، دار مكة للنشر - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

- عبدالحى الكتانى، محمد عَبْدَ الْحَيِّ بن عبد الكبير الإدريسي (ت ١٣٨٢هـ):
التراتب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، تحقيق: عبدالله الخالدي، ط: الثانية،
دار الأرقم - بيروت، (د. ت).
- عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت ١٣٧٦هـ): تيسير الكريم الرحمن
في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة،
١٤٢٠هـ.
- عبدالسلام بن محسن آل عيسى: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية
عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية، ط: الأولى، عمادة البحث العلمي بالجامعة
الإسلامية - المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ.
- عبدالعزيز بن عبدالرحمن العجلان: أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب الناس
فيهم، ط: الأولى، دار طيبة - الرياض، ١٤٣١هـ.
- عبدالعزيز العمري:
- حضاريات في الفتوح الإسلامية، ط: الأولى، مطبعة سفير - الرياض،
١٤٢٧هـ.
- الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط: الأولى، دار إشبيليا - الرياض،
١٤١٨هـ.
- عبدالقيوم عبد الغفور السندي:
- جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، (د. ط)، مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف - المدينة النبوية، (د. ت).

- صفحات في علوم القراءات، ط: الأولى، المكتبة الأمداية، (د. م)، ١٤١٥هـ.
- عبدالله محمد السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٣هـ.
 - عبدالله بن عبدالرحمن الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ط: الأولى، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٤هـ.
 - عبدالوهاب خلاف (ت ١٣٧٥هـ): علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، (د. ط)، مطبعة المدني - مصر، (د. ت).
 - علي بن نفع العلياني، أهمية الجهاد، ط: الأولى، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٥هـ.
 - عماد الدين خليل: في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ط: الأولى، دار الفرقان - الأردن، ١٩٩٨م.
 - عماد علي جمعة: المكتبة الإسلامية، ط: الثانية، سلسلة التراث العربي الإسلامي، (د. م)، ١٤٢٤هـ.
 - عمر رضا بن محمد كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط: السابعة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤هـ.
 - عمر العقيلي، خلافة معاوية، ط: الأولى، (د. ن)، الرياض - ١٤٠٤هـ.
 - غالب عبد الكافي القرشي، أولويات الفاروق السياسية، ط: الأولى، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ.
 - فهد الرومي:

- جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، (د. ط)، مجمع الملك فهد - السعودية، (د. ت).
- دراسات في علوم القرآن الكريم، ط: الثانية عشرة، (د. ن)، (د. م) ١٤٢٤هـ.
- الكتاني، محمد بن أبي الفيض جعفر الحسن بن الإدريسي (ت ١٣٤٥هـ): الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المتصر بن محمد الزمزمي، ط: السادسة، دار البشائر الإسلامية، (د. م)، ١٤٢١هـ.
- محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩هـ): مع الرعيل الأول، ط: الحادية عشرة، المكتبة السلفية - القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- محمد أديب الصالح: الربانيون قدوة وعمل، ط: الأولى، دار الوطن - الرياض، ١٤٢١هـ.
- محمد أشرف بن أمير بن علي الصديقي العظيم آبادي، (ت ١٣٢٩هـ): عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، ط: الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.
- محمد حسين الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، (د. ط)، المطبعة العالمية - القاهرة، ١٩٧٠م.
- محمد خيرى المفتي: علم الفرائض والموارث في الشريعة الإسلامية والقانون السوري، (د. ط)، (د. ن)، (د. م)، (د. ت).
- محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ): فقه أهل العراق وحديثهم، ط: الأولى، دار البصائر - القاهرة، ١٤٣٠هـ.

- محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ): التفسير والمفسرون، (د. ط)، مكتبة وهبة - القاهرة، (د. ت).
- محمد شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط: الأولى، دار القلم - دمشق، ١٤١١هـ.
- محمد الصادق عرجون، الموسوعة في سماحة الإسلام، ط: الثانية، الدار السعودية - جدة، ١٤٠٤هـ.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ): تسهيل الفرائض، (د. ط)، دار ابن الجوزي، (د. ط)، ١٤٢٧هـ.
- محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط: الأولى، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٦هـ.
- محمد بن عبدالله التميم، مهن الفقهاء في صدر الإسلام، ط: الأولى، دار طيبة - الرياض، ١٤٢٦هـ.
- محمد بن عبدالله الخضير، تفسير التابعين، ط: الأولى، دار الوطن - الرياض، ١٤٢٠هـ.
- محمد بن عبدالله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، (د. ط)، مؤسسة الخانجي - القاهرة، ١٣٨٢هـ.
- محمد بن لطفي الصباغ:
- الحياة الاجتماعية في ضوء السنة، ط: الأولى، دار المثل - الرياض، ١٤٢٥هـ.
- لمحات في علوم القرآن، ط: الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤١٠هـ.

- محمد ماهر حمادة: مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ، (د. ط)، دار العلوم - الرياض، ١٤٠٢هـ.
- محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣ هـ).
 - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط: الرابعة، مكتبة السنة، (د. م)، (د. ت).
 - الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، (د. ط)، دار الفكر العربي، (د. م)، (د. ت).
- محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د. ط)، دار الهداية، (د. م)، (د. ت).
- محمد بن محمد عواجي: مرويات الإمام الزهري في المغازي، ط: الثانية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٣٠هـ.
- محمد مصطفى الأعظمي: مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، ط: الأولى، مكتب التربية العربي - الرياض، ١٤٠١هـ.
- محمد بن مطر بن عثمان الزهراني (ت ١٤٢٧ هـ): علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ط: الأولى، دار الهجرة - الرياض، ١٤١٧هـ.
- محمد الناصر: الحياة السياسية عند العرب، ط: الأولى، مكتبة السنة - القاهرة، ١٤١٢هـ.
- محمود دراز: نظرات في الإسلام، (د. ط)، (د. ن)، (د. م)، ١٣٩٢هـ.

- مساعد بن سليمان الطيار: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط: الثانية، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤٢٧هـ.
- مصطفى بن عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٦هـ.
- منصور العبدلي: مرويات ابن مسعود، ط: الأولى، دار الشروق - جدة، ١٤٠٦هـ.
- ناصر الحيني: منهج أهل السنة والجماعة في تدوين العقيدة، ط: الأولى، مركز الفكر المعاصر - الرياض، ١٤٣١هـ.
- نورة الحارثي: الأوقاف النسوية في العهد النبوي والراشدي، (د. ط)، جامعة القصيم، كرسي السيرة النبوية، بريدة، ١٤٣٣هـ.
- هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط: الأولى، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت، ١٩٨٦م.

المراجع العربية:

- لويس ما سينيون: خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة: تقي بن محمد المصعبي، ط: الأولى، دار الوراق - بيروت، (د. ت).

الرسائل العلمية:

- إبراهيم بن صالح الدسياني: مفهوم القيم، بحث تكميلي للماجستير (غير منشور) قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٣١هـ.

- عبدالعزيز بن محمد العجلان: أبو المعتمر التيمي ومروياته في السيرة النبوية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٢٢هـ.

الموسوعات:

- جاسم علي، موسوعة البصرة الحضارية: الموسوعة التاريخية. «البصرة في العصر الأموي».
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط: الثانية، ذات السلاسل - الكويت، من ١٤٠٤ - ١٤٠٩هـ.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: إعداد مجموعة من المختصين إشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، ط: الرابعة، دار الوسيلة، جدة، (د. ت).

البحوث والدوريات:

- إبراهيم بن فاضل المشهداني. «مدرسة العراق الإقرائية بالقراءات القرآنية»، بحوث ملتقى كبار قراء العالم الإسلامي، كرسي تعليم القرآن وإقرائه، (د. ط) جامعة الملك سعود - الرياض، ١٤٣٥هـ.
- خليل محيي الدين الميس. «الذبايح والطرق الشرعية في إنجاز الزكاة»، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي - جدة، ١٤١٨هـ.
- عبد الله الزايد. «أطوار الاجتهاد الفقهي»، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض، ١٤٠٦هـ.

- فؤاد علي العاجز، عطية العمري. «القيم وطرق تعلّمها وتعليمها»، دراسة مقدمة إلى مؤتمر كلية التربية والفنون تحت عنوان: «القيم والتربية في عالم متغير» والمنعقد في جامعة اليرموك في الفترة من ٢٧-٢٩ / ٧ / ١٩٩٩ م إربد، الأردن، عبر الرابط:

<http://faculty.mu.edu.sa/sabuelsoud/1%D8%A8%D8%AD%D988%D8%AB%20%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D988%D98%A%D8%A9>

- محمد رشيد بن علي رضا. «حرب المدينة الأوربية»، مجلة المنار - القاهرة، ع ١٨، (١٣٣٣هـ).

- محمد رواس قلعجي. «بين فقيهين»، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض، ١٤٠٢هـ.

فهارس المخطوطات:

- خزانة التراث، مركز الملك فيصل - الرياض.

الصفحة	الموضوع
١٨٥	أعداد كبار القراء من التابعين في الطبقات الأولى عند الذهبي في طبقات القراء في العراق والحجاز.
٢٣٥	أعداد فقهاء التابعين عند النسائي في «تسمية فقهاء الأمصار» في العراق والحجاز.
٢٣٧	أعداد فقهاء التابعين عند ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» في العراق والحجاز.
٢٣٨	أعداد فقهاء التابعين عند ابن حزم في «الإحكام» في العراق والحجاز.
٢٣٩	أعداد فقهاء التابعين عند الشيرازي في «طبقات الفقهاء» في العراق والحجاز.
٢٩٣	الأئمة الذين عليهم مدار الرواية في الأمصار عند ابن المديني في «العلل» في العراق والحجاز.
٢٩٦	أعداد التابعين في الطبقات الثلاث عند ابن سعد في «الطبقات» في العراق والحجاز.
٢٩٨	أعداد التابعين في الطبقات الأربع عند خليفة بن خياط في «الطبقات» في العراق والحجاز.

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
١٧	التمهيد
١٩	المبحث الأول: الصحابة ؓ (التعريف بهم وبتكوينهم التربوي)
٣٤	المبحث الثاني: العراق (تحديد المكان وخصائصه)
٣٨	المبحث الثالث: الأحوال السائدة في العراق قبيل الفتح الإسلامي
٣٨	الحالة السياسية
٣٩	الحالة الدينية
٤٢	الحالة الاجتماعية
٤٥	الحالة الاقتصادية
٥١	الفصل الأول انتشار الصحابة ؓ في العراق
٥٣	المبحث الأول: الفتح الإسلامي وأثر الصحابة ؓ في حملات الفتح
٥٣	أولاً: الفتح الإسلامي للعراق
٥٤	١- المرحلة الأولى: من دخول العراق حتى الحيرة (في عهد أبي بكر الصديق)
٥٩	٢- المرحلة الثانية: من الحيرة إلى القادسية (في عهد عمر بن الخطاب)
٦٦	٣- المرحلة الثالثة: من القادسية إلى المدائن (في عهد عمر بن الخطاب)
٦٧	ثانياً: أثر الصحابة ؓ في حملات فتح العراق

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلميّة والاجتماعيّة
في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

٩٠	المبحث الثاني: التوزيع الجغرافي للأماكن التي انتشر فيها الصحابة ﷺ
٩٣	الكوفة
٩٤	البصرة
٩٥	المدائن
٩٦	واسط
٩٧	المبحث الثالث: طبقات الصحابة ﷺ في العراق وأشكال إقامتهم
١٣٥	الفصل الثاني أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلميّة في العراق
١٤٠	المبحث الأول: أماكن التعلم والتفقه
١٤٠	أ- أثناء حملات الفتح
١٤٦	ب- في المساجد
١٥٣	ج- في المنازل والدور
١٦٠	د- أماكن أخرى
١٦٦	المبحث الثاني: أثر الصحابة ﷺ في إقراء القرآن وتفسيره
١٦٦	أ- إقراء القرآن وتعليمه
١٨٦	ب- إملاء المصاحف وكتابتها وجمع القرآن
١٨٨	ج- تفسير القرآن
١٩٨	د- علوم القرآن
١٩٩	المبحث الثالث: أثر الصحابة ﷺ في رواية السنّة
٢١٦	المبحث الرابع: أثر الصحابة ﷺ في نشر العلم الشرعي، والفقّه في الدين

٢٤٢	المبحث الخامس: اجتهادات الصحابة ؓ وقياساتهم في المسائل الحادثة
٢٥٠	١- اجتهادات الصحابة ؓ في مسائل العقائد
٢٥٠	أ- موقف الصحابة ؓ من المرتدين
٢٥٢	ب- موقف الصحابة ؓ من الفتنة زمن عثمان
٢٥٢	ج- التوقف في الفتن واعتزالها
٢٥٦	د- موقف الصحابة ؓ من المبتدعة
٢٦٥	٢- اجتهادات الصحابة ؓ في مسائل الأحكام
٢٦٥	أ- معاملة أرض السواد في العراق
٢٦٥	ب- وضع التاريخ الهجري
٢٦٦	ج- المضاربة بمال بيت المال
٢٦٧	د- الذبائح والأطعمة
٢٦٧	هـ- إجازة شهادة أهل الكتاب للمسلمين
٢٦٨	و- الامتناع عن الشرب بآنية الذهب والفضة
٢٦٨	ز- معاملة أبناء البغاة
٢٦٩	المبحث السادس: موقف الصحابة ؓ من تراث الأمم السابقة
٢٧٧	المبحث السابع: أثر الصحابة ؓ في الرواية التاريخية
٢٨٩	الفصل الثالث تلاميذ الصحابة ؓ في العراق والرواة عنهم
٣٠٤	المبحث الأول: تلاميذ الصحابة ؓ في الكوفة
٣١٧	المبحث الثاني: تلاميذ الصحابة ؓ في البصرة

أثر الصحابة ؓ في الحياة العلمية والاجتماعية
في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ؓ

٣٢٦	المبحث الثالث: تلاميذ الصحابة ؓ في أماكن أخرى من العراق
٣٣٢	المبحث الرابع: الرواة عن تلاميذ الصحابة ؓ في العراق
٣٤١	المبحث الخامس: أثر تلاميذ الصحابة ؓ في العراق في نشر علمهم واجتهاداتهم
٣٥٥	الفصل الرابع الحياة الاجتماعية للصحابة ؓ في العراق
٣٥٩	المبحث الأول: مكونات مجتمع العراق بعد الفتح
٣٥٩	أولاً: العرب
٣٦٨	ثانياً: العجم
٣٧٧	المبحث الثاني: مكونات مجتمع الصحابة ؓ في العراق (الزوجات، الأولاد، الموالي)
٣٧٨	الزوجات
٣٨٤	الأولاد
٣٨٨	الموالي
٣٩٣	المبحث الثالث: مساكن الصحابة ؓ في مدن وبلدات العراق
٣٩٣	نشأة الكوفة والبصرة وتخطيطهما
٣٩٧	أولاً: الكوفة
٤٠١	ثانياً: البصرة
٤٠٤	ثالثاً: المدائن
٤٠٦	المبحث الرابع: صلة الصحابة ؓ بفئات المجتمع الأخرى
٤٢٥	المبحث الخامس: مدى تأثير الصحابة ؓ بمجتمع العراق

٤٤٣	الفصل الخامس أثر الصحابة ؓ في الحياة الاجتماعية في العراق
٤٤٩	المبحث الأول: أثر الصحابة ؓ في نشر القيم الاجتماعية بين السكان
٤٥٢	الرحمة والشفقة والحرص على هداية الخلق
٤٥٦	تحرير الإنسان والمحافظة على كرامته
٤٦٠	العدل
٤٦٥	الأمانة والنزاهة
٤٧١	الشورى
٤٧١	الوفاء
٤٧٢	نشر العلم
٤٧٣	العمل
٤٧٤	البر والإحسان
٤٧٦	الشجاعة
٤٧٨	المبحث الثاني: أثر الصحابة ؓ في الهدي والسلوك والعمل
٤٧٨	الهدي والسمت
٤٨٢	الاتباع
٤٨٤	المراقبة
٤٨٦	إخفاء العمل
٤٨٧	التواضع
٤٨٩	الزهد

أثر الصحابة ﷺ في الحياة العلمية والاجتماعية
في العراق في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

٤٩٣	التعبد والنسك
٥٠١	المبحث الثالث: أثر الصحابة ﷺ في الأعمال الخيرية
٥٠٢	الوقف
٥٠٣	أ/ بناء المساجد
٥٠٥	ب/ في الجهاد في سبيل الله
٥٠٦	ج/ شق الأنهار والترع
٥٠٨	د/ حفر الآبار والعيون
٥٠٩	الإنفاق والصدقة
٥١١	عتق الرقيق
٥١٢	الضيافة
٥١٣	العطاء على تعلم القرآن
٥١٥	المبحث الرابع: أثر الصحابة ﷺ في عوائد الألبسة والأطعمة والأشربة
٥١٦	الألبسة
٥٢٥	الأطعمة
٥٢٧	الأشربة
٥٣٠	المبحث الخامس: أثر الصحابة ﷺ في إزالة العوائد القبلية والأعجمية وترشيدها
٥٣٥	المبحث السادس: أثر الصحابة ﷺ في حل المشكلات الأسرية والاجتماعية
٥٤٥	الخاتمة
٥٥٣	الملاحق

٥٧٧	الخرائط
٥٨١	المصادر والمراجع
٦١٣	فهرس الجداول
٦١٥	فهرس الموضوعات